



# العيون والموارد المائية وأنظمة توزيع المياه في غدامس

The Springs, Water Resources, and Water Distribution Systems in Ghadames

تقديم وتحرير  
د. مختار السنوسي حودة



الكتاب : المؤتمر العلمي الدولي حول تراث غدامس الدورة الثانية  
العيون والموارد المائية وأنظمة توزيع المياه

المؤلف : شركة كيدامي للإنتاج الفني / نخبة من الباحثين

سنة النشر : 28.10.2024

التصنيف : أبحاث علمية تاريخية

الطبعة الأولى : 2024

رقم الإيداع القانوني : 2024/698

الترقيم الدولي : 5 - 04 - 878 - 9959 - 978 ISBN

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

دار الكتب الوطنية – بنغازي – ليبيا

هاتف : 9097074 - 9096379 - 9090509

بريد مصور : 9097073

البريد الإلكتروني : nat\_lib\_libya@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة لـ : شركة كيدامي للإنتاج الفني والخدمات الفنية

والاعلامية) مركز غدامس للأبحاث والدراسات وتوثيق التراث)

# المؤتمر العلمي الدولي حول تراث مدينة غدامس

## الدورة الثانية

العيون والموارد المائية  
وأنظمة توزيع المياه

تاريخ غدامس عبر العصور

نخبة من الباحثين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا  
فَفَتَقْنَاهُمَا<sup>ط</sup> وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ

﴿ ٣٠ ﴾

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

## مقدمة

أن الأول من شهر مايو من كل عام، هو تاريخ يجسد بصمات عمل الإنسان في إطار تنظيم حياته وفق نظام دقيق لأهمية وقيمة الماء في الصحراء جسده الإنسان الليبي في مدينة غدامس، حيث أستطاع أن يعيش ويتعايش مئات السنين في بيئة صعبة وقاسية عبر نظام توزيع المياه لعين الفرس منبع الحياة وأصل نشأة مدينة غدامس.

ومن هذا المنطلق قامت شركة كيدامي للإنتاج الفني والخدمات الفنية والإعلامية ومنظمة تورينكا للثقافة والتراث عبر مركز غدامس للأبحاث والدراسات وتوثيق التراث بإحياء ذكرى يوم الماء الذي يوافق تاريخ 1 مايو بالتاريخ الأعجمي الموافق لـ 13 مايو بالتاريخ الميلادي.

حيث تم تنظيم المؤتمر العلمي الدولي حول تاريخ غدامس الدورة الثانية بمحوريتها محور العيون والموارد المائية وأنظمة توزيع المياه ومحور تاريخ غدامس عبر العصور، والذي شارك فيه باحثين وأساتذة اجلاء أدلو بدلوهم بأبحاث ومدخلات أثرت هذه المحاور بمعلومات قيمة تثري مكتباتنا وتضيف لها الجديد والمفيد وكل ذلك يسهم في توثيق وأرشفة وتدوين وتممين هذا التاريخ وهذا التراث الذي يعبر عن بصمات وتجربة الإنسان وممارساته لهذا التراث الإنساني.

الشكر كل الشكر موصول لكل من ساهم وشارك في إثراء هذا الحدث العلمي التاريخي من أساتذة ومنظمين وحضور، متمنيا للجميع التوفيق في إنجاح مثل هذه البرامج التي تخدم تراث وتاريخ بلادنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أ.مختار السنوسي حودة  
رئيس اللجنة المنظمة للمؤتمر

## الفهرس

- 3..... الآية :  
4..... مقدمة :  
5..... الفهرس :  
7..... أهداف المؤتمر:  
8..... محاور المؤتمر :  
10..... اللجان المشرفة:  
11..... البرنامج العام :  
18..... لقطات مصورة من المؤتمر :  
37..... الجزء الأول العيون والموارد المائية وأنظمة توزيع المياه :  
39..... السنة المائية بخدمات - ابعاد ودلالات حضارية  
57..... " إدارة الحياة " .....  
..... غسوف كمصدر لاستدامة خدمات القيمة  
75..... أصل نشأة عين الفرس .....  
103..... قراءة في دفاتر عين الفرس "غسوف" :  
109..... غسوف وسواقيها في تجربتي الأدبية الرئيسي  
119..... خدمات هبة غسوف .....  
131..... القادوس ساعة خدمات المائية .....  
153..... " غسوف " الإنسان والبيئة الحضرية والنبع .....  
165..... ميو-غسوف-التاريخ-يتكلم .....  
175..... غسوف ( عين الفرس ) ليست مجرد نبع .....  
193..... الماء ودلالته عن تاريخ مدينة خدمات .....  
207..... الجانب الاقتصادي لعين الفرس .....  
221..... " عبقرية المكان " غسوف ( زمردة خدمات ) .....

- "اهمية المكان " غسوف كمركز رئيسي في التكوين العمراني لمدينة غدامس القديمة..... 237
- نظام الري وتوزيع مياه عين الفرس بغماس..... 257
- الجزء الثاني تاريخ غدامس عبر العصور:..... 271
- مخطوط دفتر غدامس..... 273
- قصور مدينة غدامس القديمة..... 301
- عديمس (غدامس) في العصر الروماني..... 317
- غدامس (لؤلؤة صحراء ليبيا) في عيون الرحالة المسلمين..... 349
- الحركة التجارية في مدينة غدامس زمن حكم العائلة القرامانية 1711- 1835م..... 363
- مدينة غدامس من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة خلال الفترة من ق 4- 8 هـ..... 391
- أهمية غدامس في تجارة افريقية وبلاد السودان خلال العهد الحفصي ( من القرن 7 - 9 هـ / 13 - 15 م )..... 407
- البيت الغدامسي بين الشكل الفني والمضمون الإنساني..... 427
- تأصيل-النقوش-والمفردات-المعمارية-الغدامسية-بالمساكن-المعاصرة..... 451
- توصيات المؤتمر..... 483



تصميم غلاف الكتاب / الأستاذ : سيف النصر المدني  
صورة الغلاف الفوتوغرافية / نقلا عن مجلة إيطالية

## أهداف المؤتمر

- الحفاظ على التراث الإنساني الذي أخذ طريقه إلى الاندثار والتلاشي.
- توثيق مظاهر الحياة التي عاشتها المدينة بجميع جوانبها التاريخية والمعمارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
- التعريف بالمعالم الأثرية والتاريخية والحضارية لمدينة غدامس.
- إحياء ذكرى يوم الماء والتي تصادف تاريخ 13 مايو ميلادي 1 مايو اعجمي والتي تحكي صراع الإنسان ومقاومته للعيش في الصحراء عبر الإستفادة من كل قطرة ماء.
- توثيق المقتنيات والمصنوعات التقليدية وكذلك بعض اللوحات التراثية والعمل على إدراجها ضمن المصنفات الفنية لدى منظمة اليونسكو.
- جمع الأبحاث والدراسات والمنشورات التي نشرت حول المدينة.
- العمل على نشر وطبع هذه المعلومات والكتابات في كتب أو دوريات وغيرها.
- تشجيع الكتاب والباحثين على جمع المعلومات وتدوينها بتوثيق التراث.
- تشجيع أعمال وبرامج التوثيق والارشفة وتوجيهها نحو الاهتمام.
- استخدام أحدث التقنيات لحماية التراث والاستعادة والحفظ والتعداد الرقمي.
- توجيه صناع القرار وتوعيتهم بأهمية توثيق التراث لأنه يمثل هوية الشعوب والدول، والرافد الرئيس الذي تركز عليه ثقافات الشعوب والدول، ومنها تنهل الأفكار لتحقيق الغايات التي تسعى إلى تحقيقها لأجل رقي ورفعة المجتمع.
- تحديد وحصر أنماط ومكونات التراث المادي واللامادي.

## محاوَر المؤتمَر

ينقسم المؤتمَر إلى قسمين  
المحور الأول (العيون والموارد المائية وأنظمة توزيع المياه).

وأهم نقاطه الأتي:

- عين الفرس (غسوف) ونشأة غدامس.
- عين الفرس وتخطيط غدامس القديمة + الناحية الجيولوجية
- مراحل وأعمال الترميم والصيانات والاستدامة التي مر بها عين الفرس.
- قنوات ومصارف مياه عين الفرس ومساراتها وممراتها وتقسيمات المياه حول البساتين والمزارع.
- نظام توزيع المياه وطرق الحسابات والرموز المائية بعين الفرس.
- الساعة المائية (القادوس).
- الجوانب الاجتماعية المرتبطة بعين الفرس.
- العيون المائية الأخرى والآبار وأنظمة توزيع المياه بها مثل عين انتاله - عين برقامي (الفرنسيس) عين الطليان.
- نظام عيون تونين والفقرات مثل عين سطني - تومتيا - الصاروت وغيرها.
- منطقة مجزم وبحيرات مجزم.
- العيون والآبار في المزارع والمناطق الصحراوية المحيطة.
- المحافظة على الموارد المائية للتنمية المستدامة.
- التحديات التي تواجه الموارد المائية في البيئة الصحراوية.
- العلاقات الخفية بين المياه والعمارة الصحراوية.
- الترابط بين الطاقة والمياه والبيئة.
- كيف لعبت الموارد المائية دورًا رئيسيًا في تخطيط المدينة الصحراوية
- كيف ساهمت الموارد المائية بكفاءة في تصميم مخطط المنازل في المدينة الصحراوية.
- كيف تشارك الموارد المائية بشكل فعال في مواد بناء المباني داخل المدينة الصحراوية.

## المحور الثاني (تاريخ غدامس عبر العصور)

وأهم نقاطه الأتي

- تاريخ غدامس من بداية الفتح الاسلامي حتى الوقت الحاضر.
- العهود والحقب التي مرت على مدينة غدامس خلال هذه الفترات مثل عهد الخلفاء الراشدين والدولة الاموية والعباسية - الدولة الحفصية - الدويلات المتعاقبة - حملة رمضان باي - عهد الاسرة القره مانلية - العهد العثماني - الاستعمار الايطالي - الغارة الفرنسية 1943 - الاستعمار الفرنسي
- استقلال ليبيا - المملكة الليبية والعهود التي أعقبتها حتى الوقت الحاضر.
- الذاكرة الشعبية والروايات الشفوية في تدوين التاريخ.
- التأثيرات الدينية والديانات والمعتقدات الموجودة في تلك العصور.
- الوثائق والالواح الحجرية والكتابات والوثائق والمخطوطات التي تؤرخ هذه الفترة.
- الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في منطقة المغرب وشمال افريقيا في تلك الفترة.
- العهود والعصور والدويلات التي سادت منطقة المغرب وشمال افريقيا ومدى تأثيرها على الواقع المعاش.

## اللجان المشرفة على المؤتمر

### أولاً: المدير التنفيذي للمؤتمر

- أ. مختار السنوسي حوده - مدير المشروع الوطني ومركز غدامس للأبحاث والدراسات.
- م. عصام عبد الرحمن النظيف - مستشار.

### ثانياً: اللجنة العلمية

- أ. معبد سحنون - مقرر اللجنة
- د. فوزي عقيل - عضوا
- أ. عبد الجبار الصغير - عضوا

### ثالثاً: لجنة الاشراف والمتابعة

- أ. ربیعة یدر
- أ. ابراهيم الامام

### رابعاً: اللجنة التنظيمية

- عبد السلام التهامي
- إيمان ابوبكر سانو
- منير موسى
- عبد الستار هبية
- عبد الرحمن التهامي



المجلس البلدي غدامس

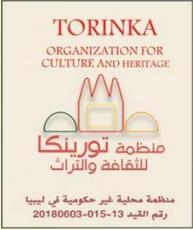


جمعية داج جديد

## مركز غدامس

للأبحاث والدراسات وتوثيق التراث

Ghadames Center for Research, Studies  
and Heritage Documentation



# المؤتمر العلمي الدولي حول تراث غدامس



## الدورة الثانية

1 - العيون والموارد المائية وأنظمة توزيع المياه  
2 - تاريخ غدامس عبر العصور

تحت شعار ( تراث غدامس بين التدوين والتثمين )

غدامس / الجمعة - 13 - مايو - 2022

تنظيم / منظمة تورينكا للثقافة والتراث

شركة كيدامي للخدمات الفنية والاعلامية

**giz** Deutsche Gesellschaft  
für Internationale  
Zusammenarbeit (GIZ) GmbH



Funded by the European Union  
بتمويل من الاتحاد الأوروبي

السنة المئوية 2019 أعجمي / ميلادي

1 مايو - مايو أعجمي / 13 مايو ميلادي

الحساب نامن

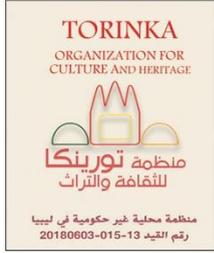


مناسبة مرور 4019 سنة لوجود ونشأة  
عين الفرس جيولوجيا- عين بلد غدامس

( غسوف )

1997 قبل الميلااد

## أهم أعمال ومحطات شركة كيدامي للإنتاج الفني والخدمات الفنية والإعلامية - منظمة تورينكا للثقافة والتراث ومؤسسها -



- الإشراف على الإذاعة المدرسية وبرامجها 1977 م - 1981 م
- المشاركة في برامج المركز الثقافي غدامس ومن ضمن رواده 1980 م
- المشاركة في الأعمال المسرحية المدرسية 1984 م
- معرض الصور الضوئية 1988 م
- المعرض الأول للصور الضوئية 1991 م
- استكشاف الآثار والرسومات الصخرية 1994 م عبر جمعية ليبيا لاستكشاف المخاليء والكهوف فرع غدامس
- انشاء مركز كيدامي للخدمات الإعلامية سنة 2000 م
- توثيق أعمال برنامج الأمم المتحدة لإعادة تأهيل مدينة غدامس القديمة 1999 م - 2006 م
- تحرير وطباعة صحيفة مرآة المدينة - البیداء - عين الفرس - القادوس . 2003 م - 2007 م
- تعديل مركز كيدامي إلى تشاركية دار كيدامي للإنتاج الفني والخدمات الفنية والإعلامية سنة 2007 م
- أعمال توثيق وارشفة التراث الليبي
- تنفيذ العديد من الأشرطة الوثائقية التراثية وإصدار الملصقات والمطويات والمطبوعات المختلفة
- توثيق المهرجانات والندوات وإصدار البطاقات البريدية السياحية
- إصدار دليل غدامس السياحي بخمس لغات العربية - الإنجليزية - الفرنسية - الإيطالية - الألمانية . 2007 م - 2009 م
- تطوير دار كيدامي وترقيتها إلى شركة كيدامي للإنتاج الفني والخدمات الفنية والإعلامية سنة 2013 م
- إنشاء منظمة تورينكا للثقافة والتراث 2018 م
- تقديم تقارير إخبارية ومعلومات تراثية وتاريخية عبر عدة وسائل إعلامية ووقنوات فضائية ابتداءً من سنة 2003
- وحتى الوقت الحالي ومن أبرز هذه القنوات خدماتنا ومنتجاتنا في القنوات الفضائية قناة الجزيرة - العربية - الشبابية - الليبية - 218 - ليبيا الاحرار - LBC.البنائية- HD ليبيا
- تنظيم مهرجان غدامس الثاني للصورة والكتاب 2010 م / الثالث 2013
- تنفيذ دورات تدريبية لصالح وزارة العمل والتأهيل ومكتب تطوير التعليم ومكاتب الثقافة . 2013 م - GIS2015
- إنجاز منظومة قاعدة البيانات الجغرافية المصورة لعناصر ومكونات مدينة غدامس القديمة 2011 - 2013 م
- انطلاق المشروع الوطني لتوثيق تراث مدينة غدامس . 2014 م
- جائزة غدامس الدولية للصورة التراثية لسنة 2016 م / 2017 م
- اطلاق مركز غدامس للأبحاث والدراسات وتوثيق التراث سنة 2018
- إصدار كتاب ومضات من تاريخ غدامس - عين الفرس (غسوف) - تاريخ غدامس القديم
- تنظيم المؤتمر العلمي الدولي حول تراث غدامس

### نبذة عن الجمعية

#### جمعية داج جديدا (\*)

جمعية نسائية أهلية غير ربحية ، تتمتع بالشخصية الاعتبارية والذمة المالية المستقلة ، تأسست في شهر يناير/ 2012 بموجب إذن إشهار تحت رقم ( 104 ) ومقرها مدينة طرابلس.

#### من أهدافها

- نشر الوعي بالتراث وحمايته والمحافظة عليه
- و تحقيقا لهذا الهدف قامت الجمعية بتنظيم عدة نشاطات في مجالات مختلفة ذات صلة بأهداف الجمعية، من بينها ، إقامة محاضرات وندوات ومعارض ودورات تدريبية.

(\*) كلمة داج جديدا باللهجة المحلية تعنى : البيت الجديد



جمعية داج جديدا  
للتراث الغدامسي النسائية

0913989859 | 0925838123

جمعية داج جديدا للتراث الغدامسي النسائية <https://www.facebook.com>

شارع الزاوية ، خلف المكتبة العلمية العالمية / طرابلس - ليبيا

# الصفية

مياه مأمونة نقية

092 000 0112 092 001 0114  
091 560 0014 092 001 0115

جنزور الشرقية تقاطع الرتيمي  
شركة الصافية لتعبئة المياه والعصائر

[www.asafia.com](http://www.asafia.com)



التعاون  
الألماني

DEUTSCHE ZUSAMMENARBEIT

**giz** Deutsche Gesellschaft  
für Internationale  
Zusammenarbeit (GIZ) GmbH



Funded by the European Union  
بتمويل من الاتحاد الأوروبي

## البرنامج العام للمؤتمر العلمي الدولي حول تراث غدامس

اليوم / التاريخ	البرنامج اليومي	التوقيت / الساعة	المكان
اليوم الأول الخميس 12/5/2022	الانطلاق نحو غدامس	7:00 صباحاً	طرابلس
	الوصول إلى غدامس والاستقبال وترتيبات الإقامة	3:00 ظهراً	مقر الإقامة
	زيارة الكثبان الرملية	6:30 مساءً	غدامس
اليوم الثاني الجمعة 13/5/2022	زيارة المدينة القديمة	9:00 صباحاً. 1:00 ظهراً	المدينة القديمة
	زيارة معرض وبرنامج جمعية داج جديداً	9:00 صباحاً. 1:00 ظهراً	المدينة القديمة
	زيارة المعارض المصاحبة	9:00 صباحاً. 1:00 ظهراً	مركز تدريب المرأة
	استراحة	3:00 ظهراً	مقر الإقامة
	الافتتاح الرسمي للمؤتمر	5:30 - 6:00 مساءً	مقر الإقامة
<b>الجلسة الأولى ( 6:00 - 9:00 )</b>			
رئيس الجلسة : .....			
6:05 مساءً	1 - السنة المائنة بغدامس - ابعاد ودلالات حضارية	أ.مختار السنوسي حودة	مركز غدامس للأبحاث والدراسات وتوثيق التراث
6:20	2- اتفاقية التراث اللامادي 2003 ودورها في نشر ثقافة التراث اللامادي بمدينة غدامس	د. محمد ولد بيج	خبير لدى منظمة اليونسكو موريتانيا
6:35	2 - إدارة الحياة كمصدر لأستدامة غدامس القديمة	د.فوزي محمد عقيل أ.ربيعة الطيب بدر م. فايزة خليفة العرفي	كلية الهندسة - جامعة المرقب المعهد العالي للعلوم والتقنية - غدامس جهاز استثمار مياه النهر - سهل بنغازي
6:50	3 - الحركة التجارية في مدينة غدامس زمن حكم العائلة القره مائلية 1711-1835م	د. كريمة خليفي	كلية الآداب والعلوم الإنسانية - سوسة - تونس
7:05	4 - قراءة في كتاب لارس ايلدبلوم	د.بشير بوشع	جامعة طرابلس
7:20	5 - أصل نشأة عين الفرس	أ.فؤاد عبد الله هيبية	
7:35	6 - (غدامس لؤلؤة صحراء ليبيا) في عيون الرحالة المسلمين	د. نجية محمد خليفة ميلاد	كلية التربية - جامعة
7:50	20 - قراءة في دفتر غسوف "عين الفرس"	عبد الجبار الصغير	مكتب التفتيش التربوي غدامس
8:10	الإدارة العسكرية الفرنسية في غدامس 1943 - 1952 وموقف الأهالي منها	د.مفتاح ناجي أبو الاجراس	المركز الوطني للدراسات والمحفوظات التاريخية

## البرنامج العام للمؤتمر العلمي الدولي حول تراث غدامس

اليوم / التاريخ	البرنامج اليومي	التوقيت / الساعة
اليوم الثالث المبنت 14/5/2022	الجلسة الثانية ( 9:00 - 10:50 ) رئيس الجلسة : .....	
9:05 صباحا	10- غسوف وسواقيها من خلال تجربتي الأدبية	قسم هندسة الاتصالات – كلية تقنية الطيران المدني والارصاد الجوية – اسبعية – طرابلس
9:20	11- غدامس هبة غسوف	قسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني – كلية الهندسة – جامعة المرقب
9:35	12- مدينة غدامس في كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين ( 4-8 هجري )	قسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني
9:50	13 - قادوس ماء غسوف – عين الغرس غدامس- القادوس- القواديس ساعة غدامس المائية	قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة مصراتة
10:05	14 - البيت الغدامسي بين الشكل الفني والمضمون الإنساني	د. هدى الجلاي
10:20	15 - (الصورة العامة والصورة الخاصة ) لمدينة غدامس في ليبيا	د. حنان مسعود علي الزني
10:35	16- تأصيل النقوش والمفردات المعمارية الغدامسية بالمساكن المعاصرة	د. عمر الهنشيرى
10:50	18 - نظرة حول تاريخ عين الغرس	أ.أبو بكر عمر هارون
	الجلسة الثالثة ( 11:35 - 1:50 ) رئيس الجلسة : .....	
11:35	19- دراسة حول العمل الميداني لحوض عين الغرس والتمتيريات التي حصلت به	أ.أبراهيم بشير مالك
11:50	20- غسوف الانسان والبيئة الحضرية والنبع	د. فوزي محمد عقيل أ. حسين علي الدراوي أ. مصطفى العيد زريقان أ. أشرف حسين الأسود
12:05	21- غدامس (عديمس) في العصر الروماني	د. رجاء مصطفى موسى الشهبوي د. نرجس محمد السويس
12:20	22 - (ميو) (غسوف) التاريخ يتكلم	أ.أميرة محمد الوحشي
12:35	23- تراث مدينة غدامس بين الماضي والحاضر	د.مريم كرفيف
12:50	24- أفضل طريقة لري البساتين المدينة القديمة للمحافظة على الموارد المائية	أ.مصطفى محمد حودة
1:05	24- غسوف (عين الغرس) ليست مجرد نبع	د. فوزي محمد عقيل د. عمر علي الأمين د. عياد عبد الله أبورويص
1:20	25 - عبد الله بن أبي بكر الغدامسي (ت 121 هـ) وكتابه ( مناهج السالكين الى منافع القرآن المبين ومجريات وآثار العارفين)	أ.حمزة علي أحمد كجمان
1:35	26 - قصور غدامس القديمة الواقعة داخل سور المدينة (قصر أماتج كنموذج)	أ.منصور عبد السلام منصور

## البرنامج العام للمؤتمر العلمي الدولي حول تراث غدامس

اليوم / التاريخ	البرنامج اليومي	التوقيت / الساعة		
الجلسة الثانية ( 9:00 - 10:50 )			اليوم الثالث السبت 14/5/2022	
رئيس الجلسة : .....				
5:05 مساء	26 - أهمية غدامس في تجارة أفريقية وبلاد السودان خلال العهد الحفصي (من القرن 13 - 15 م)	د. أسماء موسى علي زايد		كلية الآداب - جامعة بني وليد
5:20	27 - المياه والحضارة	أ. شكري بشير الوحشي		مراقبة آثار غدامس
5:35	28 - أصالة نموذج المستوطنات على أساس فلسفة مدرسة البيئة الثقافية  Authenticity settlements model based on the philosophy of school of cultural ecology	محمد الولي عبد القادر السنوسي الشريف  د. رياض رجب الجند  عبد السلام احمد عبد الله الشكري  فوزي عجام		جامعة سبها - قسم الهندسة المعمارية - كلية الهندسة  جامعة بنغازي - قسم الهندسة المعمارية - كلية الهندسة  جامعة دنبرة
5:50	29 - مخطوط دفتر غدامس للكاتب مصطفى الخوجة	د. ربيعة أحمد عمران المداح		قسم التاريخ - جامعة طرابلس
6:05	31 - الجانب الاقتصادي لعين الفرس	أ. أحمد محمود هبية		مكتب التعليم غدامس
6:20	32 - "عبقرية المكان" غسوف (زمردة غدامس)	د. فوزي محمد عقيل  د. حمزة محمد الخازمي  د. رياض رمضان الشواخ		قسم العمارة والتخطيط العمراني - كلية الهندسة - جامعة المرقب - الخمس  قسم العمارة والتخطيط العمراني - كلية الهندسة - جامعة المرقب - القربولي  مدير إدارة الرقابة على قطاع المرافق والبنية التحتية - ديوان المحاسبة الليبي
6:35	33 - معارك الدفاع عن غدامس ضد الايطاليين ابريل 1913م - فبراير 1924م	أ. خليفة محمد الذويبي د. بدرية علي عبد الجليل		كلية التربية - جامعة الزيتونة - تروهنة
<b>حفل الاختتام وتوزيع الشهادات</b>				

## لقطات من مؤتمر غدامس الدورة الثانية 2022

زيارة معرض المخطوطات بجمعية غدامس للوثائق والمخطوطات



## زيارة معالم مدينة غدامس القديمة





## لقطات متنوعة من فعاليات المؤتمر

































المؤتمر العلمي الدولي الثاني حول تراث غدامس

## الجزء الأول

العيون والموارد المائية  
وأنظمة توزيع المياه

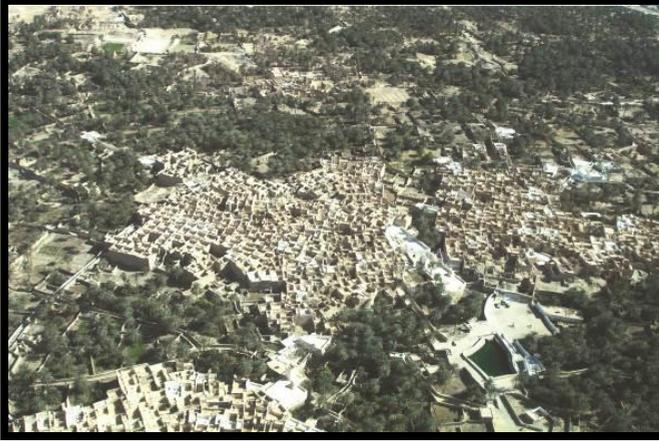


## السنة المائية بغدامس - ابعاد ودلالات حضارية أ. مختار السنوسي حودة

### عين الفرس- غسوف- عين بلد غدامس أصل التسمية .

كلمة غسوف أو غزوف تعني رأس الوادي في بعض اللغات القديمة ولهجات شمال افريقيا ومن ضمنها اللغة الامازيغية فيمكن تقسيمها للأتي : أيغف وتعني الرأس في لهجة غدامس وأزوف أو سوف تعني الوادي في لهجات شمال افريقيا مثل وادي سوف بالجزائر .

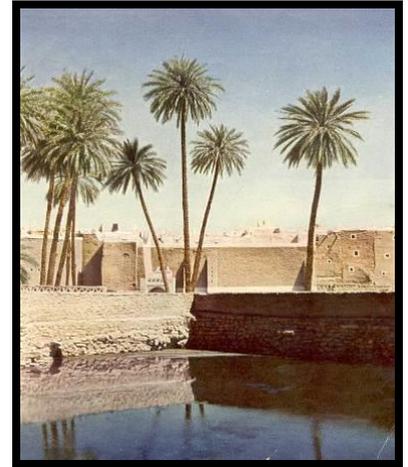
وقد عرفت في وثائق ودفاتر حسابات مياه العين باسم عين بلد غدامس .



(صورة جوية لعين الفرس والمدينة القديمة)



(عين الفرس 1942)



(عين الفرس 2013)



وكلمة عين الفرس جاءت ووردت من خلال أسطورة عين الفرس التي ذكرت في زمام بلد غدامس لمصطفى بن خوجه سنة 1181 هـ (1767 م). وقد عرفت هذه العين في دفاتر ووثائق غدامس دائما بمسمى عين بلد غدامس. قصة أسطورة عين الفرس و غدامس.

ورد في نسخة من زمام بلد غدامس للكاتب مصطفى خوجه بن قاسم المصري سنة 1181 هـ.

وبعد فأعلم أيها الواقف على أن بلد غدامس بلد قديمة من زمان النمرود بن كنعان بن سام بن نوح وقيل قبله. وقيل أن فارس من قوم النمرود الذي خرج ماء

(زمام بلد غدامس)

عينها ثم بعد ذلك جازت قافلة على الوادي وقيلوا فيه وتغذوا هنالك ثم رحلوا وساروا إلى أن باتوا فلما أصبحوا أرادوا الرحيل ففقدوا آلة الأكل فقال أحدهم نسيناها في غدانا أمس م رجع فارس منهم على أثرهم حتى أتى إلى الوادي ورجل عن فرسه يطلب آتته وإذا بالفارس تنبش الأرض ونبع من ذلك الموضع الماء. ولذلك سميت العين بعين الفرس وسميت البلاد بغماس لقول احدهم غدانا أمس. أحدهم غدانا أمس ، وهذه الأسطورة أقرب للخيال ولكن أعطت شهرة للعين .



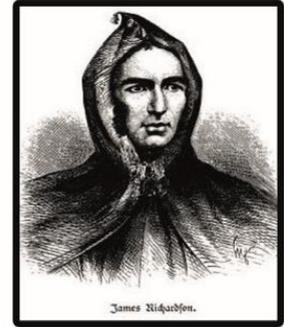
(اسطورة عين الفرس)

## أقوال بعض المؤرخين.

- جاء في كتاب آثار البلاد وأخبار العباد من تصنيف العالم زكريا بن محمد القزويني، أن مدينة غدامس مدينة بالمغرب في جنوبيه ضاربة في بلاد السودان، بها عين قديمة يفيض الماء منها، ويقسمها أهل البلد قسمة معلومة، فإن أخذ أحد زائدا غاص ماؤها.  
- وذكرها ياقوت الحموي المتوفي سنة 626 هجري الموافق 1228 م في معجم البلدان في وسطها عين أزلية وعليها أثر بنيان رومي ينبض منه الماء ويقسطه أهل البلد بإقسط معلومة لا يقدر أحد أن يأخذ أكثر من حقه وعليه يزرعون.

## أعمال ودراسات حول العين

1- الرحالة الإنجليزي جيمس ريشارد سن 1845 - 1846 م يقول - ذهبت في يوم 18 سبتمبر لزيارة العين وقال أن ماء العين ينساب في مبنى مستطيل يبلغ طوله قرابة 20 ياردة وعرضه يقرب من 15 ياردة في حين لايزيد أعماق أجزاءه عن ستة أقدام وإنه دافىء إذ تبلغ درجة حرارته 120 درجة فهرنهايت .



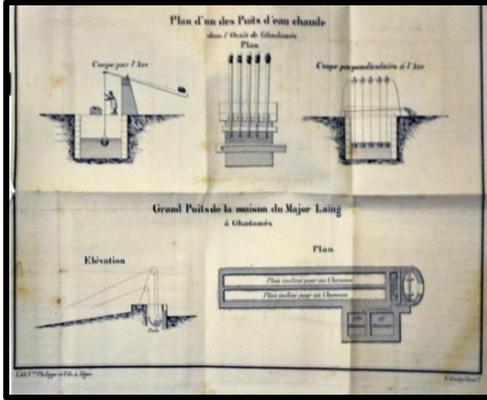
الانجليزي جيمس  
ريشارد سن 1845م

(نقلا عن رسم لجيمس لعين الفرس)

2- مهمة البعثة الفرنسية لقدامس سنة 1863 وكان من ضمن فريق البعثة المهندس فاتون وميرشر الذين قامو بدراسات ومخططات حول غدامس ويقول ميرشر ان محيط الواحة حوالي 6000م ويتراوح قطرها بين 1200 و1600م وأكد فاتون على أن عين الفرس عين ارتوازية وقاس درجة حرارتها شتاء فوجدها 29 درجة مئوية وقد استنتج فاتون من حرارة ماء الحوض أن العين وبئرين آخرين على مقربة منها لها جميعا حرارة ماء واحدة .

MISSION DE GHADAMES RAPPORTS OFFICIELS ET DOCUMENTS A L'APPUI, Avec l'autorisation de son Excellence M.le Marechal Duc de Malakoff, Gouverneur General de l'Algerie. ALGER TYPOGRAPHIE DUCLAUX, RUE DU COMMERCE 1863

-تقارير حول بعثة غدامس تحت إشراف الحاكم العام للجزائر المريشال دوك دي مالاكوف سنة 1862 م.



(أعمال المهندس فاتون وميرشر)



(خريطة غدامس 1862)



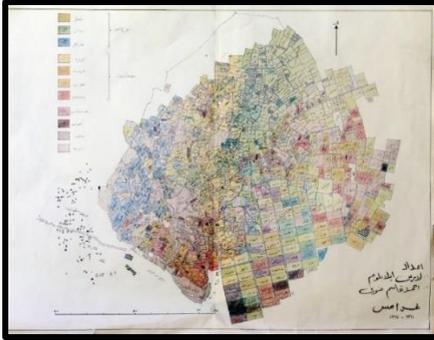
(الرحالة الألماني رولفس)

- 3 - الرحالة الفرنسي دوفيرييه أجرى دراسات أيضا وقاس درجة حرارة العين شتاء فوجدها 29 درجة مئوية.
- 4 - الرحالة الألماني رولفس 1865 - 1867 يقول أن حوض العين يبلغ طوله 25م وعرضه 15 م ويلاحظ تدفق الماء من عدة مواضع من القاع .
- 5 - دراسة للفرنسي ليون برفنكيار سنة 1910 - 1911 ومن ضمنها قياس درجة حرارة الماء في

شهر مارس وبلغت 30 درجة مئوية وتحتوي مياه العين على كمية كبيرة من المغنيسيوم وتصل نسبة الملح والصوديوم والمغنيزيوم بين 2.5 و3 مغ/ل ويعتبر في فرنسا غير صالح للشرب ولكنه ماء عذب .

6- المؤرخ الإيطالي فرانثيسكو كورو 17 فبراير 1924 - يقول أن حوض عين الفرس يستوعب 30 مترا من الماء وأن متوسط كمية الماء التي تنبع من العين هو 3000 لتر في الدقيقة الواحدة ويبلغ عمق الحوض 12 مترا ودرجة حرارة الماء 30 درجة مئوية .

7 - قام السويدي لارس ايلدبلوم بإجراء دراسة حول نظام الري وتوزيع المياه لعين الفرس بالاستعانة بالمرحوم احمد ضوي سنة 1961 - 1962



(خريطة لمزارع غدامس 1962)

(السويدي لارس ايلدبلوم والمرحوم أحمد ضوي)

8 - دراسة تفصيلية لبرنامج تحسين ظروف عين الفرس في غدامس لأينجروا بروجكت سنة 1973

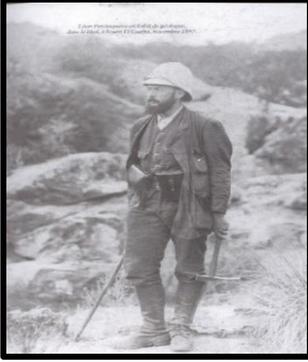
9 - دراسة للعيون المائية بمنطقة غدامس ودرج وسيناون من اعداد الجيولوجي رشيد الفطيسي وزملاءه سنة 1995



(بشير قاسم يوشع)

## بعض أعمال التنظيف ومحاولة إعادة إنسياب ماء العين في العقود الأخيرة

- يقول المؤرخ بشير قاسم يوشع في كتابه ملامح وصور أنه اذا تقلصت مياه العين فإن سكان غدامس الاقدمين يجلبوا عمال مهرة لتنظيفها ويقال ان للعين مصرفا مغطى بطابق حجري يقع في الجهة الجنوبية الشرقية فينزعونه يوم التنظيف فتتهمر المياه في ذلك المصرف ثم يشرعون في عملية التنظيف ، وبعد الانتهاء يعيدون الحجر وتمتلئ العين في مدة 3 ساعات



(اليوطنة قودار)

ونصف غير أن هذا المصرف غير موجود حاليا وقد شكك المؤرخ يوشع في صحة هذه الطريقة.  
- أعمال تنظيف للعين بعد ان تقلصت ماؤها إبان العهد الإيطالي أثناء حكم الكولونيل زاني لغدامس.  
- أعمال تنظيف بعد هبوط منسوب المياه إبان العهد الفرنسي أثناء فترة الحاكم الفرنسي اليوطنة قودار .

- أعمال تنظيف وصيانة من قبل خبراء أمريكيين أثناء حكومة ولاية فزان إبان المملكة الليبية سنة 1959 .

- أعمال تنظيف وصيانة من قبل الأهالي سنة 1971 م



(أعمال صيانة وتنظيف عين الفرس 1971)

- أعمال الصيانة ثم مشروع إعادة بناء حوض عين الفرس 2005 ضمن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.
- أعمال صيانة وتعديلات بحوض عين الفرس من قبل جهاز تنمية وتطوير غدامس سنة 2009 .



(أعمال صيانة وبناء حوض عين الفرس 2005)

### نظام الحساب المائي للعين وتاريخ بداية السنة المائية

تبدأ السنة المائية في الشهر الخامس الأول من مايو ( مايو ) من كل عام وتنتهي في نهاية الشهر الرابع من العام الذي يليه وهو شهر ابريل ، فاللعين خمسة سواق أو مصارف مياه رئيسية تغذي أغلب مساجد وجوامع المدينة ومزارعها وتستخدم المياه أيضا للشرب والغسيل توزع المياه وفق حصص دقيقة ووفق حسابات، هذه السواقي هي ساقية تصكو وساقية تارط وساقية تنقيبشين وساقية تندفران ساقية تنجانون وكان للعين نظام محاسبة دقيق وكانت هناك دفاتر خاصة للعين كالدفاتر اليومية والسجلات الرئيسية وكان هناك رموز ووحدات قياس مائية كالضرميسة والمحبوب والقيراط والأجزاء والفانوز، وكان للسواقي مناوبون وكتبه يدونون كافة الحسابات والمعاملات المتعلقة بنظام توزيع المياه.

لقد اتفق الأوائل أن يقسموا مياه العين إلى 121 جزء وإلى 5 سواقي، على أن تكون كل ساقية أقوى من الساقية التي قبلها بثلاث أضعاف من الأخرى، ولضبط دورة المياه قسموا الليل إلى 24 جزء وكل جزء قسم إلى 4 أجزاء وقسموه (ضرميسة ) و ضرميسة قسموها

إلى 40 أو 44 جزء وأسمو كل جزء حبة ، والنهار قسموه 8 أجزاء سموها فتاتيح وكل جزء منها قسموه إلى 16 جزء .



( دفتر ساقية تصكو - عين بلد غدامس )

كانت دفاتر عين الفرس أو السجلات الرئيسية تصنع من ورق الغزال و الجلود وفيها يسجل عن كل ليلة ما يملكه كل شخص وذلك برموز خاصة متعارف عليها ويسمى الزجد ، وهناك سجلات من الورق تسمى الزجمولة وفيها يقوم النائب بتسجيل ما استهلك كل مالك من الماء حتى يتمكن الملاك من محاسبة الكتبة والمنوبين عن كل يوم من أيام العين الثلاثة عشر وتسمى الضمي ولهذه الايام أسماء وهى يوم انفوس ويوم صالح وعمران وبالي وأدم وعقبة وسنجاسن وأكاي ومولى وبقايا وشطار واسحاق وطياش. الشكل ، وأحيانا تدور في فصل الشتاء في 18 يوم ويسمونه ضمي ونصف أو في 26 يوم ويسمونها ضميان والسنة المائية بها 28 ضمي ويبقى يوم كامل يعطى للنائب ويساوي 96 ضرميسة ، وتوجد تجريدة أو وثيقة خاصة بكل عائلة من العائلات المالكة للعين يسجل فيها الليالي التي يملكون المياه فيها ويتم تسجيل الملاك والورثة للعائلة وهي خاصة بالعائلة يحتفظون بها عند شيخ العائلة

وذلك لمحاسبة المنوبين والكتبة من خلالها ، وفي بداية السنة المائية أيضا تتم معايرة وحدة قياس الماء المسمى بالقادوس للثبث من دقته وعدم اتساع فتحته من قبل شخص متخصص وعادة ما يكون أحد الحدادين بالمدينة .



( القادوس )

### الدراسة الهيدرولوجية والجيوفيزيائية لعين الفرس

جاء في عرض لنتائج الدراسة الجيوفيزيائية الهيدرولوجية لعين الفرس بتاريخ 24.4.2003 من خلال مشروع إعادة تأهيل مدينة غدامس القديمة من خلال برنامج الأمم المتحدة الإنمائي هذه النقاط التالية المتعلقة بتحديد عمر مياه العين :



( بقايا احجار مستخرجة من حوض عين الفرس )



( ينابيع حوض عين الفرس )

حيث تم من خلال المسح الهيدرولوجي لمجموعة مختارة من عينات المياه للآتي:  
1 - التحليل الكيميائي الروتيني .

## 2 - التحليل النظير الطبيعي .

وأظهرت نتائج التحليل النظائري 3 مجموعات مختلفة من العصور كما هي مبينة في

كربون-14 (C14) نظائر هذه العصور الثلاثة كما يلي :

حوض ككلا 1420 ± 25350 إلى 1500 ± 26750 سنة

حوض نالوت 850 ± 16560 إلى 950 ± 18430 سنة

حوض زمام 135 ± 2370 سنة

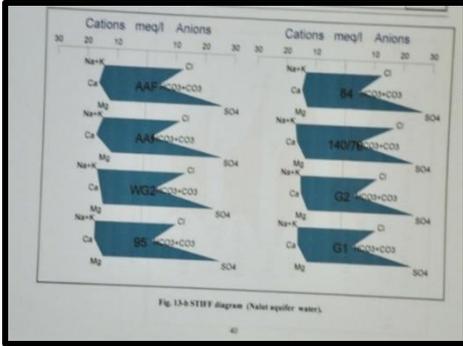
لأبد أن نلاحظ أن مياه عين الفرس تبين عصر

1100 ± 16350 سنة والذي يؤكد الحقيقة أن

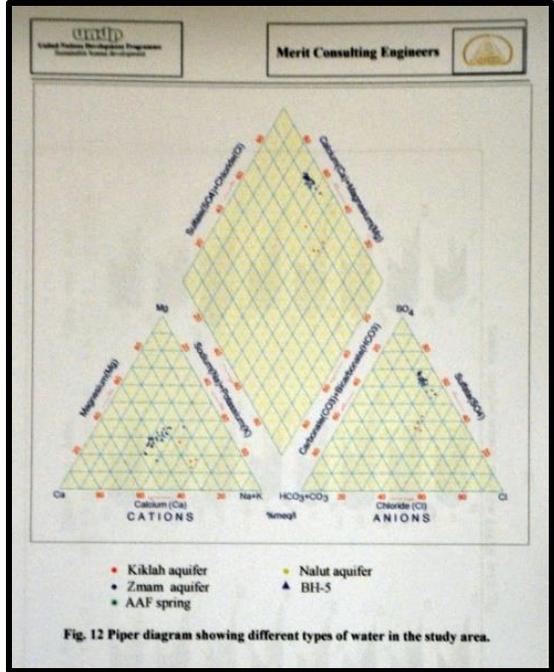
مياه عين الفرس قادمة من حوض نالوت.

مما يبين أن عمر مياه عين الفرس هو في حدود

16900 سنة وعمر الخزان السطحي 4000 سنة



( أعمال المسح الهيدروجي والتحليل  
لعين الفرس )



## التقاويم السنوية في العالم

من أشهر التقاويم في العالم بين الشمسي والقمرى تقويم آشوري - تقويم بوذي - تقويم صيني - تقويم عبري - تقويم هندوسي - تقويم جايني تقويم ياباني - تقويم غوكي - تقويم يوناني - تقويم جاوي - تقويم مالايالامي - تقويم تبتى. تقويم جزائري - تقويم بهائي - تقويم بنغالي - تقويم أمازيغي - تقويم قبطي - تقويم إثيوبي. تقويم ميلادي

1 - التقويم الرومي أو اليولياني هو تقويم فرضه يوليوس قيصر في سنة 46 ق م ودخل حيز التنفيذ سنة 45 ق م يحاول التقويم اليولياني محاكاة السنة الشمسية ويتكون من 365,25 يوماً مقسمة على 12 شهراً.

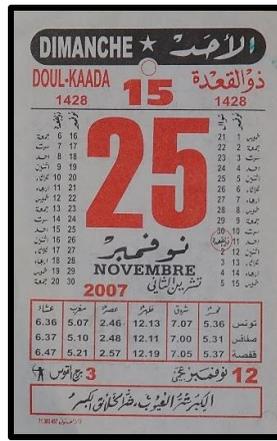
استمر استخدام التقويم اليولياني في الكنائس الأورثوذكسية حتى القرن العشرين إذ قامت هذه الكنائس باعتماد التقويم اليولياني المعدل سنة 1923، ولا يزال هذا التقويم مستخدماً في أديرة جبل أثوس.

2 - السنة الميلادية تبدأ من ميلاد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام . ( 2022 م )

3 - السنة الهجرية تبدأ من هجرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . ( 1443 هـ )  
التقويم الهجري القمريّ أو التقويم الإسلاميّ أو التقويم العربيّ هو تقويم قمريّ، أي أنه يعتمد على دورة القمر لتحديد الأشهر، مكون من 12 شهراً قمرياً في عام ذي 354 أو 355 يوماً. ويستخدمه المسلمون حالياً خاصة في تحديد شهر رمضان، والأشهر الحُرْم، وأشهر الحج، والأعياد، وعدة الطلاق، وعدة الحامل، ودفع الزكاة.

4 - السنة الامازيغية تبدأ من اعتلاء شيشنق الحكم بمصر سنة 950 ق.م. هذه السنة ( 2972 )

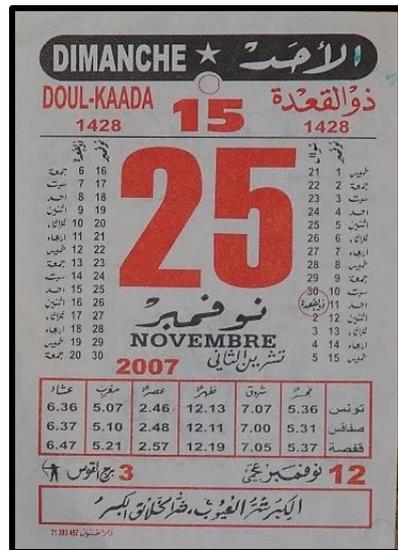
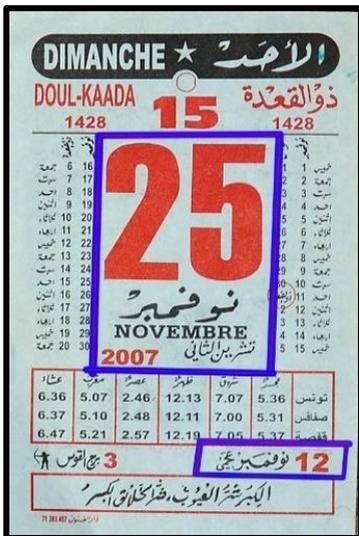
5 - التقويم الفلاحي والتقويم العجمي هو تقويم زراعي يستعمل في دول شمال أفريقيا يعرف أيضاً بـ التقويم الفلاحي (أي الريفي) نظراً لارتباطه الوثيق مع الفلاحة والزراعة في شمال إفريقيا أي من أجل تنظيم الأعمال الزراعية الموسمية. أصله حسب الرويات التاريخية يرجع لبقايا التواجد الروماني.



( تقاويم متنوعة )

### الحساب بالسنة الأعجمية

هذه نماذج من التقاويم التي توضح فيها السنة الهجرية والميلادية والاعجمية الملاحظ من خلال هذه التقاويم ان الفارق بين السنة الميلادية والاعجمية هو 13 يوم مع بقاء نفس مسميات الشهور في السنة الميلادية والاعجمية .



( تقاويم السنة الهجرية والميلادية والاعجمية )

## الحساب المائي بالسنة الاعجمية حسب وثائق وسجلات عين الفرس

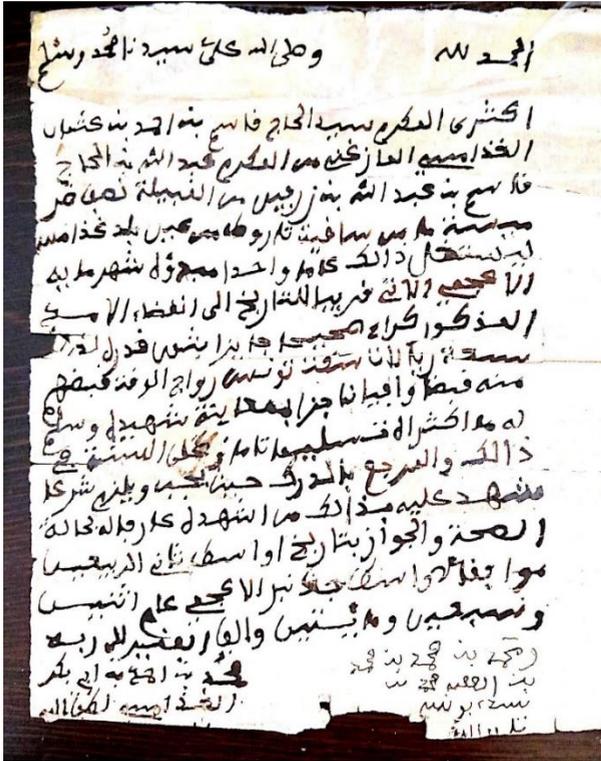
الوثيقة الأولى - تأجير نصف ضرميسة ماء من ساقية تاروط من عين بلد غدامس

التاريخ 1272 هجري

نص الوثيقة الأولى

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

اكثرى (اكثرى) المكرم سيد الحاج قاسم بن أحمد بن عثمان الغدامسي المازغني من المكرم عبد الله بن الحاج قاسم بن عبد الله بن زرقيين من القبيلة نصف ضرميسة من ساقية تاروط من عين بلد غدامس ليستغل ذلك عاما واحد مبدؤه شهر مايه ( مايو ) الاعجمي الأتي قريبا للتاريخ إلى انقضاء الأمد المذكور كراء



( الوثيقة الأولى )

صحيحا فايذا (فانزا) بثمن قدره بـ ..... سبعة ريالات .... تونسي رواج الوقت قبضهم منه قبضا وافيا ناجزا بمعاينة شهيدا وسلم له ماكثره تسليما تاما وعلى السنة في ذلك والمرجع بالدرك حين يجب ويلزم شرعا ،شهد عليه بذلك من اشهده عارفا له بحالة الصحة والجواز بتاريخ أواسط ثاني الربيعين موافقا لأواسط جنبر ( ديسمبر ) الاعجمي عام اثنين وسبعين ومائتين (مائتين) وألف .

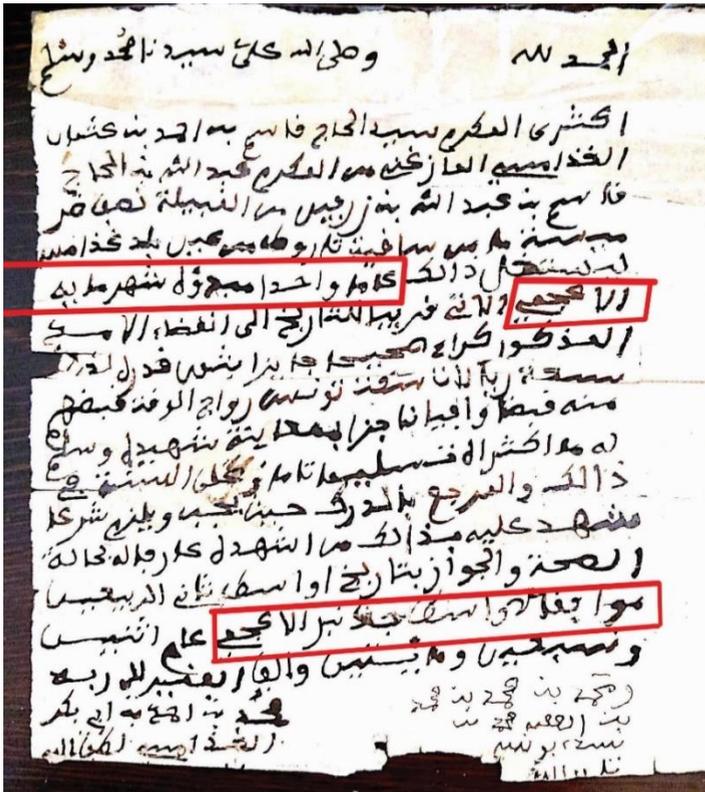
الفقير إلى ربه محمد بن احمد بن ابي بكر الغدامسي لطف الله تعالى به

ومحمد بن محمد بن محمد بن الفقيه محمد بن سيدي يونس

**نص الوثيقة الثانية**

الحمد لله اكثرى المكرم الاجل قاسم بن احمد بن عثمان (عثمان) المازغني من المكرم الاجل يحيى بن احمد بن عثمان (عثمان) ضرميسة ماء عن ساقية تاروط من عين بلد غدامس بين ليل ونهار ليستغلها عاما واحدا مبدأه اول مايو الاتي بعد التاريخ الى تمام العام كراء صحيحا بثمان قدره لذلك ثمانية ريالات سببيليه قبضهم منه قبضا وافيا باعترافه وسلم له مكثراه تسليما تاما على السنة في ذلك والواجب فيه شهد عليه بذلك من اشهده بحالة جايزة ( جايزة ) شرعا بتاريخ اواسط ربيع الانوار موافق لواخر يناير الاعجمي عام خمسة ستين ومايتين

( ماتنين ) والف وفيه  
اضراب في السطر  
الثالث وبه صحح من  
كاتبه.



محمد بن يونس عدل  
بغدامس في الشيخ  
وفقه الله أمين أمين  
ومحمد بن الحاج  
محمد بن أحمد بن  
يوشع الغدامسي لطف  
الله به وبالجميع أمين

( توضيحات في الوثيقة الثانية )

الحول له اكثر من المائتين الاجل فاسم بن احمد بن عثمان الملقب  
 غني عن العيون الاجل بن احمد بن عثمان بن مبيبة مسلم  
 من سافرية ~~مكة~~ اناروكه من عيسى بن عبد الله بن نصر  
 لم يستغلها عاما واحدا سبدا اول ما بوه الفتي بعد التبر  
 تمام العوام كراه محجلا بشي فعدده لك ثمان نية ريدان  
 سبيليه فبضع منه فبضا واجيل با عنز اجد وسليح له  
 مكتراة تسليما ثمان على السنة في ذلك والواجب فيه تسعة  
 عليه به لك من شاهدة بحالها نيرة نشر على التبر او اسك  
 ربيع الا نور موافق واخر نيار الا عجمي على خمسة وستين  
 وما يتبر والعب وفيه اضراب في الاسكر الثالثو به في مكانه  
 محمد بن  
 ابن يونس بن عبد الله  
 سر والنجح وفيه  
 الفهم ابي ربيع

٣ ووجه الحاج محمد بن  
 ٢ زهر بن يونس بن عبد الله  
 ٢ الفهم ابي ربيع  
 ٢ الفهم ابي ربيع  
 ٢ الفهم ابي ربيع  
 ٢ الفهم ابي ربيع

(الوثيقة الثانية)

## الخلاصة

### تحديد عمر السنة المائية

- تم تحديد عمر مياه الخزان السطحي لعين الفرس سنة 2003 بـ 4000 الاف سنة .
- أي أن عمره يرجع لسنة 1997 ق.م تقريباً.
- تم اقتراح عمر السنة المائية بعمر الخزان السطحي للعين وهو مايساوى في هذه السنة 2022 = 4019 سنة مائية .
- العمر الحقيقي لمياه عين الفرس 16900 سنة .
- الأول من شهر مايو ( مايو ) هو بداية السنة المائية بغماس بالحساب الأعجمي وهو مايووافق 13 مايو بالتاريخ الميلادي , حيث أن الحساب كان بالأعجمي حسب الوثائق .
- الحساب نامن - عرفت السنة المائية محلياً باسم الحساب نامن ولازال بعض كبار السن لتاريخ هذا اليوم يحسبون الأيام والسنوات بالتاريخ الاعجمي.

### المراجع

- 1 - الحموي، شهاب الدين. معجم البلدان. المجلد الرابع. بيروت: ملتزم التوزيع دار الكتاب العربي.
- 2- المصري، مصطفى (1181 هـ-1767 م). زمام بلد غدامس القديمة. غدامس، مكتبة الباحث.
- 3 - برفنكيار ، ليون .( 2012 ) . أسرار ترسيم الحدود التونسية الليبية 1911 . (الضاوي موسى، مترجم). تونس: تونس قرطاج الشرقية.
- 4 - ريتشارد سن، جيمس . ( 1993 ) . ترحال في الصحراء . (الهادي أبو لقمة، مترجم) . بنغازي: منشورات جامعة قاريونس.
- 5 - رولفس ، غير هارد .( 1996 ) رحلة عبر افريقيا - مشاهدات الرحالة الألماني رولفس في ليبيا وبرنو وخليج غينيا 1865 - 1867 . ( عماد الدين غانم ، مترجم ) طرابلس : منشورات مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية .
- 6 - يوشع ، بشير قاسم .( 1973 ) . غدامس ملامح وصور. بيروت، دار لبنان.

- 7 - حوده، مختار السنوسي. (2015). *دراسة في الاعلام الحضاري لمدينة غدامس*. رسالة ماجستير جامعة فان هولند.
- 8 الدراسة الهيدرولوجية الجيوفيزيائية لعين الفرس غدامس (2003) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي .
- 9 - هيبية ، أحمد محمود (2020) وثائق - مكتبة أحمد محمود هيبية .
- 10- Eldblom, L. (1968 ). *Structure Fonciere organisation et ructure sociale une etude comparative sur la vie socio-économique dans les trois oasis Libyennes de GHAT, MOURZOUK, et particulièrement GHADAMES*. Niskol \_ Lund (London).
- 11- Malakoff, G. (1863). *MISSION DE GHADAMES RAPPORTS OFFICIELS ET DOCUMENTS A L APPUI*. ALGER. TYPOGRAPHIE DUCLAUX, RUE DU COMMERCE.



## " إدارة الحياة "

### غسوف كمصدر لاستدامة غدامس القديمة

د. فوزي محمد عقيل / جامعة المرقب-كلية الهندسة /محاضر

أ. ربيعة الطيب يدر / المعهد العالي للعلوم والتقنية – غدامس / محاضر مساعد

م. فايزة خليفة العرفي / جهاز استثمار مياه النهر – سهل بنغازي / مهندس مدني

#### المخلص:

يتناول هذا البحث أحد أهم عناصر العمارة ومصدر الحياة في مدينة غدامس القديمة. غسوف (عين الفرس) هي الهبة التي حبا الله بها أهل غدامس وشريان الحياة لهذه المدينة، وقد قرأ الأهالي هذه الحقيقة وحفظوها جيدا فكانت عملية المحافظة على هذه الهبة وما صاحبها من حسن إدارة للموارد المائية من اولوياتهم لتكون هذه العين هي أساس الحياة والقاعدة التي انطلق منها السكان لتنظيم حياتهم. وقد جعل هذا التنظيم من مدينة غدامس القديمة مثالا عالميا مهما في العمارة والتخطيط العمراني والمجتمعات المستدامة ويتم التركيز هنا على تخطيط فراغات المدينة وتوزيع سواقي المياه خلالها وما صاحبها من طرق فريدة وإدارة حكيمة للمياه وأثرها في استدامة هذا المجتمع الصحراوي المبدع.

إن الشكل العام لمدينة غدامس هو مثال حي على كيفية تفاعل الفراغات الحضرية والمباني مع ساكنيها بشكل منسجم لإنتاج ثقافة عالية وتنمية مستدامة تشمل كل نواحي المجتمع بالمدينة. كما إن تكامل عناصر المجتمع في مدينة غدامس القديمة يعتبر مثالا يحتذى به كدروس مستفادة قد تساعدنا لاستلهاام الأفكار وتطويرها لتناسبنا اليوم في بيئتنا لتطوير بيئة مستدامة.

تركز هذه الورقة على دراسة أوجه الاستدامة في تخطيط وعمارة ومجتمع مدينة غدامس القديمة وحسن إدارة الموارد المائية لاستخلاص العبر منها. اعتمدت هذه الورقة على

المشاهدة المباشرة وجمع المعلومات والزيارات التي قام بها الباحثين للمدينة إضافة إلى عدة مقابلات من سكان ومختصين من أهل المدينة في تجميع المعلومات ومراجعة الكتب والدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع، كما أن المعلومات التي قدمها فيلم (مؤسسة البيرم) والذي يحمل اسم (تراث غدامس) ساهم في إثراء هذا الموضوع وقدم الكثير من الإضافة المهمة.

**الكلمات المفتاحية:** غسوف، إدارة الموارد المائية، العمارة والتخطيط العمراني، الفراغات الحضرية، تنمية مستدامة.

### المقدمة:

عندما تنظم البيئة الحضرية لتتوافق مع مبادئ الاستدامة فإن ذلك التنظيم يعبر عن فلسفة الاستدامة الحضرية، McLennan (2004) ويؤكد التصميم المستدام، ويتبع منهجية واضحة لمحو الآثار البيئية السلبية من خلال التصميم الجيد. فمدينة غدامس القديمة هي إحدى المدن الصحراوية الرئيسية في ليبيا وموقع تراث عالمي مسجل لدى اليونسكو، لعبت دوراً مهماً كمركز ثقافي بين البحر الأبيض المتوسط وأفريقيا لسنوات عدة. وقد بقيت هذه المدينة لتعبر عن الممارسات التخطيطية والمعمارية المستدامة التي كان يتميز بها سكانها قبل أن يعرف العالم معاني أو مفاهيم الاستدامة.

إن الهدف من التصميم المستدام هو جعل جميع الأنظمة تعمل معاً في انسجام كامل، (Humphreys, 1976)، والتصميم الحضري للمدينة القديمة غدامس يتمثل في كتل غير منتظمة مقسمة حسب توزيع القبائل (Alund, 1987) وتمثل مدينة غدامس حضارة متنوعة متكاملة الأركان مكونة من مزيج من عرب وأمازيغ وأصول أفريقية يمكن تعريفه على أنه الجهد المخطط له لتصميم البيئة المبنية المتميزة بالطاقة والتي تراعي البيئة الداخلية والخارجية ويعرف بأنه معمار مستدام؛ ووفقاً لـ Brundtland (1987). إن الاستدامة تعني أن نعيش الآن بطريقة لا تهدد بها حياة من هم بعدنا (Sherlock, 1991)، وتتميز عمارة الصحراء بمفرداتها التي تحكم مفهوم التصميم

و التخطيط و إبراز حلول مميزة ويمكن تتبع ذلك في العديد من المدن والمباني القائمة. (Evans، 1980). نفس هؤلاء الرائعون وهم أهل غدامس ابتدعوا طرقاً وأساليب لإدارة موارد ومرافق المدينة ليحققوا نجاحاً ملفتاً للنظر قبل أن يعرف العالم أيضاً علوم الإدارة والتنمية المستدامة. لقد كان التخطيط الحضري للمدينة، والهندسة المعمارية والبناء بالطين وإدارة المياه والهندسة الزراعية والتكيف مع المناخ مثالية جداً مع انسجامها التام والاحتياجات الاجتماعية للسكان والقيم الدينية والظروف البيئية القاسية والموقع البعيد، مما جعل المدينة مثلاً بارزاً لممارسات الهندسة السليمة التي توفر الراحة والوظائف والتكلفة، وهذا ما عبرت عنه الفعالية في الأسلوب المعماري الغدامسي الفريد وتقنيات البناء التقليدية ومن هنا جاء الاسم التاريخي "لؤلؤة الصحراء" ، وهي بالفعل كذلك.

ان السمات الرئيسية لمدينة غدامس القديمة التي تقع داخل الجزء الجنوبي الغربي من الواحة وتحيط بها المزارع بالكامل تقريباً. تتكون من قبيلتان رئيسيتان معروفتان تتمثل في سبع شوارع رئيسية، كما إن أعلى نقطة ملاصقة لها خارج أسوارها يتربع فوقها نبع عين الفرس (غسوف) سبب النشوء ومصدر الحياة للمدينة عبر تاريخها الطويل والمزدهر.

### التصميم المستدام:

دخل مصطلح (الاستدامة) إلى عالم الهندسة المعمارية في نهاية القرن العشرين، وتعني هنا ضمان أن أعمالنا وقراراتنا الأنية لا تؤثر على فرص الأجيال القادمة، ولقد برزت هذه المعاني في الهندسة المعمارية التقليدية التي تتميز بخصائصها المميزة التي تعمل على تحقيق الاستدامة بدءاً من التخطيط إلى البناء واختيار مواده.

إن التصميم المستدام يعبر عن فلسفة ترتيب البيئة الحضرية لتتماشى مع مبادئ الاستدامة، (McLennan 2004)، وجعل كل الأنظمة تعمل بشكل موحد ومنسجم فيما بينها كما أن التفاعلات البشرية مع بيئتها يعززها بشكل كبير ويجعل الفراغات ممتعة جداً لمستخدميها، (Sundarraja 2009)، ويعزز هذا المفهوم كفاءة التصميم والطاقة والتوازن بين الطبيعة والبيئة الحضرية، (Zandieh M 2000).

## أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بحسن إدارة الموارد بمدينة غدامس القديمة وأسرار ديمومتها واستمرارها إلى وقتنا الحالي وأهم المعايير التي تحدد وتقيس استدامة البيئة في تخطيطها الفريد.

## أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في زيادة الوعي بأهمية الاستدامة الحضرية والبيئية وإدارة الموارد وأهميتها وما لذلك من دور في تحقيق التنمية المستدامة والوصول إلى معلومات تساهم في مجال الدراسات والتطوير الحضري والبيئي المستدام.

## منهجية الدراسة:

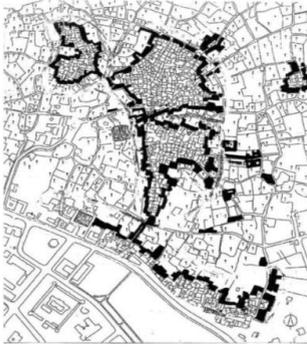
اعتمدت الدراسة على المنهجين الوصفي والتحليلي للتعريف بمفاهيم التصميم المستدام وإدارة الموارد في مدينة غدامس القديمة لاستخلاص العبر والاستفادة من مفاهيم الاستدامة وإدارة الموارد في عمليات التخطيط والتصميم الحضري.

## لؤلؤة الصحراء:

بنيت مدينة غدامس القديمة في واحة قبيل 12 ألف سنة من قبل التجار الغدامسيون، وهي إحدى أقدم المدن التي قامت في حقب ما قبل الصحراء وخير مثال على المستقرات البشرية التقليدية، ولقد وجدت منحوتات ونقوش حجرية تدل على وجود حياة في هذه المنطقة منذ أكثر من 12 ألف سنة، احتلها القرطاجيون سنة 795 ق.م ثم الرومان سنة 19 ق.م، وافتتحها العرب بقيادة عقبة بن نافع سنة 42 هـ -

تقع غدامس على بعد حوالي 600 كيلومتر جنوب غرب طرابلس وعلى بعد بضعة كيلومترات من الحدود التونسية والجزائرية، وتحتل المدينة حوالي 8 هكتارات من مساحة الواحة الإجمالية البالغة 215 هكتارًا. شكل (1) a,b

(a) واحة غدامس تحيط بكتلة المدينة



(b) موقع مدينة غدامس



الشكل (1) الموقع والتموضع

وصفها كثير من الرحالة العرب فصاحب كتاب الاستبصار وصفها في القرن السادس الهجري بقوله " مدينة غدامس" مدينة لطيفة قديمة وإليها ينسب الجلد الغدامسي، وبها دواميس وكهوف كانت سجونا للملكة الكاهنة التي كانت بأفريقية، وهذه الكهوف من بناء الأولين، فيها غرائب من البناء والأزاج المعقودة تحت الأرض ما يحار الناظر إليها إذا تأملها، والكمأة تعظم بتلك البلاد حتى تتخذ فيها البرابيع والأرانب أبحارا. كما ذكر ياقوت الحموي في كتابة معجم البلدان بأن في وسطها عينا أزلية وعليها أثر بنيان عجيب رومي يفيض الماء فيها، ويقسمه أهل البلدة بأقسام معلومة لا يقدر أحد يأخذ أكثر من حقه وعليها يزرعون ويقصد ياقوت بذلك عين الفرس.

ولبيوت غدامس معمار خاص إذ أنها بنيت بشكل عمودي، ويستخدم الطابق الأرضي لتخزين المواد الأساسية، والطابق الأول لسكن العائلة ويخصص السطح المفتوح للطبخ والنساء، وتسمح الممرات التي تربط أسطح البيوت بعضها ببعض بتنقل النساء بكل حرية وتحجبها عن أنظار الرجال. كما تحوي المدينة على شبكة من الممرات المغطاة تسمح بتنقل الأهالي بين أرجاء المدينة بعيداً عن تطرف الطقس خارجها. لعبت مدينة غدامس القديمة وهي إحدى المدن الصحراوية الرئيسية في ليبيا وموقع تراث عالمي مسجل لدى اليونسكو،

دورًا مهمًا كمركز ثقافي بين البحر الأبيض المتوسط وأفريقيا لسنوات عدة. وقد بقت هذه المدينة لتعبر عن الممارسات التخطيطية والمعمارية المستدامة التي كان يتميز بها سكانها قبل أن يعرف العالم معاني أو مفاهيم الاستدامة.

ان السمات الرئيسية لمدينة غدامس القديمة التي تقع داخل الجزء الجنوبي الغربي من الواحة وتحيط بها المزارع بالكامل تقريبًا. تتكون من قبيلتين رئيسيتين معروفتين محليًا تتمثل في سبع شوارع رئيسية، كما إن أعلى نقطة ملاصقة لها خارج أسوارها يتربع فوقها نبع عين الفرس (غسوف) سبب النشوء ومصدر الحياة للمدينة عبر تاريخها الطويل والمزدهر.

### إدارة الماء:

المدينة تقع حول نبع عين الفرس شكل (3) مع البساتين المحيطة بها مما يدل بوضوح على الحس المتقدم للتخطيط لمؤسسي المدينة. وقد تأكد هذا المعنى من خلال عمليات التسوية الواسعة التي تم القيام بها لجعل بعض الأراضي حول النبع قابلة للري بالجابذية ونقل التربة الجيدة لتحل محل التربة المحلية غير الصالحة للاستخدامات الزراعية. لعب الماء - سلعة ثمينة في الصحراء - دورًا رئيسيًا في تنمية المدينة وازدهارها واستدامتها. كان هذا الدور نتيجة مباشرة لنظام متطور لإدارة موارد المياه تم توزيعه حتى يصل إلى شبكة من خمس قنوات تمر عبر المدينة أو حولها وتستخدم بشكل تفضيلي في مواقع وأوقات محددة للشرب يليها الوضوء، ثم النظافة، وأخيرًا لري البساتين. تم توزيع مياه الري بين المراتب وفق ممارسات زراعية سليمة تعتمد على متطلبات المحاصيل المائية ومناطق البساتين. ومن المثير للاهتمام أن التدفقات في القنوات الخمس كانت متناسبة في مضاعفات (3) بقيم نسبية 1: 3: 9: 27: 81. تم توثيق استخدامات مياه الري والمبيعات والملكية وتحديثها سنويًا كجزء من مسؤوليات نظام الإدارة وكذلك التخصيصات اليومية وعمليات تشغيل وصيانة القناة (4). بفضل التربة الخصبة المنقولة إلى البساتين من خارج المدينة والأسمدة الطبيعية المكونة من الفضلات البشرية التي يتم جمعها من المنازل في المدينة وفضلات الحيوانات في المزارع حول المدينة، كانت هذه البساتين منتجة تمامًا لتزويدها بما يتجاوز احتياجات

المدينة من الحبوب والخضروات والمحاصيل بأنواعها.

إضافة الي تأمين إمدادات المياه المنزلية من خلال تخصيص مواقع محددة لهذا الغرض بالإضافة إلى تخصيص أوقات محددة يتم خلالها تقييد إمكانية الوصول إلى القناة لتجميع مياه الشرب. علاوة على ذلك، تم تمديد فروع القناة إلى عدد قليل من المنازل لتوفير المياه المنزلية بشكل مستمر، ونظرًا لأن الينبوع كان إرتوازيًا، كان الماء ساخنًا بشكل طبيعي مما يجعله مناسبًا للاستحمام على مدار العام، وقد اتخذ تدبير آخر لتوفير الطاقة. استخدام المياه داخل المنازل اقتصادي بالضرورة، حيث تتم ممارسة الاستخدامات المتعددة بحيث تكون الكمية التي يتم إحضارها إلى المنزل والتي يتم التخلص منها خارج المنزل أو في الحفرة قليلة للغاية.

كان هطول الأمطار نادرًا جدًا في غدامس. نتيجة لذلك، تم استخدام اللبن لبناء مباني المدينة وجدران البساتين. وذلك لمواجهة العواصف المطيرة، يتم تجفيف أسطح المباني بتصريفها في المزارع المجاورة أو في قنوات المياه داخل المدينة. في الأماكن التي لم يكن ذلك ممكنًا فيها تم توفير قنوات خاصة لتجميع مياه الأمطار. تضمنت التصميمات المبتكرة نقل مياه الأمطار لمسافات طويلة إلى المناطق المنخفضة للتخلص منها. تنبه صيحات خاصة من قبل النساء الواقفات على أسطح المنازل السكان إلى العاصفة المطيرة خلال ساعات الليل المتأخرة بحيث يرفعون على الفور لتصريف أسطح منازلهم يدويًا.



شكل (3) عين الفرس (غسوف)

### الزراعة:

إن البساتين الخصبة دائمة الخضرة مع عدد لا يحصى من أشجار النخيل التي تقف بفخر هي التي أكسبت المدينة اسمها التاريخي المستحق "جوهرة الصحراء". كما أن الحزام الأخضر المحيط بالمدينة جعلها صالحة للسكن. وقد وفرت مصدات رياح كبيرة ومرشح رملي وملاذ للمزارعين وغير المزارعين على حد سواء خاصة خلال أيام الصيف شديدة الحرارة. حيث وفر التبخر من النباتات والأشجار الرطوبة اللازمة بشدة لمواجهة المناخ الجاف الإضافي. علاوة على ذلك، قدمت البساتين مصدرًا مستدامًا للغذاء ومواد البناء التي كانت ضرورية لاستمرار الحياة وازدهار المدينة.

فكانت عدد المزارع والبساتين آنذاك الموجودة في البلدة (1402) سانية مقسمة حسب الشوارع السبعة كل مقابل ما يملك من السواني.

جدول (1) يبين عدد المزارع والبساتين (السواني) الموجودة في غدامس القديمة		
الرقم	اسم الشارع	عدد السواني التي يملكها سكان الشارع
1	شارع تصكو	498 سانية

2	شارع جرسان	196 سانية
3	شارع مازيغ	182 سانية
4	شارع تفرفرة	172 سانية
5	شارع تنقزين	135 سانية
6	شارع بليل	111 سانية
7	شارع درار	108 سانية
المجموع الكلي		1402 سانية

حيث كان الإجمالي من مساحة الأراضي الواجب سقايتها من عين الفرس حوالي 162.5 هكتاراً، مقسمة حسب السواقي الخمس.

جدول (2) يبين مساحة المزارع والبساتين (السواني) التي تغطيها كل ساقية		
الرقم	اسم الساقية	المساحة التي ترونها كل ساقية
1	ساقية تصكو	110 هكتارا
2	ساقية تاروط	40 هكتارا
3	ساقية تنقيشين	10 هكتارات
4	ساقية تنجانون	2 هكتارات
5	ساقية تندفران	0.5 هكتار
المجموع الكلي		162.5 هكتارا

فتم تقسيم المياه النابعة من العين في الدقيقة الواحدة وهي (ألف لتر) الى 121 وحدة أو جزء على أن تقسم بين السواقي بنسبة 3:1 وذلك بأن تأخذ كل سانية ثلث كمية المياه التي تخص سابقتها حسب ترتيب مساحتها.

جدول (3) يبين نصيب كل ساقية من السواقي الخمس في الدقيقة حسب الوحدات		
الرقم	اسم الساقية	عدد الوحدات التي تخص كل ساقية
1	ساقية تصكو	81 وحدة
2	ساقية تاروط	27 وحدة
3	ساقية تنقيشين	9 وحدات
4	ساقية تنجانون	3 وحدات
5	ساقية تندفران	1 وحدة واحدة
المجموع الكلي		121 وحدة أو جزء

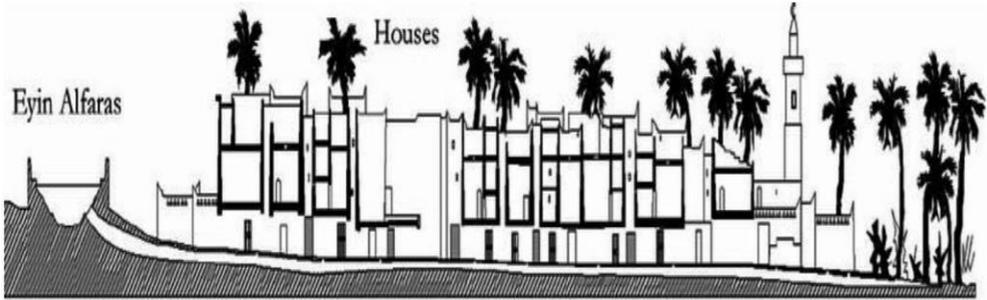
وهذا النظام هو المتبع الى اليوم وذلك لأنهم حافظوا على تدفق المياه في القنوات بوضع أحجار تخلق ممرات لمرور المياه خلالها الى السواني بقوة تدفق ثابتة.

### غسوف:

تقع عين الفرس (غسوف) في أعلى نقطة خارج السور شكل (4) وهي الشريان الحيوي للمدينة، يخرج منها خمس قنوات (سواقي)، كل ساقية لها اسم واتجاه وهندسة معينة. لأن الماء هو سبب الحياة فإن الناس قديما كانت دائمة البحث عنه، وأغلب الصراعات والحروب وقعت بسبب الماء وإمكانية السيطرة عليه.

في غدامس أيضا وبسبب وجود الماء نشأة بعض المشاكل بسبب العدالة في توزيعه فابتكر أهل غدامس طريقة لتقسيم المياه دون حدوث مشاكل فتوجه مياه العين عند خروجها الى المزارع المحيطة في عملية انحدار طبيعي ويتم توزيعها وفق نظام مائي علمي دقيق جدا. ومياه عين الفرس كانت مملوكة للغدامسيون الأوائل ولكنها تنتقل الى الآخرين عن طريق الإرث، أو البيع للمحتاج إلى الماء في مزاد علني. حيث يتم التحكم في المياه بواسطة

العديد من القنوات المكشوفة والمغطاة ويحتفظ السكان بسجلات لملكية ومؤجري هذه المياه صنعت من جلد الغزال (لكل ساقية سجلاتها) ويدون في هذه السجلات عدد المزارع على كل ساقية وتوالي توزيع المياه لها وتوزع المياه حسب ما يملكه الشخص ويمكنه زيادة أو إنقاص حصته من خلال المزاد الذي يعقد في ميدان تصكو نهاية كل سنة مائية. وتأتي الدورة المائية كل 13 يوم في فصل الصيف ويمكن دمج دورتين مائيتين لتكون الدورة المائية 26 يوم أثناء الشتاء، وكان كل الموظفين يتقاضون أتعابهم من مياه (غسوف).



شكل (4) موقع عين الفرس بالنسبة للمدينة والبساتين

### سواقي عين الفرس:

في الماضي كان لها خمس سواقي وهي (تصكو، تاروط، تنقيبشين، تندفران، تتجناون) ، تنقيبشين تقع جنوب غرب العين أما تندفران وتجتناون فكانتا في شمال غربي العين وأحدهما مخصصة لشرب الجمال الوافدة آنذاك لخدامس ، أما ساقية تصكو تقع جنوب شرقي العين بينما ساقية تاروط في الشمال الشرقي. وهذه السواقي لم يبق منها سوى تصكو وهي الأقوى ثم تاروط وتنقيبشين، أما تندفران وتجتناون فقد انخفضتا.



شكل (5) سواقي عين الفرس

وكانت السواقي تجري ليلا ونهارا لتوزيع المياه على المزارع والبساتين، فكانت ساقية تصكو هي ضعف ساقية تاروط من حيث تصريف المياه، والسنة المائية تبدأ من أول مايو وتنتهي في آخر أبريل من كل عام. وتكون المحاسبة بين الأهالي عن طريق (النواب) فقد كانت:

- لساقية تصكو نائبان وكاتبان ، [ نائب وكاتب لبني وازيت، ونائب وكاتب لبني وليد (شارعي درار وتصكو) -أما بنومازيغ لا يملكون مزارع ساقية تصكو ومنهم من يملك ويبيعها للآخرين]
- لساقية تاروط نائبان وكاتبان ، [ نائب وكاتب لشارع بني مازيغ، ونائب وكاتب لبني وليد (شارعي درار وتصكو) -كما أن بنو وازيت لا يملكون مزارع في ساقية تاروط ويبيعون أجزاءهم من الماء للآخرين]
- أما ساقية تنقيشين نائب واحد وهو من بني وازيت المالكون لتلك الساقية ومزارعها باستثناء أجزاء بسيطة.

ففي ساقية تصكو تخرج المياه من عين الفرس لتنتقل الى المزارع وتمر على ميدان تصكو، قبل ذلك تكون قد مرت على جامع يونس فالجامع العتيق ثم المساجد الصغيرة كزاوية اسقم باعلي، جامع تملي، جامع تعدوين، زاوية اندوغلاد، حتى تصل الى أوائل المزارع.

وساقية تاروط تمر من على جامع الخلوة ثم جامع الحشان فجامع زنقور، وهذا لتسهيل عملية الغسل والوضوء والسقاء عليها والشرب الذي خصصوا له أماكن مستقلة داخل المسجد أو خارجه. ومن هذه المساجد ما هو مخصص للنساء فقط للغسل والوضوء وصلاة الفذ، ومن شأته أن تصلي جماعة فلها مكان مخصص للنساء في المساجد الأخرى.

كما أن غسل الملابس له مكانه الخاص، والحيوانات تشرب من مكان مخصص لها بداية المزارع وعلى السواقي نفسها. فهذا ما رتبته الأوائل بطريقة عجيبة تنبئ عن الذوق السليم المتقن بحيث يقضي كل ذي حاجة حاجته دون أن يعطل غيره. وعلينا أن ننوه بأن الحال تغير عن ذي قبل بدخول المياه عبر الحنفيات الى الحمامات العامة في الجوامع وكذلك القلة من المنازل.

### القادوس (الساعة المائية):

القادوس هو مكان يقع في وسط المدينة وفي ميدانها الرئيسي يرتبط بعين الفرس بقناة تحت الارض ومنه يتم التحكم في سريان وتوزيع المياه، والقادوس أيضا هو الأداة (الإناء) الموجود داخل هذا المكان لقياس المياه. شكل (6)

والقادوس هو ساعة مائية لحساب وقت مرور الماء لكل مزرعة، وهو إناء نحاسي مثقوب من منتصف أسفله، يعبأ بالماء من المجرى ويعلق في مكان عالي نسبيا فوق الساقية ليفرغ في نفس الساقية من ذلك الثقب ويعبأ مباشرة بعد أن يفرغ لتتوالى العملية.



شكل (6) لقطات للقادوس كمكان بين زمنين والقادوس الإناء والقداس

فهناك شخص يجلس في المكان يسمى القادوس وهو من يتولى عملية التعبئة كل مرة ويقوم بعقد ورقة سعف على جريدة من سعف النخيل. كل قادوس ومن خلال الخبرة يفرغ في 3 دقائق، أي أن القادوس يملأ ويفرغ 20 مرة في الساعة، ويتناوب على هذا العمل مجموعة قداسين (ليلا ونهارا). لكل ساقية دفتر خاص وكاتب مهمته تسجيل الحصص المائية والمعاملات الأخرى كالبيع والشراء والهبة والإرث، وهذه بعض وحدات قياس كميات الماء التي كان يعمل بها في نظام توزيع مياه (غسوف).

القادوس = عشر الضرميسة , الفانوز = ربع الضرميسة , الضرميسة = ثلث نتام , النتام = 16 فانوز , القادوس = 3 دقائق , الضرميسة = 30 دقيقة = 160 حبة , الفانوز = 7.5 دقيقة , نتام = 1.5 ساعة . شكل (7)

والجدير بالذكر أنه ألغي القادوس في سنة 1943م واستبدل لاحقا بساعة لضبط الوقت.



شكل (7) الحساب المائي بالقادوس

## تطويع الصحراء

أهل غدامس يحبون التجول في طرقاتها المحمية بعيداً عن حرارة الشمس، المتجول في طرقات المدينة يلاحظ الفتحات الموجودة في أسقف الممرات والموزعة على مسافات معينة (10 - 15 متر) للإضاءة والتهوية وهي مكان أيضاً لتحريك ودوران الهواء فالهواء الساخن يصعد لأعلى لخفته فيجد الفتحة ليخرج منها ويحل محله هواء بارد، كما أن هذه الفتحات توضع في الأماكن المظلمة لتعطي لها إضاءة.

تخطيط وهندسة المدينة قسمها لمحلتين كبيرتين مع وجود ساحات عامة مثل: ميدان القادوس، وميدان عين الفرس، وميدان تيلوان. ومجموعة ميادين مثل: أنجورا (درار) (و أندوعلاد) (تصكو) وأمى انتعدوين (تصكو) وتمقودلت (درار) (ميدان التوتة - إندوتومين (مازيغ) (ميدان جرسان (جرسان)، (ميدان غزر - إندو خليف (تقرفة) ، (ميدان تنقرين (تنقرين)، (ميدان عون الله (اولاد بليل). وتقام في هذه الميادين المناسبات الاجتماعية والأفراح كل حسب قبيلته ومكان سكنه. وهناك أيضاً طرق رئيسية وزعت بدقة ليمر بها الهواء وبتعرجاتها فيصطدم بالجدران لتخفيف سرعته ونسبت إلى القبائل المكونة للنسيج الاجتماعي للمدينة وهي شارع تصكو وشارع درار وشارع مازيغ وشارع تنقرين وشارع تقرفة وشارع جرسان، وشارع اولاد بليل.

أهل غدامس عرفوا جيدا كيف يحمون أنفسهم من الحرارة والطقس فالمدينة تعتبر أكبر مدينة مسقوفة في العالم (كأنك في نفق)، كما تم أيضا تضييق الشوارع للتقليل من التعرض للشمس وتوفير الظل اللازم، وهناك أيضا بعض الممارسات المعمارية استخدمت لتخفيف الهواء الساخن القادم من الخارج. فقد وضعت الكتلة المعمارية في وسط رقعة الـ (215) هكتار من مزارع النخيل، فأشجار النخيل إضافة الى أنها مصدر للغذاء فهي مصدر أيضا للجدوع التي تستعمل للتسقيف وصناعة الأبواب والبناء والأثاث لكن المهمة الأكبر لها هو وجودها حول المدينة لتعمل كدرع ومصد للرياح والغبار لتحمي المدينة من الرياح والغبار والأتربة القادمة من الصحراء، وهي توفر أيضا الظلال للمزارع وهو ما يساهم في تبريد محيط المدينة.

أهل غدامس بنوا مدينتهم من الطين والحجارة وأغصان النخيل وجنوعها ليصنعوا مدينة متراسة مغلقة تمثل شكلا فنيا رائعا؛ بكل اختصار لقد استطاع أهل غدامس تأمين تكيف مجاني لكل السكان وجعلوا من هذه القطعة من الصحراء مكانا مريحا يطيب العيش فيه.

### الاستنتاجات:

إن حسن إدارة الموارد والمرافق في مدينة غدامس القديمة جعلها مثالا للمدن المستدامة عالمياً ونموذجاً فريداً في العمارة والتخطيط العمراني والمجتمعات المستدامة، ولقد أبدع المعماري الغدامسي فعلاً في كيفية تخطيط فراغات المدينة وتصميم المباني كما أن سكان المدينة عرفوا وابتكروا طرقاً للإدارة الحكيمة للموارد والمرافق والمواد قبل أن يعرف العالم هذه العلوم ولقد كان لها أثرها في استدامة هذا المجتمع الصحراوي.

إن الشكل العام لمدينة غدامس هو مثال حي على كيفية تفاعل الفراغات الحضرية والسكان بشكل منسجم لإنتاج ثقافة عالية ومجتمع متماسك منظم وتنمية مستدامة تشمل كل نواحي الحياة والمجتمع بالمدينة. إن التكامل بين العمارة والعمران والناس والبيئة في مدينة غدامس القديمة يعتبر مثلاً يحتذى به وأن الدروس المستفادة قد تساعدنا لاستلهام الأفكار وتطويرها لتناسبنا اليوم في بيئتنا لتطوير بيئة مستدامة.

فضمان الاستدامة من خلال الاعتماد الكامل على المواد والمهارات المحلية والإدارة السليمة للبيئة يعتبر الطريق السليم والأمن الذي يجب أن يسلكه مجتمعنا اليوم، فقد وصل الغدامسيون من مئات السنين لمعرفة مفهوم الاستدامة وطبقوه من خلال ممارسة استصلاح الموارد وإدارتها إدارة جيدة وإعادة التدوير وإعادة الاستخدام والحفظ في جميع المجالات بما في ذلك البناء والمياه ومخلفات الصرف الصحي والزراعة.

## المراجع :

- الخازمي ,حمزة. عقيل , فوزي.( 2019 ) . دراسة وتحليل المعالجات المعمارية المستخدمة لتقليل الكسب الحراري في المناطق الصحراوية - دراسة حالة مدينة غدامس. المؤتمر الهندسي الثاني لنقابة المهن الهندسية بالزاوية .
- عقيل, فوزي(2019). " مفاهيم التصميم المستدام ومبادئ طاقة المكان FengShui في عمارة غدامس القديمة. المؤتمر الثاني للتشييد في المناطق الصحراوية. طرابلس. (ورقة مقبولة بشكل نهائي, تم تأجيل المؤتمر بسبب الحرب على طرابلس).
- عقيل, فوزي(2020). " استدامة ما قبل الاستدامة" تخطيط مدينة غدامس القديمة. مؤتمر العمران والعمارة بالمدن الصحراوية .الاعواط . الجزائر 8-9 ابريل 2020 (ورقة مقبولة بشكل نهائي, تم تأجيل المؤتمر بسبب جائحة كورونا).
- ضوي, أحمد قاسم. , (2009)، غدامس بين الماضي والحاضر، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا
- يوشع, بشيرقاسم. , (2000)، غدامس ملامح وصور ، مطبعة الفاتح، الطبعة الثانية، مصراته، ليبيا.
- Alund, F. (1987). **Ghadames "The Pearl of the Desert**, United Nations Centre for Human Settlements (UNCHS - HABITAT) for the Organization of Public Works: Unpublished report.
- Al-Zubaidi, M.S. (2002). **The Efficiency of Thermal Performance of the Desert Buildings – The Traditional House of Ghadames / Libya**. The Annual Conference of the Canadian Society for Civil Engineering. Montréal, Québec, Canada.
- Azzuz, I. (2000). **Contemporary Libyan Architecture: Possibilities vs. Realities**, Cambridge, MA: the age Khan programme for islamic Architecture, the Mit press.

- Evans, M. (1980). **Housing, Climate and Comfort**, 1st edn., –  
London: Architectural Press.
- Humphreys, C. (1976). **Zen Buddhism**. London, Allen &Unwin. –
- Sherlock, H. (1991). **Cities are Good for Us**. London: Paladin. –
- McLennan, J.F (2004). (The Philosophy of Sustainable Design). –  
Kansas City, Missouri, Ecotone Publishing.
- Sundarraja, M.C., Radhakrishnan, S., &Shanthi, P.R. (2009). –  
**Understanding Vernacular Architecture as a tool for  
Sustainable Built Environment**. In 10th National Conference on  
Technological Trends (NCTT09), Trivandrum, Kerala 6–7 Nov.
- Zandieh M, Parvardinejad S. (2011). **Sustainable development** –  
**and its concept in Iran residential architecture**, Journal of  
Housing and Rural Environment.

## أصل نشأة عين الفرس

أ.فؤاد عبدالله هيبه

### ملخص الورقة :

المدينة ارتبطت بالحاجة الى تنظيم استغلال الماء وتنظيم أعمال الري وقيام مشروعاته التي تحتاج بدورها الى ادارة تنظيم هذه الأعمال والى قيام الإنشاءات لاستغلال الماء في الزراعة وتطلب الامر من جهة اخرى الاهتمام بالتقويم وكان هذا التقويم مرتبطا بتوقيت صدور الماء"

ومدينة غدامس تزخر بعدد من مصادر الإمداد المائية القديمة ، المتنوعة فمنها ما يخرج ذاتيا على هيئة ينابيع طبيعية كما هو الحال في عين الفرس ، او ما يتم تجميعه في أحواض منخفضة ويتم استخراجها بطريقة الشادوف كما في أحواض تالا ، او التي تستخرج بفعل الحفر في أعماق الأرض على شكل ابار في الأزمنة المختلفة من عمر المدينة وهذه تستخرج باستخدام الحيوانات ، وهذا التنوع في مصادر المياه المختلفة أعطى للمدينة حيويتها وقدرتها على الاستمرارية وتجديد نفسها على مر الأزمنة رغم خفوت اشعاعها في بعض الأحيان .

وهذا الورقة سيتناول بالدراسة اهم مصادر الامداد المائي القديمة للمدينة من حيث اصلها ونشأتها مرورا باستعراض طريقة توزيع المياه بنوعي تالا ، برويا جديدة ومختلفة عن كثير مما تم تداوله في دراسات سابقة.

## 1- مقدمة

توفر الماء اساسي جدا في اختيار موقع المدينة ، والذي يراعى في هذا الاختيار ان يكون يوافي لحاجة السكان للاستخدامات الحضرية والزراعية ولكل اوجه الحياة ، وهناك فائض له حتى تتمكن المدينة من النمو المستقبلي في مجالاتها المعمارية المختلفة

وقد امتازت منطقة غدامس قديما بغناها بمصادر المياه الجوفية شاملة الينابيع الطبيعية والأحواض الجوفية الارتوازية والتي تظهر نتيجة للضغط العالي للخران الجوفي، فان المياه تخترق الصخور المتمزقة في صدع غدامس الذي يمتد من شمال غرب الى جنوب شرق المنطقة، وتظهر المياه على السطح ارتوازيا على هيئة ينابيع حرة. والاحواض الجوفية الاساسية تقع في تكويني نالوت (غريان) وككلة واعادة شحن هذه الاحواض على الارجح ناتج عن تساقط الامطار على جبل نفوسة، الحمادة الحمراء وجبل فزان.

يعتبر عين الفرس المصدر الرئيسي للمياه بالواحة حيث يغطي أغلب الاستهلاك الزراعي والبشري، وذلك حتي سنة 1932م عندما تم حفر البئر الارتوازي الثاني بليبيا في هذه المنطقة، لدعم المصدر الأساسي الذي بدأ ينضب.

والمصدر الاخر المهم هو نبعي تالا وهما متجاورين يقعان شمال غرب عين الفرس وتستخدم مياههما لرى حوالي خمسة هكتارات من مزارع الواحة التابعة لحي بني مازيغ ، ومصدر تغذية هذين النبعين يرجح انه نفس مصدر تغذية عين الفرس ( الخزان الجوفي بتكوين نالوت ) ، ويبلغ عمقهما حوالي الخمسة أمتار ، وتستخرج مياههما بالطريقة اليدوية القديمة المسماة بالشادوف .

وفي قرية تونين والتي تبعد حوالي ثلاثة كيلومترات للغرب من واحة غدامس نشأت عين تالة تونين. والعين توجد وسط حوض مربع الشكل لتجميع المياه

المستخدمه لغرض الشرب والرى وتستخرج مياهه ايضا يدويا بطريقة الشادوف . وهذا النبع الدائم ناشيء عن الممييزة الجيولوجية أو الظروف الجيومورفولوجية حول قرية تونين . فمنحدر التل حول القرية متكون من قاعدة نفاذة تتألف من حجر غريني وطين غريني ودولوميت وحجر جبرى مارلي الذى يتداخل مع الجبس والجزء المنخفض الغير نفاذ قاعدته طينية من تكوين تغرنة ، ومن هناك تنتقل المياه التي ترشح للنبع .

وتهدف هذه الورقة للاجابة على ثلاثة اسئلة //

- هل عين الفرس قديمة قدم الواحة ؟ ومتى وكيف نشأة عين الفرس ؟
- ما هي الساعات والدرجات التي ابطل العمل بها في حساب توزيع المياه ؟ وما علاقة علم الفلك في هذا الحساب ؟
- لماذا حصل التغير الحاد في عدد القواديس اليومية لحساب العين في متوسط القرن التاسع عشر؟

## 2- عين بلدة غدامس ( عين الفرس )

عين بلدة غدامس والشهيرة بعين الفرس والمعروفة عند الاهالي بغسوف ارتبط اسمها بالمدينة وداتما يعود بنا ذكرها بالاسطورة التي يتناقلها الاهالي والتي اوردها مصطفى الخوجة المصري في مخطوطه<sup>1</sup> عند ذكره لنشآت المدينة .  
تقع هذه العين بربوة في منطقة المشرح ( اوعياذ ) في وسط حوض تجميع مزلع جدرانه مرصوفة بالحجارة وارضيتها مجصصة لمنع تسرب المياه ، والعين تشكل دائرة في وسط هذا الحوض محاطه بجدار حماية ارتفاعه عشرون سنتمترا ، ويحيط بالعين البساتين المزدانة بالنخيل تجري من تحتها قنوات المياه المنبعثة من العين . وتمد هذه العين شرايين الحياة الى البساتين عبر مجموعة اقنية موزعة على زوايا

حوض تجميع مياه العين أكبرها حجما قناة تصكو , وتعني المدينة وتخرج من الجزء الشمالي الشرقي للعين وتبلغ تصريفها ثلثي سعة تصريف العين ويبلغ طول القناة الرئيسية لهذه الساقية حوالي الف ومئتين متر قبل تفرعها الى جزئين كل فرع منها يسمى جادة ، احداها جادة محلة وليد ، والأخرى جادة محلة وازيت . ويبلغ اجمالي المساحة المروية لهذه الساقية حوالي اثنان وتسعون هكتار وتخرق الساقية قبل مرورها بالبساتين مجموعة من المساجد اهمها جامع يونس والجامع العتيق الى جانب بعض احواض الغسيل ومطاهر .

ثم ساقية تاروط او تاروت ، وسميت بهذا الاسم نسبة للقبيلة الزناتية القديمة ( تاروت ) التي تواجدت بهذه المنطقة والتي يعود اليها نسب الفقيه الاباضي اسماعيل الدراري<sup>1</sup> ، وتعد هذه الساقية ثاني اكبر السواقي وفي قدم ساقية تصكو تخرج من الجزء الشمالي للعين وتبلغ نسبة التصريف منه اثنين وعشرون بالمئة من انتاجية العين ، واغلب البساتين المستفيدة من هذه الساقية تتبع احياء درار ، تصكو ، مازيغ . وللساقية فرعان أساسيان وهما جادة مازيغ وجادة انجرود ، وتبلغ إجمالي المساحة المروية من ساقية تاروط اثنين وثلاثون هكتار . وتخرق قناة هذه الساقية قبل مرورها بالبساتين مجموعة مساجد صغيرة وهي مسجد الخلوة ومسجد الياس ومسجد زنقوا ( مسجد عبد ربه ) .

ساقية تنبيشين , تخرج من الجزء الجنوبي الغربي للعين ويقال انها استحدثت عند قدوم اهالي حي جرسان الى الواحة واسمها يوحي نسبته الى جدود احد عائلات هذا الحي وهو ابو شينة . وتبلغ نسبة التصريف منها تسعة بالمئة من اجمالي تصريف العين ، والمساحة المروية منها تبلغ عشرة هكتارات وطول قناة هذه الساقية حوالي كيلومترا واحدا.

تندفران وندجانون وتعنيان التي تخص الاحرار والاخرى التي تخص العبيد . وهما

ترجمة احمد بومزقو

دراسات شمال افريقية الجزء الاول

1 - تادابوش ليفيتسكي

مؤسسة تاوالت الثقافية

ساقيتان صغيرتان لا تتجاوز المساحة المرويه لكليهما اثنين هكتار وتقول الرواية الشفهية عن ساقية تندفران انها استحدثت عند قدوم عرب بني سليم للواحة في نهاية القرن الرابع للهجرة ولغرض سقاية حيواناتهم وهذه الساقية توجد بالجزء الغربي للعين ، في حين توجد ساقية تنجانون في الجزء الشرقي من العين . وقد توقفت هاتين الساقيتين عن تصريف المياه بعد نقص انتاجية العين .

## 1.2 نشأة عين الفرس

اختلفت الروايات عن بداية نشأة هذه العين ، وهناك الراي السائد الذي يقول ان هذه العين في قدم الواحة وانها سبب وجودها. و يتم ايراد القصة التي اوردتها العديد من المصادر من ان قافلة مرت بالمنطقة وعند مغادرتها نسيت قطعة من اوانيتها فرجع احد فرسان القافلة لاحضارها وعندما وصل للمنطقة نبعث هذه العين من اسفل حافر قدم فرسه .<sup>1</sup>

وبالتحقيق في بعض المصادر التاريخية وموقع العين نسبة لبعض المعالم الموجودة بالواحة وبعض الشواهد الاخرى ، تظهر ان هذه العين نشأت في فترة متأخرة جدا عن فترة تكون ونشأة المدينة //

1.1.2 اورد شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت الحموي المتوفي في ( 626هـ/ 1219م) بكتابه معجم البلدان ، عند ترجمته لمدينة غدامس ان "في وسطها عين ازلية وعليها أثر بنيان عجيب رومي يفيض الماء فيها ويقسمه أهل البلدة بأقسام معلوم"<sup>2</sup> . فالعين المذكورة هي بلا شك عين الفرس اما أثر البنيان العجيب الروماني فهي الكنيسة الكاثوليكية التي أنشأها الإمبراطور جستنيان في القرن (الخامس الميلادي) والتي تعد ثاني اكبر كنيسة تنشأ بالمنطقة.

مصدر سابق

معجم البلدان

- - 1مصطفى الخوجة المصري  
2 - شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت الحموي

وما إشارت إليه العبارة من ان العين تتبع من وسط بناء عجيب فانه لا يتأتى الا اذا كان البناء (والذي هو أثر الكنيسة) سابق في تنفيذه عن نشأة العين، وهذا يفند القول المشهور بازلية العين او انها قديمة بقدم المدينة، فيستحيل تشييد بناء وسط عين ماء قائمة، خاصة بتقنيات ومواد البناء المستخدمة في تلك العصور. وهذا ما يؤكد ان العين نبعت بعد ان وجد المبنى أي بعد القرن الخامس الميلادي الذي تم فيه بناء الكنيسة.

2.1.2 على بعد مئة متر للغرب من العين توجد منطقة زراعية تتألف من عدة بساتين وتحديدا بالجنوب الغربي من المدينة، وهذه البساتين مناسيبيها مرتفعة عن منسوب العين، وتروي من نبعين للمياه تستخرج منهما المياه بطريقة الشادوف ويطلق على هذين النبعين اسم تالا. ورغم قرب هذه المنطقة الزراعية وسهولة ريهها من العين مباشرة بالانسياب الطبيعي إذا ما تم فقط تعديل بسيط في مناسيبيها بدلا من استخدام الطريقة اليدوية لاستخراج الماء. كما ان كمية المياه المتحصلة مباشرة من العين بالتأكد ستكون اكبر من المياه التي تستخرج يدويا، الا انه لم يتم معالجة طريقة ري وسقي هذه المزارع مثل ما تم في باقي المزارع والبساتين المستصلحة والتي تروى من العين مباشرة والتي تبعد كثيرا مقارنة بهذه المزارع ولكن لماذا؟ من المعلوم ان المنطقة غنية بالمياه ، فالمياه الجوفية قريبة جدا من سطح الأرض ويسهل استخراجها و مزارع المنطقة قديما كانت تروى من آبار وأحواض تجميع مياه محلية وخاصة ، وهذا ما يفسر وجود ابار خاصة ببعض البساتين ، فلما نبعت العين بقت هذه المزارع او البساتين تروى من مصادرها القديمة ، واما المزارع التي تم استحداثها بعد ظهور العين فتم استصلاحها وتعديل مناسيبيها لضمان وصول مياه العين اليها انسيابيا . هذا ما يؤكد ان زمن انشاء هذه البساتين ومصدرها المائي اقدم من زمن ظهور العين والا لثم ريهها مباشرة من العين نفسه.

3.1.2 تكونت المدينة في السابق من العديد من القرى والقلاع والحصون والقصور الصحراوية وهناك العديد من الآثار المتبقية لبعض هذه الحصون والقلاع والقصور ، والبعض منها تم ازالتها واستصلاح اراضيها وتحويلها إلى المزارع وبساتين . والملاحظ على الآثار القديمة لهذه الحصون والقلاع وخاصة اساسات الاسوار والمباني القديمة انها ترتفع مناسيها عن منسوب الارض المستصلحة كثيرا مما يعني ان مبنى هذه الحصون او القلاع مرتفع عن منسوب العين ، الامر الذي يجعل هذه الحصون والقلاع غير ذات ارتباط بالعين ، و اذا كانت هذه العين موجودة من القديم فلماذا شيدت هذه الحصون والقصور والقلاع في اماكن يستحيل معها الاستفادة من مياه العين ؟ الا اذا كانت هذه العين غير موجودة اثناء انشاء هذه القلاع والحصون والقصور.

#### 4.1.2 ومن هذه الشواهد والقرائن يظهر السؤال متى وكيف ظهرت هذه العين؟

سنة ستة او تسع وأربعين للهجرة سار عقبة بن نافع الفهريّ ومعه أربعمائة فارس وأربعمائة بعير، حتى قدم ودّان فافتتحها، ومن بعدها جرمة. وقصور فزان فافتتحها قصرا قصرا. ثم مضى الى أهل خوار، وهو قصر عظيم على رأس المفازة على ظهر جبل، وهو قصبّة كوار. فلما انتهى إليهم تحصّنوا، فحاصرهم شهرا، فلم يستطع لهم شيئا. فمضى أمامه على قصور كوّار فافتتحها، حتى انتهى إلى أقصاها، فانصرف عقبة راجعا، فمرّ بقصر خوار، فلم يعرض له، ولم ينزل بهم، وسار ثلاثة أيام، وأقام عقبة بمكان لم يكن به ماء، فأصابهم عطش شديد، أشرف منه عقبة وأصحابه على الموت، فصلّى عقبة ركعتين، ودعا الله. وجعل فرس عقبة يبحث بيديه في الأرض حتى كشف عن صفاه، فانفجر منها الماء، فجعل الفرس يمصّ ذلك الماء، فأبصره عقبة، فنادى في الناس، أن احتقروا؛ فحفروا سبعين حسيا فشربوا، واستقوا، فسمّى لذلك ماء

فرس.1

ثم رجع عقبة إلى خاوار من غير طريقه التي كان أقبل منها، فلم يشعروا به حتى طرقتهم ليلاً، فافتتح الحصن. ثم انصرف راجعاً فسار حتى قدم على عسكره بعد خمسة أشهر، فسار متوجّهاً إلى المغرب، فافتتح كل قصر بها، ثم بعث خيلاً إلى غدامس، فافتتحت غدامس؛ فلما انصرفت إليه خيله سار إلى قفصة فافتتحها، ثم انصرف إلى القيروان، فلم يعجب بالقيروان الذي كان معلوية بن حديج بناه.

هكذا تروي بعض المصادر التاريخية قصة الحملة التي قام بها عقبة بن نافع الفهري لجنوب الصحراء الليبي حتى وصل بها إلى منطقة كوار. ولكن ما حقيقة هذه الحملة، وهل فعلاً ان كل تلك الاحداث التي وردت في هذه الحملة حقيقية ام انها بعض احداثها مجرد قصص يرويها الرواة لزيادة التشويق لقصصهم؟ كانت الاخبار في السابق تنقل شفاهة قبل ان يتم تدوينها مما يجعلها عرضة للتحوير والتبديل أثناء تناقلها بين الرواة. كما كان يشوبها تشويه نتيجة التحيز الظاهر والميول السياسية والاهواء الحزبية. واطلاق الرواة العنان لملاكتهم الحسية والخيالية الخصبه في تصويرهم للحوادث التاريخية، هذا كله جعل بعض الدارسين يعتقدون ان بعض ما ورد في المصادر العربية من اخبار تعوزها الدقة، ويكتنفها الغموض بسبب ما يحيط بها من روايات خرافية ذات طابع اسطوري منقولة من مصادر مختلفة من حيث الزمان والمكان واقدمها يرجع إلى عصر متأخر كثيراً عن حوادث الفتح. 2

ناقش الباحث جاك تيري حملة عقبة لجنوب الصحراء و تناول بالتحليل نص بن الحكم وهو الاول الذي اورد تفصيلات حول هذه الغزوة ، وفحص الظروف المادية

التي امكن فيها القيام بها ، والطرق المسلوكة والسكان الذين صودفوا ، فتوصل الى استنتاج ان قصة حفر حصان عقبة بجوافره الارض في موضع يلامس فيه الماء سطح الارض وحفر سبعين بئرا لاستخراج الماء تدفع للاعتقاد بانها مختلفة .<sup>1</sup> ولكننا نرى ان قصة خروج الماء من حافر حصان عقبة حدثت فعلا لكن في مكان أخرى وفي نفس زمن هذه الحملة عندما كان عقبة متوجها الى تونس لانشاء مدينته القيروان.

وهذا الخلط الذي حصل في موقع وزمن حدوث القصة تكررت عند كل من ابن الاثير<sup>2</sup> والنويري<sup>3</sup> حيث اورد كلاهما انه عندما دخل عقبة بن نافع السوس الاقصى بالمغرب وسار حتى بلغ البحر المحيط ثم انصرف راجعا الى افريقية فلما انتهى إلى موضع لم يكن به ماء، فأصابهم عطش أشرف منه عقبة ومن معه على الموت. واوردا قصة مطابقة لما حدث في منطقة كوار.

نستنتج من هذا ان خروج الماء من تحت حافر قدم فرس عقبة وقعت فعلا يؤيدها تكرار رواية القصة وان كان في عدة اماكن وأقرب المواقع التي تؤيد حدوث هذه الحادثة بها هي مدينة غدامس وذلك لعدة شواهد منها ان موقع الماء والعين التي نبعث لا تزال موجود حتى الوقت الحالي في حين ان باقي الاماكن لا تذكر سوى اسم موقع ماء الفرس دون ان يكون هناك دليل على وجود أثر لأبار

قديمة او عين ماء بالموضع. والامر الاخر موقع القصر الذي على رأس المفازة على ظهر جبل المذكور عند بعض المؤرخين يوجد ايضا بالشمال الغربي للواحة بالموقع المسمى تحت والمعروف عند الاهالي (براس الغول) ولا زالت آثار هذا القصر باقية على راس هذا الجبل والتفق الذي صنعه المسلمون لاحتلال هذا القصر لا زال باديا للعيان.

1 - جاك تيري تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى ترجمة جادالله عزوز الطلحي

الدار الجماهيرية

2 - ابو الحسن علي بن الاثير الكامل في التاريخ ج3 ص 305

3 - شهاب الدين احمد عبدالوهاب النويري نهاية الارب في فنون الادب ج 24 ص 30

ومن هذا نقول ان عين الفرس بداية نشأتها كانت عند قدوم الفاتحين المسلمين في سنة 49 هـ او قبل ذلك بقليل على اختلاف الروايات في سنة الفتح وأنها نبعث من تحت حافر قدم فرس عقبة بن نافع الفهري، ولم تكن عين قديمة او ازلية كما كان يعتقد.

## 2.2 نظام توزيع المياه

لضمان توزيع عادل للمياه ابتكر الاهالي نظاما خاصا لحساب كميات توزيع المياه لمختلف بساتين الواحة ، وحتى لا يكون هناك جورا في الاستغلال وامتلاك بعض السكان لبساتين اكبر مساحة من البعض الآخر ، فقد توزعت حصص مياه العين بنظام الاسهم ، بمعنى انه ليس من الضروري ان يكون صاحب السهم يمتلك أرضا لسقايتها إنما يستطيع تأجير أو بيع سهمه ، والضابط لملاك الأسهم وقدرها كتاب من رق الغزال سجل فيه أسماء جميع الملاك لأسهم مياه العين وكمية ما يملكون من أسهم ولكل ساقية على حده ، وإذا حدث ان بيع جزء من هذه الأسهم أو كلها فما على القائم على السجل إلا أن يشطب الجزء المباع وأضافته إلى المشتري وقد يحدث ان يتم شطب الاسم كاملا من السجل اذا قام البائع ببيع كامل ما يملكه من اسهم وتسجيلها للمشتري ولا زال هذا السجل موجود عند احد اعيان الواحة.

### 1.2.2 تجزئة مياه العين

تم تجزئة مياه العين إلى مائة وواحد وعشرون جزء تتوزع على قنوات التصريف نصيب ساقية تصكو منها احدى وثمانون جزء اما تاروط فلها من الأجزاء سبع وعشرون جزء وتنبيشين تسعة أجزاء وتندفران ثلاثة اجزاء وأخيرا تنجانون فلها جزء واحد. وهذه الأجزاء في حقيقتها تمثل النسبة المئوية من المياه المستهلكة من كل ساقية وهي منسبة إلى مساحة الأرض المرورية. فمثلا تروي ساقية تصكو 92 هكتار

وهي تمثل نسبة 67% تقريبا من المساحة المروية من العين ونصيبها من المياه تمثل 67% من إجمالي كمية المياه .  
ومن الملاحظ من خلال التجزئة السابقة إن تصريف الساقية يمثل ثلث تصريف الساقية التي قبلها ( اكبر منها حجما ) وعلى ذلك تقريبا تتوزع المساحات المروية على السواقي ، ولذا فان مساحة ارض محددة من ساقية تاروط تأخذ فترة زمنية تعادل ثلاثة أمثال الفترة الزمنية فيما لو رويت هذه المساحة من ساقية تصكو .

## 2.2.2 الدورة المائية

تجري المياه عبر السواقي وقنوات العين ليلا ونهارا وتتم الدورة المائية والتي يطلق عليها "الضمي" في ثلاثة عشرة يوما بالنسبة لساقيتي تصكو وتاروط وعلى عشرة ايام لساقية تنبيشين اما ساقيتي تندفران وتتجانون فتدور المياه فيها على خمسة ايام. وكل يوم وليلة من الدورة المائية له اسم مخصوص والغاية من ذلك لتسهيل حساب فترات السقي لاصحاب الاسهم، اذ يتعين ان يوضع اسم اليوم والليلية وعدد الاسهم لكل مالك سهم في سجل مياه العين. تشترك ساقيتي تصكو وتاروط في اسماء الايام الثلاثة عشرة وهي عمران، مولي، صالح، وبقايا، اسحاق، طياش، بالي، آدم، سنجان، عقبة، اكاوي ، شطار . ام باقي السواقي فلم تصلنا من اسماء ايام الدورة المائية فيها سوى يوم او يومين. واسماء هذه الايام فأغلبها لعائلات من المدينة او قبائل امازيغية قديمة.

تبدأ السنة المائية في اول يوم من شهر مايو الاعجمي ( اليوليوسي ) والذي يعادل 14 مايو من التقويم الغورغوري الحالي . ونظريا فان المياه في ساقيتي تصكو وتاروط تدور ثمانية وعشرون مرة في السنة المائية وهي محسوبة على منازل القمرية وتبدأ بمنزلة الشرطين التي تظهر في الثاني عشر من شهر مايو الغورغوري حين بداية استخدام النظام، ثم تتبعها منزلة البطين بعد ثلاثة عشرة يوما ثم الثريا وهكذا دواليك الى ظهور منزلة الفرغ المؤخر والذي يسمى الاهالي هذه الفترة بابرير .  
نظرا لحاجة المزارعات للمياه بكميات مختلفة حسب فصول السنة تم ضم بعض

الدورات بعضها ببعض، وتغيرت فترة الدورة المائية، في حين بقت دورات الفترة الصيفية على حالها أي كل ثلاثة عشرة يوم ولعدد ثمانية دورات فان دورات الخريف اصبحت كل ثلاثة وعشرون يوماً أي بعدد اربع دورات، اما دورات الشتاء فاصبحت دورتين والربيع ثلاثة دورات اما الشهر الاخير من السنة المائية فله دورتان كل منها لها ثلاثة عشر يوماً، وهذا الضم يتغير من فترة لآخرى.

### 3.2.2 الساعات والدرجات

قبل استحداث القادوس كان الاهالي بالواحة يعتمدون في تقسيم الوحدات المائية ( الضرميسة والفانز والنتام ) على الساعات والدرجات ، ولما كثر تقسيم اجزاء هذه الوحدات الى وحدات اصغر ( حبة ) صعب تحديد توقيتها فاضطر الاهالي الى استخدام القادوس.<sup>1</sup>

كان مبدأ التوقيت بخدامس يسير حسب التوقيت العربي القمري في تحديد بداية ونهاية الشهر والتوقيت اليومي يبدأ من غروب شمس اليوم الى غروب شمس اليوم التالي والليل سابق النهار، واليوم مقسم الى ليل ونهار فالليل يبدأ من الغروب الى شروق الشمس، اما النهار فمن الشروق الى غروب الشمس. أي حركة القمر في تحديد الشهر وحركة الشمس في تحديد النهار والليل. ولتحديد اوقات الصلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح فقد تم تقسيم الليل الى اثنتي عشر ساعة والنهار كذلك. ولتحديد الساعات جعل مرجع ذلك عدد اقدم الظل لوقت صلاة الظهر (ظل الزوال) والتي هي على الحروف طزه جبا ابده حي وهي اثنا عشر حرفا لاثني عشر شهر العجمية على الترتيب تبدأ بشهر يناير ومقدار كل حرف على حسب حساب الجمل.

<sup>1</sup> - مخطوط غدامس مرجع سابق

ولمعرفة الساعات الزمانية في النهار فيجب معرفة كم عدد ظلك من الاقدام ، فتقف في مكان مستو أي معتدل ليس بمنخفض ولا بمرتفع ولا فيه اعوجاج ، ثم قس ظلك بالقدم من حد بنان قدمك اذا كان الظل امامك او من حد عقب القدم ان كان وراءك او من حد الكعب ان كان يمينك او يسارك و اذا زدت على ظل الزوال - وهي المذكورة في الحروف اعلاه - في اليوم الذي انت فيه ثلاثة وثلاثين قدما وثلاث قدم كان ذلك ظل آخر الساعة الاولى وآخر الحادية عشرة ، وان زدت على ظل الزوال ثلاثة عشر قدم كان ذلك ظل آخر الساعة الثانية وآخر العاشرة ، وأذا زدت على ظل الزوال ستة اقدام وثلاث قدم كان ظل آخر الساعة الثالثة وآخر التاسعة وان زدت على ظل الزوال قدما واحد وثلاث قدم كان ذلك ظل آخر الساعة الخمسة وآخر الساعة السادسة هو ظل الزوال. 1

ولمعرفة الساعات الزمانية في الليل و حيث انه تظهر فيه منازل القمر بادية للبصر

ط	ز	هـ	ج	ب	ا	ا	ب	د	هـ	ح	ي
يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
9	7	5	3	2	1	1	2	4	5	7	11

والساعات فيه مجهولة عليه فكلما طلع الليل منزلة احتسبت ساعة غير سبع والبدائية من نظير الشمس وهو المنزل الخامس عشر منها الذي طلع عند غروبها اذ منزلة القمر في اليوم تحتسب عند شروق الشمس ، واحتساب ساعة الا سبع جاءت نتيجة لقسمة الساعات الزمانية وهي اثنتا عشرة على اربع عشرة منزلا التي تطلع في الليل فينتج لكل منزل ساعة غير سبع ولذلك نقول: كلما طلع منزل مضت ساعة غير سبع وتتبع ذلك فاذا طلعت سبعة منازل فقد مضت من الليل ست ساعات وذلك نصف الليل وقس عليه ما بقى .

هنا يجب ان ننبه ان المراد بالساعة الزمانية هو احترازا من الساعة الاعتدالية والفرق

بينهما ان الساعة الاعتدالية لا تزيد في نفسها ولا تنقص بل كل واحدة منها فيها خمس عشرة درجة وهي اربعة وعشرون ساعة اثنتا عشرة ساعة في الليل واثنتا عشرة ساعة في النهار وهذا في زمان الاعتدال واما في غيره فان ساعات النهار ينقص عددها ويزاد في ساعات الليل في الشتاء وساعات الليل ينقص عددها ويزاد في عدد ساعات النهار في الصيف. واما الزمانية فانها تزيد وتنقص في نفسها لانها تكون طويلة في النهار الطويل وفي الليل الطويل وقصيرة في النهار القصير والليل القصير وعددها اثنتا عشرة ساعة في النهار ولا تزيد ولا تنقص وفي الليل اثنتا عشرة ساعة لا تزيد ولا تنقص.

وهذه هي الساعات والدرجات التي عناها مؤلف مخطوط الذي نقله مصطفى الخوجة " وكل نهار يقيموه بالساعة والدرجات الى الدولة الحفصية كثر الظلم ..... الى قوله: وأبطلوا الساعة والدرجات وركبوا القادوس يقسمون به الليل والنهار "1

#### 4.2.2 التعديل في الدورات المائية

حتى قبل استبدال الساعات بالقادوس اجريت العديد من التحويلات والتعديلات على الدورات المائية ومبدأ حسابها وتقسيم الوحدات الداخلية لتوزيع المياه و مخطوط مصطفى الخوجة ذكر في حدود ثلاثة تحويرات تمت قبل القرن العاشر الهجري وجلها في تحديد عدد ايام الدورات المائية واهمها التعديل الاخير الذي تم فيه استبدال الساعات بالقادوس ، وهذا التعديل الاخير لم يشر فيه المخطوط انه تم تعديل عدد ايام الدورة الواحدة ، في حين نجد بالوثائق وحجج البيع والشراء بعد القرن العاشر تشير الى ان ايام الدورة في كل من ساقيتي تصكو و تاروت هي ثلاثة عشرة يوما ولهذه الايام تسميات مخصوصة لم يردها المخطوط مما يعني ان هذه تعديلات تمت بعد تاريخ المخطوط .

تشير احدا الوثائق التي نشرها المرحوم بشير قاسم يوشع<sup>2</sup> انه في القرن التاسع الهجري

1 - مخطوط غدامس مرجع سابق

2- بشير قاسم يوشع وثائق غدامس - وثائق تجارية تاريخية اجتماعية رقم 2 منشورات مركز دراسات جهاد اللببين الوثيقة رقم 149 ص 349

كانت التقسيمات المستخدمة في ساقيتي تصك وتاروت هي الضرميسة والنتام والفانوز ودون توزيعها على ايام الدوره في حين ان الوثائق المتأخرة تشير الى ان التقسيمات المستخدمة للساقيتين المذكورتين هي الضرميسة والفانوز و ان النتام يستخدم لحساب ساقية تنبيشين مع تحديد توزيع التقسيمات على ايام الدورة بمسميات ايامها. وهذه التحويرات الاخيرة التي تمت بعد تاريخ المخطوط لم نجد أي مرجع يشير لزمان وقوعها والمسببات التي ادت اليها وكيف تمت. وان كانت هذه الورقة هي التي بنت عليه في توزيعها لايام الدورة حسب منازل القمر.

### 5.2.2 استخدام منازل القمر في تحديد الدورات المائية

وان ابطلت الساعات والدرجات اليومية والنهارية ولكن طريقة احتساب الدورات المائية ومبدأها ومنتهاها فقد استخدمت فيه مطالع المنازل والتي كانت تستخدم في السابق لتحديد الساعات والدرجات الليلية، واستخدموا اعداد المنازل القمرية ومبدأها في تحديد الدورات المائية السنوية فجعلوا هذه الدورات مساوية لمنازل القمر الثمانية والعشرين والتي تظهر كل ثلاثة عشرة يوما ، وذلك ليسهل تحديد مبدأ ومنتهى كل ظمي وجعلوا مبدأ السنة المائية ببداية المنازل المستخدم عند العرب أي عند ظهور منزلة الشرطان او الناطح عند برج الجدي والتي تظهر عند شروق شمس اليوم الثاني عشر من شهر مايو<sup>1</sup> بالتاريخ الغورغوري والذي يوافق الاول من مايو الاعجمي في مبدأ استخدام النظام .

وجعلوا الدورات الصيفية مساوية لعدد ايام كل منزلة قمرية وتبلغ عدد دوراتها ثمانية دورات تبدأ بمنزلة الشرطان وتنتهي بمنزلة النثرة. وفي مطلع الدورة التاسعة بظهور منزلة الطرفة ببرج الاسد تبدأ الدورات الخريفية التي تم ضمها لتصبح أربع دورات تدور كل ثلاثة وعشرون يوما، وهنا تظهر اهمية منزلة الجبهة التي تأخذ من الايام اربعة عشرة يوما بدلا من ثلاثة عشر وهذا طبقا لحساب منازل القمر كما يضاف الى هذه المنزلة وهي الجبهة يوما آخر كل اربعة سنوات أي في سنة الكبس. ويضم هذا الفصل من المنازل سبعة منازل.

1 - سالم بن بشير كتاب الانواء ومنازل القمر كتاب اكتروني

اما الدورات الشتوية فعددها دورتان<sup>1</sup> وعدد ايامها خمسة وستون يوماً تبدأ بظهور منزلة الزبان وتنتهي بمنزلة النعائم وتضم خمس منازل. وفصل الربيع جعل عدد دورته ثلاثة دورات تدور كل واحدة في ستة وعشرين يوماً، وعدد منازلها ستة منازل تبدأ بمطلع منزلة البلدة وتنتهي بمنزلة الفراغ المقدم. اما الدورتين الاخيرتين فتسميان ابرير وتدور كل ثلاثة عشرة يوم تبدأ بطولع منزلة الفرع المؤخر للدورة الاولى ومنزلة الرشا او بطن الحوت للدورة الثانية.

التقسيم المقدم للدورات وضمها ليس ثابتاً لكل السنوات ولكن يتم تعديله كلما احتاج الامر لذلك والمبدأ العام في بداية الدورات يبقى ثابت بحيث كل صاحب نصيب من المياه يؤخذ نصيبه بما يتناسب مع الضم والفك للدورات.

الجدول (1) المرفق يبين عدد الدورات وعدد ايامها ومنازل القمر والبروج لكل دورة

### 3.2 الساعة المائية (القادوس)

لتحديد الفترة الزمنية اللازمة للري لكل صاحب سهم تم ابتكار القادوس الساعة المائية او آلة ضبط الوقت، وقريب من هذه الالة عرفت عند فقهاء المسلمين باسم القلد، وهي في استعمالهم عبارة عن الالة التي يتوصل بها لإعطاء كل ذي حق حقه من الماء من غير نقص ولا زيادة<sup>2</sup>. وجاء في المنتقى شرح موطأ مالك قوله في باب القضاء في المياه (والقلد على أنواع منها أن يؤخذ قدرٌ ويُثَقَّبُ فِي أَسْفَلِهَا تُقْبٌ وَيَمْلَأُ مِنَ الْمَاءِ وَيَكُونُ قَدْرٌ أَقْلَهُمْ نَصِيبًا مَقْدَارَ مَا يَجْرِي مَائُهُ عَلَى ثِقَبِهِ تِلْكَ فَتَمْلَأُ وَلَا يَزَالُ صَاحِبُ الْحِصَّةِ مِنَ الْمَاءِ يَأْخُذُ مَاءَ الْعَيْنِ كُلَّهُ وَيَصْرِفُهُ فِيمَا شَاءَ إِلَى أَنْ يَفْنَى مَاءُ الْقَدْرِ ثُمَّ يُمْلَأُ لِلَّذِي يَلِيهِ مَرَّةً أَوْ

1 - نور الدين مصطفى الثني محاضرة بعنوان ( عين الفرس بغدامس معلم حضاري مميز ) تم القاها ضمن المواسم الثقافية لمركز جهاد اللبين للدراسات التاريخية .

2 - محمد بن عبد الله الخرشى شرح مختصر خليل ج 20 ص 381

مَرَّتَيْنِ ، أَوْ ثَلَاثَةً بِحَسَبِ حِصَّتِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ) . 1

وقد ذكر ابي عبيد البكري<sup>2</sup> في كتابه المسالك والممالك ، استخدام نفس هذه الالة في مدينة توزر بالجنوب التونسي باسم القدس وقال واصفا للمدينة وطريقة السقي فيها (وهو ان يعتمد الذي يكون له دولة السقي الى قدس في اسفله ثقبه بمقدار ما يسدها وتر قوس النداف ، فيملؤها بالماء ويعلقه وسقي حائطه او بستانه من تلك الجداول حتى ينفد ماء القدس ثم يملأه ثانية . وهم علموا ان سقي اليوم الكامل هو مائه واثنان وتسعون قدسا).

القادوس الغدامسي عبارة عن وعاء نحاسي على شكل قدر اجمالي سعته في شكله المتأخر حوالي 4.5 لتر ، يوجد باسفله ثقب للتفريغ ، وله زاندين علويتين للتعليق ويستخدم كساعة مائية .

### 1.3.2 البدا في استعمال القادوس

جاء ذكر للقادوس بغدامس في مخطوط غدامس الذي نقله مصطفى خوجة المصري سنة 1181 هـ حيث قال في معرض حديثه عن سواقي وتوزيع المياه في غدامس ( وفي زمن دولة الحفاصة كثر الظلم في البلاد من تونس وطرابلس وزاد جماعة في الساقية وجبة في الليل والنهار) أ.هـ واستمر بذكر وجه الظلم في زيادة الوجبات وعدد الايام والليالي لمختلف السواقي الى ان قال ( وبطلوا الساعة والدرجات وركبوا القادوس يقسمون به الليل والنهار ) أ.هـ واخذ في وصف القادوس وطريقة العمل به. والمتتبع لنشأة الدولة الحفصية الى نهايتها يلاحظ انها دولة طال عمرها اذ امتدت لفترة 378 سنة هجرية بداية من سنة 603 هـ والى سنة 981 هـ . وفي أواخر نهايتها تدخل افريقيا ومعها المغرب الاوسط كله في دور طويل من الاحتضار والفوضى وتشتد الحروب البحرية بين مجاهدة البحر والاوروبيين ، ولعل هذه هي الفترة التي أشار اليها المخطوط والتي نرجح ان

المنتقى شرح موطأ مالك

1 - أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي

ج 4 ص 38

2 - ابي عبيد البكري = هو عبدالله بن عبد العزيز بن محمد بن ايوب بن عمرو البكري المشهور بكنيته ابو عبيد ، وولد سنة 400 هـ / 1010 م ، وانتهى من تأليف كتابه المسالك والممالك سنة 460 هـ / 1058 م .

تكون بداية استخدام الساعة المائية ( القادوس ) بگدامس وهي الربع الثاني من القرن العاشر للهجرة .

### 2.3.2 طريقة عمل القادوس وعدد القواديس اليومية

اسلوب عمل هذه الساعة المائية يستدعي وجود قيم عليها طوال الوقت ، لذلك يتناوب عليها شخصان احدهما للفترة الليلية والآخر للنهارية ، ومبدأ اليوم عندهم بمغيب الشمس وحتى طلوع الشمس اليوم التالي وفترة جلوس المناوب الليلي ينتهي بانقضاء عشرة قواديس من طلوع الشمس ، ومن تم يستلم المناوب النهاري عمله ، ويطلق على عامل القادوس لفظ القداس.

يتم معايرة القادوس بمأ الاناء النحاسي والعد ثلاثمائة عدة بسرعة متوسطة ويتنفس العاد كل عشرة ، وتجربة العد بهذه الطريقة وجد ان الفترة الزمنية التي يستغرقها العاد تأخذ حوالي دقيقتان وخمسة عشر ثانية . الا ان هناك مصادر مختلفة ذكرت القادوس والفترة الزمنية التي يستغرقها لفراغه من الماء وهذه المصادر اختلفت في تحديد هذه الفترة الزمنية . فمصطفى الخوجة في مخطوطه والذي نسخه من زمام غدامس والمتوقع انه وضع بعد سنة ( 1018 هـ / 1609 م ) ، فقد اورد انه في الليل والنهار سبعمائة قادوس مما يعني أن الفترة الزمنية اللازمة لفراغ القادوس تستغرق دقيقتان وثلاثة ثواني وهذه الفترة الزمن اللازم للأملء . في حين ان الرحالة جيمس رينشاردسون<sup>1</sup> الذي زار مدينة غدامس سنة ( 1261 هـ / 1845 م ) ذكر في كتابه ترحال في الصحراء بمعرض حديثه عن العين ان في الساعة الواحدة اربعة وعشرون قادوسا ، بمعنى ان القادوس يفرغ في زمن قدره دقيقتان وثلثون ثانية وهذه الفترة شاملة لزمن الاملاء. اما الرحالة غيرهارد رولفس<sup>2</sup> الذي زار المدينة سنة (( 1287 هـ / 1865 م )) يذكر لنا ان القادوس يجري منه الماء خلال ثلاثة

1- جيمس رينشاردسون

منشورات جامعة قار يونس بنغازي

2- غيرهارد رولفس

- كلية العلوم الاجتماعية

ترحال في الصحراء - ترجمة / الهادي ابو لقمة -

عبر افريقيا - دراسة وترجمة د. عماد الدين غانم

التطبيقية جامعة طرابلس

جدول ( 2 ) لعدد القواديس اليومية لسنوات مختلفة

المصدر	التاريخ	زمن فراغ القادوس	عدد القواديس في اليوم	زمن الاملاء المستغرق في اليوم/ دقيقة	ملاحظات
المعايرة	--	دقيقتان وخمسة عشر ثانية	617 قادوس	52 دقيقة	
بداية استخدام القادوس	925 هـ / 1519 م	دقيقتان	700 قادوس	58.3 دقيقة	شامل فترة المأ **
جيمس ريتشاردسون	1261 هـ / 1845 م	دقيقتان وخمسة وعشرون ثانية	576 قادوس	48 دقيقة	شامل فترة المأ
غير هارد رولفس	1287 هـ / 1865 م	ثلاثة دقائق	467 قادوس	39 دقيقة	

\*\* فترة ملاء القادوس وتعليقه في مكانه تأخذ تقريبا من الزمن خمسة ثواني.

بمقارنة الفترة الزمنية لفراغ القادوس واعادة ملاءه منذ بداية نشأته ( 1500 م ) تقريبا والى غاية زيارة الرحالة الانجليزي جيمس ريتشاردسون للواحة سنة ( 1845 م ) والتي عدت بمدة قدرها 375 سنة زادت المدة الزمنية اللازمة لفراغ القادوس من دقيقتان الى دقيقتان وخمسة وعشرون ثانية ، أي ان عدد القواديس اليومية تضاعلت من 700 قادوس سنة 1500 م الى 576 قادوس سنة 1845 م أي بمعدل نقص سنوي يقدر 0.4 قادوس في السنة . وهذا المعدل مقبول جدا مقارنة بمعدل التناقص السنوي لعدد القواديس للفترة الزمنية التي تفصل زيارة جيمس ريتشاردسون عن زيارة الرحالة الالمانى رولفس الذي زار الواحة سنة 1865 م والتي تبلغ عشرون سنة ، حيث قدرت فيها عدد القواديس اليومية 467 قادوس ، اي بمعدل تناقص سنوي

قدره 5.5 قادوس سنويا .

ولكن لماذا حدث هذا التغير الحاد في عدد القواديس اليومية وفي فترة زمنية قصيرة قدرها عشرون سنة؟

### 3.3.2 اسباب التعديل في عدد القواديس اليومية

1.3.3.2. كانت واحة غدامس تحكم نفسها بنفسها عبر نظام اجتماعي داخل ولم تتبع أي نظام سياسي حاكم اخر ، سوى انها كانت تدفع ضرائب معلومة لجهات حاكمة اخرى دون ان تكون لها سيادة حاكمة عليها ، فقد دفعت للدولة الحفصية اربعمائة مثقال مشاركة مع مدينة درج ، كما دفعت لرمضان باي بعد حرب جرت بينهما . وفي العهد القره مانللي دفعت 20 الف مثقال من الذهب و 120 الف محبوب ذهبي مصاريف الجيش القره مانللي الذي وجه للواحة . وهذا دون ان تكون لهذه الكيانات السياسية أي سلطة عليها الى غاية العهد العثماني الثاني حيث تم تعيين حاكما تركي على الواحة سنة 1843م ، ونتيجة لهذا التسلط فرضت العديد من الضرائب على الاهالي اسوة بالمناطق الاخرى التي تتبع الامبراطورية العثمانية ، فقد فرضت ضرائب على الاشخاص والاشجار والحيوانات وايضا على مياه عين الفرس فقد ذكر احد الرحالة " جميع الماء المستخدم في السقاية اصبح ملك للدولة وتجبي حوالي خمسون الف فرنك أي انها تتقاضى عن كل ضرميسة ما يعادل 80 ريال سييلي وهو ما يعادل 50 فرنك وعشرين قرش " .<sup>1</sup>

ثم جاء امر الباشا تعويضا عن عزوف الاهالي المشاركة في مساندة العثمانيين بحربهم في الصحراء لفرض وجباية خمسين الف محبوب ، نزعت من حلي النسوة وبناتهن وعرضت بيوت الكثيرين للبيع الفوري مما اضطر معه المواطنين لحشد نساءهم واطفالهم

1 - عبر افريقيا مصدر سابق

في الشوارع استنادا وتوسلا لموظفي الضرائب ، وهو ما دفع الحكومة كتأديب لهم الى اقرار عشرة آلاف محبوب اخرى كفرامة ملزمة السداد وغير قابلة للتأخير علما بان ما كانت المدينة تقوم بسداده الى خزينة القره مانليين لم يزد عن ثمانمائة وخمسون محبوب في السنة.<sup>1</sup>

2.3.3.2 انخفاض انتاجية العين وبالتالي كمية المياه لم تعد تكفي للري الاراضي الزراعية ، ووضح ذلك جليا بانخفاض منسوب مياه العين عن ساقيتي تندفران وتنجلون فأصبحتا خارج العمل ، وفي بداية القرن التاسع عشر حاول الاهالي ايجاد مصدر مائي رديف لدعم مياه العين وذلك باستغلال النبع الموجود بمنطقة او عياد بالقرب من العين و بادروا بالعمل لبناء حوائط سائدة للنبع واستمروا في العمل حتى تدفقت المياه ونتيجة لتسرب المياه تهدمت الارض من جانبي النبع وغطت المياه المكان ، وعجز الاهالي عن اعمال الترميم وذلك لعدم توفر الخبرة الفنية لمثل هذه الاعمال الى جانب الحاجة الى التغطية المادية الكبيرة التي تحتاجها مثل هذه الاعمال ، واهمل الاستفادة من هذا النبع الى غاية سنة 1870م حيث قام مجلس غدامس بتقديم عريضة للوالي العثماني<sup>2</sup> شارحا فيه الوضع الذي يعانيه الاهالي من نقص المياه وامكانية ترميم نبع او عياد في توفير مياه اضافية للمدينة طالبا المساعدة المادية والفنية لاستخراج المياه من هذا النبع.

لهذه الاسباب من زيادة الضرائب وارهاق كاهل الاهالي بها من قبل السلطات الحاكمة ونقص كمية المياه المنتجة من العين ، حدا بالكثير من المواطنين لتترك مزارعهم لعدم القدرة على سداد الاعشار المفروضة عليها وعدم توفر كميات المياه لري مزارعهم هبطت قيمة السهم في العين واضطر الكثيرين لبيع اسهمهم ونتيجة لذلك تم تقليل عدد الضراميس في اليوم وذلك بتقليل عدد القواديس وهذا لا يتأتى الا بزيادة الفترة الزمنية

<sup>1</sup> - جيمس ريتشاردسون مرجع سابق

2 - Notizie sul Caza di Gadames  
commando del corpo di occupazione della  
Tripolitania

لفراغ القادوس . وهذا نلمسه في عدد الضراميس في الدورة الواحدة عند زيارة رولفس للواحة حيث بلغت تسعمائة وخمسة وعشرون ضرميسة أي بمتوسط سبعة قواديس للضرميسة الواحدة في حين ان الضرميسة الواحدة تبلغ عشرة قواديس .

انظر بياني ( 1 ) لمعدل التناقص السنوي للقواديس اليومية

### 3. نبعي تالا

بئري تالا يقعان على بعد مائة متر لشمال غرب عين البلدة ، عمقهما حوالي ثلاثة امتار وحجمهما مختلفان ويرويان مايزيد عن خمسة هكتارات ، وجدرانهما مكسوة بالحجارة ، ويبعد البئر عن الآخر بحوالي عشرة امتار، ويتم استخراج المياه منهما بطريفة الشادوف ، وهي طريفة قديمة استخدمت في العديد من الحضارات القديمة .

وتتمثل هذه الطريقة في وجود اعلى كل بئر منهما وتدين من جدع النخل يقطعان كل بئر طوليا ، وطول كل جدع منهما خمسة امتار ، والجدعان يرتفع احدهما عن الاخر بحوالي المتر ، والعلوي منهما مجوف ليسهل عملية مرور المياه من خلاله ، اما الاخر فيستخدم لوقوف الاشخاص الموكلين لاستخراج المياه من البئرين ، وعلى احد جهات كل بئر يرتفع جدار بطول الثلاثة امتار منصوبا عليه خمسة اوتاد من جدع النخل وفي نهاية كل وتد يتدلى دلو مشدود بحبل في نهايته ، ام اسفل الوتد فيوضع ثقل ليساعد في عملية استخراج المياه ، وكل وتد من هذه الاوتاد العشرة له اسم خاص به ، كما يطلق هذا الاسم على يوم من ايام الدورة المائية للبئرين .

الدورة المائية في بئري تالا تدور في تسعة ايام واسماؤها هي مقماقا ، ابوبكر ، دخلاني ، بابراهيم ، نصر ، باموسى ، نوعثمان ، نو زنفينة ، و نو عمرو - وهذه الاسماء اغلبها اسماء لعائلات في حي بني مازيغ - وهي نفس اسماء التي تطلق على الأوتاد سوى أن الوتد العاشر يطلق عليه مراوت (بمعنى العاشر) والذي ليس له يوم

مخصوص . وكل يوم من هذه الأيام يقسم إلى

جزأين وكل جزء منهما يطلق عليه وجبة ، والاصطلاح الموضوع لكل وجبة من اليوم صبيحة وعشية ، وفي كل وجبة مائة قادوس ، والوجبة الواحدة تكفي لري مامقداره ثلاثة آلاف متر مربع من الأراضي المزروعة بأشجار النخيل وبعض الخضراوات . وعملية استخراج المياه تبدأ بالفترة الصباحية وحتى الكمية المستحقة حسب التملك او الكراء ، وكانت طريقة العمل بهاتين البئرین اذا تم الوصول للكمية المستحقة حسب التملك او الكراء يصيح القائمون باستخراج المياه "" تالا "" لاعلام القائم بعملية الري ان عملية استخراج المياه قد اكتملت ، واذا لم يكن المزارع قد انهى الري يصيح "" مراوت "" بمعنى انه يريد الزيادة بما مقداره عشرة دلاء اخرى ، واذا تم استخراج الكمية المطلوبة يصيح القائمون بعملية استخراج المياه بلفظ مراوت دلالة على الانتهاء . والزيادة الاخيرة تم ابطالها بناء على اتفاقية ابرمت بين اهلي حي بني مازيغ وتم في هذه الاتفاقية فرض عقوبات مالية للمخالف .

وضع المستحقون لمياه تالا اتفاق لاعادة تنظيم وتقنين توزيع المياه وذلك في سنة (1346هـ - 1927 م) وفرضوا غرامات مالية للمتجاوز وجاء في هذا الاتفاق " كل واحد لا يسوغ له ان يجبذ من العين المذكورة الا منابه الخصوصي، ومنعوا المنع الكلي في الجبذ المعروف عندهم المسمى بلفظ مراوت وتيسيق الماء ، ومنعوا الجبذ في يوم الجمعة مطلقا ولو قطرة ، ومنعوا ايضا الجبذ المتروك الا لمستحقه واما غير مستحقه فممنوع عنه الجبذ الا بكرهه من مستحقه ، واما من غير كرية لا يسوغ له الجبذ ولو باعطاء او تسامح من صاحبه لانه ينشأ من ذلك ضرر من جبذ منه من غير كرية ، وتحقق ذلك يعطي للجماعة عشرين فرنك جزاء ، ومستحق الماء المتروك ان تفضل به على احد من غير كرية يعطي كذلك عشرين فرنك جزاء ، بهذا الوصف اتفقوا وعليه تفاوضوا وتعاهدوا ، فمن خالف ذلك وجاوز الحد تجازيه الجماعة المذكورة بما تستنفس على قدر حاله من عشرين فرنك الى خمسين فرنك ولاجل ذلك وقع منهم هذا الاتفاق" .

## الخلاصة

حالة في هذه الورقة الاجابة على ثلاثة اسئلة التي قدمتها في مقدمة هذه الورقة ، والتي كانت تجول في خاطري منذ مدة ، وحالة بصعوبة تقديم تحاليل مختصرة للشواهد والاستنتاجات للاجابة على هذه الاسئلة ، وذلك حتى اوفق للشروط الموضوعية من قبل معدي هذا المؤتمر من حيث عدد صفحات الورقات المقدمة والمدد الزمنية التي ستعطى لعرض هذه الورقات خلال المؤتمر . وخلصت الورقة الى //

● عين الفرس هي عين متأخرة في نشأتها عن تاريخ نشأة الواحة وانها نبعت من تحت حافر فرس الفاتح عقبة بن نافع الفهري وكان ذلك في اواخر العقد الخامس من السنة الاولى للهجرة وحسب الرويات التي ترويها العديد من المراجع التاريخية . وان المواقع الاخرى والمعروفة باسماء ماء الفرس ليس لها علاقة بحادثة تفجر المياه من تحت حافر قدم عقبة .

● الساعات والدرجات التي ابطل العمل بها في حساب توزيع مياه العين ، هي تلك الساعات التي يتم العمل بها في معرفة المواقيت اليومية والصلاة معتمدة في ذلك على عدد اقدم ظل زوال الشمس والتي وضعت لها قاعدة ( طزه جبا ابدته حي ) . كما ان دورات مياه العين تركز في معرفة مبدأها ومنتهاها على علم الفلك ومعتمدة على مجموعة نجوم محددة تعرف بمنازل القمر التي تظهر في السماء في صبيحة فجر كل يوم .

● زيادة الضرائب وارهاق كاهل الاهالي بها من قبل السلطات الحاكمة ونقص كمية المياه المنتجة من العين ، حدا بالكثير من المواطنين لترك مزارعهم لعدم القدرة على سداد الاعشار المفروضة عليهم اضطر الكثيرين لبيع اسهمهم وتم تقليص عدد الضراميس اليومية للتخفيف من حدة الضرائب المفروضة عليهم وذلك بتقليل عدد القواديس وهذا لا يتأتى الا بزيادة الفترة الزمنية لفراغ القادوس .

- نبع تالا من المصادر القديمة والمهمة لجزء من سكان الواحة وان لها دورة وحساب مستقل عن حساب دورات عين الفرس ، وان كانت تستخدم في توقيتها نفس القادوس المستخدم في توقيت حساب مياه العين .

### اهم المراجع التي اعتمدت عليها الورقة

- 1- ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب
- 2- ابو الحسن علي بن الاثير الكامل في التاريخ
- 3- أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي المنتقى شرح موطأ مالك
- 4- ابي عبدالله محمد بن سعيد السوسي المزغيتي الممتع في شرح المقنع
- 5- ابي عبيد البكري كتاب المسالك والممالك
- 6- بشير قاسم يوشع وثائق غدامس - وثائق تجارية تاريخية اجتماعية رقم 2
- 7- تادايوش ليفيتسكي دراسات شمال افريقية الجزء الاول ترجمة احمد بومزقو
- 8- جاك تيري تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى ترجمة جادالله عزوز الطلحي
- 9- جيمس ريتشارد سون ترحال في الصحراء / ترجمة / الهادي ابو لقمة
- 10- د. السيد عبدالعزيز سالتاريخ المغرب في العصر الاسلامي
- 11- سالم بن بشير كتاب الانواء ومنازل القمر كتاب اكتروني
- 12- شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت الحموي معجم البلدان
- 13- شهاب الدين احمد عبدالوهاب النويري نهاية الارب في فنون الادب
- 14- غيرهارد رولفس عبر افريقيا دراسة وترجمة/ د. عماد الدين غانم
- 15- محمد بن عبد الله الخرشى شرح مختصر خليل

16- مصطفى الخوجة المصري نسخة من زمام بلد غدامس القديمة / كتاب

مخطوط

17- نور الدين مصطفى الثاني محاضرة بعنوان (عين الفرس بقدامس معلم

حضاري مميز)

Notizie sul Caza di Gadames

-18

commando del corpo di occupazione della

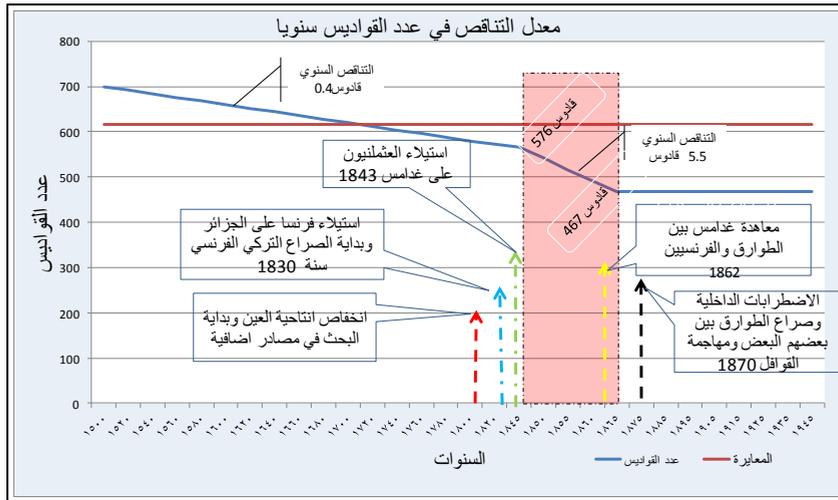
Tripolitania

جدول ( 1 ) الدورات المائية وحسابها بمنازل القمر

رقم الدور	عدد الدورات الاصلية المدمجة	الفصول	عدد الدورات	عدد ايام الدورة	عدد منازل القمر بالفصل	الدورات بالفصل	تاريخ بداية الدورة وبداية المنزلة		منزلة القمر بمبدأ الدورة	رصد المنزلة مبدأ الدورة
							تاريخ ظهور المنزلة فجرا			
							تقويم غوري	تقويم اعجمي*		
1	1	الصفيف	13	1	8	الشرطين	1 مايو	12 مايو	الشرطين	فجر اليوم
2	1		13	2	104	البنطين	14/5	25 مايو	البنطين	فجر اليوم
3	1		13	3	8	التريا	27/5	07 يونيو	التريا	فجر اليوم
4	1		13	4	8	الدبران	9/6	20 يونيو	الدبران	فجر اليوم
5	1		13	5	8	الهقعة	22/6	03 يوليو	الهقعة	فجر اليوم
6	1		13	6	8	الهقعة	5/7	16 يوليو	الهقعة	فجر اليوم
7	1		13	7	8	الذراع	18/7	29 يوليو	الذراع	فجر اليوم
8	1		13	8	8	النثرة	31/7	11 أغسطس	النثرة	فجر اليوم
9	1.75	الخرى ف	23	1	7	الطرفه	13/8	24 أغسطس	الطرفه ، الجببة	فجر اليوم
10	1.75		23	2	92	الجببة	26/8	17 سبتمبر	الجببة ، الزبيرة ، الصرفة	10 ايام من الظهور
11	1.75		23	3	4	الصرفة	29/9	10 أكتوبر	الصرفة ، العوا ، السمك	6 ايام من الظهور
12	1.75		23	4	4	السمك	20/10	1 نوفمبر	السمك ، الغفر	3 ايام من الظهور

رقم الدور	عدد الدورات الاصلية المدمجة	الفصول	عدد الدورات	عدد ايام الدورة	عدد منازل القمر بالفصل	الدورات بالفصل	تاريخ بداية الدورة وبداية المنزلة		رصد المنزلة	
							تاريخ ظهور المنزلة فجرا	تاريخ ظهور المنزلة فجر		
13	2.5	الشتاء	1	2	5	32	13/11	24 نوفمبر	الزبان ، الاكليل ، القلب	
14	2.5		2	65	33	32	15/12	26 ديسمبر	القلب ، الشولة ، النعائم	
15	2	الربيع	1	78	6	26	17/01	28 يناير	البلدة ، سعد ذايح	
16	2		2			26	26	12/02	23 فبراير	سعد بلع ، سعد السعود
17	2		3			26	26	10/03	21 مارس	سعد اخبية ، الفرع المقدم
18	1	ابرير	1	26	2	13	05/04	16 ابريل	الفرع المؤخر	
19	1		2			13	26	18/04	29 ابريل	الرشاء او بطن الحوت

### بياني ( 1 ) يوضح التناقص السنوي في عدد القواديس اليومية





## قراءة في دفاتر عين الفرس "غسوف" :

### عبد الجبار عبد القادر الصغير

تتناول هذه الورقة بعض المعلومات عن غسوف وتتضمن أهمية العين-الهيكل الإداري

لغسوف - أسماء السواقي - أسماء أيام الدورة المائية

"الوجبات"- وحدات قياس كمية الماء- الرموز

المستخدمة - سيمات عشائر غدامس في الحساب

المائي- نموذج للجرد السنوي و بيان ما خرج وما

دخل عام 1265 .

قال أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ولد 574

هجري وتوفي سنة 626 هجري متحدثاً عن عين الفرس : " في وسطها عينا أزلية

وعليها أثر بنيان عجيب رومي يفيض الماء فيها، ويقسمه أهل البلدة بأقساط معلومة لا

يقدر أحد يأخذ أكثر من حقه وعليها يزرعون"

الرموز	الأسماء
•	حية
0	عشرة حبوب
1	نصف ضرميسة
>	ربع ضرميسة
	ضرميسة
	ضرميسة ونصف
	ضرميستين
v	ضرميستين ونصف
<	ثلاث ضراميس
x	ثلاث ضراميس ونصف
o	اربعه ضراميس

كانت العين تروي 80% من مزارع غدامس ، وكان لها

خمس سواقي( تصكور، تاروط، ، تنقبشين، تندفران، تنجانون)

، تجري ليلا و نهارا ، وقد روعي لها نظام للري و الزراعة

فريد من نوعه ، توزع مياهها بواسطة القادوس الساعة المائية

وهو سطل متوسط الحجم في وسطه ثقب يملأه الميقاتي ويعلقه

في مسمار مغروس في الحائط ، وإذا فرغ السطل ، وعلامة

ذلك أن تقطر منه ثلاث قطرات منفردات يعقد عقدة واحدة

على سعفه (ورقة النخيل) ، ولكل ساقية دفتر خاص وكاتب

مهمته تسجيل الحصص المائية والمعاملات الاخرى كالبيع

والشراء والهبة والارث. وهذه بعض وحدات قياس كميات الماء في نظام توزيع مياه

غسوف (عين الفرس):

القادوس = عشر الضرميسة - الفانوز

$\frac{1}{4}$  ضرميسة - الضرميسة =  $\frac{1}{3}$

نتام - النتام = 16 فانوز القادوس = 3

دقائق الضرميسة = 30 دقيقة الفانوز =

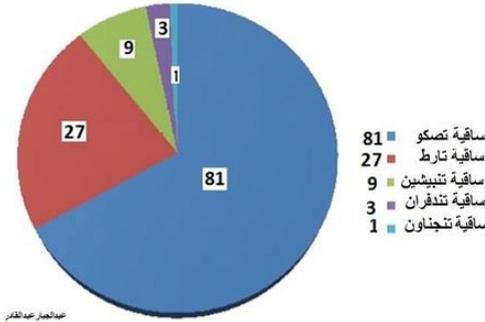
$7\frac{1}{2}$  دقيقة انتام =  $11\frac{1}{2}$  ساعة الحبة =

24 قراط القيراط =  $\frac{1}{2}$  ثانية.

سيمات عشائر غدامس في الحساب

الماني

الأجزاء في سواقي غسوف (عين الفرس)



عبدالجبار عبدالمقفر

غسوف (عين الفرس) هو عصب الحياة بمدينة غدامس ، وكانت السواقي تسير وفقا لنظام

محكم لتوزيع الماء ولكل ساقية هيكل

اداري يتكون من عدة اشخاص لكل واحد

منهم مهامه في توزيع المياه , ولكل ساقية

دفتر لتسجيل ملكية الحصص المائية

ويوجد دفتر يسمى اللوح وهو الدفتر

الرئيسي للعين وانبثقت من هذه الدفاتر

سيمات الحساب الماني وملكية الماء

الوسم	العشائر / مساجد / اوقاف
+	تصكو / درار / مازيغ
-	تقرقرة
○	تنقرزين
-	اولاد بالليل / جرسان
+	مساجد واوقاف

عدة سجلات فرعية ووثائق متنوعة . من تلك الوثائق دفتر جامع فيه الحصص المائية

مرققة بسيمات العشائر والمساجد والاقواف.

وحسب فهمي المتواضع لفكرة هذا الدفتر أن هذا التصنيف من شأنه مساعدة النائب في

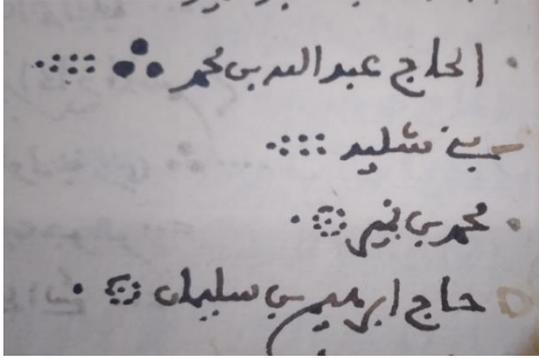
الوصول السريع الي اسماء الملاك ولحصصهم المائية بطريق سهلة وببسر اذ وضعوا

سيمة لكل عشيرة ثم يكتب اسم المالك او العائلة وحصته من الماء وكما هو معروف فاءن

النائب بين الحين والآخر يحتاج الي الاطلاع على الدفاتر لأغراض معينة تدوين وتوثيق

ومسح وتعديل و استخراج مقدار الضرائب والفريضة الشرعية التقرير السنوي لخلاصة

سنة المائية وغيرها . وبتصميم دفتر بهذه الطريقة لايحجأ النائب لطلب الدفاتر الاربع



وهي موجودة لدى اربعة رجال  
ليقوم بالبحث عن الاسماء بين  
مئات الاسماء المدونة في  
السجلات . باختصار شديد لقد  
تمكن الاجداد منذ تلك العهود  
من تصميم قاعدة بيانات  
(DATABASE)تقليلا

للجهد اسعافا للوقف وبالتالي تيسير وتنظيم العمل

### الاول من مايو في مدينة غدامس

يحتفل العالم اليوم بعيد العمال ويعزى ذلك إلى الاضراب الكبير في مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية في اواخر القرن التاسع عشر وهو يوم عطلة في كافة المجالات، والميادين في عدد كبير من دول العالم. أما عندنا بغماس القديمة فهو يوم عمل دؤوب حيث تبدأ السنة المائية في نظام توزيع مياه غسوف (عين الفرس ) وتبدأ في أول يوم من شهر مايو حيث يتم بيع وايجار وتوثيق المعاملات وأسهم الماء في سجلات " غسوف "عين الفرس.

### الهيكل الاداري:

**القَدَّاس "الميفاتي" :** يجلس القَدَّاس او الميفاتي في مكان خاص بالقادوس " الساعة المائية" و مهمته هي حساب كمية المياه المخصصة لكل مزرعة تروي من غسوف "عين الفرس" وذلك عن طريق وعاء متوسط الحجم وسطه ثقب صغير ويجب أن يملأ ويفرغ عشرين مرة في الساعة الواحدة من خلال الثقب الذي بأسفله.

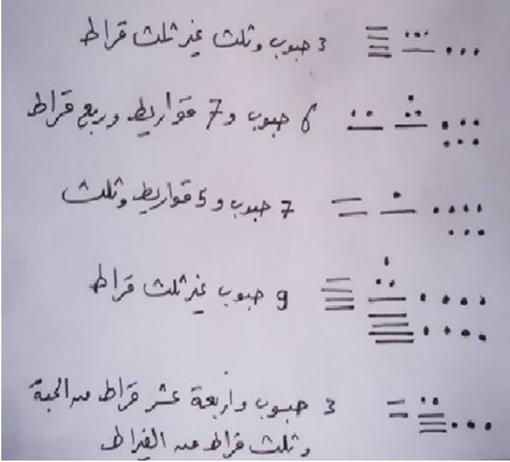
**أمين الدفتر:** يقوم بتوثيق التغييرات الطارئة في البيع والشراء وغيرها من المعاملات

**الكاتب:** يقوم بمساعدة امين الفتر له سجلات خاصة به

**النائب:** مهامه تعديل كميات المياه المستهلكة واستيفاء مستحقات اعضاء الهيكل الاداري

**المراقب :** " امجرّاي" مهمته مراقبة انتقال الماء من مزرعة الي اخري.

"اموماغ": يقوم بتنظيف السواقي بقلع الاعشاب وكل ما يعيق سير الماء تنتهي السنة المائية في نظام توزيع مياه غسوف (عين الفرس) في اخر يوم من شهر ابريل



وتبدأ في أول يوم من شهر مايو، ويتكون الهيكل الاداري لكل ساقية من: **النائب:** مهمته الحرص علي ضمان حصول كل مزارع كمية الماء المخصص له وتسجيل التغييرات الطارئة في الحصص المائية.

**الكاتب:** يقوم بمساعدة وله سجلات خاصة به

**المراقب:** امجراي مهمته مراقبة انتقال الماء من مزرعة الي اخري.

وهذا نموذج لمعاملة تمثل جزء من الجرد السنوي: بيان ما خرج وما دخل عام 1265:

اشتري الحاج محمد بن علي بن محمد الثاني:

- من أولاد عاسيب اليوم الخامس ضرميسة ونصف

- من صمي بنت يخلف الليلة الثانية فانزان

- من ابي بكر بن مهلهل من اسم محمد بن عمر بن مهلهل الليلية الثانية فانزان + فانوز من

اليوم الثالث

- من ابراهيم بسكوري من اسم محمد ومنصور القروي الليلة الخامسة فانوز

- من قاسم حودانة من اسم محمد بن محمد بن يدر اليوم الثامن فانوز

- من أولاد بن العالم من اسم محمد بن عمر بن عقبة الليلة العاشرة ضرميسة

-اشتري عمار بن عزي من ابي بكر بن مهلهل من اسم محمد بن عمر بن مهلهل الليلة

الثانية فانوز."

### السواقي الخمس:

- 1-ساقية تصكو  
2-ساقية تاروط  
3-ساقية تنقيشين  
4-ساقية تندفران  
5-ساقية تنجانون
- الوجبات "يوم وليلة":

وجبة أنفوس	وجبة اسحاق	وجبة بالي	وجبة أكاي
وجبة مولي	وجبة سنجاسن	وجبة بقايا	وجبة عمران
وجبة آدم	وجبة صالح	وجبة عقبه	وجبة شطار
وجبة طياش			

### وحدات قياس كميات الماء في نظام توزيع مياه غسوف (عين الفرس)

القادوس = عشر الضرميسة	الفانوز = $\frac{1}{4}$ ضرميسة	الضرميسة = $\frac{1}{3}$ ننام
النتام = 16 فانوز	القادوس = 3 دقائق	الضرميسة = 30 دقيقة
الفانوز = $7\frac{1}{2}$ دقيقة	انتام = $1\frac{1}{2}$ ساعة	الحبة = 24 قرط
القيراط = $\frac{1}{2}$ ثانية		

### الرموز المستخدمة لوحدات قياس حصص المياه :

"

حبة .	عشرة حيوب ⓪	نصف ضرميسة ا
ربع ضرميسة >	ضرميسة اا	ضرميسة ونصف ااا
ضرميستين ااا	ضرميستين ونصف V	ثلاث ضراميس <
ثلاث ضراميس ونصف X	اربعة ضراميس ونصف ○	

غسوف (عين الفرس) من المعالم الهامة بمدينة غدامس ومن الالهية بمكان الاهتمام بدراسة تاريخه وتكوينه الجيولوجي ،ومؤكد أن ذلك سيكشف لنا الكثير خاصة بعد أن اثبتت بعض الدراسات على بقايا من قاع العين وبعد اجراء تجارب الكربون المشع توصلت الي ان الحياة بالعين تعود الي 12 ألف سنة

## المراجع :

1. بشير قاسم يوشع – غدامس ملامح وصور بيروت : دار لبنان 1973 .
2. أحمد قاسم ضوي- غدامس بين الماضي والحاضر
3. دفتر ساقية تنوبيشي
4. وثائق من المكتبات الاسرية متعلقة بالحساب المائي لـ"عبد الفرس"

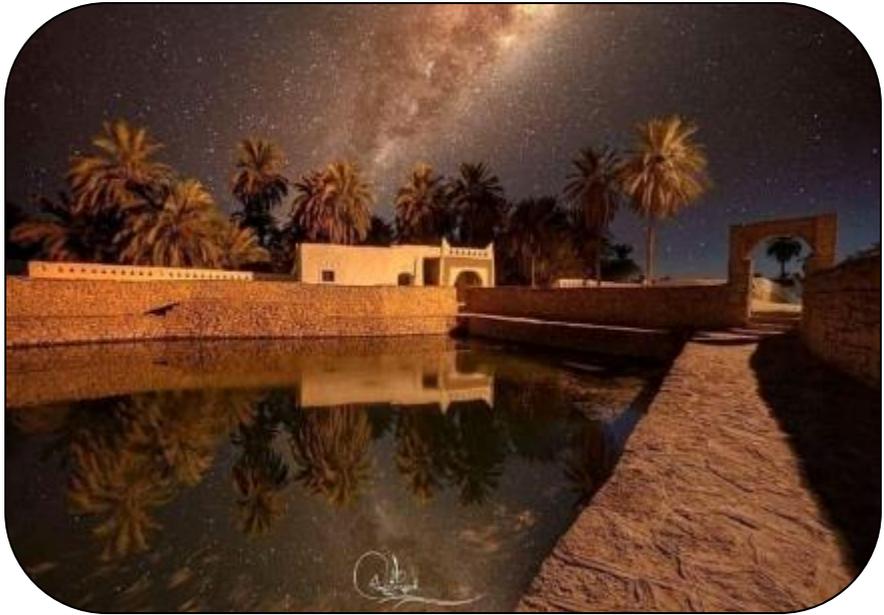
## غسوف وسواقيها في تجربتي الأدبية الرئيسي

إبراهيم عبدالجليل الإمام

قسم هندسة الاتصالات ، كلية الطيران والإرصاد الجوية ، اسبيعة / طرابلس ، ليبيا

### المقدمة

غسوف : عين الفرس" أصل مدينة غدامس ونشأتها ومنبع حضارتها التي امتدت عبر الأزمان .. انغرس حينا له وتغلغل في وجداننا وكياننا كما امتدت سواقيه وتوزعت في اركانها الأربعة لتروي كل تراب واحة الخير غدامس .. لهذا ولأسباب كثيرة غيرها كان لهذا النبع مكانة خاصة في نفسي أولا وبارزة في تجربتي الأدبية ثانيا وثالثا ودائما.



الأدب بجميع تصنيفاته : من شعر وموسيقى وأغاني وقصص ، إحدى الوسائل التي عبرت من خلالها الشعوب عن مشاعرهم .. بل كانت أهم وسيلة ووعاء لحفظ الكثير من التراث اللامادي للشعوب .



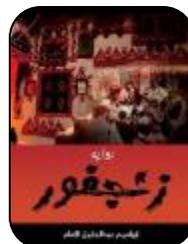
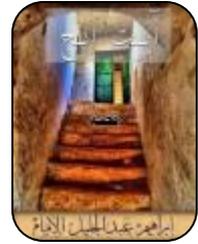
ليست غدامس استثناء في هذا .

فلها موروثها الخاص بها والذي حفظت من خلالها تراثها اللامادي

صارت القصة والرواية إحدى أسرع الوسائل للتواصل بين الشعوب وتناقل وتبادل الثقافات والمعارف .

حاولت من خلال تجربتي الأدبية المتواضعة استثمار هذا الفن العالمي لنقل صورة صادقة وواضحة للكثير من تراثنا وأدبنا وثقافتنا إلى الأجيال الحالية أولا ثم إلى الآخرين ثانيا وبعدها إلى العالم ثالثا .

فكانت لي محاولات التي أرجو أن يكتب لها النجاح والتوفيق





فرحت كثيرا عندما نمتى إلى علمي أن جمعية أنير التراثية عقدت العزم على أن تحي يوم السنة المائية الغدامسية .. خطرت ببالي فكرة كتابة قصة تتحدث عن هذه المناسبة وتوزع في هذا المحفل التاريخي المهم .. فكانت قصة :  
سلطان يوم الماء .

### سلطان يوم الماء

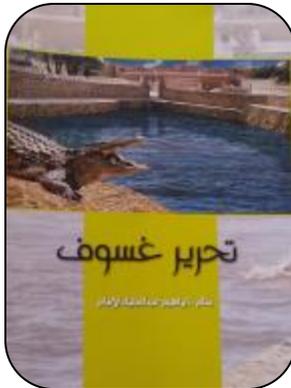


هي إعادة صياغة لواقعة تاريخية قديمة ومشهورة ومعروفة جرت قبل قرابة الخمسمائة عام ما بين عامي (900 - 960 هجرية) .

تدور أحداثها على المنافسة لشراء حصة من ماء غسوف عرضت للبيع في المزاد المخصص لبيع حصص المياه .. أبرزت فيها بعض معالم هذا الحدث وأهميته لدى أهالي المدينة كما توضح القصة أهمية الماء ونفاسته وغلاء سعره وطريقة المزايمة العلنية لشراء المعروض منه للبيع .

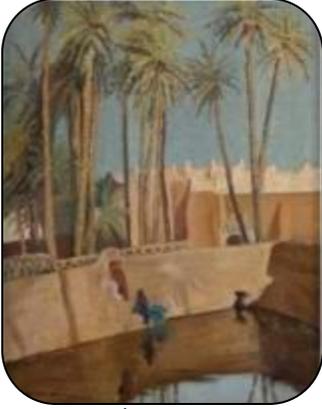
طبعت القصة ووزعت في أول مايو عام 2012 م وكان له صدى وأثر طيب ما شجعني على البحث عن قصة أخرى لتقديمها في الذكرى الثانية

### تحرير غسوف



كتبت هذه القصة لتقدم في الذكرى الثانية لمهرجان "أكراي يمزع" العودة إلى الأصل أو الجنور الذي تحببته جمعية إينير التراثية .

كانت الفكرة هذه المرة كيف سيتعامل أهالي الواحة إذا ما اكتشفوا ذات يوم أنهم فقدوا



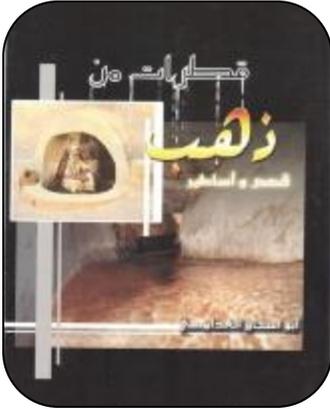
السيطرة والتحكم في مصدر حياتهم الوحيد تحت سيطرة كائن غريب وقاتل، كما أن في القصة اسقاطات على أحداث فبراير التي جرت في عام 2011 م

تحرير غسوف

أحد تجار القوافل القادمة من الحج المارة بمصر .. جلب هذا التاجر معه بيض تمساح بعد أن رأى هذا الكائن العجيب في مصر ..

لم يكن واثقا من نجاح فكرته لكنه فعلها ورمها في النبع الخالد غسوف وترك الأمر للصدفة

..



عض أحد السابحين ذات يوم شيء ما .. كان ذلك تمساح صغير .. كبير التمساح وصار يصطاد السابحين الغافلين .. استغل الأمر ليسيطر على النبع كله وبدأ يخرج ليصطاد نت النبع بحثا عن فرائسه .. ليدخل الازقة المجاورة ويحل الهلع والفرع كامل الواحة .. اصبح الامر خطيرا جدا ولا بد من حل لهذا الغاصب .. يمكنكم قراءة القصة لمعرفة باقي احداثها وتفاصيلها .

### قطرات من ذهب

مجموعة قصصية نشرت كذلك سنة 2012

تحتوي هذه المجموعة عدة قصص نقلت من خلالها للقاريء أكثر من لوحة ترتبط بالنبع

غسوف وسواقيه وبعض التفاصيل الدقيقة المتعلقة بهذه المنظومة العجيبة.

الساقية تدور

القداس

اموماغ

قطرات من ذهب

نبوءة ضفدع

واحة الخير



### قصة الساقية تدور

هذه القصة تدور أحداثها عن نظام السقاية الليلية مرض الأب وعدم تمكنه من السقاية وتقدم الابن لتولي التوجيهات اللازمة لإتمام العملية . رمزية القصة تتمثل في تنادي الري الغدامسية جيل عن جيل من خلال هذه القصة

### القداس

القداس إنه ذلك الشخص الذي يقبع تحت صومعته ليقوم بأهم جزء من أجزاء منظومة القادوس التي تضمن تنظيم الوقت أولا وتوزيع عادل وصحيح لحصص الماء لمستحقيها.

بفضل هذا القداس تستمر الحياة بشكل اعتيادي دون خصومات ولا مشاكل .

انقل من خلال هذه القصة مشاعر القداس النفسية خاصة وهو يقبع وحيدا طيلة النهار والليل في صومعته لا يغفل عن قادوسه .



### قطرات من ذهب

تتحدث هذه القصة عن فكرة نشأة القادووس .

وكيفية عمله وطريقة الحساب .

ومدى تأثير القادووس على الحياة العامة سلما واقتصادا

وضبطا للوقت وللحصص المخصص للاستهلاك

نبوءة ضفدع

قصة من ادب الحيوانات تدور أحداثها في مجتمع

الضفادع التي كانت تعيش على ضفاف النبع .. وتفاعلها

مع المحيط .

واحة الخير

قصة قصيرة تتحدث عن اصل النبع ومراحل كون الواحة ونشأتها على ضفافه .



## بوابة الصحراء

مجموعة قصصية نشرت سنة 2015

مكونة من مجموعة من القصص .

قصتان فقط لهما ارتباط بغسوف وسواقيها هما:

بوابة الصحراء

أموماغ

بوابة الصحراء



إحدى قصص المجموعة وحملت كذلك اسم المجموعة .. تدور أحداث القصة في الفترة التي سبقت الفتح الإسلامي الأول لقدامس عام 23 هجرية .

أهم أحداث القصة تتحدث عن اجتماع لحكام وملوك القصور السبعة المكونة لمجتمع غدامس القديم قبل الإسلام بعد سماعهم نبأ اقتراب قوات الفتح الإسلامي من واحتهم . كان مكان الاجتماع كما تخيلته بجوار ماء غسوف ..

لما لهذه العين من رمزية فلا شك أن أهم القرارات تتخذ هناك بجوارها .

القوس الشهير المقام على مدخل العين هو الذي عنيت به ببوابة الصحراء .

كما أن بوابة الصحراء احد الاوصاف التي اطلقت على واحة غدامس القديمة فكان لا بد من الإشارة إلى ذلك .

## أموماغ

قصة تتحدث عن شخصية من شخصيات منظومة الري والسقاية المتمثلة في الموماغ وهو الشخص الموكل إليه تنظيف السواقي .

فإذا علمنا حجم العمل المناط للموماغ وخطورته وكذلك أهميته التي يجهلها الكثيرون الآن فسنجد أن قصة واحد لا تكفي لهذه الشخصية للتعريف بها وبدورها في هذه المنظومة .



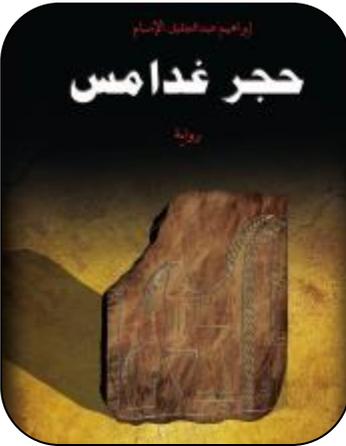
على هذا الموماع او المخترق ان يقوم بتنظيف سواقي العين .. وإذا علمت أن أطول ساقية "تصكو" يبلغ طولها أكثر من 2000 متر وان معظمها مسقوف وتمر تحت بيوت عرش تصكو .. أما اذا علمت انها معتمة وسيئة التهوية ورطبة وهو معرض للدغات الافاعي وانهيار سقفها فستكتشف خطورة مهمته وسنرفع للموماع أكثر من قبعة ..



### آخر رجال القادوس

إنه الصراع الأزلي بين الحداثة والأصالة متمثلة في شخصية رجل القادوس .

تتحدث القصة عن صراع القدّاس بين ما توارثه عن الأسلاف متمثلا في منظومة القادوس وبين الساعة الحديثة وإصراره على إبقاء القادوس وانقسام الناس بين مؤيد ومعارض لفكرة التخلي عن التراث ومجارة التطور والتقدم .



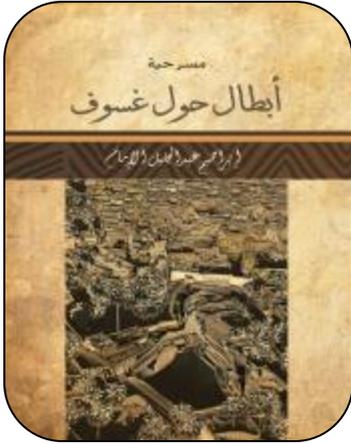
### لغز حجر غدامس

أحداث هذه الرواية تدور حول صراع لامتلاك حجر الغدامس النفيس الذي رآه احد الرحالة الأجانب فحاول الاستيلاء عليه .

في هذه الرواية تدور الكثير من أحداثها بجوار ضفاف العين

فلبطل الرواية علاقة عشق للنبع ولرائحته ما جعله يقضي بجواره ساعات طويلة متأملا ومتديرا .

## القادوس



لأنه أبو الشعوب ومعلمها وهو الأب الروحي للقصة والرواية والتمثيلية والفيلم كان لابد من خوض تجربة كتابة نص مسرحي لأنقل من خلالها لعشاق هذا الفن وجبة تراثية أخرى وبصياغة مختلفة عن القصة والرواية فكانت لي تجربتان .. قد تنتشران قريبا في كتابين منفصلين .

مسرحية / أبطال حول غسوف

مسرحية / القادوس

وأتمنى أن تكتحل ناظري برؤيتهما مجسدتين على خشبة المسرح قريبا

## الخلاصة

غدامس ثرية بتراثها للامادي الذي يمكن ابرازها للعالم من خلال القصص والروايات والمسرحيات .

كما ان لها تراثا قصصيا خاصا بها يمكن نشره و ابرازه ليتعرف العالم على أوجه جديدة للحضارة الأنسانية .

## التوصيات

- تشجيع المواهب الأدبية في المدينة .
- وضع خطط وورش عمل الهدف منها ابراز هذا الموروث بصور مختلف ومتعدد
- نشر المتج الثقافي لأدباء المدينة ليصل .
- ترجمت بعض الاعمال المميزة لتصل إلى باقي العالم .
- أرجو أن ترقى ورقتي لمستوى هذا المؤتمر العلمي .
- شاكرًا لكم سلفًا اهتمامكم بتاريخ واحة عريقة اصيلة تستحق من الجميع المساهمة في إبراز كل جوانب الحياة القديمة فيها بجميع الوسائل المتاحة .



## غدامس هبة غسوف

\*د. فوزي محمد عقيل، قسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني، كلية الهندسة،

جامعة المرقب، الخمس، ليبيا

د. سالم مفتاح الشريف، قسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني، كلية الهندسة،

جامعة المرقب، الخمس، ليبيا

د. أسامة عمر إشكورفو، -قسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني، كلية الهندسة -

جامعة غريان، غريان، ليبيا

أ. لطفي على سنان قسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني، كلية الهندسة، جامعة

المرقب، الخمس، ليبيا

### ملخص البحث

كما قال هيرودوت "مصر هبة النيل" فانه ولنفس الأسباب ستكون "غدامس هبة غسوف". لقد خلق الله الحياة وقد كانت أهم نعمه العظيمة التي تستحق الشكر كما كل النعم هو أن خلق سببا وسرا لنشوء واستمرار هذه الحياة. خلق الله الماء كأساس لوجود الحياة على الأرض وقد زادت أهمية المياه وبشكل ملح في المجتمعات العالية الحرارة لاستحالة قيام أي حضارة بلا ماء لأنه يقوم بدور محوري في التأثير على مناخ الأرض وهو أساس كافة الظواهر المتعلقة بالطقس وحالة الجو، ويعود ذلك إلى خاصية الماء المتميزة والمتمثلة بالحركية والسعة الحرارية العالية. ركزت هذه الورقة على عين الفرس (غسوف) مصدر الماء العذب بشكل رئيسي في مدينة غدامس القديمة الذي يستخدم للشرب بالإضافة إلى استخدامه في قضاء الحاجات المنزلية الأساسية فيما يخص الطبخ والنظافة الخاصة والاستحمام. أما على صعيد خارجي فيستخدم الماء بشكل أساسي في الزراعة، وخاصة من أجل الري، وكذلك في الصناعة وخاصة صناعة الغذاء. والبناء وما الى ذلك إضافة الى ما أنتجته هذه العين على المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي وتوضيح

أهميتها العظمى لهذه المدينة التي لولا هذه العين لما كانت أصلا ولولا استمرار العين لما استمرت لآلاف السنين. اعتمدت هذه الورقة على المشاهدة المباشرة وجمع المعلومات المكتوبة والمسموعة من أهل مدينة غدامس وتجميع المعلومات من الكتب وبعض الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع للوصول لأهمية هذا النبع هدية الله سبحانه وتعالى لهذا الموقع وما قدمه هذا النبع للإنسانية من هبة تمثلت في مدينة مرت عليها حضارات متعددة وعرفت بأسماء كثيرة وتعددت حسب لسان كل حضارة عرفتها.

الكلمات المفتاحية: الماء، المجتمعات العالية الحرارة، الطقس، السعة الحرارية العالية، مدينة غدامس.

### مقدمة

"مصر هبة النيل" القائل هو هيرودوتوس: مؤرخ يوناني قديم عاش في القرن الخامس قبل الميلاد ( 425-484 ) وهو ابو التاريخ في الحضارة الغربية بسبب كتاباته المهمة عن مصر القديمة و بلاد بابل و فارس في كتابه " التواريخ".

وقد قال مقولته هذه للتأكيد على أهمية نهر النيل للحياة في مصر، كذلك تأثيره على الحضارة المصرية حيث استخدم قدماء المصريين علومهم في إقامة مشاريع اقتصادية تعتمد على نهر النيل مثل إنشاء البحيرات والجسور وغيرها من المشاريع التي ساهمت في تحسين الزراعة والاقتصاد في مصر(1).

والحقيقة أن مقولة "مصر هبة النيل" لا يتعارض أبدا مع أن مصر هبة الله لان النيل هبة الله أيضا لكن الله جعل لهذه الهبة أن تكون سببا في وجود بلد مثل مصر لأن النيل الذي يجرى من أعالي جبال إثيوبيا ليشق طريقه خلال مصر ثم يصب ما بقى منه في البحر من آلاف السنين لم يكن مجرد صدفة او هو صنيعه احد فالذي أنزل الأمطار الغزيرة على جبال إثيوبيا من آلاف السنين بغزارة يستحيل معها الاحتفاظ بها وإلا غرقت البلاد هو الله لأنه هو الذي يسير السحب كيف يشاء، هو سبحانه الذى جعل المياه الغزيرة تشق لها طريقا داخل الحبشة نفسها ثم تندفع لتكمل الطريق عبر السودان المجاورة ثم

تستمر لتتشق لها طريقا عبر مصر ثم إلى فرعين داخل أرض الكنانة ثم إلى البحر. وبذلك فان الله سبحانه وتعالى جعل النيل ليكون سببا في وجود عدة بلدان منها مصر وقد وهب الله النيل ليهب به مصر .

تعتبر "عين الفرس" أو "غسوف" باللهجة الغدامسية كما يطلق عليها أهالي غدامس، أهم مصادر المياه قديما بالمدينة القديمة، وهي نبع ارتوازي كان الشريان الرئيسي الذي أعطى الحياة للمدينة القديمة ( 2 ). ويقال أن "عين الفرس" يرجع تاريخها إلى 4000 سنة تقريبا وهي عين طبيعية قديمة تتدفق منها المياه تلقائيا منذ عمر المدينة القديمة، وكانت المياه تنساب إلى المدينة عبر 5 قنوات تمر على معظم الجوامع والمساجد، كما تروي أراض زراعية تقدر بحوالي 200 هكتار، وتسقي حوالي 18 ألف نخلة ( 3 ). وأجريت للعين عدة خدمات تنظيف وصيانة في كل العهود التاريخية التي مرت بمدينة غدامس وكانت آخر صيانة لها في أواسط العام 1971 ، ثم بقيت مهملة لحوالي 35 سنة دون أن يستفاد منها. وأعيدت "عين الفرس" إلى سابق عهدها في 2006 ، بمشروع هائل ومدروس قام به البرنامج الانمائي للأمم المتحدة بتمويل من اللجنة العامة للسياحة، وعادت المياه إلى أفضل مما كانت وذلك بتغذية خزان العين بمياه من البئر الارتوازي المجاور. 4

إن عين الفرس بغماس من أهم معالمها على الإطلاق باعتباره النواة الأولى لتكون المدينة والينبوع الوحيد الذي جعل المدينة تستمر في عطائها ولكن الأكثر من ذلك أن السكان أضفوا أهمية أخرى على العين وذلك من خلال النظام المتبع في توزيع مياهه فقد استطاع الأهالي استغلال كل قطرة ماء تخرج من تلك العين بوضع سواقي للعين تتفاوت حجما وسعة متوالية حسابية عجيبة. ( 5 )

#### أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على دور المياه في نشو المستعمرات البشرية والحضارات والتنمية الاقتصادية ، ومدى مساهمة عين الفرس في نشوء مدينة غدامس

وما رافق ذلك من تنمية عمرانية واقتصادية .

### المنهجية وأدوات البحث

اتبع البحث أكثر من منهج فقد استخدم المنهج الاستقرائي والتحليلي المعتمد على الأبحاث والرسائل والكتب التاريخية والدراسات التحليلية ذات الصلة وأيضا المنهج الوصفي والمنهج الميداني حيث تم الاعتماد على الزيارات الميدانية والمشاهدات العينية المتكررة.

### أهمية البحث:

دائما ما كان في مقدمة اولويات و أهداف رحلات الإنسان واكتشافاته العثور على الماء وذلك لأن العثور على الماء يعني العثور على الحياة إذ يعتبر العلماء الماء اكبر الأدلة على وجود الحياة في أي بقعة لذلك فإن أهمية هذا البحث تكمن في تسليط الضوء على دور الماء في نشوء المجتمعات الإنسانية والحضارة وذلك عبر استقراء دور عين الفرس (غسوف) في نشوء حضارة غدامس القديمة وازدهارها مع التأكيد على ان اهمية غسوف بالنسبة لخدامس هي تماما كأهمية النيل بالنسبة لمصر .

### الماء اصل الحضارة

الحضارة هي أرقى تجمّع ثقافي للبشر وهي أشمل و اكبر مستوى للهوية الثقافية و الاجتماعية . يعرف ابن خلدون الحضارة بأنها "تقنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله" والحضارة بمفهوم شامل تعني كل ما يميز أمة عن أمة ويمكن تحديد الحضارة و تعريفها بعدة عناصر مهمة مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات كما أن الحضارة هي الدرجة العليا من تباين الوجود الإنساني، وهي ذلك الشيء القادر على إلغاء التناقضات القائمة فيما بين المجموعات البشرية مختلفة العرق والثقافة وكذلك بين التطور التخلف وبين ماهية السلطة والحاجة إلى نظام عام وهي تتضمن في داخلها الأبعاد التاريخية للواقع وهي التي تعالج قضية الاستخلاف والتعاقب كما أنها نظام اجتماعي باستطاعته إعانة الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي وتتكون و تبدأ

الحضارة حيث ينتهي الاضطراب والقلق والفوضى والخوف لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع البناء لتشجيعه في المضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها لكن كل ما سبق ذكره لا يمكن تحقيقه اذا لم تتوفر عوامل قيام هذه الحضارة و لطالما كان الماء من أهم هذه العوامل وأصل الحضارة بالدرجة الأولى ومهد النمو والازدهار وبدونه لا يمكن للحياة ان تستمر .. لا بل لايمكن لها أن تبدأ أصلاً حيث نشأت التجمعات البشرية وازدهرت على مقربة من مصادر المياه واقرنت حياتها ونموها باستمرار توافره وتكونت الحضارات منذ القدم بالقرب من ضفاف الأنهار وأحواض المياه العذبة مسببة ازدهار الحياة.

إن الماء يعتبر أهم عنصر لاستمرار حياة الكائنات الحية بعد الهواء، لذا شكلت المياه العامل المهم في ظهور الحضارات وتقدمها لما لها من حالة جذب للأفراد والجماعات والتمهيد لإقامة المجتمع وإرساء أسسه وإيجاد اللبنة الأولى لقيامه من خلال إقامة التجمعات السكانية بالقرب من الموارد المائية الطبيعية ولم تتوقف حاجة الإنسان للمياه عند حدود الاستخدام الشخصي بل مجالات الحياة في النقل والزراعة والصناعة وتربية الحيوانات وغيرها وقد كان للمياه دور بالغ الأهمية في تحديد استقرار البشر وكانت ولا تزال إحدى عوامل الصراع الذي بدأ مع بداية الخليقة وستكون مستقبلاً حسب ما نراه على الساحة العالمية مصدراً للصراعات والحروب لأنه سر الحياة وهو سر التكوين وبداية الخليقة وبدونه ومن غيره لا يمكن الاستقرار ولا الإنتاج كما تذكر لنا جميع الأساطير إن الماء هو الوجود ومنه انبثق كل شيء.

### الماء في الثقافة الصينية القديمة ( فنغ شوي )

يرتبط الماء بما يسمى بالحكمة العميقة، عدا عن أنه مرتبط بالعالم كاملاً و يكون الماء متدرج من الأزرق حتى الأسود فشكله متغير وأمثلة أشكاله الموجة وهو طاقة ( ين ) وإيقاعاته تتبع دورات القمر ويرمز للشتاء وجهته الشمال ويتمثل في المنازل بالزجاج لشفافيته والطاولات الزجاجية والأدوات الصحية في الحمامات والنوافير وكذلك في

الخطوط المتموجة في الأقمشة، يمنح السكنية والاطمئنان ويحقق التناغم وشعور الوحدة مع المحيط، وهو الذي يربط جميع الكائنات الحية، وقد ربط المصريون القدماء حياتهم بالنيل وهو ما يفسر تقديمهم الأضاحي له.

### الأصل والنشأة:

تقع مدينة غدامس جنوب غرب مدينة طرابلس على الحدود الشمالية للصحراء الكبرى. 1 نشأت المدينة منذ القدم وقد اختلف المؤرخون في تحديد عمرها الزمني، إذ يشير البعض منهم الى ان عمرها

الزمني يزيد عن الاف السنين لذلك اعتبرت من قبل منظمة (اليونسكو ) إحدى المدن العشر القديمة في العالم ومن أدلة قدمها وجود عدد كبير من المقابر الحاوية على أجناس واديان مختلفة على شكل طبقات فوق بعضها البعض نتيجة للردم والاندثار الناتج عن العوامل الطبيعية والرياح وكذلك القصور والكهوف والدواميس التي استخدمت كسجون في زمن ما .

ذكرت عند المؤرخين القدماء أمثال بيليني الأكبر باسم (Cydamus) (6) كما ذكرها بروكوبيوس القيصري بإسم (Cidamē) وقال بأن سكانها من المور(6)، وهي تسمية أطلقها البيزنطيين على الليبيين، مثلما أطلق الإغريق والرومان تسمية بربر. وتدل هذه الآثار على تعاقب الحضارات بگدامس ( من فترة ما قبل التاريخ) مرورا بالعهد الروماني حتى فترة العصور الوسطى. حيث ضمت الواحة الى الدول العربية الإسلامية في القرن السابع، وبعد وقوعها لفترة من الزمن ضمن نفوذ الدولة العثمانية و مرت بتجربة الاستعمار الأوربي (الإيطالي-الفرنسي). يعود تاريخ غدامس الى زمن النمرود بن كنعان بن سام بن نوح وابتدأت المدينة أول لبنائها حول عين ازلية ذات بنيان رومي يطلق عليها (عين الفرس)(7).

## غدامس والماء:

الماء هو أهم عنصر لقيام أية مدينة و خاصة إذا كانت هذه المدينة في الصحراء لقد كانت عين الفرس (غسوف) بالنسبة لمدينة غدامس هي أساس الحياة وقد ازدادت هذه الأهمية نتيجة وقوع المدينة في الصحراء وجفاف جوها ويمكننا القول هنا أن الله سبحانه وتعالى وهب هذه العين لهذا الموقع لتكون غدامس هبة عين الفرس فيدونها ماكانت حياة ولا زرع لتلك المساحات الشاسعة حولها نخيلا ونباتات مختلفة.

لقد كانت هذه العين ملك لجميع الغدامسية الأوائل ووزعت مياهها الى خمسة سواقي هي حسب القوة كالآتي- :

ساقية تصكو ولها 81 سهما .

ساقية تارو ولها 27 سهما .

ساقية تنقبشين ولها 9 أسهم .

ساقية تندفران ولها 3 أسهم .

ساقية تنجانون ولها سهم واحد.

وتبدأ السنة المائية في غدامس من بداية شهر (مايو-ابريل ) من كل عام ويتم تقديم الحسابات للمجلس من قبل النواب والكتاب .ويتم طريقة حساب كمية المياه عن طريق وحدة قياس تسمى القادوس ومكانه السوق القديم كما ان الشخص المسئول عن ذلك القادوس يسمى ( القداس ) ويستعمل سطلا متوسط ويجب أن يملأ ويفرغ عشرين مرة في الساعة الواحدة أما المسافة بين القادوس وأبعد مزرعة لا تزيد عن كيلومتر وتكون مسيرة المياه بداية من عين الفرس لتمر على المساجد لغرض الوضوء والغسل ثم لأحواض الغسيل ثم المزارع وبالرغم أن التجارة كانت هي المصدر الأساسي للرزق لوجود غدامس في مكان يمثل حلقة وصل بين الشواطئ والصحراء ولشهرتها بتقديم الدعم والخدمات لعابري الصحراء فقد كانت الصحراء بالنسبة لأهل غدامس كالبحر بالنسبة للفينيقيين إلا أن الزراعة مثلت عنصرا مهما جدا لتوفير بعض الزراعات البسيطة كبعض الخضروات والفواكه للاكتفاء الذاتي إضافة الى غابات النخيل المحيطة بالمدينة

والتي توفر أجود أنواع التمور وتعمل أيضا على شكل ( فلتر ) لحماية السكان خلال هبوب الرياح المحملة بالتراب ومنع وصول هذه الأتربة والغبار للمدينة .

### أهمية الماء للكائنات المختلفة:

حينما نقرأ النسب المئوية لمختلف الجزيئات المكونة لأجسام الكائنات الحية يظهر جلياً أنّ الماء هو الجزء الأعظم والأكبر لها وتُعزى أهمية الماء في كونه مهماً للكائنات الحية لتبقى على قيد الحياة، حيثُ تحتاجُ جميعُ العمليّات الحيويّة في جسم الإنسان وأجسام الكائنات الحية الأخرى إلى الماء، بدءاً من تناول الطّعام وحتى إخراج الفضلات الباقية منه من أجسامهم .

أما بالنسبة للنباتات الخضراء فلولاً الماء ما استطاعت أن تُصنّع الغذاء في عملية البناء الضوئي، كما يُعدّ الماء مكوناً أساسياً في أجهزة نقل الغذاء في أجسام الكائنات الحيّة، ممّا يعني أهميّته في تزويد خلايا هذه الأجسام بالغذاء لتقوم بعملها. ويُذكر أنّ 90% من الأحياء التي تعيش ضمن نطاق الغلاف الجوّي موجودة في الماء، كما أنّ البحار والمحيطات تحوي على معظم المعادن الموجودة في كوكب الأرض وبكميات أعلى من اليابسة، وهذا ما يوضّح توجّه الإنسان الكبير لاستغلال ثروات البحار المعدنيّة

### دور الماء في نشوء الحضارات:

مثلما أنّ كثرة المياه في بعض الأوقات تُعدُّ سبباً للعديد من الكوارث كالفيضانات، فإنّه ليس خافياً أيضاً مدى أهمية نقطة الماء -على قِلَّتِها- للإنسان حول العالم باعتبارها أساس الحياة، فبدون الماء لا حضارة ولا تقدّم ولا ازدهار؛ حيثُ أجمع العلماء على وجود علاقةٍ وطيدة بين وجود الماء وقيام التقدّم والازدهار لدى الشعوب عبر التاريخ القديم والحديث، وأكبر برهانٍ على ذلك الحضارات الكبيرة التي أسّست قواعدها على ضفاف الأنهار، كحضارة الفراعنة على نهر النيل، والحضارات على نهري دجلة والفرات، لأنّ الإنسان يَحْتَاجُ بشكلٍ خاصٍ للماء في غالب أنشطته البشرية كاستخدامه في الطبخ، والزراعة، والصناعة، والنظافة الشخصية والمنزليّة، وغيرها.

## أهمية مياه العيون:

يمكن للباحث من خلال هذه النافذة أن يطرح سؤالا حول أهمية مياه العيون وكيف ساهمت في الحد من معوقات الجفاف ببلاد المغرب الإسلامي , ان الجبال في بلاد المغرب انما هي عبارة عن خزان طبيعي للمياه من خلال ما يتسرب اليها من مياه الامطار في موسم الشتاء وبما ان الجبال في معظمها هي عبارة عن قمم ومغارات والأهوية وتبقى فيها مخزونة ثم تخرج من أسفلها من منافذ ضيقة ( تسمى ) العيون 1 , ذلك أن الأمطار إذا الأمطار إذا نزلت غارت في الأرض واجتمعت هنالك بكميات مختلفة للتكوينات الجيولوجية , ثم تسيل حتى تسيل حتى تظهر على وجه الأرض .

لقد استغلت مياه العيون فيما وقف عليه الوزان ( ليون الإفريقي ) , لتزويد الساكنة بما تحتاج إليه من هذه الثروة حي مثلث العيون " صهاريج طبيعية محاطة بجدران وأبواب تكون مغلقة ويوزع ماؤها لمختلف الحاجات على الدور والجوامع و المدارس وقد وقف الإدريسي على تلك الأهمية التي أحاطت العيون من قبل الساكنة " فقد بني عليها السكان قباب ودوامس محنية , ونقوش , وضروب من الزينة , وبخارجها الماء مطرد نابع من عيون غزيرة" 2 .

لقد عرف الإنسان الينابيع أو العيون، وكان يعيش بجوارها للحصول على مائها مثلما كان يعيش بجانب البحيرات العذبة والأنهار 3، ويقصد بالعيون المياه التي تتبع من الجبال أو من المغارات أو من بطون الأودية والأنهار.

فهذه المياه في الواقع هي التي تخزنت في باطن الأرض، ثم عادت للخروج بفعل وجود أماكن مساعدة على ذلك، وبحسب حركة المياه في جوف الأرض، ونفوذيتها، ونظرا لأهمية العيون في حياة الإنسان كمصدر للماء العذب فقد أولاها علماء التراث ووقفوا عند المشهور منها في كتاباتهم، ووصفوا مياهها وعلاقة هذه العيون بالمياه الجوفية.

## مساهمة العيون في تزويد السكان بالماء:

حيث ساهمت هذه العيون الطبيعية الجارية في تزويد السكان بالماء الصالح للشرب،

وكذلك في ري العديد من الاراضي الخصبة، حتى قيل فيها. هي موافقة لجميع الخضراوات وأشجار الفاكهة وكلنا نعلم مدى أهمية هذه المياه ومستوى عذوبتها في سقي المزروعات. لقد كانت العيون منتشرة بحق في انحاء واسعة من بلاد المغرب الإسلامي , مما مكن السكان من استعمال مياهها في الزراعة.

### اهتمام الرحالة والجغرافيين بوصف العيون:

لقد أثارَت العيون المائية في بلاد المغرب الاسلامي انتباه غالبية الرحالة والجغرافيين والمؤرخين حيث ورد ذكرها في نص يعود الى منتصف القرن السادس هجري " ... وفيها عين عظيمة عذبة ولها سرداب كبير تحت الجبل يمشي فيه الفارس بطول ما يكون من الرماح فلا يلحق سماء ذلك السرب". كما ذكرت هذه المنشأة المائية التي تعد إحدى أهم المصادر المائية لدى أهل المغرب في منتصف القرن السابع الهجري.6

### النتائج

لقد جمعت غسوف (عين الفرس) الكثير من المزايا كونها معلم وأثر وتراث مادي وغير مادي لارتباطها الشديد بالحياة ولأنها هي السبب الذي اوجده الله سبحانه وتعالى للحياة في تلك البقعة الصحراوية الخالية من الحياة قبلها. لذلك فان عين الفرس هي من الاماكن المميزة في غدامس ومثلت شكلا من أشكال الثقافة بما صيغ حولها من حكايات وما قيل فيها من اشعار والتي عكست خصائص سكان المدينة وتناقلتها من جيل لآخر فأنتجت ثقافة عالية لارتباطها بحياة الناس بشكل مباشر، كما أن وجود مثل هذه الأماكن منذ القدم ومعاصرتها لحضارات متتالية مكنها من أن تعكس شكل وخلفية تلك الحضارات السابقة لتمتعها بقيمة ثقافية عالية تعطي معان ومضامين واسعة في تطور المجتمع. وقد تجاوز تأثير غسوف مجتمعها المحلي وامتدت لتؤثر حتى على محيطها الإقليمي كمكان اخذ أهميته كملتقى للقوافل ومركزا حضاريا بسبب وجودها ويؤكد هذا الاتجاه في البحث

على أن غسوف ليست مجرد نبع للمياه فقط بل أنها عنصر حضري امتد تأثيره ليشمل الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والروحية لخدامس القديمة وما حولها.

### الخلاصة:

عكست هذه الورقة بعض مميزات نبع الماء غسوف (عين الفرس) الموجود في مدينة غدامس القديمة. إن غسوف عنصر فريد من عناصر المدينة القديمة من نوعها لأنها جمعت بين كونها عنصرا معماريا ومصدرا للحياة ومولدا للثقافة ورابطا للعلاقة بين الإنسان والبيئة المحيطة وقد أشارت هذه النتائج إلى أن غسوف ليست مجرد نبع للمياه فقط بل أنها من العناصر المهمة والتي امتد تأثيرها ليشمل جميع نواحي الحياة المختلفة. تعتبر عين الفرس من الاماكن المميزة جدا جماليا وروحيا مع انتاجها لتقنيات غنية ومبدعة في قوانين الري والاستفادة من المياه كما أنها كانت لخدامس السبب الرئيسي في النشوء. لقد تم تموضع المدينة حول العين بطريقة توفر الوصول السريع والمريح لمصدر المياه وقد مثلت العين العديد من المعاني والمفردات وهي ليست فقط رمزا عمرانيا فقط بل هي أيضا مثلت سمة من السمات الاجتماعية والثقافية وأوجدت حلا من الحلول المناخية الفريدة اضافة الى ذلك ساهمت في ترسيخ تصميمًا بيئيًا مناسبًا متكاملة مع العناصر الأساسية الرائعة من مباني وعناصر تخطيطية.

### المراجع

1- عقيل. فوزي محمد وآخر، الاستدامة في المناطق الصحراوية، دراسة وتحليل المعالجات المعمارية والتخطيطية لتقليل الكسب الحراري في المناطق الصحراوية " دراسة حالة مدينة غدامس، المؤتمر الهندسي الثاني لنقابة المهن الهندسية بالزاوية-دور الهندسة في التنمية المستدامة وبناء الدولة 10- 11 / 12 / 2019.

2- عقيل. فوزي محمد وآخر، "العمارة التقليدية الليبية" مدينة غدامس القديمة" كمصدر إلهام لتطوير بيئة وتخطيط مستدام، كلية الاقتصاد والتجارة، المؤتمر العلمي الدولي الرابع لكلية الاقتصاد والتجارة، الخمس، ليبيا، 2020 .

3- عقيل. فوزي محمد وآخرين، "بين الحقيقة والصدفة .. مبادئ طاقة المكان fengshui في عمارة غدامس القديمة"، مركز غدامس للأبحاث والدراسات وتوثيق التراث، المؤتمر العلمي الدولي حول تراث غدامس الدورة الأولى (تاريخ غدامس القديم) ، 30-31 يناير، مدينة غدامس -ليبيا.

4- عقيل. فوزي محمد وآخرين، "غدامس القديمة -مدينة ولدت مستدامة"، مركز غدامس للأبحاث والدراسات وتوثيق التراث، المؤتمر العلمي الدولي حول تراث غدامس الدورة الأولى (تاريخ غدامس القديم) ، 30-31 يناير، مدينة غدامس -ليبيا.

5- عقيل. فوزي محمد وآخرين، "مفاهيم التصميم المستدام ومبادئ طاقة المكان في عمارة غدامس القديمة"، المؤتمر الثاني للتنشيد في المناطق الصحراوية، 15-16/11/2021 جامعة الرفاق، طرابلس.

6- يوشع، بشير قاسم، غدامس ملامح وصوره، الطبعة الأولى، بيروت، دار لبنان لمنشر

1973

7- فلاح، عبداللطيف، غدامس تاريخ وحضارة، المؤتمر العالمي حول المدن القديمة في ليبيا، طرابلس 1988، ص01

8- تقرير، " ميثاق المحافظة على التراث العمراني في الدول العربية وتنميته"، المملكة العربية السعودية: الأمانة العامة للهيئة العليا للسياحة، 2003 م.

9- عبد الله يوسف، محمد. الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته. اليمن: جامعة صنعاء.

10- مجلة التراث والحضارة، الصادرة عن المركز الإقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية، العدد رقم 4، بغداد، 1999

## القادوس ساعة غدامس المائية

د . الصديق الطيب البخاري

باحث تاريخي / غدامس

مدينة ليبية تقع في الجزء الغربي منها , على خط عرض 30,08 شمالا , وخط طول 9,03 شرقا , وترتفع عن مستوى سطح البحر حوالي 357 م , وتبعد عن طرابلس العاصمة حوالي 543 كم لجهة الجنوب الغربي لها , ويتوسط موقع المدينة الحدود الليبية الجزائرية التونسية .

ويمتدّ خطّ برّي في الوقت الحاضر بينها ومدينة طرابلس يصل طوله حتى 600 كم ويوجد بها مطار قديم وآخر جديد يصلح ليكون مطارا دوليا , حوله منطقة حرم له تصلح ان تكون منطقة للتجارة الحرّة .

سميت قديما { مدينة القوافل } لاحتلالها موقعا هاما في طريق التجارة سابقا من شرق الصحراء نحو مغربها ومحطة لتبادل التجارة بين شمالها وجنوبها .  
نشأ فيها بحكم هذا التواصل بين الجهات الأربعة لها مبدأ التعاون الدولي , ومثالا رائعا للعلاقات بين الشعوب ,, حيث صارت ملتقى لشعوب مختلفة وثقافات متباينة من طلاب المال تجارة , وطلاب العلم تحصيليا , وتبادل الثقافات والأهواء من علوم عديدة وصناعات تقليدية وأزياء مختلفة وفنون وطقوس متباينة , , , .

حتى اكتسبت المدينة من تمازج الثقافات وتبادل العلوم تلك طابعا خاصا بها وفريدا لامثيل له في العالم .

يرجع وصف المدينة لعصور قديمة موعلة , فقد وجدت بها آثار ومنقوشات تعود لـ 10 الف من السنين مضت , ومنحوتات حجرية يعود تاريخها لأقدم من ذلك التاريخ , دلت عليها كثير من الدراسات التي أجريت عليها , يوجد بعض منها في متحف سراي طرابلس , ومنها ما هو شاهد على ذلك وجود بعض الأصداف البحرية وبقايا هيكل

لحيوانات بحريّة كانت تعيش في هاته المنطقة , واكتشاف آبار للنفط فيها عديدة كدليل آخر وجدير بالذكر بأنّ المنطقة كانت مغمورة بالمياه أو أنّها كانت جزء من البحر , وربما كانت منطقة عائمة بفعل الأمطار أو جريان الوديان بالماء .

يطلق عليها تسميات عديدة , سميت بمدينة الجلود , مدينة النحاس , جوهرة الصحراء , لؤلؤة الصحراء , الجوهرة الفريدة , كيدامي , سيداموس , وباللغة المحليّة للمدينة نقول عنها ( عديمس ) ,,,, الخ .

مرجع تعدّد أسمائها لقدم نشأتها وأصالة تاريخها وحضارتها الموعلة في القدم فكل قوم تعامل معها أو وجدوا فيها يطلقون عليها اسما يناسب لغتهم أو حدث يحدث عليها . ومن المعلوم بشكل يقيني أنّ أصل نشأة المدينة مرجعه لتفجّر ماء (عين الفرس) في موقعها , فقد كانت المصدر الوحيد للماء في تلك المنطقة الصحراويّة القاحلة بعد الزّمن الذي ذكرناه وأشرنا له آنفا , حيث لا أمطار بها ولا وديان تجري فيها المياه وهي ذات الفترة التي بنيت فيها المدينة أو قبلها .

يطلق عليها الأهالي بلغتهم المحليّة ( غسّوف ) في هاته المنطقة القاحلة وسط الصحراء حيث لا يوجد مصدر للماء قبله , سواء كان سبب تفجّر هذه العين بشكل جيولوجي طبيعي كغيرها من العيون والينابيع .

أو بفعل وقع حافر فرس نبشت كما تتحدّث الأسطورة , فقد تحدّث من سبقنا عن أنّ سبب تفجّر هذه العين إنّما يرجع لفرس نبشت في ذاك الموقع فتفجّر منها الماء الزلال , بعد أن مرّت قافلة من أهل اليمن عابرة ذاك المكان , فكان أن استراح فيها ركبائها وتناولوا وجبة الغذاء بها ومن بعدها غادروها , ومضوا في سيرهم , وبعد يوم أو يزيد اكتشفوا بأنّ أنية لهم قد نسوها في موضع غداهم بالأمس , فرجع فارس منهم نحوها وهو يمتطي فرسا , وبعد أن وصل مكان العين حالّيّا , وعثر على أنيته المفقودة , فكان أن عطشت الفرس ونبشت بحافرها بحثا عن الماء فانبتقت العين تحت نبش حافرها , شربت وشرب الفارس , وعاد نحو القافلة وهو يحمل الأنية وخبر العين التي نبعت , فكان أن عادت القافلة ومن عليها نحو مصدر الماء واستقرّ بعض منهم حولها , فكان أن

نشأت هذه المدينة , وحيث أنهم عربا أو هم ممّن استعرب صار هذا الموقع باسم مكان غدانا أمس , واختصر بعده باسم غدامس .<sup>1</sup>

\*\*\*

دوّن الحاجّ المرحوم أحمد قاسم ضوي في كتابه ( غدامس بين الماضي والحاضر ) عن هذه الحكاية المرويّة :-

[ يقال أنه سنة 1850 ق م مرت بهذه المنطقة قافلة من قوافل العرب القادمين من جهات اليمن , هذه القوافل تأتي بقصد التجارة حيث كانت شمال أفريقيا ممرا تجاريا هاما في تلك الحقبة من الزمن .

ولقد ذكرنا أعلاه أن منطقة غدامس في تلك الفترة بدأت تكسب أهمية كبرى باعتبارها ممرا للقوافل التجارية ويحكى أيضا أنه كان على رأس هذه القافلة ملك من ملوك اليمن كان يسمى ( ذو اليزن ) , , , , , ومضى الحاجّ في ذكر الرواية التي سقناها أعلاه باختصار غير مخلّ في سرد سبب نشأة العين ومن بعدها المدينة حولها كما هي الرواية الشفهية المتداولة عند أهالي البلدة ]<sup>2</sup>

\*\*\*

وبذا صارت العين واطلق عليها اسم حافرها وهي فرس ذاك الفارس (عين الفرس) هذا إن وجدت هذه الرواية وصحت .

الهامّ في الأمر أن وجدت العين ونشأت حولها المدينة مهما كانت وتعددت الأسباب , أسباب نشأتها .

وأطلق عليها عدّة أسماء منها على الأشهر (عين الفرس)<sup>3</sup> , وسميت (عين غدامس) بنسبتها للمدينة ( غدامس ) , ويطلق عليها محليا ( غسّوف ) بمعنى ( وادي التماسيح )

1 - رواية شفهيّة متداولة عند أهالي مدينة غدامس .  
2 - للتحقّق والتأكّد يرجى مراجعة كتاب الحاجّ ( أحمد قاسم ضوي ) رحمه الله { غدامس بين الماضي والحاضر } ص 14 ط1 عام 2009 م .

3 - ذكر هذا الاسم في مخطوط ( دفتر غدامس ) بحث فيه الأستاذ مصطفى خوجة , موجود حاليا في المكتبة الوطنية بباريس الفرنسية , مخطوط رقم 1892 الورقة الثالثة .

## في اللّغة العربيّة .1

\*\*\*

تعتبر هذه العين المصدر الأساسي , بل هي المصدر الوحيد والهائم التي تعتمد عليه المدينة في عمليّة شرب أهالي البلدة بها وشرب حيواناتهم وسقي مزارعهم منذ بداية نشأتها وحتى وقت غير بعيد عن زمننا هذا بعد نموّها واتّساع رقعتها السكّنيّة وتكاثر أهلها القاطنون بها , وصار أن وجدت مصادر ومنابع أخرى حديثا لتوفّر الماء منها .

\*\*\*

وهي من وقت تفجّرها ونبع الماء منها ( العين ) وصفت بأنّها دائمة الجريان , بكونها من هبات الله العليّ القدير لأهل هذه البلدة من قبل حتى الاستقرار فيها , فهي دائمة العطاء ومباركة ما بارك الله لها ولأهلها القاطنين حولها بعونه تعالى ورضاه عنهم إن شاء الى يوم يبعثون .

إنّ شحّ مصدر الماء أو انعدامه في تلك المنطقة من المفازة بشكل كبير , جعل من الأهميّة بمكان أن يتمّ الاهتمام والتدقيق في تعامل الأهالي مع هذا المصدر الوحيد للمياه ( أصل الحياة ) فكان أن تمّ التّعامل معها بالشكل النّالي :-

- إنّ منتوجها بشكل عام ومختصر ملكيّة مقدّسة لكلّ الغدامسيين أي من أهلها , لذلك روعي من القائمين عليها حساب كلّ قطرة تتبع منها , عدا الاستهلاك منها بطبيعة الحال للأغراض المنزليّة من شرب وطهيّ وغسل ووضوء واستحمام فهذا لا قيود له ولا حساب .

- عمل الأهالي أو القائمين على شأن العين في سبيل تجميع كافّة قطرات الماء النّابع منها ببناء حوض حول ينابيعها يحفظ كلّ كمّيّة من الماء تتبع منها .

- كان شكل الحوض مستطيلا حسب ما اتيح للأهالي من صنعه ونحته بحيث لم يزد طوله عن عشرين ياردة , وعرضه عن خمسة عشر ياردة , وبعمق لا يزيد عن

1 - أورد هذا المرحوم ( بشير قاسم يوشع ) في مقالة له بعنوان [ عين الفرس التي اختفت في غدامس ] ونشرت في مجلّة تراث الشّعب بعدها الأوّل عام 1991 م ص 86 .

سنة أمتار , ودرجة حرارة مائه التابعة منه تصل لحوالي 120 د فهرنهايت<sup>1</sup> .

- نظرا لعدم وجود مصدر آخر للماء , مرجعه ندرة وشحّ نزول المطر وعدم سيول الوديان بها , فقد كان لزاما أن تكون ماء العين وما ينضح منها ملكية خاصة لمالكيها والقائمين على أمرها والمتعهدين شؤونها , فكانت ماء العين وما ينتج منها ملكية خاصة بهم , وإن خالف هذا الإجراء ما طبع عليه البشر ووصايا ديننا الحنيف بأنّ الماء شركة بين المسلمين , فالضرورة اقتضت بأن تكون ماء العين ملكية خاصة للأهالي وقاطني المدينة يبيعونها عند الضرورة ويشترونها وقت اللزوم , لذلك تمّ حساب كلّ قطرة تخرج منها , فإنّها باللزوم تعود لمستحقّيها .

- وجب على القائمين عليها - من كونها ملكا مقدّسا وجب حسابه - أن يحسبوا مقدار المستحقّ منها من حيث ما له وما عليه .

- كان من الواجب واللزوم وجود واستحداث ميزان أو طريقة حساب فريد وناجع يضمن به وصول كلّ حقّ لذي حقّ منه .

- كان أن استحدث أهالي المدينة طريقة لحساب ماء العين , ومن بعد أن درس العالمون منهم بأمر ذلك الحساب , وبعد أن تمّ منهم قياس ما يحتويه العين من مياه تتساقط منه وتتبع , أوجدوا إناء أو استعملوه لحساب مقدار مائه , فكان [القادوس أو القواديس] بذاك الزمن في محاولة منهم في ضبط حساب ما يخرج من الماء وضبط ما يتوزّع منه على مستحقّيهِ .

\*\*\*

قال ياقوت الحموي في كتابه { معجم البلدان } وهو يتحدّث عن مدينة غدامس وعين أزليّة بها , فبعد أن وصفها تحدّث كثيرا عنها ثم قال :-

[ في وسطها عين أزليّة , وعليها أثر بنيان عجيب يفيض الماء فيه , يقسمه أهل

1 - ذكر هذا المؤرّخ جيمس ريتشاردسن في كتابه ( ترحال في الصحراء ) ترجمة د الهادي بولقمة , منشورات جامعة قار يونس بينغازي عام 1993 م ص 87 .

### البلدة بأقسام معلومة لا يقدر أحد ان يأخذ أكثر من حقه .<sup>1</sup>

وقصد ياقوت { عين الفرس } في وصفه , وإنما عنى في إشارته للتقسيم بأقسام معلومة ( القادوس ) الذي أنشأه أهالي المدينة لحساب وتقسيم ماء العين بينهم بشكل دقيق وعادل , فكلّ حصّته وما له من حصص العين وما يخرج منها , ولهذا كان لكلّ أهل المدينة حصّة متوقّرة ومعلومة , وهذا كلّه يسجّله ( القادوس ) ويحسبه , فالجميع يعلم والجميع راض .

عموم القول أن كانت هذه المدينة وصارت وحدثت بنعمة من الله ومنه , وأن فخرنا بها وبانتمائنا لها .

\*\*\*

قال أبو التّاريخ هيريدوت وهو يتحدّث عن مصر ( مصر هبة النّيل ) وعلى هذا لنا أن نقول :-  
عديمس هي هبة عسّوف { عين الفرس } .

\*\*\*

أمّا ونحن نتحدّث عن موضوع ( عين الفرس ) في مدينة غدامس وما يتبع الحديث عنه من توزيع مائه على مستحقّيه بشكل خاصّ وفريد , فلنا أن نذكر وندخل بهذا في موضوع هذا البحث وهو ( القادوس أو القواديس ) وهو قياس توزيع ماء العين بشكله الخاصّ الفريد وما يتبعه من حساب في مدينة غدامس الجوهرة الفريدة , وما تملكه من خصوصيّة وحيدة .

\*\*\*\*\*

1 - كتاب ( معجم البلدان ) لياقوت الحموي .

## ( القادوس أو { القواديس } ساعة غدامس المائية )

موضوع هذا البحث .

ففي بداية حديثنا هذا نورد أول ما يقال فيه عن ساعة قياس ماء عين الفرس ( غسّوف

( كلامنا التالي :-

1- أنّ للعين 5 مخارج يتمّ تصريف مائها عبرها , وهي عبارة عن سواقي لها .  
2- حيث أنّ للعين هذه السواقي الخمس , فمن اللزوم وجود قياسات لها من خروج الماء عبرها .

3- على هذا وجب وجود قياس خروج الماء ( القادوس ) ودقتر لها يتمّ تسجيل ما يخرج عبرها .

4- ولنا أن نقول هنا أنّ للعين 5 مخارج ( سواقي ) ولها 5 قواديس , وعليها 5 دفاتر للتسجيل عليها .

5- أطلق القائم أو القائمون بحساب ماء العين على السواقي الخارجة منه الخمس الأسماء التالية وبترتيب منّا بمراعاة الأكبر فالأصغر منها بعدها :-

أ - ساقية ( تصكو ) .

ب - ساقية تارط او طارط او تاروط .

ج - ساقية تنقيبش او تنويشش .

د - ساقية تنجانون .

و - ساقية تندفران .

\*\*\*\*\*

وبعد أن حسب القائمون على هذه العين من حيث منتوج عيونها من المياه مع ما يخرج منها عبر مخارجها الخمس السالفة الذكر نحو مزارع المدينة لسقايتها , خلص الأمر وتقسيمها عبر هذه السواقي لترتيب فريد وبشكل دقيقّ بديع , حيث ينال كلّ مستحقّ من ماء العين ما يستحق , بكون ماء العين ملك مستحق وهو ملك يستفاد منه وأيضا

يباع ويشترى , ويسجل هذا ويثبت في دفتر كل ساقية يحدث فيه تغيير في هذا الحق من حيث البيع والشراء أو إيجار وسلف , أو مواريث وما يتبعها من مواليد ووفاء , فكل هذه التغييرات يثبتها القائمون على دفاتر تلك السواقي , ونطلق عليهم نواب الدفتر أو نواب الساقية كما سوف يأتي عليهم الحديث لاحقا بشكل محدد ومفصل .

\*\*\*

### أولا : تعريف القادوس ؛ .

هو عبارة عن إناء نحاسي مخروطي الشكل , وفي قعره فتحة تنساب منها الماء , تستغرق كل مدة زمنية لمائه وتفرغ عبر فتحة زمن يقدر بحسابنا الآن للوقت حوالي ( 3 دقائق ) وخوفا من تغيير هذا الحساب الزمني بفعل عوامل الطبيعة من زيادة الزمن أو نقصه يتم تعبير هذه الفتحة بين زمن وآخر وذلك باستعمال نواة ثمرة نخلة نوع ( مدغوية ) المعروفة في المدينة , على أن يتم معالجة الفتحة عند اتساعها بمادة القصدير , ويعمل على حث الفتحة عند تراكم مادة الجير والكلس عليها , وهذا ما لا يحدث إلا في قليل المرات ونادر منها , غير أنه تبقى تلك النواة هي المقياس وعليها التحويل في اتخاذ القرار الفعلي الحاسم ..

ثانيا : القائمون المسؤولون على حساب هذا الزمن في توزيع ماء العين على مستحقه.

يتم تكليف موظفين أو لنقل قائمين على هذه العملية من ( ملء القادوس ومراقبته حتى يفرغ , وعقد عقدة لحساب عدد مرات ملء الإناء وفرغه ) وهم من أهل الثقة يتصف الواحد منهم بالنبيل والتدين وكمال العقل وحسنه , والمرضي عنه من مجلس البلدة القائمين عليها .

يطلق على هذا الشخص ( القداس ) ومجموعهم ( القداسين ) عددهم حوالي الأربعة كما هي العادة , بحيث يتناوبون العمل طيلة النهار كله بيومه وليله اي على مدار الأربعة

والعشرين ساعة من كلّ يوم ( حسب حساب زمننا الآن ) .

يرأسهم واحد للتنسيق بينهم يسمّى (التائب) وحيث أنّ لكلّ ساقية من السواقي الخمس نفس العمليّة وذات النّظام , فإنّ على هؤلاء النّواب مسؤول عال يطلق عليه ( كبير النّواب).

وظيفة كلّ هذا الجهاز ومستخدميه ضبط عمليّة توزيع ماء العين المناسبة عبر سواقيه بطريقة عادلة وواجبة لمستحقّيه .

وعلى هذا عرفنا المسؤول عن طريقة توزيع ماء العين باستعمال القادوس , والقائمين عليه والمسؤولين عنه .

وعلينا أن نعرف زيادة في العلم بأنّ شغل النّواب وكبيرهم بالإضافة لهم في مراقبة القدّاسين في عملهم , عليهم تسجيل ما يحدث من عمليّة توزيع الماء في دفاتر خاصّة بالعين وماء مخارجها , فإنّ لكلّ ساقية قدّاس أو قدّاسين , ولها دفتر يتمّ التّسجيل عليه كلّ ما يحدث جرّاء عمليّة الحساب الواردة لهم من قدّاسي تلك السّاقية بشكل يومي , وعليهم تسجيلها وإثباتها في تلك الدفاتر .

إنّها مسؤوليّة اسندت لهم وبها نالوا ثقة أهالي البلدة ومجلسها , وعليهم أن يقوموا بواجبهم نحوها بطريقة دقيقة وواضحة وعادلة , بحيث يصل كلّ مستحقّ منها حقّه .

\*\*\*

**ثالثا : طريقة حساب القادوس ( حساب الزّمن كساعة توقيتيّة ) ؛؛**

ابتكر الأهالي أو القائمون على حساب القادوس طريقة ناجعة استغلّوا فيها مادة من مواد البلدة الزراعيّة في حساب تلك القواديس , وهي مادة ( سعف النّخلة ) بأن جعلوا منها مادّة حسابيّة كوسيلة من وسائل العدّ , فقد أخذوا من سعف النّخلة كورقة طويلة وصيّروها بتقسيمها لسيور رقيقة وعمدوا بعدها بتعليق تلك السيور بجانب القادوس على أن يعقد المسؤول ( القدّاس ) عقدة عليها فور فرغ كلّ قادوس وهو بزمنه المذكور آنفا والمعلوم ( 3 دقائق ) بحيث تكون كلّ 10 عقد بزمننا الحالي ( 30 دقيقة

( أي كل (20 عقدة بساعة حسب توقيتنا الحالي ) وكلّ 100 عقدة تساوي بزمننا الآن = 5 ساعات زمنيّة .

\*\*\*

وقد استفاد أهالي البلدة من هذا النظام ( نظام القادوس ) بأن استعملوه في ضبط مواعيدهم الحياتيّة من معرفة أوقات الصلاة , ومقدار ما مرّ عليها من زمن أو كم تبقى منها من وقت , ومواعيد الشروق والغروب , وخلاف ذلك من معرفة الوقت وضبطه ( كما ساعة ضبط الوقت زمننا الحالي ) .

\*\*\*

وعليه ممّا سبق وبشكل مختصر يتّضح لنا بأنّ القادوس ( الساعة المائيّة ) هو عبارة عن وعاء مصنوع من معدن النّحاس من حيث أنّه غير قابل للصدأ مخروطيّ الشّكل وبه ثقب من اسفله بحيث تفرغ منه الماء التي عليه بشكل كامل , عمل بطريقة خاصّة يسمح بمرور الماء منه أو عبره بمقدار زمني محدّد , وكميّة معيّنة تساوي بزمننا الآن (3 دقائق).

وقد ورد إلينا بطريقة شفهيّة بأنّه للقدّاس أن يعدّ حتى 300 عدّة بنفس واحد وبعدها يعقد العقدة وهي تساوي بزعمه فراغ الإناء الذي حوى الماء , أي بنفس المقدار الزّمني المقرّر له وهو ذات الدقائق الثلاثة , أو يقطع نفسه بكلّ 100 عدّة بنفس أي = دقيقة , الإجمالي 3 دقائق .

بكلّ الأحوال فإنّ زمن القادوس من وقت ملئه وزمن فرغه يساوي 3 دقائق بحساب زمننا الحالي , وعلى القدّاس تكرار هذه العملية مرّات تلو المرّات لحساب زمن المستحقّ وماله من حقّ في ماء العين المناسبة منه نحو مزرعته لسقيها , وبعده الذي يليه الحقّ من بعده , وهكذا دواليك طول النهار بيومه وليله .

وقد استمرّت هذه العمليّة من حيث مهنة القدّاسين القائمين على سير عمليّة توزيع ماء العين ( عين الفرس أو غسّوف ) عبر سواقيها الخمس وقياس زمنها وزمن البلدة

من قواديسها حتى عام 1943 م إبان فترة الحكم الطلياني للبلاد والبلدة , حيث ظهرت بعض الخلافات من الأهالي , وتبرّم بعضهم , وشعر بعض منهم من لم يصله حقّه بالغبن بتهالك ممّرات سواقي العين بقدمها وعدم صيانتها , وطمع فيه ممن لا أصل له في الحقّ

\*\*\*

فكان أن عمد الحاكم الطلياني للبلدة بإلغاء نظام العين وطريقة توزيع مائه , خاصّة وأنّه قام بحفر بئر ارتوازيّة تعرف ب ( عين الطليان ) , واعتمد في توقيت البلدة بشكل عام على السّاعة الميقاتيّة الحديثة المعتمدة في ذلك العصر .  
وقال لي من قال ( إنّما حدث هذا بعد خروج المستعمر الإيطالي ودخول المستعمر الفرنسي , وبعد أن حفر عينا له ارتوازيّة يطلق عليها لوقتنا الآن ( عين فرنسيس ) وكان الحاكم الفرنسي للبلدة من فعل هذا .

\*\*\*

مهما يكن من أمر فقد تمّ إلغاء نظام توزيع ماء العين الدقيق الرّاقى العتيق , بما له من دلالة في التّاريخ وإثبات حضارة البلدة وقدمها وأهميّة العين وطريقة توزيع مائها في دراسة تاريخ المدينة القديمة الموغلة في قدم التّاريخ من كونها من أقدم حضارات العالم , فهي من ثلاثة مدن قديمة في تاريخ البشريّة , ومن أقدم مدنها المسقوفة , ومن أقدم المدن المأهولة بالسكّان لوقت قريب , وهذا من تصنيف المنظّمات العالميّة التّابعة للأمم المتّحدة , فحريّ بهذا أن يؤخذ بعين الاعتبار ونحن ندرس مدينة لها وزن عالمي كمدينة غدامس .

\*\*\*

واستفاد الأهالي أيضا من القادوس وحركته ( أو القواديس وشغلها ) في ضبط كامل وقتهم على مدى 24 ساعة اليوم , حيث استفادوا منه في معرفة الوقت , وكم مضى من اليوم والمتبقيّ منه , وخاصّة في معرفة أوقات الصلاة , ووقت الشّروق والغروب , حتى ولو كان بشكل تقريبي , إلى أن تمّ الاستغناء عنه لدخول الحدّثة

واستخدام وسائل التقنية العصريّة , وهي ( السّاعة العصريّة ) وحدث هذا عام 1943 م على أشهر الرّوايات .

\*\*\*

رابعاً : سواقي العين ( مخارج الماء منها ) .

كما نعلم فإنّ للعين (5) مخارج نطلق عليها سواقي وهي بالترتيب من الكبرى الى الصغرى ساقية ( تصكو ) تليها ساقية ( طارط أو تارط , تاروط ) وبعدها ساقية ( تنقيشش أو تنبيشش ) ورابعة ساقية ( تنجانون ) وأخيرة ساقية ( تندفران ) .

وعلينا أن نعلم بأنّ لكلّ ساقية من هذه السواقي ( عدا الخامسة الأخيرة ) دفتر لتسجيل حركة خروج الماء عبرها وقادوس لقياس كميّة الماء المنساب خلالها , ومجموعة عمل ( قدّاسين ) يقومون بتسجيل حركة مرور المياه ومراقبة توزيعها على مستحقّيها , وقيام نائبهم لتلك الساقية بتسجيل ما هو القائم والمستجدّ من حركتها , ثمّ عليهم إحالة تلك التقارير لكبير نواب العين لإثباتها في الدّفتر العامّ ( السجلّ الرّسمي ) وما حدث فيها بحكم الزمن من تغيير بحكم الوفاة والولادة فيما يخصّ علم الميراث وحقوق الانفصال من طلاق وفضّ الشراكات , وما يحدث من حركة البيع والشراء والتنازلات والمقايضات فيما يتعلّق بعمليّة التجارة والمتاجرة حسب المعمول به في ذلك الوقت .

وعلى هذا علينا أن نعلم بأنّ انسياب ماء العين عبر هذه السواقي حتى نهاية سيرها نحو مزارع المدينة التي تحفّها كسياج أخضر يلتقّ حول المدينة من مختلف جهاتها كما السّوار يلتقّ حول معصم اليدّ في جسم الانسان .

وإنّ هذه السواقي بغالبها تمرّ تحت أساسات المدينة أو في مستواها وخاصّة في مساجد البلدة وعلينا فتحات فيها ( الميضات ) وكذا شوارعها وقريب من منازلها بحيث يتسنى لمن أرادها و التعامل معها من جلب ماء الشرب والاستحمام والوضوء وبشكل خاص للنساء , بشكل سلس ومتاح وهو من ابداعات مهندس المدينة ومصممها بهذا

الشكل البديع الفريد .

كما نعلم بأنّ مخارج هذه السواقي عليها مراقبة من نواب هاته السواقي وكذا كبيرهم , بحيث يتمّ تعييرها مرّة كلّ عام ويلاحظ كمّيّة الماء الخارج عبرها , وذلك بقياس الصخرة المزروعة في مخرجها , فإن صار وعلاها ترسّب ماء أو كلس فهذا يعني أن نقص الماء الخارج عبرها ووجب حكّ ما علق عليها من ترسّب وكلس , أمّا إن نقصت عن مكانها المعتاد وغارت اسفلا , ويعني هذا زيادة في كمّيّة المياه الخارجة عبرها , فوجب عمل القصدير السائل تحتها حتى تعود لمكانها وتستقرّ فيه , إنّها دقّة متناهية في قياس ماء العين وما يخرج عبرها من سواقيها الخمس , فإنّ الحقّ لمن يستحقّ من مياه العين المملوكة لملاكها , وعلى القائمين الحرص بتوزيعها بشكل دقيق بداية من مخارج العين , وهذا ما ابدعه مهندس ذاك التنظيم البديع في توزيع ماء العين على ملاكها ومستحقّيها .

\*\*\*

#### خامسا : الحصص المقرّرة لكلّ ساقية من مياه العين .

على هذا علينا أن نقول فيما يتعلّق بمسألة توزيع مياه العين عبر سواقيها الخمس وحصصها التي ابدعها المهندس البارع القائم على توزيع هذه الكمّيّة النّابعة من العين سواء كان بشكل فردي أو مع جماعة ومجموعة بأنهم قد أجادوا ما تناولوه .

فبداية القول في هذا الصدد وهو توزيع مياه العين عبر السواقي نقول :-

افترض المهندس القائم أو من معه من مهندسين بأنّ كمّيّة مياه العين النّابعة منها تقدر بكمّيّة مقاسة وقدرها = ( 120 وحدة حسابيّة او 121 وحدة حسابيّة او 121.5 وحدة حسابيّة ) وهذا بناء على ما ذكر من قبلنا شفاهية , أو تمّ ذكره وثبته في كتب تأريخ البلدة والحديث فيه عن توزيع ماء عين الفرس .

- الشّيخ المرحوم ( بشير قاسم يوشع ) قال وكتب عن هذه السواقي :-

( وساقيتا تصكو وتاروط لهما حسابهما الخاص ولا فرق بينهما سوى أن ساقية

تصكو هي ضعف ساقية تاروط من حيث تصريف المياه ) 1. ولم يتحدث الشيخ رحمه الله أو يذكر بقية سواقي العين ولا مقدارها .

\*\*\*

- أما الشيخ المرحوم ( أحمد قاسم ضوي ) فقد كتب في كتاب له :-  
( فقد قسموا كمية المياه التي تندفع من العين في الدقيقة الواحدة وهي { الف لتر } الى 121 وحدة أو جزء , على أن تقسم كمية المياه بين السواقي بنسبة 3:1 وذلك بأن تأخذ كل ساقية ( ربما قصد ساقية ) ثلث كمية المياه التي تخص سابقتها من حيث الترتيب باعتبار المساحة التي ترويهها , تخصص لساقية تصكو ( باعتبارها تحتل المرتبة الأولى من حيث الأهمية ) 81 وحدة أو جزء , ونظرا لأن ساقية طارط تأتي في المرتبة الثانية بعد ساقية تصكو لذا فحسب النظام المتفق عليه يجب أن يخصص لها ثلث الكمية المخصصة لساقية تصكو لذا فإن كمية المياه المخصصة لساقية طارط هي 27 وحدة وهكذا .

فساقية تنقيبشي تأخذ ثلث 27 وهو 9 وساقية تن جنانون تأخذ ثلث 9 وهو 3 وساقية تن دفران تأخذ ثلث 3 وهو 1 وحدة .

وبحساب ما ذكره العمّ المرحوم , فإنّ الإجمالي هو ( 121 وحدة حسابية ) . 2.

\*\*\*

- وفي دراسة مستفيضة عن تاريخ مدينة غدامس عنوانها ( الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مدينة غدامس خلال العهد العثماني الثاني ) للدكتور محمد عمر مروان , ورد فيها ذكر عين الفرس وتقسيم مخارج ماءها بين سواقيها الخمس بأنّ الكمية المفترضة على مياه العين هي = 121 وحدة حسابية .

1 - غدامس ملامح وصور للحاج بشير قاسم يوشع رحمه الله , ص 27 ط2 عام 2001 م .  
2 - راجع كتاب ( غدامس بين الماضي والحاضر ) للشيخ احمد قاسم ضوي رحمه الله , ص 76- 77 ط1 عام 2009 م .

وقسمها على حسب ذلك الافتراض كما هي القسمة المعتادة , 81 , 27 , 9 , 3 , 1 , بحيث يكون مجموعها = 121 وحدة حسابية .

قال وذكر فيها نصًا ممّا استقاه من بعض أهالي المدينة ( وقد قسمت مياه العين على 121 سهما وزعت بين السواقي بنسب ثابتة اتّسمت بالنّظام والدّقة , بحيث كانت كل ساقية تمثّل ثلاثة أضعاف الساقية التي قبلها كالتالي :-

ساقية تينجانون (1) سهم .

ساقية تندفران (3) ثلاثة أسهم .

ساقية تنوبيشي (9) تسعة أسهم . [ تصويبها ؛ تنقيبش ] .

ساقية تارط ( 27 ) سبعة وعشرون سهما . [ تصويبها تاروط ]

ساقية تاصك ( 81 ) واحد وثمانون سهما . [ تصويبها تصكو ] .

وتتحكّم في هذه النسب أحجار وضعت في الفتحات التي تصل السواقي بالعين بشكل يسمح بمرور الكمية المحددة لكل ساقية , وأن تلك الأحجار تحت المراقبة من حين الى آخر , للتأكد من أن المياه تسير كما هو مسموح بها .<sup>1</sup>

\*\*\*

في كتابي ( القادوس ساعة غدامس المائية ) أوردت ذات تلك التقسيمات التي وردت في هذا البحث أنفا من حيث تحليلها واستقصاء الصحيح منها , بكونها معلومات تدلّ على أنّ من أوردها ( في كتاب له أو مقال نشره ) أنّه قد بذل مجهودا بعينه في سبيل جمعه لتلك المعلومة وإثباتها , كجهد يذكر له ويشكر عليه الأ أنّني حدّدت كمّيّة الماء المفترضة في حوض العين هي ( 121.5 ) وحدة حسابية<sup>2</sup>.

1 - ( الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مدينة غدامس خلال العهد العثماني الثاني ) للدكتور محمد عمر

مروان من ص 65 ط1 منشورات دار الكتب الوطنية بنغازي عام 2009 م .

2 - غدامس الجوهرة الفريدة للصدّيق الطيّب البخاري , باب عين الفرس ص 6 .

\*\*\*

وصلت في بحثي هذا لمعلومة تخالف ما سبقني من الباحثين في هذا و قبلي حسب علمي وتقديري , وهو حساب مخارج مياه عين الفرس وتقسيماته عبر السواقي المناسبة منه , بداية من حساب نصيب كل ساقية ( مخرج ) من العين , وتوزيع حساب كل ساقية , وتقسيمها باعتبار مجموعها كوحدة حسابية كاملة .

فلم أقتنع بمجموع وحداتها الحسابية المفترضة التي وردت ( 120 وحدة ) ولا أيضا ( 121 وحدة ) مع ذكرها وورودها في كتب تاريخية سبقنتي وسبقت نشري لكتابي .

وعلي إثبات ضعف ما ورد قبلي , ودعم ما صحّ مني .

\*\*\*

1- عند تقسيمنا للعدد (120) وكذا ( 121 ) نجد الآتي :-

\_ 120 ثلثيه ( لساقية تصكو ) وهو عدد 80 وحدة يتبقى 40 وحدة , فما هو ثلثيه كرقم يكتب بكونه لا يقبل القسمة على ثلاثة كعدد صحيح ( لساقية طاروط ) ؟ .  
\_ 121 ثلثيه ( لساقية تصكو ) وهو عدد 80,6666666 الى مالا نهاية ,, فضلا عن باقي العدد .

\_ أما العدد 121.5 فثلثيه ( لساقية تصكو ) = 81 وحدة حسابية ويتبقى 40.5 ثلثيه ( لساقية طاروط ) = 27 وحدة حسابية , يتبقى منه 13.5 وحدة حسابية وثلثيه ( لساقية تنقيش ) = 9 وحدة حسابية ويبقى منه في العين 4.5 وحدة حسابية ثلثي هذا ( لساقية تنجانون ) = 3 وحدة حسابية الباقي 1.5 وتخرج من ( ساقية تندفران ) وهي في سبيل الله وصدقة يستفيد منها كافة مخلوقات الله للشرب والغسل والطهي , كزكاة من مياه العين.

فإذا جمعنا  $81 + 27 + 9 + 3 + 1.5$  يكون المجموع = 121.5 وحدة حسابية .

\*\*\*

وعند الحساب بالطريقة العصرية لحسابي هذا نجد بشكل مباشر ومختصر وواف الآتي :-

من الأعلى نحو الأسفل ثلثي 121.5 ( ساقية تصكو ) = 81 , بقى في الحوض الثلث = 40.5 ثلثيه ( ساقية تاروط ) = 27 , بقى في الحوض الثلث = 13.5 الثلثين منه ( ساقية تنقيشن ) = 9 , بقى في الحوض الثلث = 4.5 يخرج منه الثلثين عبر ( ساقية تينجانون ) = 3 , يتبقى منه فقط 1.5 ويمرّ عبر (ساقية تندفران ) وهي الأخيرة

والعدّ من الأسفل نحو الأعلى يستقيم  $1.5 = 3 + 4.5$  ,  $13.5 = 9 + 4.5$  ,  
 $121.5 = 81 + 40.5$  ,  $40.5 = 27 + 13.5$  .

إنّها تقسيمة دقيقة عجيبة وفريدة , فيالهم من مهندسين بارعين .

فأنا عندما أوردت ما أميل من حيث هذا الرّقم { 121.5 } واطمئناني له , كان لي فيه غرضان عليّ تحديدهما ؟؟؟

- الغرض الأول :

أني وجدّدت في الرّقم طرافة حسابيّة تعود لذاك العصر , وأي طرافة ؟ ودلالة غير عادية لقوم يعتمدون 0.5 وحدة حسابيّة في حساباتهم , يعني منتهى الدقّة والتدقيق فيها

- الغرض الآخر :

أني وجدّدت القسمة التي عوّلت عليها من دخول ثلثي الكميّة المفترضة في تصكو {81} وثلثي ما تبقى {27} في طارط , وثلثي ما بقى في العين لتنقيشن {9} ثمّ تنجانون لها ثلثي الموجود {3} والباقي لتندفران {1.5} , أعجبني , وجمع كلّ الأرقام وطرحها وتقسيمها ,

يعطينا الناتج عددا صحيحا وهو { 121.5 } سواء كانت العمليات الحسابية من الأعلى الى الأسفل والعكس أيضا صحيح , من الأسفل نحو الأعلى .  
 أما خلافها {120} فلا يعطي ولا يتأتى مثل هذا الناتج , وكذلك { 121 } فهي غير صحيحة بالحساب .

ولنا أن نقسم الكمية المفترضة لثلاثي القيم التالية فنجد عدم استقامتها 1.

\*\*\*

سادسا : مصطلحات توزيع مياه غسوف ( عين الفرس ) .

- اصطاح الغدامسيون أو أهل الدراية منهم { القائمون على تدوين طريقة توزيع المياه على مستحقّيها } مصطلحات لهم نورد أهمّ هذه المصطلحات كالتالي :-
- 1- القادوس وهو مصطلح يعني إناء نحاسي مخروطي الشكل ممثلي ماء , وتستغرق عملية ملئه وتفرغته من الثقب المعتمد ما يساوي في حسابنا الآن = 3 دقائق
  - 2 - نصف القادوس , ويساوي { حبة } .
  - 3 - الحبة تساوي = 12 قيراطا أي 1.5 دقيقة .
  - 4- بمعنى أنّ القادوس = 24 قيراطا .
  - 5- على هذا فإنّ القيراط يساوي في زمننا = 7.5 من الثواني . ( بمعنى  $24 \times 7.5 = 180$  ثانية ÷ 60 ثانية = 3 دقائق ) .
  - 6- الضرميسة = 216 قيراطا , أي 9 قواديس , يقدر بزماننا = 27 دقيقة .
  - 7- الوجبة المائبة = 27 ضرميسة  $\times$  216 قيراطا = 5832 قيراطا ÷ 7.5 من الثواني = 777 ثانية ÷ 60 ثانية = 12.96 ساعة , أي 243 قادوسا  $\times$  3 دقائق = 729 دقيقة ÷ 60 ثانية = 12.15 ساعة , أي بحساب زماننا 12 ساعة { نصف اليوم } بمعنى أنّ اليوم الكامل = وجبتين { 24 ساعة } أي 54 ضرميسة

1 - هي معلومة استقيتها من المرحوم جدي باشا , خاصة وأنه من كتب دفتر ساقية تصكو بعربية عصره بمعينة المرحوم الفقّي قباض , وأوردتها لمن رغب زيادة التوضيح في كتابي المنشور ( القادوس ساعة غدامس المائبة ) منشورات جهاز تنمية وتطوير مدينة غدامس عام 2021 م ص 51 .

= 486 قادوسا × 3 دقائق = 1458 دقيقة ÷ 60 ثانية = 24 ساعة ( روعي فيه تقريب العدد للصحيح ) .

• 8- الضمي ( وهو مصطلح يستعمل في دورة مائية كاملة لكلّ مزرعة ) = 26 وجبة مائية × 12 ساعة = 312 ساعة , أي 13 يوما ( 312 ساعة ÷ 24 ساعة = 13 يوما ) .

• 9- وهنا لنا أن نورد أسماء دورات المياه ( الضمي ) وهي 13 يوم أي = 13 ضمي , وتذكر هذه الأسماء لنهارها وليلتها بذات الاسم وهي بترتيبها :-

- يوم ( نفوس ) - وجبة - وليلته ( ليلة نفوس ) .  
- يوم ( عمران ) - وجبة - وليلته ( ليلة عمران ) .  
- يوم ( بالي ) - وجبة - وليلته ( ليلة بالي ) .  
- يوم ( صالح ) - وجبة - وليلته ( ليلة صالح ) . وهذه وجبة جدّي علي بن يوسف المشار لها في بحث سابق لهذا .

- يوم ( بقايا ) - وجبة - وليلته ( ليلة بقايا ) .  
- يوم ( إسحاق ) - وجبة - وليلته ( ليلة إسحاق ) .  
- يوم ( طياش ) - وجبة - وليلته ( ليلة طياش ) .  
- يوم ( مولى ) - وجبة - وليلته ( ليلة مولى ) .  
- يوم ( آدم ) - وجبة - وليلته ( ليلة آدم ) .  
- يوم ( سنجاسن ) - وجبة - وليلته ( ليلة سنجاسن ) .  
- يوم ( عقبة ) - وجبة - وليلته ( ليلة عقبة ) .  
- يوم ( أكاي ) - وجبة - وليلته ( ليلة أكاي ) .  
- يوم ( شطار ) - وجبة - وليلته ( ليلة شطار ) .

وبهذا نكون قد أوردنا أسماء أيام وليال لكلّ وجبة من الوجبات الـ 13 وجبة لدورة توزيع مياه العين على مدار دورته السنويّة .

• 10- السنّة المائية = 28 ضمي .

\*\*\*

فقد أوردت حسب علمي , وما أخبرني من سبقني في هذا العلم بأن لهذا العلم في حساب القادوس أصول , ومنها حساب السنّة المائيّة له , وعدد أظمائه ( ضميائه ) بشكل دقيق كونها من حقّ مالكيها , ولهم الحقّ فيها وعليهم المستحقّ منها .  
 وأنّ هناك فرق بين وجبة النهار ( فانز ) أو أفانوز , ووجبة الليل ( ضرميسة بالشكل الدقيق في حسابها , والحديث عنهما وأظمئهما بالتفصيل قد يطول , وقد لا يتحمّل هذا البحث المتواضع ثقل تفاصيلهما .

\*\*\*

فصار لزاما عليّ أن أورد في هذا البحث كلام من سبقوني لدراسته بشكل محدّد ومختصر لعموم الإفادة , ونقل ما سمعت من سلفي عنه وتسجيله .  
 فقد أوردت ما سجّلت ذاكرتي سابقا من أقوال سلفيي والذي وجدّي رحمهما الله .  
 وعليّ الآن تسجيل ما نمي لعلمي بعدهما من قراءة ومطالعة ما كتبه من سبقني في التّدوين و ما سجّله .

فقد أورد وسجّل من دَوّن قبلي واهتمّ بهذا الموضوع في بحوثه بأن أهالي غدامس قد حددوا سنة مائيّة للعين وتبدأ من أوّل مايو ( يطلقون على هذا اليوم محلّيّا مَيّو ) وتنتهي بنهاية شهر إبريل من ذات العام , وربما اختيرت هذه البداية لاشتداد الحرارة فيه وفي هذا الشّهر وحاجة النّاس والحيوان وكذا النبات الى كمّيّة كبيرة من الماء , وفي طول هذا العام يستغلّ كلّ صاحب حقّ من الماء حقّه منه .

وفيه تبدأ الصفقات التجاريّة من الماء بيعا وشراء وتأجيرا , وحيث أنّ لكلّ مالك أو صاحب حقّ حصّة من مياه العين من خلال دورة 28 مرّة في تلك السنة المائيّة , بمعنى أنّ له دور وهو الذي يعرف في غدامس ( الضمّي أو الظمّي ) كلّ 13 يوما .  
 وباعتبار أنّ السنّة المائيّة للعين تحتوي على 28 دورة , فإنّ بحساب سريع تكون الحسبة 28 دورة = 13 × 364 يوما وهو عدد أيّام العام في حساب سكّان الأرض والقائمين على حساب أيّام السنّة الميلاديّة تحديدا ..

وقد زادت الأخبار عندي بأن الأهالي بعقريّة منهم في هذا المجال أن زادوا على هذه الأيام يوما واحدا في حساب أظماء العام كأجر خاصّ للعاملين على تسيير ماء العين وقسمتها .

• 11- وعلى هذا وما سبق , فإنّ 28 ضمي × 13 يوم أي 312 ساعة { 26 وجبة مائيّة } = 364 يوما ( عدد أيّام السنّة في مدينة غدامس القديمة استنادا لحساب القادوس ) .

ينقص ساعات أو يزيد عن حساب فلكيّ الدّنيا لحساب السنّة الميلاديّة ( العام الميلادي ) المعمول بها الآن في وقتنا الحالي { 365 } يوما لكلّ سنة ميلاديّة أو عام ميلادي .<sup>1</sup>

\*\*\*

وقد عمل القائمون المسؤولون على تقسيم حصص المستفيدين من ماء العين بحيث كونه ملكا مقدّسا , مراعاة منهم لعمليّة الميراث وتقسيماته بما يناسب الشريعة الإسلاميّة حيث أنّه لورثة مالك الحصّة المائيّة الحقّ بأن يصلهم حقّهم من ذلك الموروث , فكان أن وضع وأرسى المسؤول أو المسؤولون واستحدثوا طريقة ناجعة لتقسيم هذه الحصّة من ماء العين لكلّ مستحقّ منها , فكان أن تمّ وضع مقاييس محدّدة لتقسيم الحصّة المستحقّة لكلّ مالك بمصطلحات وزنيّة داخل الحصّة الواحدة , وهذا ما يقوم به القّداسون وورائهم النوّاب وبعدهم كبير النوّاب إضافة لما يرعونه من شأن ماء العين وتوزيع حصصه , فهيّ من المسؤوليّة المناطة لهم كفريق عمل مكّلف من الأهالي والمجلس البلدي الرّاعي لأهل المدينة وشؤونها , فمنها على سبيل المثال لا الحصر في المصطلحات التي تعنى بهذه التقسيمات المراعية للميراث ووصول الحقّ لكلّ مستحقّ :-

- القادوس وزمنه من ملئه وفراغه حوالي ( 3 دقائق ) .

- نصف القادوس , ويساوي { حبة } .

1 - لمن أراد زيادة في التفصيل نرجو ا منه مراجعة كتاب ( القادوس ساعة غدامس المائيّة ) للدكتور الصديق الطيّب البخاري منشورات جهاز تنمية وتطوير مدينة غدامس عام 2021 م من ص 53 وما يليها .

- الحبة تساوي = 12 قيراطا أي 1.5 دقيقة .
- القادوس = 24 قيراطا .
- على هذا فإنّ القيراط يساوي في زمننا = 7.5 من الثواني ( بمعنى  $24 \times 7.5 = 180$  ثانية ÷ 60 ثانية = 3 دقائق ) .
- الضرميسة = 216 قيراطا , أي 9 قواديس , يقدر بزماننا = 27 دقيقة .
- الوجبة المائيّة = 27 ضرميسة  $\times$  216 قيراطا = 5832 قيراطا ÷ 7.5 من الثواني = 777 ثانية ÷ 60 ثانية = 12.96 ساعة , أي 243 قادوسا  $\times$  3 دقائق = 729 دقيقة ÷ 60 ثانية = 12.15 ساعة , أي بحساب زماننا 12 ساعة { نصف اليوم } بمعنى أنّ اليوم الكامل = وجبتين { 24 ساعة } أي 54 ضرميسة = 486 قادوسا  $\times$  3 دقائق = 1458 دقيقة ÷ 60 ثانية = 24 ساعة ( روعي فيه تقريب العدد للصحيح ) .
- الضّمي ( وهو مصطلح يستعمل في دورة مائيّة كاملة لكلّ مزرعة ) = 26 وجبة مائيّة  $\times$  12 ساعة = 312 ساعة , أي 13 يوما ( 312 ساعة ÷ 24 ساعة = 13 يوما )

\*\*\*

### خلاصة الكلام في هذا البحث .

- 28 ضمي ( بحساب غدامس من ماء العين )  $\times$  13 يوم أي 312 ساعة = { 26 وجبة مائيّة من مياه العين } = 364 يوما .
- وقد أضاف له القائمون عليه في حسابهم لمخارج ماء العين يوما واحدا يختصّ بمكافأة المنفّذين لعمليّة سيره ومراقبة توزيعه خلال العام , فكان أن صار عدد أيّام العام 365 يوما وهو ذات أيّام العام الميلادي حسب تعداد كلّ سگان العالم أو معظمهم الذين اعتمدوا بأنّ عدد أيّام السنة = 365 يوما .
- ختام هذا البحث للمشاركة به في مؤتمركم عساه يلقي منكم الموافقة والقبول .
- مع التحية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## "غسوف"

### الإنسان والبيئة الحضرية والنبع

د. فوزي محمد عقيل جامعة المرقب- كلية الهندسة

أ. حسين علي الدراوي جامعة المرقب- كلية الهندسة

أ. مصطفى العبيد زريقان جامعة المرقب- كلية الهندسة

أ. أشرف حسين الأسود جامعة المرقب- كلية الهندسة

#### الملخص

يتناول هذا البحث العلاقات المميزة بين البيئة الحضرية لمدينة غدامس القديمة وما تحويه من أماكن مميزة. وتحديدًا غسوف (عين الفرس) التي كانت اللبنة الأولى في نشأة الحياة به ونشوء مجتمع إنساني استطاع مع مرور الوقت اكتساب ثقافة خاصة وبناء علاقات إنسانية احترمت المكان وطورته بتقديمها لأفكار مميزة انتجت مدينة احترمت موقعها وخصوصيته وظروفه، ولتقدم سبل الراحة للإنسان الذي استقر بها منذ القدم، والذي استطاع بدوره تحديد محيطه وربط ذهنيا بين مواقع بيئته المحيطة وتمييز أماكنها البارزة نتيجة خبرته المكتسبة مع الوقت ليستطيع إدراكها، الأمر الذي أشعره بالراحة في المحيط الذي يعيش فيه.

اعتمد هذا البحث على المشاهدة المباشرة وجمع المعلومات والزيارات التي قام بها الباحث للمدينة، إضافة إلى عدة مقابلات مع بعض السكان ومختصين من أهل المدينة، وتجميع المعلومات ومراجعة الكتب والدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع، للوصول لأهم العلاقات البارزة والخفية التي تربط بين الإنسان وملامح بيئته الحضرية المميزة. **الكلمات المفتاحية:** غسوف، نشوء مجتمع إنساني، علاقات إنسانية، الربط الذهني، الأماكن المميزة.

## مقدمة

تطورت علاقة الإنسان والبيئة عبر مراحل تاريخ الأرض، فمنذ القدم يستخدم الإنسان البيئة والجغرافيا من أجل مصلحته الشخصية فقام الإنسان بصنع الكثير من التغيرات في البيئة المحيطة به بشكل كبير وجعل الكثير من جغرافية الأرض مختلفة عن ما كانت عليها من قبل. حيث قام الإنسان بالتدخل في البيئة بشكل كبير حتى أنه بسبب تدخله حدث ما لم يحدث من قبل وهو الاحتباس الحراري العالمي والذي نتج بسبب تدخل الإنسان في عمل البيئة وضربها بكثير من الأشكال المختلفة، كما أنه أصبح من السبب الرئيس في تلوث مصادر المياه والمسطحات المائية ونضوبها. ولكن عندما تنظم البيئة الحضرية لتتوافق مع معطيات البيئة الطبيعية للمكان فإن النتيجة تكون خلق مناخ تقاعلي يعزز العلاقة بين البيئتين بحيث تكون علاقة تكافلية لاينتج عنها الاضرار بالبيئة الطبيعية من جهة وتوفير بيئة ملائمة لعيش الانسان بحيث يصبح جزء من الطبيعة بدل أن يكون مدمرا لها.

لقد استطاعت الحضارة الغدامسية أن تحقق هذه المعادلة الصعبة، بحيث كان النتاج هو ذلك الاحساس المبهر الذي نشعره عندما نعيش العلاقة بين عناصر البيئة الحضرية والبيئة المحيطة ضمن علاقات ظاهرة واخرى خفية تزداد وضوحا عند الانتقال من المدينة القديمة إلى مجاورتها المدينة الحديثة.

### مشكلة البحث:

لقد نشأت أغلب الحضارات القديمة عند مصادر المياه بحيث تكاملت معها لتخلق بيئة حضرية متناعمة راعت فيها احتياجات الانسان دون أن تسيئ إلى الطبيعة. لقد أصبح التخطيط العمراني لعديد المدن الحديثة مصدراً أساسياً للإضرار بالبيئة الحضرية بل وتدميرها في بعض الأحيان، حيث أصبحت العديد من المدن الحديثة مصدراً لتلوث المسطحات المائية بمخلفات أنواعها، ومستنزفة لمصادر المياه العذبة بشكل خاص.

### أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى الوصول إلى العلاقة بين أساليب توزيع المياه وتكوين البيئة

الحضرية الغدامسية القديمة وبيئتها المحيطة على رأسها غسوف مصدر الحياة وأساس نشوء الحضارة.

### أهمية البحث:

تتمثل أهمية الدراسة في محاولة تكوين أساس لقاعدة بيانات علمية تترجم الانطباعات الشعورية لعلاقة البيئة الحضرية الغدامسية مع البيئة الطبيعية المحيطة على رأسها "غسوف"، للوصول إلى معايير تخطيطية كمرجع لنشوء تجمعات حضرية جديدة.

### منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي في عرض العلاقات الظاهرية بين مخطط مدينة غدامس وعناصر البيئة المحيطة. والمنهج التحليلي لدراسة هذه العلاقات والوصول إلى الروابط الخفية لنشوء تلك البيئة المبهرة.

### مركبات التفاعل الإنساني مع البيئة العمرانية المحيطة:

يمثل المكان والإنسان والزمان المركبات الثلاثة لأي بيئة عمرانية، حيث يمثل المكان الوعاء الذي يحدث فيه التفاعل الإنساني مع البيئة المحيطة، بينما يمثل الإنسان المركب الإيجابي المتحرك والمؤثر في حدوث ذلك التفاعل، أما الزمن فيمثل مقياس حدوث ذلك التفاعل [1].

على مستوى المدينة يتمثل المكان في النسيج العمراني الذي يتحرك خلاله الإنسان بما يحويه من فراغات عمرانية مختلفة وكتل المباني التي تحدد تلك الفراغات، ويؤدي كل فراغ من هذه الفراغات دور وظيفي محدد سواء كان هذا الدور بسيط أو مركب، كما يحتوي على مجموعة من المؤثرات الحسية التي تتوقف على طبيعة الدور الوظيفي للفراغ. ويؤثر موقع الفراغ وسهولة الوصول إليه ضمن النسيج العمراني ككل على طبيعة الدور الوظيفي له، كما تؤثر المحددات الفراغية للإطار الفراغي (كتل المباني المحيطة) وموقعها بالنسبة لبعضها البعض على خصائص البناء التكويني للفراغ، ويؤثر ذلك بدوره في مجموعة المؤثرات الحسية المختلفة على الإنسان ضمن الفراغ.

أما الإنسان فيمثل الخلفية الثقافية والاجتماعية والاحتياجات المختلفة التي يتحرك

لتلبيتها، والقدرات الذهنية التي تساعده على التحرك من موضع لآخر في البيئة المحيطة. وأخيرا يمثل مجموعة الحواس التي تستقبل المؤثرات الحسية المختلفة ضمن الفراغ الذي يتحرك خلاله كي يستطيع التفاعل معها وتكوين ردود أفعاله المختلفة تجاهها. وتؤثر الخلفية الثقافية والاجتماعية للإنسان على تعدد ونوعية احتياجاته وأولوياته، كما تؤثر هذه الاحتياجات على التوجه الذهني للإنسان داخل النسيج العمراني الذي يتحرك خلاله.

بينما يمثل الزمن الإيقاع الذي يحدث به تردد الإنسان على المواقع المختلفة بالبيئة التي يتفاعل معها، ثم في لحظة بدء التفاعل عند أحد هذه المواقع لتلبية احتياجاته المختلفة، وفترة بقاء هذا التفاعل أو استمراره ومايصاحب ذلك من تعرض الإنسان بحواسه المختلفة للمؤثرات الحسية بهذا الموقع، ثم في لحظة انتهاء التفاعل عند هذا الموقع كنتيجة لتغير احتياجات الإنسان وتغير التوجه الذهني له ليتحرك ويبدأ تفاعل آخر من جديد، وهكذا في تتابع ينتج عنه إيقاعات منتظمة أو غير منتظمة.

### طبيعة حدوث التفاعل الإنساني مع البيئة المحيطة

يمكن تحليل طبيعة التفاعل الحاصل بين المركبات الثلاثة للتفاعل على أساس الاتصال الذي يحدث بين عناصر تكوين كل مركب ومايئاظرها من عناصر بالمركبين الآخرين كما يلي[2]:

**أولاً:** الاتصال الذي يحدث بين المؤثرات الحسية المختلفة لأي موقع بالبيئة المحيطة والتكوين الحسي للإنسان

متأثراً بتوجهه الذهني عند لحظة بدء التفاعل بهذا الموقع، ومايتبع ذلك من إدراك الإنسان للموجودات من حوله ومدى تركيب وتنوع هذه الموجودات وبالتالي شكل المعاشة الإنسانية داخل وسط التفاعل، أو مايمكن أن نطلق عليه الاتصال الحسي بين الإنسان والبيئة العمرانية المحيطة.

**ثانياً :** الاتصال الذي يحدث بين التركيب البنائي للفراغات المختلفة بالبيئة العمرانية

والتكوين الذهني للإنسان متأثراً باحتياجاته المختلفة أثناء استمرار التفاعل، وما يتبع ذلك من فهم و احاطة الإنسان بخصائص التركيب البنائي للوسط المحيط وبالتالي قدرته على توجيه حركته خلال هذا الوسط، أو ما يمكن أن نطلق عليه الاتصال الذهني بين الإنسان والبيئة العمرانية المحيطة.

**ثالث:** الاتصال الذي يحدث بين الدور الوظيفي للفراغات المختلفة بالبيئة العمرانية وبين احتياجات الإنسان المتعددة التي تدفع الإنسان للتحرك من فراغ إلى آخر لتلبيتها، وما يتبع ذلك من تقييم الإنسان لمدى فعالية الفراغات المختلفة وتلبيتها لاحتياجاته بعد انتهاء التفاعل بكل فراغ منها، أو ما يمكن أن نطلق عليه الاتصال الوظيفي بين الإنسان والبيئة العمرانية المحيطة.

**رابعاً:** الاتصال الذي يحدث بين طبيعة وشخصية الفراغات المختلفة ذات الدور الوظيفي المتشابه وبين الخلفية الثقافية والاجتماعية للإنسان، والذي يتحدد بإيقاعات تردد الإنسان على هذه الفراغات وما يتبع ذلك من تأثير متبادل بين الإنسان والفراغات، نتيجة لهذا التأثير يكتسب الفراغ درجة من التميز تعبر عن خلفية مستخدميه. وعلى هذا الأساس يمكن أن نطلق على ذلك الاتصال بالتأثير المتبادل بين الإنسان والبيئة العمرانية المحيطة.

### التصميم المدرك للحيز الفراغي

عملية التصميم هو عملية تتبع من صهر القوى الجسدية المحسوسة الفيزيولوجية مع محتواها الروحاني اللامادي السيكولوجي، ويستلزم الأمر تحليل عناصر كل من هذه القوى ومؤثراتها وتقييم المواقف الموحدة بينها، ويكمن هذا الوفاق عادة من التمكين للعناصر الآتية:

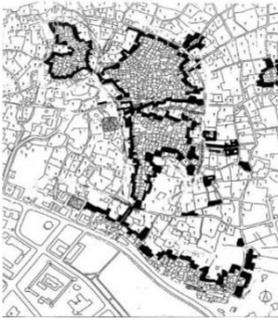
1. متطلبات البيئة وأثارها.
2. الحيز ومفهومه ومعاني وجوده وطرق احتوائه المنسقة مع اطارات التغليف المكمل له.
3. التشكيل المغلف للمحتوى الفضائي ومفاهيمه ورمزياته وملامحه وإيماءته ومدى

تعبير عناصر التشكيل عن معاني بصرية وانطلاقات لا ملموسة ولا نهائية.  
4. القيم والعلاقات الروحية والاخلاقية والعاطفية وارتباطاتها بعوامل التشكيل الواقعية والبيئية.

#### مدينة غدامس (النشأة والموقع):

بُنيت مدينة غدامس القديمة في واحة قبل 12 ألف سنة من قبل التجار الغدامسيون، وهي إحدى أقدم المدن التي قامت في حقب ما قبل الصحراء؛ ولقد وجدت منحوتات ونقوش حجرية تدل على وجود حياة في هذه المنطقة منذ أكثر من 12 ألف سنة. احتلها القرطاجيون سنة 795 ق.م ثم الرومان سنة 19 ق.م، وفتحها المسلمون سنة 44 هـ 665 م بقيادة عقبة بن نافع سنة -

تقع غدامس على بعد حوالي 600 كيلومتر جنوب غرب طرابلس وعلى بعد بضعة كيلومترات من الحدود التونسية والجزائرية. و تحتل المدينة حوالي 8 هكتارات من مساحة الواحة الإجمالية البالغة 215 هكتارًا. شكل (1) a,b



شكل (a1) موقع مدينة غدامس [5] شكل (b1) واحة غدامس تحيط بكتلة المدينة [5]

كتب عنها كثير من الرحالة العرب، حيث وصفها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان بأن في وسطها عينا أزلية وعليها أثر بنيان عجيب رومى يفيض الماء فيها، ويقسمه أهل البلدة بأقسام معلومة وعليها يزرعون ويقصد ياقوت بذلك عين الفرس. لقد لعبت مدينة غدامس القديمة وهي إحدى المدن الصحراوية الرئيسية في ليبيا وموقع تراث عالمي

مسجل لدى اليونسكو، دورًا مهمًا كمركز ثقافي بين البحر الأبيض المتوسط وأفريقيا لسنوات عدة.

### المعالجات التخطيطية والتصميمية للبيئة الحضرية لغدامس القديمة

تقع مدينة غدامس على خط طول 0,9 شرقا وعلى دائرة عرض 6,32 شمالا وبهذا الموقع تشترك مع مدينة القاهرة في خط عرض واحد تقريبا وتقع جغرافيا على الحافة الغربية للحمادة الحمراء على ارتفاع يصل حوالي بين (362 الى 372) م فوق مستوى سطح البحر يحددا من ناحية الشرق مدينة درج التي تبعد عنها (92) كم بينما من الغرب تحدها الحدود الجزائرية التي تبعد (9) كم. ويحدها من ناحية الشمال الحدود التونسية الجزائرية ومن الجنوب مدينة غات على بعد (800) كم. وتحيط بها الكثبان الرملية من الشمال والغرب في حين تبعد 503 كم جنوب غرب العاصمة طرابلس.

الشكل (2-3)



شكل (3) ممرات النساء على الأسطح



شكل (2) الشوارع المسقفة

وتقع المدينة القديمة داخل الجزء الجنوبي الغربي من الواحة و تحيط بها المزارع بالكامل تقريبًا. تتكون من حيين رئيسيين معروفين محليًا وسبع شوارع رئيسية، كما أن أعلى نقطة ملاصقة لها خارج أسوارها يتربع فوقها نبع عين الفرس (غسوف) والتي كانت سبب نشوء المدينة. الشكل (4)

لقد كان التخطيط الحضري للمدينة والهندسة المعمارية والبناء بالطين وإدارة المياه والهندسة الزراعية والتكيف مع المناخ مثالية جدًا، مع انسجامها التام والاحتياجات

الاجتماعية للسكان مع والقيم الدينية والظروف البيئية القاسية والموقع البعيد، مما جعل المدينة مثلاً بارزاً لممارسات الهندسة السليمة التي توفر الراحة لقاطنيها. وليبوت غدامس معمار خاص، إذ أنها بنيت بشكل عمودي حيث يستخدم الطابق الأرضي لتخزين المواد الأساسية والطابق الأول لسكن العائلة، ويخصص السطح المفتوح للطبخ والنساء. وتسمح الممرات التي تربط أسطح البيوت بعضها ببعض بتنقلهن بحرية وخصوصية تامة [3]. كما تحوى المدينة شبكة من الممرات المغطاة تسمح بتنقل الأهالي بين أرجاء المدينة بعيدا عن قسوة الطقس خارجها. لقد بقت هذه المدينة لتعبر عن الممارسات التخطيطية والمعمارية المستدامة التي كان يتميز بها سكانها [4]. كما ابتدعت في غدامس طرقا وأساليب لإدارة موارد ومرافق المدينة بشكل ناجح يترجم علوم الإدارة و التنمية المستدامة الحديثة [5].



الشكل (4) موقع العين بالنسبة للواحة [6]

#### دراسة تأثير توزيع المياه على نمو مخطط المدينة

مما لا شك فيه أن غسوف كانت هي السبب الرئيس لتواجد الحياة في هذه المنطقة، وكما هو معلوم عند تواجد مصادر المياه تتواجد النزاعات للسيطرة عليها. ولإيجاد حلول لهذه النزاعات توصل الغدامسيون إلى حلول مبتكرة لإدارة الموارد الطبيعية وذلك بتقسيم المياه وفق حصص مبنية على مساحة الأرض الزراعية بابتكار أداة لقياس توزيع المياه

حسب الزمن وتسمى **القادوس**. وللحفاظ على مياهها من الهدر جعلوا ماءها مقابل قيمة مادية فيما عدا المياه المخصصة للمساجد والشرب لكافة الكائنات الحية والغسيل [6]. ويرى الباحث من خلال دراسة توزيع سواقي المياه وعلاقتها بالمباني ضمن مخطط المدينة، أن توزيع سواقي المياه أثر على التصميم الحضري للمدينة بشكل كبير وهذا يتضح جلياً في تموضع الجوامع ضمن مخطط المدينة، حيث أن وضعية أماكن الوضوء بها تأتي في مقدمة الجامع وهذا ما يتوافق مع التراتبية الوظيفية لتصميم المساجد. شكل (5-6)، وبما أن وجود القنوات بالمدينة يسبق وصول الفتح الاسلامي لها تظهر احتماليتين لعلاقة السواقي بالجوامع.

- **الاحتمال الأول:** فتح قنوات خاصة تتفرع من الرئيسة لتغطية إحتياجات الجوامع.
- **الاحتمال الثاني:** إقامة الجوامع على مسارات قنوات المياه.

ويرجح الباحث الاحتمال الثاني، إذ أن أغلب مسارات قنوات المياه المغذية للجوامع تمر تحت المباني وذلك ما فرضه النسيج المتضام للمدينة.



شكل (6) القنوات بالمساجد (المياضئ)



شكل (5) القنوات الرئيسة

## النتائج

1. لقد كانت "غسوف" السبب الرئيس لنشوء مدينة غدامس، وبالتالي كانت هي الملهم الأول لنشوء الفكر التخطيطي لها.
2. استطاع الغدامسي القديم أن يخلق بيئة حضرية متناغمة، جمعت مركبات التفاعل الثلاثة للبيئة العمرانية بشكل ناجح.
3. كانت إدارة الموارد البيئية والبشرية سببا رئيسيا في ضمان منح مبدء الإستدامة للمدينة.
4. أثر توزيع سواقي المياه بشكل واضح على التخطيط والتصميم الحضري بالمدينة.

## التوصيات

1. يجب عند إعداد الدراسات التخطيطية للتجمعات الحضرية الحديثة أن تكون العلاقة مع البيئة الطبيعية مبنية على أساس مبدء التكافل.
2. إن مصادر المياه كانت ولا زالت هي المصدر الرئيس لوجود الحياة ونشوء التجمعات الحضرية بدليل استمرار الحياة في المدن التي حافظت عليها، لذا أصبح لزاما وضع حد للتعديات التي تنبئ باضمحلال هذه المصادر.
3. التأكيد على التعامل مع التخطيط للتجمعات الحضرية على أساس خصوصية المعطيات المكانية والإنسانية.
4. دعم الأبحاث التي تتناول علاقة مصادر المياه بالتجمعات الحضرية.

## المراجع الأجنبية

- [1]- BENTLY, A. MOURRIN, M. *Perspective Environment- A Manual for Design*. The Architectural Press London, 1987.
- [2] KRUPAT, E. *People In Cities- The Urban Environment and its Effects*. Cambridge University Press, Cambridge, Mass, 1985.
- [3]- JEHL, Jan. *Life Between Buildings- Using Public Spaces*. Van Nostrand Reinhold, New York, 1987.
- [4]- BACON, E. *Design of Cities*. Thames and Hudson, London, 1982.
- [5] RANCIC, R. *Finding The Lost Space- Theories of Urban Design*. Van Nostrand Reinhold, New York, 1986.

## • المراجع العربية

- [6] - عقيل فوزي وآخرون. الاستدامة في المناطق الصحراوية . دراسة وتحليل المعالجات المعمارية والتخطيطية لتقليل الكسب الحراري في المناطق الصحراوية " دراسة حالة مدينة غدامس. المؤتمر الهندسي الثاني لنقابة المهن الهندسية بالزواوية دور الهندسة في التنمية
- [7] - عقيل فوزي وآخرون. "العمارة التقليدية الليبية" مدينة غدامس القديمة" كمصدر إلهام لتطوير بيئة وتخطيط مستدام. كلية الاقتصاد والتجارة المؤتمر العلمي الدولي الرابع لكلية الاقتصاد والتجارة. الخمس , ليبيا , 2020



## ميو- غسوف- التاريخ- يتكلم

أ . أميرة الوحشي

### إهداء

الحمد لله وكفى و الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى و اهله ومن وفى وبعد:  
الحمد لله الذي وفقني لتثمين هذه الخطوة في مسيرتي الاجتماعية بورقتي هذه ثمرة الجهد والنجاح والعمل بفضلته تعالى مهداة الي كل عائلتي الكريمة التي ساندتني ولا تزال تساندني للوصول الى ما اطمح اليه حفظهم الله ورعاهم ووقفهم .

### المقدمة

مما لا شك فيه ان بعض الدول تتخرج من عدم وجود تاريخ لها وتراث وماض تفتخر به وحضارة تستند عليها في اثبات الاصول التي هي مدعاة لفخر كل قوم .

وطبعاً الكل يعرف تاريخنا وحضارتنا في دولنا العربية و الاسلامية وحتى الشرق الاوسطية.

واذ نحن في مدينتنا الحبيبة مشمولون بهذا التصنيف لما نمتلكه من تاريخ وحضارة وموروث ثقافي زاخر بالعادات و التقاليد التي كانت و لازالت محل دراسة وبحوث كل مستكشف و كل باحث عن التميز و التفرد بكل ما هو جديد .

و قد هالني ما رأيته من محاولات لطمس و تشويه وتزوير لهوية هذه المدينة تارة باسم الدين بتحريم البعض لبعض الطقوس و تارة اخرى باسم التحضر و المدنية .

مع اننا كمدينة عريقة لها تاريخها قوم متحضرون و مدنيون منذ 3000 سنة قبل الميلاد .  
لذلك قررت ان اخذ على عاتقي بأساليبي و خبرتي البسيطة ان اضع بصمة وان اسعى  
للمحافظة على هذا الارث وهذا الماضي التليد

ببتخليده بين ابنائه عن طريق احياء العادات والتقاليد التي تتماشى مع واقعنا ووقتنا ، ومن  
هذ المنطلق سعيت عن طريق جمعيتي( جمعية اينير لأحياء وتطوير التراث الغدامسي)  
سعيت إلي المزج بين التراث القديم وبعض العادات الجديدة سواء في اللباس او الاكلات او  
في بعض المناسبات و الاعياد ، وخرجنا بيوم "مايو" .

الذي هو بداية السنة المائية في غدامس قديماً وجعلناه يوماً خاصاً بأهالي المدينة يذهبون فيه  
الي بيوتهم القديمة و شوارعهم ويحيون تلك البيوت التي هجرت لعشرات السنين عن طريق  
تنظيفها و الجلوس فيها وممارسة بعض اللوحات الفنية فيها .





### مطوية تعريف بجمعية أينيير لإحياء وتطوير التراث الغدامسي

سبب اختياري لهـــــــذا اليوم "5/1" من كل سنة هو وجود هذا اليوم اصلا في القاموس الغدامسي ، عندما كانت مياه "غسوف" تباع وتشتري وتستأجر وتورث .

اليوم عندما اصبحت المياه متاحة للجميع وغير محتكرة ، حيث اننا جعلناه يوماً يعود فيه الاهالي لمدينتهم ويحييون طقوسهم واسمينها بـ"اصف نكراي يمزج" وفي اللغة العربية ربية تعني "يوم العودة الى المدينة القديمة".

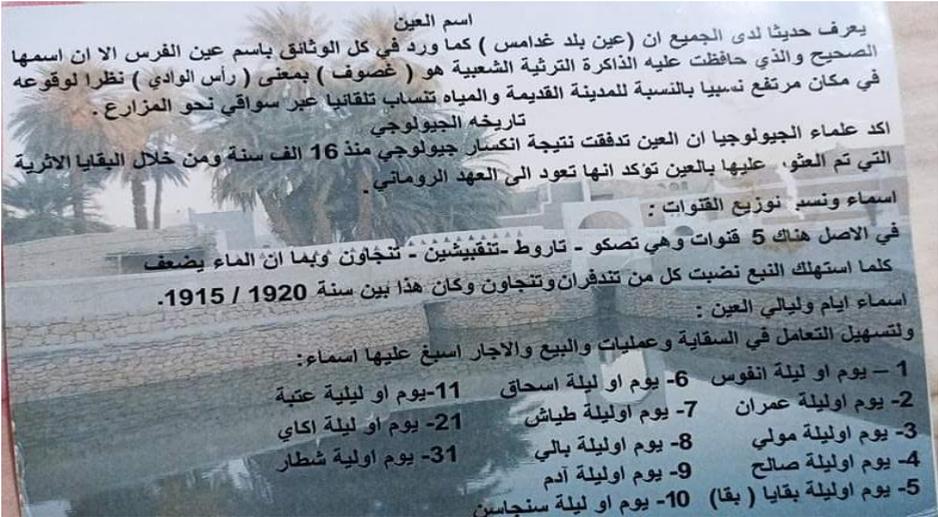
وكان شعوري بان هوية مدينتي واهلها ذاهباً الى زوال لان معظم هذا الموروث الثقافي مرتبطاً بالمدينة القديمة "أمم زرع" وقد تخلى الأهالي عن الكثير منه.

كان يوم "مايو" يوماً مختلفاً عن ما عُرف به سابقاً حيث جعلنا فيه الاهالي يعودون

لببهم لمدة يوم كامل ويحييون به الطقوس والعادات و التقاليد التي كانوا يزاولونها قيماً.

وكان لزاماً عليهم قبل احياء "مايو" بتنظيف المدينة بكل ازقتها وشوارعها وميادينها وجوامعها وبيوتها ، وتزيين البيوت وفرشها وصبغها وصقل تحفها النحاسية و تلميحها وبالفعل ، تم كل ذلك وازدانت المدينة بسكانها القدماء و الجدد ودبت فيها الحياة من جديد .

وقد ذكرت "غسوف" في العديد من الكتب عبر التاريخ حيث ذكرها الكاتب الكبير " بشير قاسم يوشع " في كتابه ( غدامس ملامح و صور) حين قال "فإن هذه العين الاثرية القديمة لا تُذكر غدامس و الا ذُكرت معها بحيث ظل اسمها مقترناً باسم البلدة مدى الدوام، وهي حبس و ملك للغدامسيين الاوائل" ، وليس كل من يملك جزءاً منها يعتبر من الاوائل ، اذ ان هناك من باع اجزاءه و اشتراه الوافدون من بعد ، كما و انها تنتقل الي الاخر من و عن طريق الإرث .



مطوية جمعية اينير التعريفية عن " عين غسوف"

وقد كانت العين قوية جداً ، اما الان فقد انخفضت مياهها الي اقل من النصف كما كانت عليه"

### قد ساعدتنا العديد من الجهات لتنفيذ فكرتنا هذه :-

- 1- المجلس المحلي غدامس وذلك بتقديم دعم لشراء مستلزمات اعداد وجبات تراثية للأهالي .
- 2- جهاز تنمية وتطوير مدينة غدامس ، حيث قدم لنا الدعم بتنظيف شوارع وازقة المدينة ووضع علامات و ارشادات على الطرق المغلقة و البيوت الآيلة للسقوط.
- 3- مستشفى غدامس العام . وذلك بتقديم خدمات ميدانية في المدينة بتوفير سيارة اسعاف ومسعفين ومعدات الطبية تحسباً لأي طارئ قد يحدث .
- 4- مركز الشرطة غدامس ، وذلك بتوفير دوريات ثابتة ومتحركة لحماية الاهالي من اي خطر .
- 5- بعض اصحاب المحلات ، وذلك بتقديم هدايا عينية ونقدية للمشاركين في المسابقات التي تقام .
- 6- مؤسسات المجتمع المدني ، حيث ساهمت بأحيائها لبعض اللوحات الفنية و الطقوس بشكل رائع و اصيل وتقديمها على اكمل وجه.
- 7- المعهد العالي للمهن الشاملة ، وذلك بتوفير صالة لإقامة المحاضرات و الندوات التوعوية حول هذا اليوم.
- 8- و اخر مشارك واهم حلقة في هذه السلسلة هم السكان المحليون الذين ساهموا بشكل عفوي و ايجابي بكل ما اتوا من جهد و قوة ووقت ومعلومات وبكل عزيمة و لولا جهودهم لما كان لمايو اي قيمة .

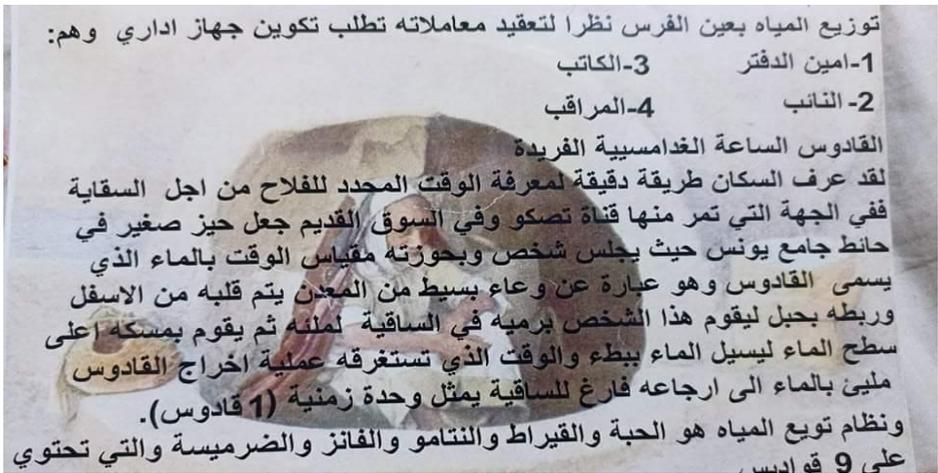
## الإنجازات التي حدثت في "مايو"

اهم انجاز اعتبره معجزة حصلت وهو اعادة الروح للبيوت التي هجرها سكانها من ثمانينات القرن الماضي .

و الاهم من ذلك هو نزول العائلات بأكملها الي بيوتها و التجمع فيها وزيارة بعضهم لبعض و انبهار صغار السن بذلك وسؤالهم عن اسماء البيوت و الازقة و عن اسماء الغرف و الزوايا وبعض المقتنيات الخاصة .

وكان ذلك اسلوب تعلم بصفة غير مباشرة لكنه فعّال في الوقت ذاته . واتي ثماره ومازال يؤتي .

والانجاز الثاني هو عودة الاهتمام ، من قبل المتعلمين و ذوي الشهادات العليا بموروثهم الثقافي ، حيث كانت تقام المحاضرات و الندوات و اوراق العمل التي تبحث في تاريخ المدينة وهذا اليوم خاصةً، حيث الف الاستاذ الكاتب الكبير "إبراهيم الإمام" قصة عن هذا اليوم اسماها "سلطان يوم الماء" ، و استوقفتني سطور كتبها في غلاف القصة وهي "للماء سحر .. للماء سلطان .. للماء سطوة .. للماء قوة .. للماء كلمة .. للماء دولة .. من يمتلك الماء يمتلك سحر الكلمة ، يكتسب سلطان القوة يحكم بسطوة الدولة .. .. .



منذ الازل و ادماء تسيل على ضفاف الماء .لا ينصاع الماء الا لإرادة القوي .. لا يمتلك القوة الا من يمتلك الماء ، تلك هي الاحجية ، وذلك هو السر ، من يمتلك الماء يمتلك السر ، سر الحياة ، سر البقاء" .

### من قصة سلطان يوم الماء للكاتب ابو اسحاق الغدامسي

اما الانجاز الثالث فهو ادخال الفرحة و البهجة والسرور على جميع فئات وشرائح الاهالي و خاصة كبار السن الذين تربوا و عاشوا فترة ليست بالقليلة في احضان "أمزدع" ، حيث رأيت البعض منهم تبكي بدموع الفرح لأنها ذهبت الي بيتها مع العائلة ورجعت بذاكرتها الي الايام الخوالي . وكان بعض صغار السن لا يعرفون تقسيمات القبائل و نظامها و نظام السكن في المدينة و عرفوا ذلك مؤخراً .

### اللوحات التي اقيمت خلال سنوات إقامة "اصف نكراي يمزدع" :

- 1- لوحة عرفة (وقفة عرفات).
- 2- مولوديه (المولد النبوي الشريف).
- 3- الحضرة.
- 4- ازيمبك .
- 5- لوحة "اوزوم" (الصيام).
- 6- لوحة السبارت .
- 7- لوحة عيد الاضحى (صافسكا ما قوراً).
- 8- امشط (مشط العروس) .
- 9- اوراف (العقد) .
- 10- لوحة مورينا (خاصة بالعرس) .
- 11- لوحة الطهور .

## 12- لوحة الن (الحنة) .

وقت قامت المسابقات الثقافية التي تركز اسئلتها عن تاريخ المدينة و  
عن حضارتها .

### بعض انطباعات الناس عن مايو :

- 1- العجوز (س . م) حضنتني وهي تبكي و تقول "الحمد لله ادرع اسيد المع أمزدع  
يطكار سمدين " تعني بالعربية "الحمد لله انني عشت الي ان رأيت المدينة القديمة  
تعج بالناس من جديد"
- 2- العجوز (ش . ح) "يروح ديد وسيع نش د دراري نوك المن داينسن دا دمزدع  
انسن" وتعني بالعربية "تشعر بالسعادة لأنها جاءت هي وابناءها وعائلاتها وشاهدوا  
ميينتهم القديمة".
- 3- امنا (ش . ق) " 20 عام انس اك اوديزع يمزدع اسيد اصفو" بمعنى " 20 عام  
لم اتي الى المدينة القديمة الا هذا اليوم"
- 4- الطفل (احمد) ارتدى برنوس العريس لأول مرة ولا يريد ان يخلعه .
- 5- الشيخ (ص . ن) دخل منزله و يبكي فرحاً لرؤيته يلم شمل العئلة .
- 6- احدي ضيفات المدينة علقت باندھاش على ما رأته من لوحات بقولها "لا اعتقد  
انني في ليبيا ، انا في عالم اخر "
- 7- الشاب (أ . ب) معلقاً بقوله "الاكل و الشرب هنا في هذا اليوم له طعماً اخر ونكهة  
خاصة "
- 8- معظم الاطفال لم يرغبوا في العودة الي منازلهم من شدة اعجابهم و فرحتهم  
بالأجواء السائدة في ذلك اليوم .
- 9- بعض العائلات الغدامسية اتت خصيصا من طرابلس ومن مدن الاخرى لحضور  
"مايو"

10- يعبر معظم الشباب و الشبابات الذين ذهبوا لأول مرة في حياتهم عن فخرهم الشديد بامتلاكهم لبيوت قديمة جميلة تاريخية كهذه ، وانهم نادمون لانهم لم يأتوا اليها من قبل .

### النتائج التي توصلنا إليها :

- 1- الاهالي على اتم الاستعداد للرجوع للجنور سواء بإقامة الاحتفالات او احياء الطقوس القديمة .
- 2- ساهم المهرجان بصفة مباشرة وغير مباشرة في تنشيط السياحة الداخلية .
- 3- اسهم المهرجان كثيراً في التعريف ببعض المفاهيم التي كانت غير واضحة عند البعض.
- 4- اصبح السكان يذهبون الي "أمزدع" في كل مرة أتيحت لهم الفرصة لذلك ، ويقومون اللمات و التجمعات بصفة دورية وهذا بحد ذاته انجازاً .

### التوصيات :

- 1- لابد من التركيز على هذه المناسبات ودعمها ماديا و معنويا حتى نحافظ على الميزة التي تتفرد به مدينتنا من تراث المادي و اللامادي
- 2- جعل هذا اليوم يوما قوميا لجميع مدن وسكان ليبيا و اعتماده من قبل وزارة السياحة ، و اعطاء عطلة خاصة به ، مع العلم انه يتزامن مع اليوم العالمي للعمال .
- 3- الوقوف بشكل جدّي ضد كل من يحاول ان يعبث او يطمس تاريخنا و هويتنا ، سواء بدعوى التحضر او التمدن أو غيرها .

4- اقامة مسابقات ثقافية وابحاث علمية و اوراق عمل تبحث في مثل هذه الامور وتشجيع الشباب و الباحثين باعتماد و تبني جهات رسمية لهذه البحوث ومناقشتها و اضافة صبغة الرسمية عليها .

### الخاتمة

و في النهاية هذا الموضوع ،لا يمكن القول سوى انني قد حاولت عرض ما يدور في عقلي و اوصلت لكم انجازي و فكرتي ، راجيةً من الله ان يكون قد وفقني في كتابة هذه الورقة ، و لا يسعني الا ان اشكر كل مهتم بتاريخ و حضارة مدينتنا الحبيبة و يحاول ابرازه وتدوينه و المحافظة عليه وتطويره ، والله الموفق لي و لكم في الحياة العلمية و العملية .

### المصادر والمراجع :

- 1- كتاب ملامح و صور للكاتب بشير قاسم يوشع ص 25 .
- 2- قصة سلطان يوم الماء للكاتب الكبير " ابو اسحاق الغدامسي " صفحة الغلاف

## غسوف ( عين الفرس )

### ليست مجرد نبع

دكتور فوزي محمد عقيل / محاضر بقسم العمارة والتخطيط العمراني / جامعة المرقب

دكتور عمر على الأمين / محاضر بقسم العمارة والتخطيط العمراني/ جامعة المرقب

دكتور عياد عبدالله بورويص / محاضر بكلية التقنية الهندسية / مسلاتة

#### الملخص :

كل من يعرف غدامس يعرف غسوف (عين الفرس) وأغلبية الناس خاصة غير المتخصصين يعرفون ان غسوف هي تبع أو عين ماء وكفى. و تعتبر "عين الفرس" أو "غسوف" باللهجة الغدامسية كما يطلق عليها أهالي غدامس، أهم مصادر المياه قديما بالمدينة القديمة، وهي نبع ارتوازي كان الشريان الرئيسي الذي أعطى الحياة للمدينة القديمة. ويقال أن عين الفرس " يرجع تاريخها إلى 4000 سنة تقريبا وهي عين طبيعية قديمة تتدفق منها المياه تلقائيا منذ عمر المدينة القديمة، وكانت مياه تنساب إلى المدينة عبر 5 قنوات تمر على معظم الجوامع والمساجد، كما تروي أراضي زراعية تقدر بحوالي 200 هكتار، وتسقي حوالي 18 ألف نخلة كل من يعرف غدامس يعرف غسوف "عين الفرس" وأغلبية الناس خاصة غير المتخصصين يعرفون ان غسوف هي نبع أو عين ماء وكفى .

إلا إن شكل مدينة غدامس بكل محتوياتها هو مثال حي وقوي على كيفية تفاعل الفراغات الحضرية والمباني مع ساكنيها بشكل منسجم، وتولد الأماكن المميزة في غدامس كغسوف شكل من أشكال الثقافة التي تستطيع أن تعكس خصائص البشر وتتناقلها من جيل لآخر لإنتاج ثقافة عالية لارتباطها بحياة الناس بشكل مباشر، كما أن وجود مثل

هذه الأماكن منذ القدم ومعاصرتها لحضارات متتالية مكنها من أن تعكس شكل وخلفية تلك الحضارات السابقة لتمتعها بقيمة ثقافية عالية تعطي معان ومضامين واسعة في تطور المجتمع . تركز هذه الورقة على محاولة إظهار وإبراز الدور الكبير الذي لعبته غسوف في توليد ثقافة عكست خصائص مجتمعها المحلي وامتدت لتؤثر حتى على محيطها الإقليمي ويؤكد هذا الاتجاه في البحث على أن غسوف ليست مجرد منبع للمياه بل انها عنصر حضري امتد تأثيره ليشمل الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لقدامس القديمة.

وقد اعتمدت الورقة على المشاهدة الميدانية للمباشرة وما ورد في بعض الكتب والأبحاث القليلة في تجميع المعلومات ومراجعة الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع .

**الكلمات المفتاحية:** غدامس, عين الفرس ، إدارة الموارد والمرافق ، العمارة والتخطيط العمراني ، الفراغات الحضرية ، تنمية مستدامة ، بيئة مستدامة.

### مقدمة :

تعد السياحة وسيلة لتبادل الثقافات ونشر السلام والتعرف على عادات وتقاليد الشعوب ما يساهم في تعميق العلاقات بين شعوب العالم ، كما أنها وسيلة ترفيه وتغيير فكثير من علماء النفس ينصحون من يتعرض الأمراض التوتر والاكنتاب بالسفر بما لذلك من دور ايجابي في التغيير نحو الجانب الجيد في حياة الأفراد.

ومما لاشك فيه أن ما من صناعة في العالم لاقت من الزواج مثل ما لاقتته صناعة السياحة خلال النصف الثاني من القرن الماضي ، والمفهوم العالمي الحديث للسياحة اليوم يعتبرها إحدى الصناعات الحديثة التي تساهم بدرجة كبيرة في رفد الدخل القومي بالعملات الأجنبية ، كما تساهم في حل مشكلة البطالة والمشكلات الاقتصادية التي تواجه الدول ، كما أنها حققت شأنًا كبيرًا في الكثير من دول العالم ، وتدعم كلا القطاعات الاقتصادية الأخرى من صناعة وتجارة ونقل وخدمات ، وتعكس صورة البلد الحضارية

لجميع دول العالم .

وبما أن مدينة غدامس التي حباها الله بمدينة أثرية بمميزات وخصائص قل نظيرها عريقة طيلة القرون الماضية. بما تتضمنه من المعالم التي يمكن أن تكون وجهة القاصي والداني محليا وعاليا لو ثالث مزيدا من الاهتمام لتساهم عناصرها و تراثها مثل عين الفرس **غسوف** كمعلم من التراث العمراني والسياحة الثقافية في التنمية الاقتصادية لبلادنا الحبيبة إضافة إلى مساهمة عناصرها الأثرية الأخرى في تنمية الاقتصاد الوطني.

### أهداف البحث :

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على دور غسوف كمعلم أثري بتطوير السياحة الثقافية في التنمية الاقتصادية ومدى مساهمة الآثار بمدينة غدامس في تنمية الاقتصاد الوطني.

### منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهجين الوصفي والتحليلي للتعريف بمفاهيم التصميم المستدام وإدارة الموارد في مدينة غدامس القديمة لاستخلاص العبر والاستفادة من مفاهيم الاستدامة وإدارة الموارد في عمليات التخطيط والتصميم الحضري.

### غدامس وعينها الأثرية :

بنيت مدينة غدامس القديمة في واحة من قبل التجار الغدامسيون, وهي إحدى أقدم المدن التي قامت في حقب ما قبل الصحراء وخبر مثال على المستقرات البشرية التقليدية ولقد وجدت منحوتات ونقوش حجرية تدل على وجود حياة في هذه المنطقة منذ أكثر من 12 ألف سنة .

تقع غدامس على بعد حوالي 600 كيلومتر جنوب غرب طرابلس وعلى بعد بضعة كيلومترات من الحدود التونسية والجزائرية وتحل المدينة حوالي 8 هكتارات من مساحة الواحة الإجمالية البالغة 215 هكتارا. شكل (1)



شكل (1) موقع مدينة غدامس وعين الغردس

[https://www.tripadvisor.fr/LocationPhotoDirectLink-g424913-1485154002-Ghadamis\\_Nalut\\_District.html](https://www.tripadvisor.fr/LocationPhotoDirectLink-g424913-1485154002-Ghadamis_Nalut_District.html)

وصفت من قبل الكثير من الرحالة بأن في وسطها عينا أزلية وعليها أثر بنيان عجيب يفيض الماء فيها، ويقسمه أهل البلدة بأقساط معلومة لا يقدر أحد بأخذ أكثر من حقه وعليها يزرعون ويقصد بذلك عين الفرس. ووصفها بعضهم في القرن السادس الهجري بانها " مدينة لطيفة قديمة وبما دواميس وكهوف كانت سجونا للملكة الكاهنة التي كانت بأفريقية وهذه الكهوف من بناء الأولين فيها غرائب من البناء ما تحار الناظر إليها إذا تأملها [4].

و لبيوت غدامس تخطيط معماري خاص إذ أنها بنيت بشكل عمودي. ويستخدم الطابق الأرضي لتخزين المواد الأساسية، والطابق الأول لسكن العائلة وتخصص السطح المفتوح للطبخ والنساء، وتسمح للمررات التي تربط أسطح البيوت بعضها

ببعض تنتقل النساء بكل حرية وتحجبها عن أنظار الرجال. كما تحوي المدينة على شبكة من الممرات المغطاة تسمح بنقل الأهالي بين أرجاء المدينة بعيدا عن تطرف الطقس خارجها [2]. ان السمات الرئيسية لمدينة غدامس القديمة التي تقع داخل الجزء الجنوبي الغربي من الواحة وتحيط بها المزارع بالكامل تقريبا [5]. تتكون من حيين رئيسيين معروفين محليا وسيع شوارع رئيسية, كما إن أعلى نقطة ملاصقة لها خارج أسوارها يتربع فوقها نبع عين الفرس (غسوف) سبب النشوء و مصدر الحياة للمدينة عبر تاريخها الطويل والمزدهر [4].

يمثل التوافق و الحفاظ على النسيج الحضري للمدينة أهمية كبرى للشعوب، لأنه يشكل المفهوم الإنساني للمقومات التي يتناقلها الأجيال، والمفهوم المكاني المتحسد في الأبنية والمواقع ذات القيمة التراثية العمرانية غير العصور فهو يعد مرآة تعكس الحضارة والعراقة للمجتمع، كما أن القيم التراثية تعد مصدر فخر للمجتمعات من خلال وجودها المادي المتمثل في العناصر والقيم الثقافية والتاريخية ، مثال لذلك المناطق الحضرية والحداثق إضافة إلى الأبنية الأثرية القديمة. كل هذه العناصر تتفاعل مع بعضها البعض مكونة الإرث المتناقل عبر الأجيال، لذا وجب الحفاظ على هذا النسيج القديم للبيئة العمرانية لما يمثله من ثروة قومية وما يحمله من قيم تاريخية وثقافية واجتماعية واقتصادية لذلك فإن توافق النسيج الحضري مع البيئة العمرانية المحيطة به لا يستهدف فقط المحافظة على الجانب الملموس منه والمتمثل في صور المباني الأثرية والتراثية والتاريخية وانما يمتد إلى الجوانب التي تفوح منها رائحة التاريخ وتحمل في طياتها ذاكرة الأمة التي تستدعيها وتستلهمها في الشدائد وتستمد منها توافق النسيج الحضري مع البيئة العمرانية المحيطة به بما فيها عين الفرس. وهذا لا يستهدف فقط المحافظة على الجانب الملموس منه والمتمثل في صوراً لمباني الأثرية والتراثية والتاريخية وانما يمتد إلى الجوانب التي تفوح منها رائحة التاريخ وتحمل في طياتها ذاكرة الأمة التي تستدعيها

وتستلهمها في الشدائد وتستمد منها قدراتها الكامنة وشخصيتها المتفردة لتتمكن من التعايش مع إيقاع الحياة المعاصرة بتشكيلات عمرانية وطرز معمارية متميزة 4.

### العين كأحد عناصر النسيج الحضري

هو عبارة عن نظام مكون من عناصر فيزيائية تتمثل في شبكة الطرق الفضاء المبني ، الفضاء الحر ، الموقع ، والتجاوب بين هذه العناصر يعرف بخصائص الفضاء الحضري الذي يعرف تحولات ثابتة وراجعة للتطور الذي تتعرض لهذه العناصر المكونة عبر مرور الزمن ويمتد ويشمل أنساق البناء على قطع الأرضي وما يحتويه ذلك من علاقات خاصة بنسب البناء وأنمطا لبناء [5] .

### دعم العين للبيئة العمرانية الحضرية

بصفة عامة يعرف مصطلح البيئة على أنه الحيز الفراغي/ للمكاني (أي الخارجي) بكل ما يحتويه هذا الحيز من أشكال للحياة من كائنات حية على قائمتها الإنسان مع النبات والطيور والحيوان، وما يحدد به هذا الحيز من أشكال طبيعية ( أنهار، سماء ، تلال ، وسهول ، وديان أو عمران من صنع الإنسان (مباني ، بنية تحتية وفوقية و حوائط ) . كما تعرف البيئة العمرانية على أنها الأطر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والنشورية والتنظيمية بكل متغيراتها وفق الموقع والموضع والزمان والمعماريون يعرفون البيئة العمرانية على أنها التكوينات التي يبنونها الإنسان ، ولا يمكن فصل بيئته العمرانية عن بقية البيئات ، إذ أنها تتوافق وتتكامل مع بعضها لخلق بيئة كلية تتفاعل مع الإنسان وتؤثر فيه وتتأثر به ، وعلى ذلك فإن البيئة الكلية هي مجموع البيئات المكونة من بيئة اجتماعية وبيئة ثقافية واقتصادية وعمرانية وجغرافية وتمثل عين الفرس "غسوف" عنصرا مهما جدا في الحيز الفراغي لمدينة غدامس القديمة حيث يعتبر محيطها من أهم الفراغات التي يتجمع بها الناس ويقومون بها العديد من النشاطات العامة والمرتبطة بالعين .

شكل (2) يوضح تناغم هذا الفراغ مع البيئة وبشكل عام فإن البيئة الحضرية Urban هي جزء من البيئة الشاملة التي نعيش فيها والتي أقرب أن تميل إلى أن تعرف البيئة الحضرية على أنها : "النسيج المادي المعبر عن ناتج تفاعل الإنسان مع بيئته بهدف إشباع متطلبات الإنسان المادية والروحية في إطار محددات خلفياتها الثقافية والاجتماعية والفكرية 6 .



شكل 2 : تناغم مع البيئة (احجار طبيعية , اشجار النخيل والمياه )

### مساهمة العين في اثرء الطابع العمراني

يعبر الطابع العمراني عن مجموعة الصفات والخواص والسمات التي تميز موضوعا معماريا عن غيره ، وينتج بالاعتماد على كثير من الأسس وتحت تأثير العديد من المؤثرات (البيئة ،المواد ،الإنشاء ،المناخ ، شخصية المعماري) [7] (شكل 2)

### غسوف كفضاء العام

هي المكان الذي يأتي الناس إليه معا للاستمتاع فيه، والأماكن العامة تجعل الحياة ذات جودة عالية في المدينة واستغل من السكان وفق احتياجاتهم كفراغ استحمام مثل السباحة خلال فصل الصيف وكذلك التجمع لآحياء المناشط والمهرجانات (شكل 3)



شكل 3 :عين الفرس كفراغ عام

### المشهد الطبيعي Natural Images

تمثل عين الفرس جزء مهم من المدينة من خلال موقعها للتمييز بين المدينة وغابات أشجار النخيل والشوارع والماء يمثل بحيرة فالمشهد يساعد في تحديد طبيعة وجمال المدينة ويخلق ربط بين المساحات والعناصر المختلفة التي تحيط بها (شكل 4) .



شكل 4 :عين الفرس مشهد طبيعي

## البيئة الاجتماعية العمرانية Urban Social Environment

يعرف علماء الاجتماع البيئة الاجتماعية بانها جزء من البيئة الشاملة التي تتكون من الأفراد والجماعات في تعاملاتهم الاجتماعية وجميع مظاهر المجتمع الأخرى. ويرجع الفضل للبيئة الاجتماعية في تنشئة الأفراد وتوجيه سلوكياتهم ، لذلك فان معرفة عناصر البيئة الاجتماعية لأنواع المختلفة للمجتمعات العمرانية لازمة وضرورية لإدراك التحارب الإنسانية، وتعتبر خلفية لفهم المزيد عن الإنسان في إطار بيئته المشيدة ، ويختلف الإطار الاجتماعي باختلاف الزمان والمكان حتى لو تشابهت البيئات الطبيعية والظروف الجغرافية ، وهذا يدل على أن التراث الاجتماعي يكاد يكون العامل الفاعل في تكيف حياة الأفراد ومقلا من أثر البيئة الطبيعية [23] عين الفرس من الاماكن المهمة التي أثرت الحياة الاجتماعية فهي مكان يلتقي فيه اهل البلدة والسواح على حد سواء لما لهذا المكان من أثر عظيم في تلطيف الأجواء اما بالجلوس حول العين او السباحة خاصة خلال ايام الصيف الحارقة. كما ان الالتقاء حول العين بدعم وبشدة تقوية العناصر الاجتماعية كالتحدث والتعرف على السواح وهو ما يمثل عنصر اللغة وهي حجر الزاوية في كل تراث اجتماعي وثقافي ، وتشير التجارب إلى شدة التفاعل بين اللغة وأوجه التراث الاجتماعي اما التقاليد والتي تمثل طائفة من السلوك الخاصة بطبقة معينة أو بيئة محلية محدودة النطاق فهي تتمثل في انواع الانشطة التي تقام حول العين والمرتبطة بالعين بشكل خاص واحترام هذه التقاليد دليل على قوة الطبقة أو الجماعة, كل ذلك يكون اقوى عادة عندما يتشبث المجتمع بأعرافه وطرقه الخاصة بالحياة فالأعراف التي يراها المجتمع ضرورية لوجوده ومن ثم ينفذها بمشاعر عميقة وقوية وهي أنماط شائعة من أفعال وسلوك وتصرفات الأفراد والجماعات في مختلف مواقف الحياة اليومية والاجتماعية. كما العين وكامل مخطط غدامس ارتبط جيدا بوصفه سببا في ترسيخ القيم الاجتماعية وهي مجموعة الأفكار والمبادئ التي يعتقد في صحتها الأفراد ويقوم عليها التنظيم الاجتماعي والعادات والأعراف التي وضعها

المجتمع والتي تحدد سلوك الأفراد أما القوانين وهي القواعد الأساسية للسلوك وتنفيذها سلطة معينة من خلال إجراءات رسميه والتي جسدتها العين من العرف الذي طبقه سكان غدامس للاستفادة من عين الفرس في حياتهم اليومية من خلال تطبيقهم للعرف ليكون قانونا، وعادة ما تكون القوانين فعالة عندما ترجع جذورها إلى قواعد العرف التي تقبلها الجماعة [9]. وبشكل عام فإن البيئة الحضرية Urban Environment هي جزء من البيئة الشاملة التي نعيش فيها والتي أقرب أن تميل إلى أن تعرف البيئة الحضرية على أنها : النسيج المادي المعبر عن ناتج تفاعل الإنسان مع بيئته بهدف إشباع متطلبات الإنسان المادية والروحية في إطار محددات خلفياته الثقافية والاجتماعية والفكرية [6]

#### عين الفرس كثرات عمراني :

عرفت المادة الأولى من مسودة ميثاق المحافظة على التراث العمراني في الدول العربية وتميمته "التراث العمراني" بأنه : كل ما شيده الإنسان من مدن وقرى ، وأحياء ، ومباني ، وحدائق ، ذات قيمة تاريخية أثرية ، أو معمارية ، أو عمرانية ، أو اقتصادية ، أو تاريخية ، أو علمية ، أو ثقافية، أو وظيفية، التراث العمراني هو شكل ثقافي متميز يعكس الخصائص البشرية عميقة الجذور ويتناقل من جيل إلى آخر ويعمد عبر فترة زمنية متفاوتة نوعياً ومتميزة بينياً وتظهر عليه التغيرات الثقافية الداخلية العادية ولكنه يحتفظ دائم بوحدة أساسية متميزة [10]. وتشمل المباني ذات الأهمية التاريخية والأثرية والفنية والعلمية والاجتماعية وهي عناصر تتوفر في عين الفرس كما تشمل أيضا الزخارف والأثاث الثابت المرتبط بها والبيئة المرتبطة بها ، والمناطق التراثية تعرف بأنها تلك المناطق التي تميز بيئة عمرانية متوازية شيدت في عصر تاريخي بحيث تشكل تراث يحفظ جذور الحضارة وسماتها وتعكس أحداث العصر الذي واكبته وتعد هذه البيئة نتاجاً لقيم وأعراف وفلسفة تخطيطية تصل هذه العصور التاريخية مما قبل بتجانس وتكامل واضح [2]. وقد عبرت عين الفرس عن التراث

غير المادي ( الروحي) لأنها ارتبطت بحياة المجتمع الفكرية والاجتماعية وهي من الرموز التي تحدد القرية العمرانية للمدينة غدامس . كما انها على غير العادة جمعت بين ان تكون فردا روحيا وايضا فرقا ماديا لأنها شيء أرتبط بحياة المجتمع وله قاعدة مادية فهي من الأثار ومن المعالم التاريخية الإنسانية أيضا وشكلت مع كونها ترات غير مادي هوية وفكر وثقافة لمجتمع مدينة غدامس القديمة .

### عين الفرس كمعلم تاريخي :

بشار أيضا إلى المعالم أو الهياكل التاريخية بأنها الأثار أو النصب وتشتمل هذه الفئة على خواص الأعمال المعمارية الظاهرة فوق سطح الأرض التي بلغت مرحلة زمنية معينة لا تقل عادة عن مئة سنة أو انطوت على سمات أخرى مثل الارتباط بحادثة مهمة أو شخص مهم مما يجعلها تاريخية ومن ثم يضاف عليها طابع الاستحقاق اعتبره معماري منفرد او مجموع يقوم شاهد على حضارة معينة أو على تطور هام أو حادثة تاريخية وتشمل المعالم التاريخية اضافة الى المباني المعمارية البيئة المبنية والطبيعة التي تكون دليل على حضارة ما أو عن تطور في معنى الحدث تاريخي (3) . عين الفرس في سبب تشوء المدينة وهي من أهم معالم المدينة القديمة وضمينا لأنها سبب النشوء فأنها يجب أن تكون اقدم عنصر من عناصر المدينة كما أن شكلها وموضعها ومكانها تدل جميعها على انها انشاء هندسي معماري رائع وهي مكان يعتبر شاهدا على بداية النشوء والحضارة .

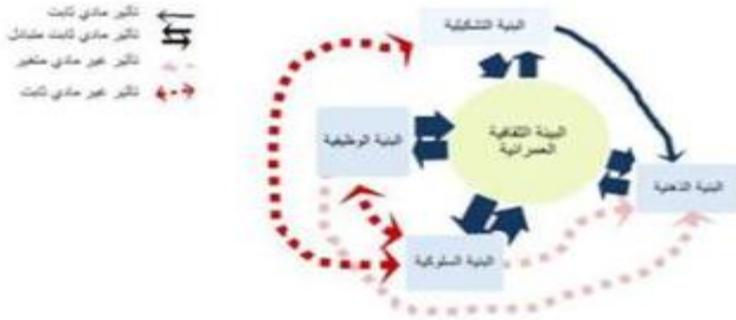
### المناظر الطبيعية والتكوينات التاريخية والثقافية

هي عبارة من منطقة أنت فيها الأنماط التعليمية لاستخدام الأراضي إلى خلق سيمات للمناظر طبيعية وتكوينات مرتبة وحفظها وهي السمات التي تعكس بصفة خاصة الثقافة ونمط الحياة أو الفترة الزمنية (2) التاريخية التي تستوجب اختبارها ضمن

الممتلكات الثقافية وقد يشمل هذا النوع من الممتلكات على سمات طبيعة هامة من الناحية الثقافية مثل البحيرات المقدسة والغابات والشلالات (4)

### البيئة الثقافية العمرانية Urban Cultural Environment

وهي منظومة ذات كيان ملموس ومادي نسبيا ومتجانس أو غير متجانس يمكن قياسه من خلال الطريقة التي يمارس الإنسان حياته داخل إطار اجتماعي مكون من مجموعة أفراد، وهذه الممارسة كالم داخل وعاء يتمثل في البيئة العمرانية المحيطة بالفرد، وهذه المنظومة معرضة دائما للتغيير سواء على فترات زمنية متقاربة أو متباعدة تتوقف على مدى تقبل الأفراد للتغيير . ديناميكية هذه المنظومة تظهر في نوعية الأنشطة وتنوعها. التي يمارسها الفرد داخل هذه المجموعة بناء على حقوقه واحتياجاته ، لربط الأمر في النهاية إلى كيان فعال لبيئة الثقافية العمرانية حاليا ومستقبلا أنظر الشكل (5) .



شكل 5: الرؤية الخاصة بالبيئة الثقافية العمرانية  
المصدر: (أميمه محمد عبدالرؤوف, 2019)

فقد يؤثر العمران على تغيير ثقافة الجماعة بصورة غير مباشرة وذلك من خلال القدرات الكامنة في العمران ، حيث يؤثر التوافق والتشكيل العمراني للبيئة المشيدة

على الأفراد في إدراكهم وتفاعلاتهم مع البعض، ويشجع مجموعة من السلوكيات وينمي قواعد أخلاقية معينة [11] .

### غسوف كأثر من الآثار :

يعتبر أثرا كل شيء خلفته الحضارات أو تركتها لأجيال السابقة مما يكشف عنه أو يعثر عليه سواء كان ذلك عقارا أو منقولا يتصل بالفنون أو العلوم أو الآداب أو الأخلاق أو العقائد أو الحياة اليومية أو الاحداث العامة وغيرها ويرجع تاريخها لمائة سنة مضت متى كانت له قيمة فنية وتاريخية وهو ما تركته الحضارات و الأجيال من مخلفات مادية. وعين الفرس " غسوف" هي من اهم الآثار الساكنة (غير المتحركة) وهي تعرف على انها الآثار غير القابلة للحركة وتغيير مواقعها وأماكنها ، وهي التي تشكلت و تركبت في مواضعها الأصلية كالرسومات الجدارية والنصب التذكارية والمباني وغيرها.

### المناقشة والنتائج:

مما سبق نستدل بأن عين الفرس "غسوف" تعتبر من ضمن الثرات والمعالم التاريخية والآثار تجتمع في الخاصية المادية .

ويتميز التراث عنهم بالخاصية الروحية (الغير مادية) أما الآثار فيختلف عنهما من حيث التحديد الفرضي للعمر الزمن (فيما تتميز المعالم التاريخية عنهما في خاصية شموليتها من حيث التصنيف النوعي (معالم طبيعيا ومعالم إنسانية) وتوسعها من حيث التصنيف الزمني والنوعي مع (الحدث والتفرد) وما تحمله من معان ومضامين التواصل والاستمرارية [11] (سياسية ثقافية ، إنتاجية وتقنية) كالأبراج والمساجد ... والبيوت القديمة الخ. وعند اختيار المعالم التاريخية لا يعني بالتحديد إظهار قيمتها التذكارية الخاصة فحسب وانما ايضاً ابراز قيمتها الثقافية والتي تعطي المعاني والمضامين الواسعة في تطور المجتمع . وكثير من الدول تعطي للمعالم التاريخية

تعريفات معينة تضيفها لتصبح إحدى المواد التعريفية الأساسية في قوانينها ولوائحها. لقد جمعت غسوف (عين الفرس) الكثير من المزايا كونها معلم واثر وتراث مادي وغير مادي لارتباطها الشديد بالحياة ولأنها هي السبب الذي أوجده الله سبحانه وتعالى للحياة في تلك البقعة الصحراوية الخالية من الحياة قبلها . لذلك فإن عين الفرس هي من الأماكن المميزة في غدامس ومثلت شكلا من أشكال الثقافة بما صيغ حولها من حكايات وما قيل فيها من اشعار والتي عكست خصائص سكان المدينة وتناقلتها من حين لآخر فأتحت ثقافة عالية لارتباطها بحياة الناس بشكل مباشر، كما أن وجود مثل هذه الأماكن منذ القدم ومعاصرتها الحضارات متتالية مكنها من أن تعكس شكل وخلفية تلك الحضارات السابقة لتمتعها بقيمة ثقافية عالية تعطي معان ومضامين واسعة في تطور المجتمع . وقد تجاوز تأثير غسوف مجتمعها المحلي وامتدت لتؤثر حتى على محيطها الإقليمي كمكان اخذ أهميته كملتقى للقوافل ومركزا حضاريا بسبب وجودها ويؤكد هذا الاتجاه في البحث على أن غسوف ليست مجرد نبع للمياه فقط بل أنها عنصر حضري امتد تأثيره ليشمل الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية و الروحية لغدامس القديمة وما حولها .

### الخلاصة:

عكست هذه الورقة بعض مميزات تبع الماء غسوف (عين الفرس) الموجود في مدينة غدامس القديمة . إن غسوف عنصر فريد من عناصر المدينة القديمة من نوعها لأنها جمعت بين كونها عنصرا معماريا ومصدرا للحياة ومولدا للثقافة و رابطا للعلاقة بين الإنسان والبيئة المحيطة وقد أشارت هذه النتائج إلى أن غسوف ليست مجرد نبع للمياه فقط بل أنها من العناصر المهمة والتي امتد تأثيرها ليشمل جميع نواحي الحياة المختلفة. تعتبر عين الفرس من الأماكن المميزة جدا جماليا وروحيا مع انتاجها لتقنيات غنية ومبدعة في قوانين الري والاستفادة من المياه كما أنها كانت الغدامس السبب الرئيسي في النشوء. لقد تم تموضع المدينة حول العين بطريقة توفر الوصول السريع والمريح

المصدر المياه وقد مثلت العين العديد من المعاني والمفردات وهي ليست قط رمزا عمرانيا فقط بل هي ايضا مثلت سمة من السمات الاجتماعية والثقافية وأوجدت حلا من الحلول المناخية الفريدة اضافة الى ذلك ساهمت في ترسيخ تصميمها بيئيا مناسباً متكاملة مع العناصر الأساسية الرائعة من مباني وعناصر تخطيطية .

### التوصيات :

تأمل هذه الدراسة أن تؤكد على أهمية عين الفرس "غسوف" في البيئة المبنية والاجتماعية والثقافية والتراثية إضافة إلى أنها مصدر مائي وسببا مهما في خلق علاقة متناغمة بين البيئة المبنية ومستخدميها ويمكن استخدام النتائج في الاهتمام بالجوانب المختلفة التي مثلتها العين وتوسيع نطاق الاهتمام بحفظ التراث والمعالم كمصدر مهم من مصادر السياحة والتركيز على كافة المعالم وفهم التراث العمراني والثقافي والاجتماعي لمجتمع مدينة غدامس القديمة.

### المراجع

#### مراجع باللغة العربية

- 1 تقرير " ميثاق المحافظة على التراث العمراني في الدول العربية وتنميته "، للمملكة العربية السعودية: الأمانة العامة للهيئة العليا للسياحة 2، 2003 م .
- 2 عبد الله يوسف ، محمد الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته . اليمن : جامعة صنعاء
- 3 3 محلة التراث والحضارة، الصادرة عن المركز الإقليمي لصيانة للممتلكات الثقافية في الدول العربية، العدد 1999 . ، رقم 4، بغداد
- 4 سعود صادق حسن وأميمه محمد عبد الرؤوف . توافق النسيج الحضري مع البيئة العمرانية دراسة حالة : منطقة الشهداء - أم درمان 2019 م

- 5 شاهين ، رحاب التخطيط الحضري لمنطقة ام درمان جامعه السودان للعلوم والتكنولوجيا 2013 ص 13 .
- 6 شبكة الجغرافيون العرب جغرافيا العمران البيئة الحضرية شبكة الانترنت ( صيانة للمدن القديمة).
- 7 المنحد، جمان، م، نظريات العمارة مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب سوريا 1991
- 8 تقرير " ميثاق المحافظة على التراث العمراني في الدول العربية وتنميته"، المملكة العربية السعودية: الأمانة العامة للهيئة العليا للسياحة 2، 2003 م .
- 9 ابراهيم ، عبد الباقي ، العمارة والثقافة" عالم البناء عدد 9 القاهرة ، مصر ، 1981 .
- 10 مأمون ، ميرفت ، "القوانين والتشريعات الأردنية وأثرها على استراتيجيات الحفاظ العمر اي " بحث منشور، مؤتمر الحفاظ المعماري بين النظرية والتطبيق ، دبي 2004 ، صفحة (57)
- 11 عبد الله يوسف ، محمد، الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته اليمن: جامعة صنعاء
- 12 مجلة التراث والحضارة، الصادرة عن المركز الإقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية العدد رقم 4 بغداد . 1999
- 13 عقيل فوزي محمد وآخر الاستدامة في المناطق الصحراوية، دراسة وتحليل المعالجات المعمارية والتخطيطية لتقليل الكسب الحراري في المناطق الصحراوية " دراسة حالة مدينة غدامس، المؤتمر الهندسي الثاني لنقابة المهن الهندسية بالزاوية - دور الهندسة في التنمية المستدامة وبناء الدولة / 2019 13

10-11/12.

14 عقيل فوزي محمد وآخرين بين الحقيقة والصدفة ... مبادئ طاقة لمكان fengahui في عمارة غدامس القديمة " ، مركز غدامس للأبحاث والدراسات وتوثيق التراث المؤتمر العلمي الدولي حول تراث غدامس الدورة الأولى تاريخ غدامس القديم 30-31 يناير، مدينة غدامس ليبيا. 15

15 عقيل، فوزي محمد وآخرين، غدامس القديمة - مدينة ولدت مستدامة "، مركز غدامس للأبحاث والدراسات وتوثيق التراث للمؤتمر العلمي الدولي حول تراث غدامس الدورة الأولى تاريخ غدامس القديم، 30-31 يناير، مدينة غدامس ليبيا.

16 عقيل فوزي محمد وآخرين مفاهيم التصميم المستدام ومبادئ طاقة للمكان في عمارة غدامس القديمة"، المؤتمر الثاني للتشييد في المناطق الصحراوية 15 / 11 / 2021 جامعة الرفاق طرابلس

17 يوشع بشير، قاسم غدامس ملامح وصوره، الطبعة الأولى، بيروت، دار لبنان للنشر 18 1973

18 فلاح عبد اللطيف غدامس تاريخ وحضارة المؤتمر العالمي حول المدن القديمة في ليبيا، طرابلس . 01 1988، ص

19 تقرير " ميثاق المحافظة على التراث العمراني في الدول العربية وتنميته "، المملكة العربية السعودية: الأمانة العامة للهيئة العليا للسياحة 2، 2003 م.

20 عبد الله يوسف محمد الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته اليمن: جامعة صنعاء.

21 مجلة التراث والحضارة، الصادرة عن المركز الإقليمي لصيانة الممتلكات

الثقافية في الدول العربية العدد رقم 4، بغداد، 1999

22 خليل أميمه و صادق حسن سعود توافق النسيج الحضري مع البيئة العمراني  
دراسة حالة: منطقة الشهداء - أم درمان بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في  
التصميم الحضري، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - كلية الدراسات العليا  
السودان 2019م.

مراجع باللغة الإنجليزية

. Bentley, Alocck, Murrain, Mc Gltnn, and Smith" -23  
Responsive Environments: A Manual for Designers",  
Oxford University, U .K. 1985 14

## الماء ودلالته عن تاريخ مدينة غدامس

### أ . شكري بشير الوحشي

يعتبر الماء أحد أهم عنصرين لاستمرار حياة الكائنات بعد الهواء وهو أهم عنصر لاستقرار الإنسان في أي مكان على هذه الأرض وإنشاء الحضارات من خلال التجمعات السكانية بالقرب من الموارد المائية الطبيعية كما لها دور مهم في كافة مجالات الحياة من النقل والزراعة والصناعة وتربية الحيوانات.

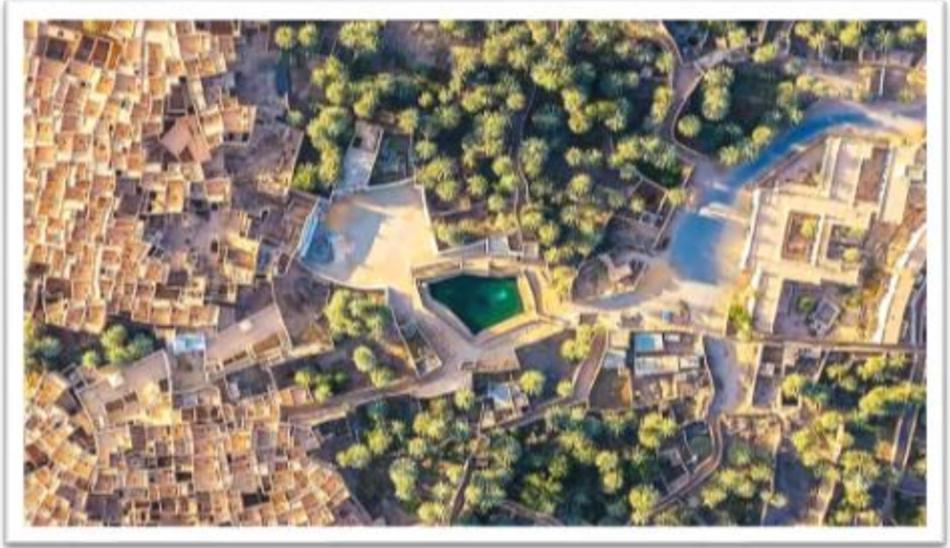


### ماذا تعني الحضارة ؟

يعرفها ابن خلدون في كتابه (ديوان المبتدأ والخبر) تعريفاً جميلاً حيث يقول (إن الحضارة هي تقنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجهه ومذاهبه من المطبخ والملابس والمباني والفرش وسائر عوائد المنزل وأحواله) انتهى كلامه.

فالحضارة هي تلك الجهود المبذولة لخدمة الإنسان في جميع نواحي حياته وهي تقدم في المدنية والثقافة معاً , فالثقافة هي رقي في الأفكار النظرية مثل القانون والاجتماع والسياسة والأخلاق وغيرها ولقد سميت بالمدنية لأنها ترتبط بالمدنية واستقرار الناس

فيها عن طريق امتلاك وسائل هذا الاستقرار. وبالنظر إلى كل ما سبق نجد أنه ينطبق على مدينة غدامس وبالرغم من أنها مدينة صغيرة تقع في منطقة جغرافية صحراوية شديدة الجفاف والأراضي المحيطة بالمدينة هي أراضي صخرية لا تصلح للزراعة. ومن هنا كان لزاماً على من أنشأ هذه المدينة أن يستغل المساحة الصغيرة من الأرض الصالحة للزراعة بأكبر قدر ممكن.



ولا يخفى عليكم أن الروايات (الشعبية) المتداولة حول أصل نشأة المدينة هي عين الفرس وبغض النظر عن تفاصيل هذه الرواية ومدى صحتها من عدمه ولكن المؤكد في هذا الموضوع أن أصل إنشاء المدينة هو عين الماء التي أنشئت على جنباتها أحياء وأزقة المدينة.



والناظر إلى العين يلاحظ أنها تقع في منطقة مرتفعة نسبياً من الجهة الغربية للمدينة وأن سواقي المياه تنحدر منها بشكل انسيابي طبيعي باتجاه المزارع والتي كانت في السابق خمس سواقي وهي على النحو التالي حسب قوتها.

1- ساقية تصكو 2- ساقية تارط 3- ساقية تنبيش 4- ساقية تيندفران 5- ساقية تينجاناون. وللعلم أن كل هذه السواقي قد جفت تماماً مع بداية سبعينيات القرن الماضي نظراً لنضوب مياه العين والتي استعوض عنها في وقتنا الحالي ببيئر ارتوازي لتغذية هذه السواقي , ولم يتبقى منها اليوم سوى ثلاثة فقط وهي تصكو وتارط وتنبيش.



صورة توضح فتحات بعض سواقي عين الفرس



قناتا تصكو وتنجلون في عين



مكان قناة تارط في عين الفرس



قناة تندفران في عين الفرس



الفرس

مكان قناة تنبيشين في عين الفرس

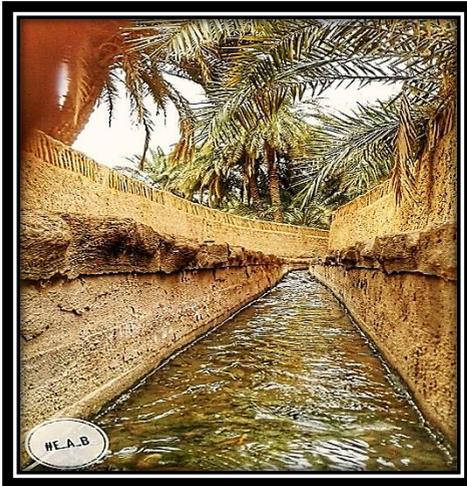
وقد ذكر السويدي (لارس أيلدبلوم) في بحثه لنيل درجة الدكتوراة عن مدينة غدامس أن قناة تصكو يتدفق منها ثلثي المياه الخارجة من حوض العين تقريباً ثم تأتي قناة تارط التي تعادل قوتها ثلثي قوة قناة تنبيشن تقريباً وهكذا.

رسم توضيحي يبين نسب  
تقسيم مياه عين الفرس نقلا  
عن الأستاذ عبد الجبار  
الصغير

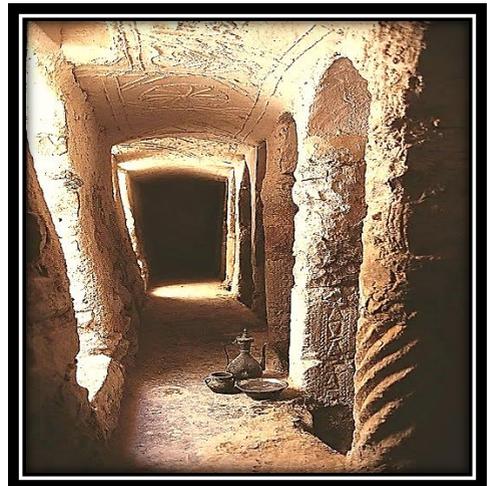


وبالعودة إلى ساقية قناة تصكو والتي تعتبر أكبر هذه السواقي التي شُيدت فوق مجراها المساجد والبيوت قبل وصولها إلى المزارع والأراضي المراد ربيها بمسافة تقدر بحوالي 220 متر تقريباً.

كما أن باقي السواقي الأخرى فهي أيضاً مغطاة من المنبع إلى أن تصل إلى المزارع , عدا عن بعض الفتحات المكشوفة التي تستخدم للحصول على المياه وتنظيف الساقية بين الفترة والأخرى.



أحد السواقي جهة المزارع



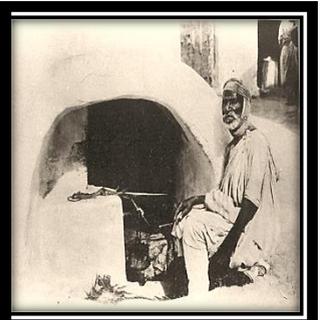
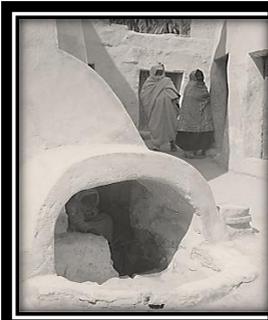
أحد السواقي التي تمر داخل المسجد وتستخدم للوضوء والغسيل وغيرها

والجدير بالذكر هنا أن الغدامسيون قد استخدموا طريقة لحساب زمن سقي كل مزرعة لضمان توزيع عادل للمياه وجعلوا لهذه الحصص سجلات تحتوي على أسماء الملاك وكمية المياه المستحقة في كل دورة لتوزيع المياه والتي تستمر لمدة ثلاثة عشر يوماً وقد سُمي هذا النظام بإسم القادوس وهو في الأصل ساعة مائية استخدمت فيه أداة تشبه القدر إلى حد كبير وقد جُعل في أسفله فتحة صغيرة لتصريف المياه وعن طريق حساب عدد القواديس المملوءة يحسب الزمن الذي تحتاجه كل مزرعة وهذا نظام متكامل لقياس الزمن .. ولا يسعني المجال هنا إلى التتطرق إليه.



صور للقادوس

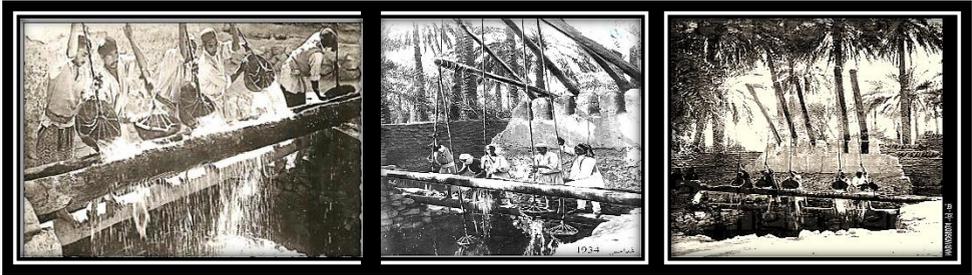
حيث خصص له مكان معلوم في ساحة ميدان تصكو أو السوق الرئيسية بين جامع يونس



والجامع العتيق على أحد الفتحات فوق ساقية تصكو حيث بُنيت فوق هذه الفتحة كوة صغيرة لقياس زمن حصة كل مزرعة من المياه عن طريق القادوس وهذا ما أشار إليه ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) حيث قال (في وسطها عين أزلية وعليها أثر بنيان رومي عجيب ينبض منه الماء ويقسمه أهل البلد بأقساط معلومة لا يقدر أحد أن يأخذ أكثر من حقه وعليه يزرعون).

وقد خصص الأهالي يوم في السنة لتعبير أداة القادوس وقياس نسبة تصريفها للمياه وأيضاً كانوا يبيعون حصص المياه فيما بينهم إذ أنها كانت تعتبر ملكية خاصة بين العائلات وهذا اليوم هو أول أيام شهر مايو حسب التقويم العجمي القديم أو ما يعرف بالتقويم الأمازيغي الفلاحي.

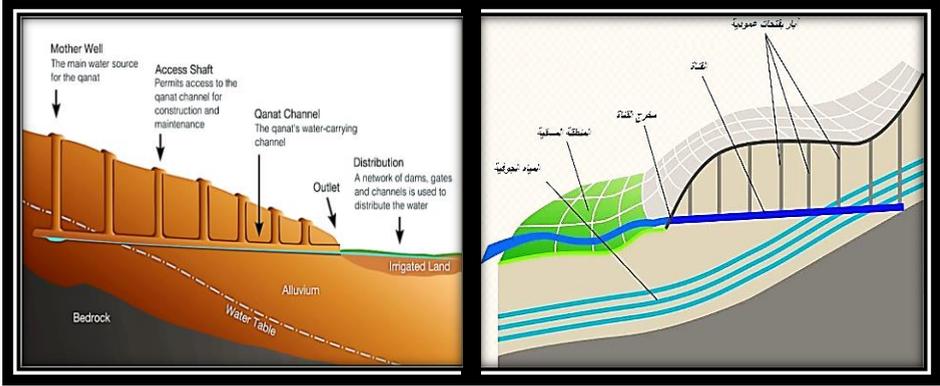
كما يوجد بالقرب من عين الفرس عين مياه صغيرة تعرف باسم تالة , وكانت مياه الري تستخرج من هذه العين بطريقة يدوية عن طريق الشادوف حيث أن منسوب مياهها منخفض جداً عن منسوب المزارع , وقد جفت هي أيضاً في نفس الفترة التي نضبت فيها مياه عين الفرس.



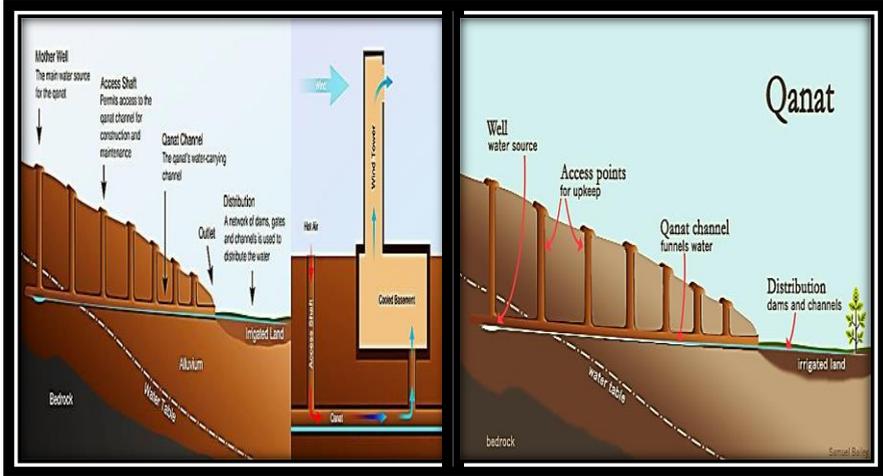
### صور مختلفة لعين تالة

ومن أهم مصادر المياه أو أنظمة الري التقليدية القديمة الموجودة في المنطقة التي استخدمها الإنسان في استغلال المياه الجوفية في حياته اليومية هي الفقارات التي توجد في منطقة تونين التي تبعد حوالي ثلاثة كيلو مترات تقريباً عن مدينة غدامس .

**والفقارة :-** هي عبارة عن عين ماء أو بئر مظمور وغير ظاهر للعيان تجري منها المياه في مجرى محفور يدويا أو ساقية تحت الأرض بشكل انسيابي إلى أن تصل إلى المزارع أو المنطقة المراد سقايتها ويعرف مجرى المياه عن طريق حفر أبار متسلسلة.



رسم توضيحي يوضح طريقة انسياب مياه الفقارة



رسم أخرى توضح طريقة انسياب مياه الفقارة وهذه الطريقة منتشرة قديماً من بلاد فارس إيران شرقاً حتى المغرب غرباً , ولكن لا يُعرف

زمن ابتكارها على وجه التحديد ولا أين ابتكرت بالضبط , والشيء المعروف هنا في ليبيا هو أن الجرمنت هم أول من استخدم هذا النظام وبرعوا فيه.



صور توضيحية مختلفة للفقرات حول العالم



صور مختلفة للفقرات حول العالم توضح اهتمام الجهات المختصة بموروثها الثقافي



## صور توضيحية مختلفة للفقارات حول العالم

ونحن هنا بدورنا لا نستطيع أن نجزم حول تاريخ فقارات تونين دون دراسة علمية منهجية دقيقة.

ويبلغ عدد فقارات تونين خمسة فقارات تقريباً وكل واحدة منها تحمل إسم معين وهي كالتالي.

1- تساروت 2- سزني 3- تومتيزا 4- تومتيزا أندوبراهيم 5- الملحس.

وأكبر هذه الفقارات هي فقارة تساروت وتعتبر ملكية مشتركة لكل أهالي تونين أما الفقارات الأخرى فتعتبر ملكية خاصة لعائلات معينة.

وتختلف عن بعضها حيث أن منسوب فقارة تساروت منخفض عن مستوى المزارع فبني في نهاية مجرى الفقارة حوضين لتجميع المياه أحدهما كان لرفع المياه عن طريق الدواب والأخر باستخدام الشادوف وكانت لها دورة سقاية تمتد لعدة أيام وكل يوم يحمل إسم معين وهي (اندقني - بلقاسم - أمن يشركنين - أند الثالث - أند الربع - أندباجم - أندباباني - أندوشهاب - فرتكا مقورن - فرتكا متيطن - بحرية انتقورت).



صورة عامة لأحدى فقارات منطقة تونين في مدينة غدامس



صورة لدراسة ميدانية قام بها فريق مراقبة آثار غدامس عدة مرات لفقارات تونين



### صور فتحات التهوية لأحدى فقارات تونين



صور توضح مدى عمق الفقارات واتساعها لدرجة أن شخص يستطيع السير فيها بكل أريحية

وموضوع هذه الفقارات تحديداً يحتاج إلى دراسة معمقة وعناية واهتمام كبير حيث أنه وحسب المعلومات الأولية التي أفادني بها بعض كبار السن من قرية تونين أنه لا توجد وثائق ومخطوطات تتحدث عن هذه الفقارات وأنها أيضاً تعاني من الإهمال الشديد وعدم الاهتمام رغم أنها لا تزال تحتوي على المياه إلى يومنا هذا ويمكن الاستفادة منها.



### الخلاصة :

1- إن التقنية المتبعة في سواقي عين الفرس هي نفس تقنية سواقي الفقارات حيث أنها شقت تحت الأرض من المنبع إلى أن تصل إلى المنطقة المراد ريها مع وجود فتحات للتنظيف .

2- من المعروف أن تقنية بناء الحوض لتجميع مياه العين ومن تم استخدامها في عملية الري تعتبر هي المحدد لكمية المياه الخارجة من العين حيث أن السواقي جُعلت في أعلى هذا الحوض بمناسبة متفاوتة حيث أن ساقية تصكو تُعد الأعمق ثم تارط وهكذا وهذا يعني أن أي نقص في كمية المياه ينتج عن شيئين اثنين وهما إما نقص في كمية المياه من المنبع أو خلل في السواقي وهذا ما أدى حسب اعتقادي إلى جفاف السواقي تباعاً .. وهنا تظهر براعة المهندس الغدامسي القديم في توزيع نسب مياه قنوات العين .

3- القادوس الموجود هنا في غدامس يعتبر النمط البدائي للساعات المائية والتي تعتبر بالإضافة إلى نظام المزولة أو الساعة الشمسية من أقدم طرق قياس الوقت التي ابتكرها الإنسان وأدقها إلى أن اخترع الإنسان الساعة الحديثة المعروفة , وهنا ربما أخالف

المرحوم الأستاذ (بشير قاسم يوشع) رحمه الله حيث ذكر في كتابه (غدامس عبر العصور) أن القادوس دخل إلى غدامس بعد غزو أبي فارس عبدالعزیز لمدينة غدامس سنة 809 هجرية 1406 ميلادية وقبلها كانوا يستخدمون الساعة التي تعتبر اختراعاً حديثاً بالنسبة للقادوس وتحتاج إلى صيانة.

4- الفقارة كنظام للري اشتهر به الجرمنت في هذه المنطقة والتي أعني بها ليبيا ومن المعروف أن غدامس قد خضعت للجرمنت وهذا ما يجعل احتمالية أن تكون هذه الفقارات الموجودة هنا من عمل الجرمنت , وبسؤالني للسيد عبدالمانع المدني وهو أصيل منطقة تونين ومدير مكتب آثار غدامس سابقاً حول هذه الفرضية استبعدها وهذا ما يعتقده أغلب أهل تونين أيضاً حيث أنه علل ذلك بأن أول من استوطن منطقة تونين وهو جدهم (معبد) قد قام بحفر بئر للماء عندما استقر بالمنطقة لحاجته للماء وهذا البئر موجود إلى يومنا هذا , ولو كانت هذه الفقارات موجودة قبل ذلك لما احتاج لحفر بئر أو البحث عن مصدر للمياه.

5- الشادوف المستخدم لرفع المياه في كل من عين تالة وفقارة سزني في تونين هو تقنية فرعونية قديمة.

وبالنظر إلى كل ما سبق ذكره اعتقد أن كل هذه المعالم تحتاج إلى دراسة معمقة لأنها من أهم المعالم في المدينة والتي يمكن أن تعطينا أثراً ملموسة يمكن إرجاعها إلى فترات زمنية من ألفين إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد حيث أن هذه التقنيات يُرجح ابتكارها إلى تلك الفترات.

## الجانب الاقتصادي لعين الفرس

أ. أحمد محمود هبيرة

"والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه" في مدينة غدامس أحسن أهلها نيتهم عند استغلال مياه العين عين غدامس أو عين بلد غدامس كما هو في الوثائق والمخطوطات فسخروا مياه العين فيما فيه مصلحتهم فكان النشاط الاقتصادي أو الاقتصاد الزراعي والذي هو قلب الاقتصاد وعليه يرتكز النشاط الصناعي والنشاط التجاري فاستعملوا مياه العين للزراعة ووضعوا نظاما حسابيا رياضيا نظاما اقتصاديا محكما لا يستطيع أحد العبث به لذلك وصفه ياقوت الحموي الذي توفي سنة 626 هـ الموافق 1228م بالنظام المحكم فقال (غدامس وفي وسطها عين أزلية وعليها أثر بنيان رومي عجيب ينبض منه الماء ويقسطه أهل البلد الى أقساط معلومة لا يقدر أحد ان يأخذ أكثر من حقه وعليه يزرعون). يذكر ياقوت الحموي أولا الاعتماد على العين في الزراعة ثانيا هناك أقساط معلومة ثالثا هذه الأقساط محكمة لا يقدر أحد العبث بها في القاموس نبض الماء علا وسال إذا هناك فعلين هما علا وسال ومعنى سال الماء جرى ويسيل الماء يجري ومعنى يسيل أي الماء الكثير الجاري وهو أيضا ماء المطر الجاري بسرعة فوق وجه الأرض وهذه المعاني تنطبق على العين وأما علا ارتفع والعين من معانيه في القاموس ينبوع الماء وأيضا مفجر الماء أي المكان الذي انفجر منه الماء لقد وصف لنا ياقوت الحموي بفصاحته واستعماله أسماء دقيقة مثل عين وسال وعلا وهما كلمتان تشملا إحدى معاني نبض الماء وهذا وصف للعين قبل 226هـ و 1228م أما عن وصف العين وهو مصدر مائه الينبوع قال تعالى في سورة الزمر الآية 20 "ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه". وفي بعض التفاسير معنى فسلكه ينابيع في الأرض أدخله في عيون ومجار وصف

ضمن هذه العيون نقول عين غدامس وأما عن التقجير قال تعالى في سورة البقرة الآية 73 "وإن من الحجارة لما يتقجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله". وهكذا وضح ياقوت الحموي من خلال فصاحته نشأة العين ونعود إلى ما ذكره ياقوت الحموي من تقسيط محكم العين لدرجة لا يقدر أحد العبث بذلك التقسيط لقد اعتمد اهل غدامس على العمليات الحسابية والتي تعتمد على الافتراضات أو الفرضيات وهذا موجود في علم الرياضيات حيث نقول نفرض ان عند إثبات صحة نظرية من النظريات وفي علم الميراث هناك العول وهو زيادة افتراضية في أسهم الورثة للوصول إلى قسمة التركة وهنا نرجع إلى دفتر غدامس ذكر القادوس وذكر العمليات البسيطة للقادوس القادوس وعاء من النحاس في أسفله ثقب لذلك هو يرتكز على قطر الثقب فكلما ازداد قطره ثم قلت الدقائق اللازمة لفراغ القادوس من الماء. القداس يأخذ سعفة من الجريد ويملاً القادوس كلما فرغ القادوس يعقد عقدة في السعفة إلى أن تبلغ عشرة عقد فيأخذ سعفة أخرى إلى أن تبلغ عشرة عقد وهكذا حتى تصل عدد (السعفات) عشر (سعفات) هناك تبدأ العمليات الحسابية هي كالاتي اتفق أهل غدامس ان تكون كل مائة عقدة = 5 ساعات فتكون العمليات الآتية :

$$100 \text{ عقدة} = 5 \text{ ساعات}$$

$$5 \text{ ساعات} = 100 \text{ عقدة}$$

$$\text{الساعة} = 5/100 = 20$$

$$\text{الساعة} = 20 \text{ عقدة}$$

$$\text{نصف ساعة} = 2/20 = 10 \text{ عقد}$$

$$30 \text{ دقيقة} = 10 \text{ عقد}$$

$$\text{ربع ساعة} = 15 \text{ دقيقة}$$

$$15 \text{ دقيقة} = 5 \text{ عقد}$$

$$\text{العقدة الواحدة} = 3 \text{ دقائق}$$

وهذا معناه كل سعة فيها 10 عقد زمنياً بالساعات = نصف ساعة

نستمر مع الدفتر: توزيع الماء ليلاً ونهاراً

### توزيع الماء عند الليل

على افتراض تساوي الليل والنهار، جزأوا الليل الى 24 جزءاً وكل جزء الى 4 أجزاء، وكل ربع جزء الى أربعين جزءاً أي أربع (ضراميس)، و(الضرميسة) تساوي أربعة وأربعين جزءاً أي أربعين حبة هذا الكلام يتحول الى عملية حسابية نفرض ان الليل 12 ساعة.

12 ساعة = 24 جزءاً، إذا الجزء =  $24/12$

كل من البسط والمقام على 12 يكون الناتج  $2/1$  إذا كل جزء = 12 ساعة أي 30 دقيقة وكل 30 دقيقة تقسم الى أربعة اقسام أيضاً وهي تساوي 160 حبة أي ضرميسة واحدة.

إذاً  $2/1$  ساعة = 30 دقيقة و30 دقيقة باعتبارها هي الجزء وتساوي 4 ضراميس

إذاً 30 دقيقة =  $160 \times 40$  حبة

30 دقيقة = 640 حبة

الدقيقة =  $30/640 = 21.22$  حبة

الدقيقة بالتقريب = 21 حبة

وإذا عدنا ان القادوس 10 عقد = 30 دقيقة

العقدة  $10/30 = 3$

وحيث ان كل 10 عقد = 640 حبة

العقدة الواحدة =  $10/640$

العقدة الواحدة = 64 حبة

العقدة الواحدة بالدقائق = 3 دقائق

وتساوي بالحبوب = 64 حبة

ان القادوس يربط الساعات بالحبوب، ويربط العقد في السعة بالدقائق والحبوب

من اجل ذلك جعلوا قادوسا واحدا وقداسا واحدا. القادوس يتم اختباره بالشهود والقداس شخص واحد ولكي لا يحتاج القداس الى رشوة جعلوا للقداس ثمنا مقابل عمله.

والآن نقول إن وصف ياقوت الحموي كان دقيقا وهو شاهد عيان على النظام المحكم للعين ونذكر الآن توزيع مياه العين نهارا وجزأوا النهار الى 8 أجزاء أي (نتائيم جمع نتام) وكل جزء الى ستة عشر جزءا أي (فوانيز) وكل جزء يساوي أربعين (حبة) نناقش ذلك بالعمليات الحسابية.

$$12 \text{ ساعة} = 8 \text{ أجزاء}$$

$$\text{الجزء} = 16 \text{ فانوز}$$

$$\text{وبما أن كل جزء} = 40 \text{ حبة وكل فانوز} = 40 \text{ حبة}$$

$$\text{والضرميسة} = 160 \text{ حبة}$$

$$\text{إذاً الفانوز} = 4/1 \text{ ضرميسة}$$

$$\text{والضرميسة} = 30 \text{ دقيقة}$$

$$\text{الفانوز} = \text{الضرميسة} / 4$$

$$\text{الفانوز} = 4/30$$

$$\text{الفانوز} = 7.5 \text{ سبع دقائق ونصف دقيقة.}$$

### توزيع مياه العين خلال الفصول الأربعة

فصل الصيف له عدد أربعة أضماء وكل ضرميسة = 13 قادوس

ويضاف له أربعة أضماء أخرى كل ضرميسة = 9 قواديس

فصل الشتاء له أربعة أضماء كل ضرميسة = 9 قواديس

فصل الربيع له أربعة أضماء كل ضرميسة = 13 قادوس ثم شهر ابرير وهو

شهر ابريل آخر شهر في السنة المائتة له أربعة أضماء هذا هو ما يعنيه ياقوت

الحموي بالضبط الذي لا يستطيع أحد ان يغيره.

لكنة مع هذا الضبط المحكم يحدث سوء فهم فيقع شجار بالكلام عند السقاية لكن

الضبط المحكم للعين ينهي سوء الفهم عن الماء، والماء هو عصب الحياة وهو شريان الاقتصاد الزراعي، والاقتصاد الزراعي هو قلب الاقتصاد بجميع أنواعه يروي البخاري عند سوء الفهم حتى بين الصحابة رضي الله عنهم فيما يخص الماء قال البخاري عن عروة قال خاصم الزبير رجلا في شراج الحرة فقال النبي \_ صلى الله عليه وسلم\_ اسق يا زبير ثم أرسل الماء الى جارك فقال الأنصاري يا رسول الله ان كان ابن عمك حكمت له فتلون وجه رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم\_ ثم قال اسق يا زبير ثم أحبس الماء حتى يرجع الى الجدر ثم ارسل الماء الى جارك. ونذكر وثيقة ورد فيها هذا النوع من الخصام. بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد \_ صلى الله عليه وسلم\_ يشهد من يضع اسمه عقب تاريخه من حضر في موضع بجامع يونس من بلد غدامس تخاصم فيه المكرم محمد بن محمد والمكرم محمد بن ابي بكر مع الحاج عيسى بن محمد الطويل ومحمد بن بلقاسم بن الطويل لدى الفقيه احمد بن عبد الله بن محمد بن صيلة مفتي بلدهم ذي الوقت على عشرين حبة ماء نهاريات من ساقية (تسكو) من عين غدامس وهن نها طيا ش المكتوبات على اسم محمد بن علي بن محمد كل يذكر ويدعي أن جده (أي نصيبه) وهن حبس له ولكن في غدامس سرعان ما ينتهي الخلاف لأن ماء العين مكتوبة من دفتر العين.

ونستمر مع دفتر غدامس وتوزيع مياه العين حيث ورد في المخطوط "وخرجوا لهم ساقية (تنوبيشي) يعني أول الحال العين لها ثلاثة سواقي الكبيرة في الجانب الشرقي المعروفة بـ (تاسك) والوسطى من الجانب البحري المعروفة بـ (تارط) والصغيرة من الجانب الغربي المعروفة بـ (تندفران) مما ورد أدنى هذا المخطوط يفهم أن هناك ثلاث سواقي فقط في العين (تاسك) و(تارط) و(تندفران) حتى قدم موسى بن عمران فأخرجوا له ساقية بالنبش لأن النبش باللغة العربية يعني إخراج أو حفر لشيء كان موجوداً أما المخطوط كلامه واضح أن هناك قبل قدوم موسى بن عمران لغدامس ثلاث سواقي وهن (تاسك) و(تارط) و(تندفران) أي هذه الثلاثة فقط ثم أنشئت ساقية

رابعة لموسى بن عمران ف الأمر واضح وهكذا نسمع تحليلات لتاريخ غدامس عند تفسير الكلمات عن طريق تحليل ليس له سند يؤيده ويمكن معرفة تاريخ إنشاء ساقية (تنقيشي) بتاريخ قدوم موسى بن عمران على غدامس المرحوم بشير قاسم يوشع في كتابه غدامس ملامح وصور قال أن موسى بن عمران قدم عام 382هـ ويؤيد ذلك تاريخ وفاة موسى بن عمران في عام 388هـ الموافق 1010م. وعليه ربط قدوم موسى بن عمران إلى غدامس بساقية (تنقيشي) نستفيد منه أولاً متى كانت الساقية وأنها كانت الساقية الرابعة من حيث تاريخ إنشاء سواقي العين لذلك النتيجة هي أولاً قبل عام 382هـ كان هناك ثلاث سواقي وهن (تاسك) و(تارط) و(تندفران) بعد عام 382هـ كانت أربعة سواقي وهن (تاسك) و(تارط) و(تنقيشي) و(تندفران) يبقى معرفة متى كانت ساقية (تنجانون) وهذا يهمنا لأن توزيع نسبة المياه كانت دفعة واحدة لأنها مرتبطة بنسبة واحد وهي 3.

ساقية تنجانون سهمها 1 ثم  $3=3*1$  وهو سهم (تندفران) ثم  $9=3*3$  وهو سهم (تنقيشي) ثم  $27=3*9$  هو سهم (تارط) ثم  $81=3*27$  هو سهم (تسكو) وهذا يعني أن هذا التوزيع يقتضي أن يكون في فترة واحدة لكن يهمنا الآن أننا علمنا وتوصلنا أن العين كانت موجودة بالسواقي الأربعة عام 382هـ وأن توزيع هذه الأسهم كان بعد هذا التاريخ ونحن الآن في عام 1343هـ فعليه 1343هـ - 382هـ = 1061 سنة أي مدة على العين عين غدامس بالسواقي الأربعة 1061 سنة بقي أن نبحث عن ما يخص العين قبل 382هـ أي ما قبل 1061 سنة بالتقويم الهجري فعلى الأقل عندنا دليل قاطع من خلال مخطوط دفتر غدامس أن هو على العين 1061 سنة بالهجري وهو تاريخ لا يستهان به وهذا التاريخ تاريخ أكيد وليس بوضع الاحتمالات أو التأويلات إنه مرتكز على الوثائق والمخطوطات ولكن يجب أن يفهم أن تاريخ العين يتوقف على عام 382هـ لأن المخطوط ذكر أن هناك ثلاث سواقي (تسكو) و(تارط) و(تندفران) ووصف المخطوط ساقية (تسكو) الكبيرة فهي ليست كبيرة بحجم الساقية وإنما كبيرة في كمية المياه التي تجر هذه القناة لذلك يجب أن تكون العين موجودة قبل 382هـ وبمدة ليست

بالقليلة لأن في العين ثلاث سواقي وهذا معناه كانت هناك نشاط زراعي قبل 382هـ وإذا عدنا إلى ياقوت الحموي يقول عن العين (وعليها أثر بنيان رومي عديم) وهنا نعود إلى القاموس لنعرف معنى كلمة أثر في القاموس الأثر بقية من شيء وأثره من علم بقية منه إذا ما يعنيه ياقوت الحموي بقية من بنيان رومي والمفهوم من كلامه أن هناك بقايا بنيان رومي حول العين وهذا معناه أن هناك في زمن الرومان بنيان حول العين وفي زمن ياقوت الحموي وجد بقايا ذلك البنيان إذا العين موجودة في عهد الرومان حيث احتل الرومان غدامس سنة 19 قبل ميلاد عيسى عليه السلام المهم أن العين كانت موجودة زمن الرومان لكن تحديد إنشاء الرومان لهذا البنيان حول العين هو المطلوب لأن المهم أن العين كانت موجودة أيام وجود الرومان بـغدامس مهما كان نوع أو هندسة البنيان المهم أن الرومان أقاموا بنيانا حول العين وبذلك من خلال الوثائق والمخطوطات وكتب الرحالة صرنا نتكلم عن العين في زمن الرومان ووصف الحموي البنيان بالعجيب وهذا يعني أن بعضا منه كان موجودا لأن وصفه بالعجيب وهنا يدفعنا إلى القول أن النشاط الزراعي كان موجودا منذ عهد الرومان بـغدامس حيث أن ليبيا جزءا من شمال إفريقيا وخدامس جزء من ليبيا لذلك نتكلم عن الاقتصاد الزراعي أيام الرومان في شمال إفريقيا إن الرومان نظروا لإفريقيا نظرة اقتصادية فهم يسمونها ببلاد الزيتون والقمح فقاموا بغزو إفريقيا سنة 429م بقيادة ملكهم جيزريك فظل شمال إفريقيا مرتعا للوندال حتى تولوا جستنيان عرش روما وإن شمال إفريقيا عند الرومان منطقة مهمة لتصدير القمح والجلال وإن السيطرة عليها يعتبره الرومان تهديدا لاقتصاد روما وسيطر جيزريك على قرطاج لأنها ميناء لتصدير الجلال والقمح ومن أكبر أخطاء البيزنطيين في شمال إفريقيا النظام الإقطاعي وقاموا بإنشاء المزارع المحصنة وقد استمر العمل بالمنشآت الزراعية على حساب ممتلكات الأهالي وهنا نتذكر ما فعله الفرنسيون عند إحتلالهم لخدامس والسيطرة على الاقتصاد الزراعي بالمدينة تماما كما يفعل الرومان إن النشاط الزراعي بـغدامس قد نجح وعندما فطن الفرنسيون بذلك قاموا بالسيطرة على النشاط الزراعي بالتحايل في سنة 1948م،

والحاكم الفرنسي فرض على المزارعين بيع 50% من محصول القمح والشعير للإدارة الفرنسية بثمن زهيد وحددت الإدارة ثمن المحصول الزراعي وأجبرت كل المزارع أن يبيع 50% من محصول القمح والشعير ثم طلب الفرنسيون الضريبة وهي الضريبة الزراعية وقيمتها عشر المحصول ثم قام الفرنسيون بحيلة أخرى وهي أن يدفع الفرنسيون سلفة أي قرضا زراعيًا للمزارعين ثم طلبوا من المزارعين أن يدفعوا 70% من المحصول فماذا بقي للمزارعين؟ وعندما رفض المزارعون طلبوا استرجاع القرض ودفع الضريبة بعد أن زادوا في قيمة الضريبة.

إذن الاقتصاد الزراعي بغماس قد نجح لذلك رأينا محاولات عديد للسيطرة عليه بأسلوب آخر من الباشا يوسف حيث جعل الأوقاف من مياه العين والبساتين تحت تصرفه مباشرة لذكر هذه الوثيقة الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وبعد لما سألو علماء طرابلس وقضاتها على الماء والعقاد المكتوب حبس على المساكين غدامس بعد أن استغلوه مدة طويلة من الزمان فأجابوا بأجمعهم بأنه لا يبيث ذلك للمساكين بمجرد هذا اللفظ من غير أن يعلم من خلفه ومن وقفه عليهم وإنما هو حق لبيت مال المسلمين يتولى ذلك سيدنا باشا ويفعل به كيف يشاء فقام سيدنا الباشا فأوجب على شرعي غدامس (بني وليد) و(بني وازيت) على كل شارع منها ألفين وخمسمائة مثقال 2500 مثقال ثم ذكر في نهاية الوثيقة فاقترض نظرهم أن باعوا للمكرم الحاج محمد بن بالقاسم بن هارون شاريا لنفسه ولشقيقه الحاج محمد الصالح بن هارون الجنة المسماة المعلاد بن غيدة اشترى منهم شراء صحيحا بثمن قدره مائة مثقال وستة وعشرين مثقال ذهب. كان أهل غدامس عندما يفرض عليهم دفع ضريبة أو شيئا من قبل الدولة يعرضون الماء أو العقاد على التجار فيتطوع أحد منهم لشراء العقاد أو الماء وذلك لحل المشكلة مع الدولة وهكذا يدفع النشاط الزراعي من ماء العين أو البساتين الثمن إرضاء للحاكم. وقد يسأل سائل لماذا الاهتمام بالعين مرارا وتكرارا فالإجابة ستكون من الناحية العلمية وليس الإنشاء والبيان، العين مصدر الماء نقول أيام ما كانت العين يذهب النسوة ومعهن أوعية تعبأ من العين حيث تستعمل للشرب وكانت في الماضي من الطين

وتبرد المياه مادامت في الأوعية بينما في أماكن أخرى إلى القرن العشرين يحتفلون إذا حضرت بئرا للشرب وأماكن أخرى في بيوتهم الماجن حيث عند سقوط الأمطار يجمعون ماء المطر وتصب في الماجن للشرب والطبخ وغيرهما أما عن الوضوء والاستحمام فسواقي العين تمر على الجوامع والمساجد حيث في غدامس توجد مساجد خاصة بالرجال ومساجد للنساء للوضوء والاستحمام وكذلك لغسل الملابس وهذه الجوامع والمساجد بجوار بيوت السكن حيث هناك أوقات خاصة لذهاب النسوة للمساجد الخاصة بهن وفي الجوامع مكان خاص للنساء حيث تصلي المرأة جماعة في المساجد فالعين هو للعبادة والعمل معاً والماء مجاناً في أماكن أخرى ماء الشرب يباع ويشترى كما هو الحال في وقتنا هذا.

هذه إحدى وظائف ماء العين أما عن الزراعة فالماء الأساسي هو ماء العين وقبل الحديث عن زراعة البساتين أذكر ما يعانیه الذين يعتمدون عن الأمطار في الزراعة فنقتبس من الرسائل التي يرسلها أحمد المهدي إلى الفقيه حسن ومن هذه الرسائل رسالة مؤرخة بتاريخ 1891م موضوعها متابعة أحوال الطقس ومما ورد فيها "المطر قليل والأمل قليل" بينما ورد في رسالة أخرى "من جهة عشرين يوماً وصلت أمطار طيبة وحرثت الناس فوق الغاية" فمصدر الماء من عين دفعها المياه قوي ومستمر يختلف عن الزرع يعتمد الأحوال الجوية وأهل الشأن أدى بذلك ففرح وسرور عند الأمطار وقلق وحيرة إذا انعدمت الأمطار وهذا الاختلاف في مصدر الماء أما عن الأحوال الجوية إن كان من جهة ارتفاع درجة الحرارة أو شدة البرودة شتاء أو الرياح القوية فهذا يؤثر على الزراعة بـغدامس أيضاً فهذه وثيقة مؤرخة بتاريخ 1841م ورد فيها "وإن سألت عن أمر الزرع السنة ناقص لا قصب ولا شعير أصابته أم ليلة" وأم ليلة برد قارس شديد عند الشتاء ليلاً يصيب الزرع فيموت وهذا يؤثر على منتج البساتين وكذلك الرياح القوية تسقط النخيل فتسبب خسارة في محصول التمر وعدد النخيل.

ولأهمية المحصول الزراعي فإنه عند الحروب يتم تحضير الانتاج الزراعي وورد

في دقتر غدامس ما تعرضت له من فرض الضرائب على غدامس بالقوة فمن لم يجد نقودا يبيع مزرعته أو سهمه من مياه العين أو النخيل نذكر ماورد في دقتر غدامس وهو يذكر بالتسلسل حملات الغزو ضد غدامس والنتيجة هي فرض الضرائب الكثيرة والضحية هو المحصول الزراعي "وجاءها أي غدامس بقوة عسكرية" وجاءها القائد يوسف بحملة ورمى عليهم المخزن وذلك سنة (862هـ-1459م) ثم سنة (873هـ-1468م) في القرن الخامس عشر ميلادي القائد أحمد ورمى عليهم رمية المخزن وقدرها ثلاثة آلاف مثقال ثم قدم حسين باي ويشتهر بحسين النعال (883-1478م) وغلقوا دونه البيبان ثم عاد بعد الالف (1001هـ الموافق 1592م) جاءهم الباي درويش بحملة ورمى عليهم خمسة آلاف مثقال ومعنى رمى أخبرهم بالقوة وقسم القطيع ففرض غدامس ثلاثمائة مثقال النصف على (بني وليد) والنصف على (بني وازيت) واستمر الأمر كذلك كل عام يأتيهم شواش والفرق على النخيل والماء فبعد كل سبعة سنين يغيرون الغاية ويقسمون عليها النصف على (بني وليد) والنصف على (بني وازيت) وبلاد غدامس أتاها بالقوة خمسة محال أي جيوش في خمس مرات ولا دخلها أحد ثم يصلحون مخافة على النخيل " هذا العرض التاريخي ورد في مخطوط دقتر غدامس الخلاصة أن الضحية هو البساتين ومياه العين ولولا ذلك ما وصلت غدامس بأهلها إلى يومنا هذا ثم يذكر المخطوط حملة رمضان باي تونس بحجة دفع الضرائب وأحرق خمسمائة نخلة من محلة (بني وليد).

إن منتوج البساتين لاحظته الرحالة الأجانب فهم ذكروا ميزات الاقتصاد الزراعي لغدامس ويذكرون ما يصيب الزرع بسبب حرارة الجو خصوصا فصل الصيف ثم أنهم يصفون ما يشاهدون على حسب فهمهم أو أن الدليل السياحي له دور فقد يريهم ربما على حسن النية بعض الأشياء من دون توضيح فمثلاً عندما يقول رولفس " ان أشجار النخيل لا تعطي موسما مرضيا كما أن التمر ليس على درجة من الجودة مثلما هو الحال في واحات أخرى " هذا يتوقف على المرشد السياحي الذي يريه السليبيات فقط لأن تمر غدامس أنواع تختلف في اللون والطعم والحجم وهذه أشياء يغفل عنها

بعض المرشدين السياحيين ونذكر بعضاً مما ذكره رولفس "والبطيخ الأحمر والبطيخ الأصفر يمثلان الفاكهة الوحيدة التي تنتجها غدامس ثم يصف البطيخ "وفي بعض الحالات تصل بعض حبات البطيخ الى حجم هائل إذ يبلغ وزن الواحدة قنطارين بحيث تشكل بطيختان حمولة جمل "ويستمر في ذكر ملاحظاته "وأما بقية الثمار مثل الخوخ الأصفر والرمان والدراقن والمشمش والتين فإنها تجف وتصبح في أثر حرارة الصيف العالية عديمة العصر والطعم "وهنا يظهر دور الدليل السياحي لأن ما ذكره ليس في عموم البساتين ثم يقول "ويزرعون خضارا رأيت منها البصل والثوم والفاصولياء واللفت والطماطم والفلفل والباميا والملوخية والبادنجان كما يزرع السلق في ظل النخيل ويزرعون تحت أشجار النخيل شيئا من الحبوب من قمح وشعير وذرة بيضاء إلا أنها لا تكفي استهلاك السكان "

ويذكر هذا الرحالة أنواع تمر النخيل بغماس المدغوية ويقول أفضل أنواعها أم العسل ويقول هذا الاسم يشهد على حلاوتها والدقلة والتمودي وتن طولمة وتيسويين وتمجهرت ودمبو دمبو وسيركي ويصداس وتن تواجت وتن سكر كما توجد أعشاب في الواحة ويصف ماء العين ويقول أن حرارة ماء العين 33 درجة عند العاشرة مساءً وفي ظل حرارة الجو البالغة 33 درجة كانت بعد الظهر 35 درجة وقاس فاتون دوفيريه حرارتها شتاءً فبلغت 29 درجة ويربط الرحالة بين العين ونشأت المدينة ويقول من المؤكد أن منطقة هذه العين قد أنشأت بصورة طبيعية غابة كثيفة من النخيل فقامت السكن على أساسها في الأزمنة القديمة وهنا نقول أن ما قاله مقبول فبيوت المدينة القديمة والمساجد وزوايا القرآن الكريم سقفاها من جذع النخيل وأيضا جريد النخيل بعد فصل الجريد مدة في الماء وكذلك الأبواب من النخيل ويدخل في الأبواب غصن شجر الرمان وفي البيت الغدامسي القديم القبة او (الكبة) الخاصة بالمرأة في ركن من البيت عند الأعراس والولادة يوجد فيها أربعة اغصان من شجرة الزيتون وتدهن بالدهان الأحمر وعلى الأغصان نقش جميل وكذلك سقف الحجرات أغلبها من جذع النخيل والجريد ولا زالت هذه البيوت بسقفاها وأبوابها وقد مر عليها

سنين طويلة ويختار نوع خاص من النخيل خصوصاً (المدغوية) لتحمله مدة طويلة وهذه الجنوع من النخيل هناك نخلة جذعها لا ينشق ويتقوس عندما يحدث فيه شق يصدر عنه صوت للإنذار فينتبه صاحب البيت فيغيره قبل سقوط السقف بينما هناك نوع آخر بمجرد أن يحدث صوت يجب تغييره بسرعة وأجمل شي يصنع من سعف النخيل الأطباق المختلفة في الحجم والمزينة بالألوان الجميلة والزاهية وهي من قماش اسمه الملف وتعجب الزوار والسواح ونختم بقول الله تعالى "وهو الذي انزل من السماء ماء فأخرجنا به نباتاً كل شي فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعتها قنوان دانية وجنات من اغاناب والزيتون والرمان مشتبته وغير متشابه" وندعم موضوعنا ببعض الوثائق المهمة والتي تخص هذا البحث بوثيقة تاريخها 857هـ مر عليها 1186 سنة وهي معاصرة لدخول الحفصيون لقدامس وللأحداث المتكررة في ذلك العصر من حملات عسكرية ضد غدامس تلك الحملات وهي أقدم وثيقة في متناول أيدينا ذكرها المرحوم بشير يوشع في كتابه وثائق تاريخية الوثيقة رقم 144 نقتبس منها ما يخص مياه العين والمحصول الزراعي ذلك الوقت (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً أشهد على نفسه الحاج المكرم أبو عبد الله محمد بن آدم شهداء الرسم وهو في حال صحة وطوع وجواز أمر انه حبس رغبة في ثواب الله تعالى ورجاء ثوابه الجسيم على أولاده وأولاد أولاده وعاقبهم وعاقب عاقبتهم الأب والابن وابن الابن في ذلك سواء الاشاعة جميع غابته التي تذكر في هذا الرسم وهي جنان المسمى (إن تكمرين) و (إنفرجة) الذي ابتاع من عثمان بن إبراهيم وإن تمزين وجميع نصيبه من تاملولة فيما ورثه من قبل أبيه وأمه وجمعهما الله وحنانه المسمى (إن زولاي) الطابية غير النخل الذين من جهة ساقية أولاد سليم والطابية ثم ذكر ما حبسه من مياه العين وجملة طرميسات ونتاج وأربعة عشر فانص من ماء تصك ومن تاروت سبعة عشر طرميسات وثلاثة انتامات وإحدى عشر فانص وذكر المرحوم بشير يوشع أنه تم بيع مزرعة (إنفرجة) سنة 1254هـ لما أرسل اللواء أحمد واسم حملة عسكرية على

غدامس بقيادة عثمان آغا وفرض غرامة فباعوا تلك المزرعة ووثيقة أخرى ورد فيها بعض مزروعات ومحصول البساتين بغدامس بتاريخ 1251هـ-1835م وأول من زرع خابية واحدة قمح عربي فيها ثلاثون صاع وخابية واحدة فيها ثمانية وعشرون صاع وهم زريعة القبيل يشبه العربي وخابيته واحدة فيها ثلاثة وعشرون صاع بلد غدامس وخابية واحدة جملة عدد القمح بين بلدي وعربي 54 صاع لأضسكو وتوابعه للتحميس وتوابع الطبخ الأول وأيضاً من الشعير ثمانية وأربعين صاع شعير غدامسي منهم 32 في خابية واحدة و16 صاع في خابية واحدة واثنتا عشر صيعان مرمر جملة الشعير بين غدامسي والمرمر ستون صاع هذا حصر لما جهزه الحاج بلقاسم الثني لابنته فاطمة الصغيرة عند زواجها. إذا أنهينا هذا البحث بمحصول البساتين بغدامس التي تسقى من مياه العين. شكرا للذين أشرفوا على هذا البرنامج

أحمد محمود هيبية غدامس 13-4-2022م



## "عبقرية المكان"

### غسوف ( زمردة غدامس )

1. د. فوزي محمد عقيل محاضر بقسم العمارة والتخطيط العمراني - كلية الهندسة جامعة

المرقب - الخمس - ليبيا

2. د. حمزة محمد الخازمي محاضر بقسم العمارة والتخطيط العمراني - كلية الهندسة

جامعة المرقب - القربولي - ليبيا

3. د. رياض رمضان الشواخ مدير إدارة الرقابة على قطاع المرافق والبنية التحتية -

ديوان المحاسبة الليبي

#### الملخص:

يتناول هذا البحث المناقشات المتعددة للفراغات العمرانية المميزة والفرق بين الفراغ كعالم مجرد وحقيقة واقع الكون والمكان الذي صنعه الإنسان واختبر بمعان وعالم حسي كمركز عميق للوجود البشري . كما تناقش هذه الورقة ماهية الفراغ وما الذي يجب أن يتوفر ليتم تغيير الفراغ الى مكان مع ضرورة التركيز على جوهر المكان الكامن في هذا المعنى اللاإرادي الغير ثابت ذو الجوهر المتغير غير الثابت أيضا . ركزت هذه الورقة على معنى المكان العبقري والذي سيجرنا نحو علم الظواهر المعمارية و العمرانية والارتباط بمكان معين وهويته وذاكرته واستعادة واستذكار ماضيه . إن الكاريزما التي تتمتع بها غسوف كفراغ عمراني إضافة الى أنها مكان ملهم يحمل بين جنباته معان كثيرة تأخذنا الى حتمية البحث في أهمية موقعها الجغرافي وموضعها و ظرفها المكاني ومحيطه ومحيطها الحيوي والفراغ الموجودة به وصولا الى مكانها حيث أن كل مصلح له توصيف مختلف ومعنى وأركان وعناصر جعلت من وجودها في هذا المكان يصنع لها أهميتها وهويتها المستقلة.

اعتمدت هذه الورقة على المشاهدة المباشرة وجمع المعلومات والزيارات التي قام بها الباحث للمدينة وجميع المعلومات من الكتب وبعض الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع للوصول لأهم الأسباب والمؤثرات التي ساهمت في بناء شخصية عين الفرس ومنحتها مكانها المميز العبقري .

الكلمات المفتاحية: الفراغات العمرانية ,جوهر المكان ,المكان العبقري ,الظواهر المعمارية و العمرانية, الهوية المستقلة .

### اهمية واهداف الدراسة

يهدف هذا البحث الى دراسة وتحليل المكونات العمرانية لمدينة غدامس القديمة ومعرفة علاقة غسوف بباقي اجزاء المدينة وبالتالي معرفة مدى اهميتها كفراغ ومكان عمراني.

### منهجية الدراسة

تنتهج الدراسة النهج العلمي التحليلي Analytical Methodology وذلك ياجراء دراسة علمية عملية لتحليل مكونات المدينة عمرانيا ودراسة موقع مكان عين الفرس وعلاقته بباقي اجزاء المدينة واعتمدت الدراسة في تحليلها على ما تم انجازه من بحوث ودراسات سابقة من كتب ورسائل علمية ومقالات علمية عن البيئة العمرانية ومكوناتها وهويتها وتطبيقها على مدينة غدامس وقد استعانت الدراسة ايضا ببعض الخرائط الجوية وبعض ادوات القياس Parameters للحصول على نتائج دقيقة تدعم او تنفي فرضية البحث وتجيب على سؤال البحث والذي يمكن تلخيصه في السؤال التالي:

هل عين الفرس (غسوف) كفراغ او كمكان عمراني عنصر مهم في مدينة غدامس

## القديمة؟

### مدينة غدامس (نشأتها وتاريخها):

غدامس هي مدينة ليبية تقع قرب التقاطع الحدودي لكل من ليبيا وتونس والجزائر في الجزء الغربي من البلاد على خط عرض 30,08 شمالا وخط طول 9,03 شرقا، وترتفع عن مستوى سطح البحر 357 مترا. وتبعد 543 كيلومتراً جنوب غرب العاصمة طرابلس مدينة غدامس هي واحة نخيل، سكانها 25 ألف نسمة، وكان السبب الرئيسي في نشأتها وتطورها هي انها كانت محطة ترحال فيها القوافل التجارية القادمة من الجنوب الى الشمال والعكس، وتعد من أشهر المدن على خط التجارة بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى ولها علاقة تاريخية مزدهرة في التجارة مع عدة مراكز تجارية اخرى في وسط وغرب افريقيا كمدينة تمبكتو في مالي.



شكل رقم (1) الموقع العام للمدينة

ترتبط مدينة غدامس بالعاصمة طرابلس بطريق بري يمتد لمسافة 600 كم ويمر تحت

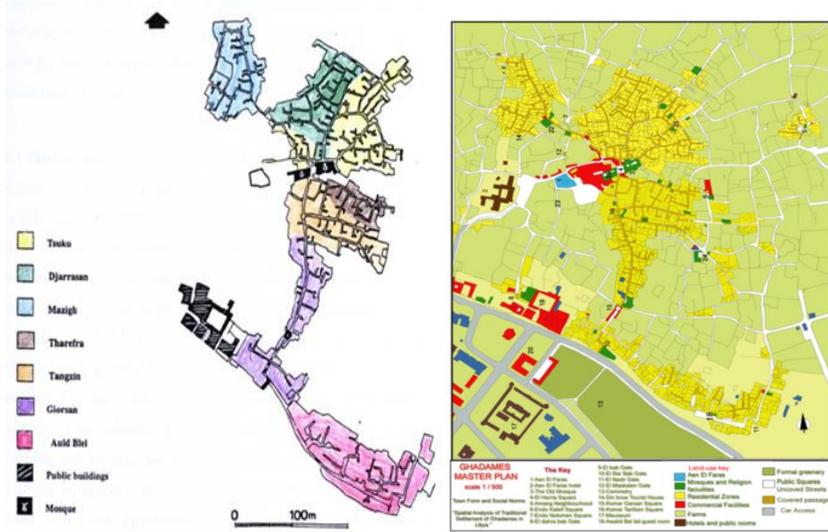
جبل نفوسة وهي السلسلة الجبلية الممتدة من الخمس إلى نالوت. صُنِّفت منظمة التربية والعلوم والثقافة التابعة للأمم المتحدة "اليونسكو" غدامس القديمة مدينة تاريخية ومحمية من قبل المنظمة، وقد كانت غدامس قديماً واحدة من أشهر المدن الأفريقية الشمالية التي لعبت دوراً تجارياً مهماً بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى بكونها محطة للقوافل، ودخل الإسلام غدامس سنة 44 هجرية على يد الفاتح الصحابي عقبة بن نافع الفهري. وكانت الديانتان المسيحية واليهودية هما السائدتين قبل الإسلام والدلائل كثيرة على وجود هذه الديانات

الإبراهيمية منها وجود قبيلة قديمة تنحدر من بني وليد تحمل اسم يوشع وهو اسم مقدس ذكر في سفر يوشع في العهد القديم، يقول بروكوبيوس القيصري "توجد هنا أيضاً مدينة تسمى غدامس، وفيها يعيش المور الذين كانوا متسالمين مع الرومان منذ غابر الأزمان وقد كسب الإمبراطور جستنيان هؤلاء جميعاً واعتنقوا العقيدة النصرانية طوعاً ويسمى هؤلاء (Pacati)، لأن بينهم وبين الرومان معاهدة سلام دائمة" ومور هو أحد الأسماء التي وصف بها الليبيين الأصليين، وقد خضعت المدينة قديماً لسيطرة الاغريق ثم الرومان، إلى أن دخلها المسلمون، وبلغت ذروة مجدها في القرن الثامن عشر عندما خضعت للحكم العثماني الموجود آنذاك في ليبيا، وأصبحت مركزاً مهماً للقوافل ونقطة للتجارة بين حواضر القارة الإفريقية، واحتلها الإيطاليون عام 1924 م، واخضعوها لسلطتهم حتى اندحارهم منها ودخول القوات الفرنسية إليها سنة 1940 م وظل الفرنسيون في غدامس حتى 1955[1].

تقسم ثلاثة أقسام: المدينة القديمة حيث السور والجامع، وغابة النخيل، والمدينة الحديثة حيث المباني المستحدثة. وفي وسط المدينة عين الفرس.

**النسيج العمراني لمدينة غدامس القديمة والعوامل المؤثرة على تكوينه**  
من خلال تحليل الدراسات السابقة والمخطط العام للمدينة القديمة بواحة غدامس يتبين

ان المدينة تشكلت عبر التاريخ بشكل تدريجي على هيئة نسيج متضام وبنيت على النظام العضوي (Organic Structure) الذي يعتمد على النمو الطبيعي للنسيج العمراني.



شكل رقم (2) المخطط العام لمدينة غدامس واحياؤها [2].

العوامل التي ساهمت في تشكيل النسيج العمراني لمدينة غدامس

معظم الدراسات التي تناولت تحليل النسيج العمراني للمدينة اشارت الى تفرد المدينة القديمة بطرازها المعماري والذي نشأ تحت تأثير عدة عوامل اهمها:

#### \*العامل الجغرافي

ان وجود عين الماء (عين الفرس) في وسط واحة غدامس واحاطتها بمساحات كبيرة من اشجار النخيل جعل منها مكانا مثاليا لإنشاء وتطور المدينة، فقد شكلت عين الماء المصدر الرئيسي للمياه وتور النخيل احدى مصادر الغذاء، مما ساهم في نمو المدينة

داخل هذه الواحة وصمودها في وجه العوامل المناخية الصعبة الى يومنا هذا. نشأت غدامس فوق منخفض مفتوح نحو الغرب ويتصل مباشرة مع منطقة العرق الكبير الممتد جنوبي تونس وشمال شرق الجزائر وهذا الحوض يعرف باسم (حوض غدامس) حيث يكون جبل نفوسه الحافة الشمالية للحوض والذي يمتد جنوبا عمى هيئة هضبة حتى منطقة مرتفع قرقان التي تفصل حوض مرزق ويمتد الى الغرب داخل الحدود الجزائرية والتونسية وشرقا الى تصدع هون ، وتشكل صخور العصر الكرييتاسي اهم التكوينات الجيولوجية انتشارا في غدامس والحماة الحمراء وتتكون البنية الجيولوجية لمنطقة الدراسة من احجار مختقة تضم أحجار ( الدولوميت ، الطين ، الحجارة السوداء والبيضاء إضافة الى الأحجار الجيرية التي تشكل الطبقات الافقية والتي تعود الى العصر الطباشيري العلوي وتغطي هذه الطبقات بأحجار منحدره او ترايبية برواسب رملية تكونت بفعل الرياح والمياه[2].

### الفراغات العمرانية في المدينة القديمة بغماس

من الجدير بالذكر ومن خلال ما وجد من دراسات تاريخية للعمران التاريخي القديم يتبين ان اغلب مدن العالم القديم تميزت باحتواءها على فراغات واماكن حضرية تمثل جزءا رئيسيا منها بل واصبحت جزءا لا يتجزأ منها ولمعرفة العلاقة بين الفراغ العمراني والبيئة المبنية وجب دراسة الفراغ العمراني اولا.

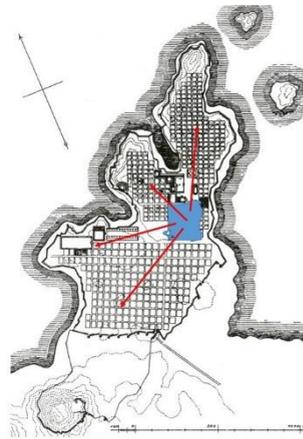
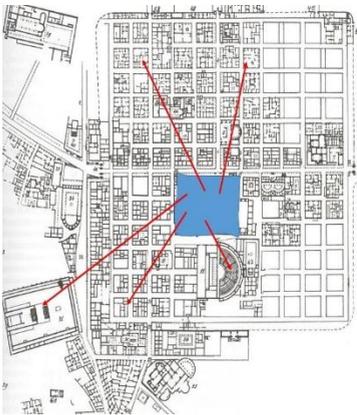
### الفراغ والفضاء والمكان في العمارة والعمران

قبل حوالي نصف قرن من الزمان قدم العديد من المعماريين والمتخصصين في العمارة والعمران الحضري ، وبعد العلوم الاخرى ذات العلاقة مثل: الجغرافيا والعلوم الاجتماعية وعلم النفس البيئي ففي ألمانيا ومنذ القرن التاسع عشر أوضح أوجست شمارسوه ولويس ريجل وثيودور ليبس وهيرمان سورجيل وأدولف هيلدبراند بأن فكرة

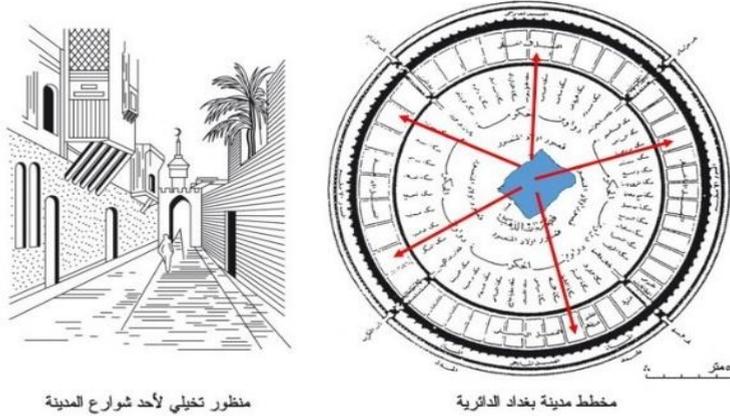
"الفضاء هو جوهر العمارة والعُمران " وهو أكثر قيمة من المكان المبني كالميدان (Stanek, 2012, p. 49) ويُعرف شمارسوه (1893) بأنه أول منظر معماري ، يُصر على اتباع النهج الفضائي (Gullberg, 2016, p. 1)، حيث أطلق على تاريخ العمارة والعُمران بأنه تاريخ الشعور بالفضاء (Vischer, 1994, p. 28)، ومؤكداً الاتصال بين الجسم وما يحيط به مع الأخذ بعين الاعتبار القيمة التاريخية والثقافية للمكان ليتحول الى فضاء.

اما بالنسبة برونو (1948) ولوكوربوزيي ه (1948) ، ولويسكان (1957) وچوانا جيلبرج (2016) ؛ إذ غالبًا- ما يرى كثيرون منهم العمارة والعُمران؛ من حيث إن تاريخها في المقام الأول هو تشكيل الإنسان للفضاء (Pevsner, 1948, p. xviii) " حيث اصبح المسكن عبارة عن فضاء يحتوي على مجموعة فراغات يشكلها النشاط الانساني اليومي للسكانين وهذا ما دعمه وايده لي كوربوزيي (LeCorbusier, 1948, p. 279) الذي اكد على ان الفضاءات تخلقها وتحببها الانشطة الانسانية [3].

على مر التاريخ نشأت الفراغات العمرانية وتطورت واحتلت اماكن مهمة ضمن النسيج العمراني فجدد الاجورا في المدينة اليونانية والبازيليك الرومانية هي من الفراغات المهمة domain spaces اما بالنسبة للمدينة الاسلامية والتي اكتسبت شخصية



عمرانية مختلفة عن سابقتها فقد اصبح المسجد الجامع وساحة السوق وقصر الحاكم هي الفراغ المهيمن وهو الفراغ المرجعي الرئيسي كما هو الحال في مدينة بغداد القديمة وغيرها من مثيلاتها كالقيروان والقاهرة القديمة والحمراء باسبانيا.



منظر تخيلي لأحد شوارع المدينة

مخطط مدينة بغداد الدائرية

شكل رقم (3) الاجورا في مدينة مليتوس والبازيلكا في مدينة تيمجاد والجامع والسوق في مدينة بغداد المدورة من الفراغات والاماكن المهمة في تلك المدن.

من الجدير بالذكر بان تلك الفراغات اكتسبت زخمها واهميتها عن طريق الانشطة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية التي كانت تمارس ضمن هذه الفراغات.

اذا فالفضاء العمراني مصطلح يشمل كلا من البيئة المبنية المحسوسة وما يحدث داخلها من أنشطة انسانية على المستويين المقياس الصغير *micro scale* والذي يتضمن الوحدة الصغرى كالغرفة او المسكن او المبنى الواحد او الوحدة السكنية وكذلك على المستوى الاكبر *macro scale* والذي يشمل البيئة المبنية ككل كالمدينة او البلدة او الحي السكني.

وقد ظهر الفراغ المعماري على المستوى الاكبر *macro scale* في المدن القديمة كالاجورا اليونانية والكوليزيوم والبازيلكا الرومانية او فراغ المسجد والسوق في المدينة الاسلامية [4].

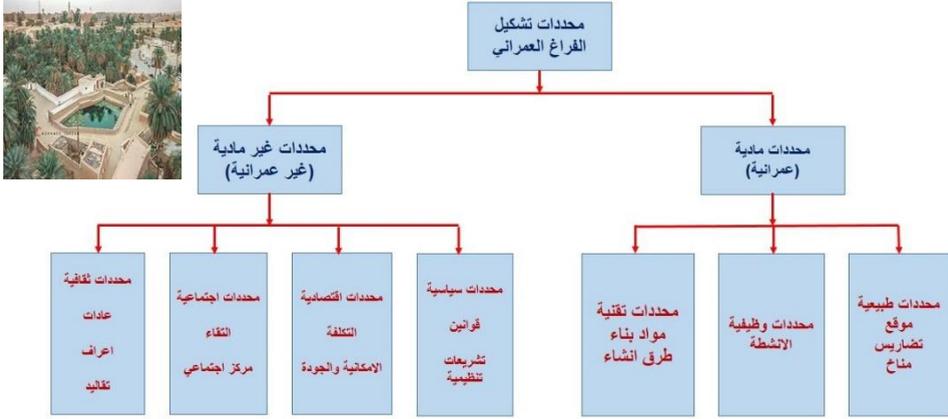
فهل يمكن اعتبار عين الفرس فراغا عمرانيا مهما ضمن النسيج العمراني لمدينة غدامس؟ للإجابة على هذا السؤال يجب تحليل ودراسة العلاقة ما بين الفراغ والبيئة المبنية والانشطة الاجتماعية التي يحتويها هذا الفراغ.

### الفراغ والمكان و الرغبات الإنسانية

ان عملية التشكيل العمراني نتاج لتفاعل عديد من العوامل وتعبير عن ثقافة المجتمع وأن دور عملية العمران تتعدى مجرد توفير الحماية أو تحقيقا لاحتياجات النفعية للإنسان إن النظريات التي حاولت أن تفسر عملية التشكيل العمراني كثيرة، ولكن العديد من هذه النظريات ترجع عملية التشكيل إلى المحددات المادية فقط وتحاول أن تبرز عوامل المناخ والاحتياج إلى المأوى ومواد وتقنيات الإنشاء والعوامل الاقتصادية والأغراض الدفاعية والأمنية كأهم المحددات التي تعزى إليها طبيعة عملية التشكيل العمراني ولكن من الواضح أن هذه النظريات تواجه الكثير من أوجه القصور، حيث تناولت هذه النظريات النشاط الإنساني من الجانب المادي فقط على الرغم من الجوانب اللامادية المتعددة للثقافات الإنسانية بمعنى انه علينا ان نرى ان العمران لا بد وانتهتبير ونتاج له مدلولاته الثقافية وليس فقط العناصر المادية (التشكيل-الأبعاد-المواد...).

استنادا الى تصنيف العالم المشهور Rapoport,A فيمكن تلخيص العوامل المؤثرة على تكون الفراغ العمراني كالتالي:

عوامل المناخ، المأوى، مواد البناء، عوامل اقتصادية اما بالنسبة لتشكيل الفراغ والمكان العمراني فيمكن توضيحها في المخطط التالي:-



شكل (4) محدثات تشكيل الفراغ العمراني [5].

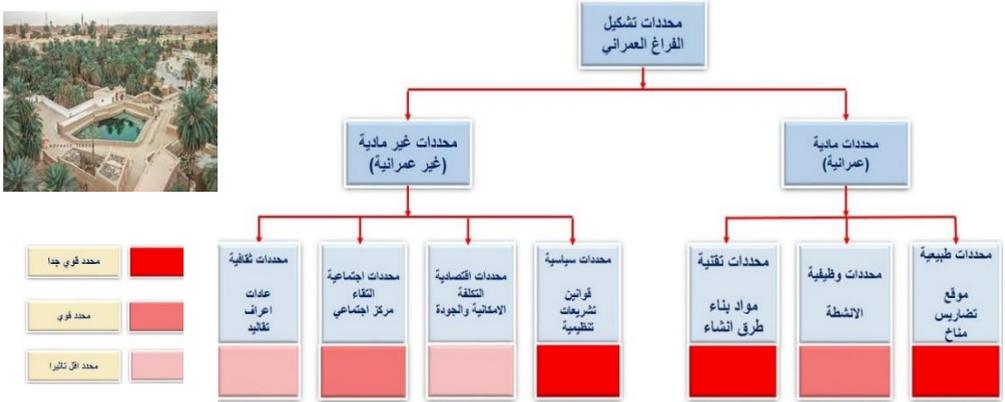
اذا فالفراغ هو الفضاء العمراني الذي تحدده مجموعة من العوامل المادية كالموقع والتضاريس ومواد البناء والطراز المعماري في بعض الاحيان بالاضافة الى المحددات الغير مادية والتي تشمل القوانين والتشريعات والتفاعل الاجتماعي ( social interaction) والذي بدوره يتم بعملية تنظمها العادات والاعراف والتقاليد.

فهل عين الفرس يمكن اعتبارها فراغ عمراني ام انها مجرد عين ماء تغذي واحة تقع على الاطراف الغربية للدولة الليبية؟.

للاجابة على هذا السؤال يتطلب الامر التعمق اكثر في الجانبين التاريخي والمعماري لقدامس القديمة وتحليل مكوناتها طبقا للمحددات المذكورة سلفا (محددات Rappaport) في الشكل (1).

تعتبر المحددات التي وضعها العالم Amos Rappaport من بين اهم ادوات القياس التي تفسر تكون الفراغ العمراني ضمن البيئة المبنية (خاصة انه تم تطبيقها على بعض المدن العربية والاسلامية القديمة) حيث تم اختيار مجموعة المحددات المذكورة في الشكل السابق بناء على بيانات عمرانية واجتماعية واقتصادية وتاريخية حول عدد من

المدن في اماكن وبيئات مختلفة حول العالم وبالتالي يمكن اعتمادها كاحد ادوات القياس المناسبة لتطبيقها على فراغ عين الفرس.



شكل (5) محددات تشكيل غسوف طبقا لمحددات Rppaport [5].

من خلال ما سبق تبين ان العوامل الطبيعية كالتضاريس والمناخ ومواد البناء وطرق الانشاء كانت العوامل الاكثر تاثيرا في تكوين الفراغ العمراني لغسوف وبعد ان نمت حولها المدينة اصبحت المحددات القانونية والتشريعية والسياسية هي المحددات الاكثر قوة في التأثير على عين الفرس واطفاء صبغة المكان عليها, ويلبها في ذلك المحددات الاجتماعية والثقافية.

### غسوف كفراغ او مكان ذو معنى وقيمة (المكان كمعنى):

ظهرت في العقود الثلاثة الأخيرة، من القرن العشرين، أهمية التعامل مع المكان باعتبار محتوى أحداث ذاتقيم ، وتلك القيم هي التي تمنح للبيئة المبنية شخصيتها. ولذلك، على المصمم الحضري أن يأخذ في اعتباره أن تكوين الفراغات لا ينبغي فقط أن يكون مناسباً لنوعية معينة من الأحداث، وإنما يجب أن يسمح أيضاً لأكثر عدد من المستعملين بالمشاركة في إعطاء بينهم معنى مختلفاً تماماً عنمعاني بيئات الآخرين. وبالتالي كلما حدثت هذه المشاركة فإن هذه البيئة المشيدة سيكون لها شخصية مميزة وأجواء

## حقيقية[6].

يركز هذا العمل عنايته على نمطين اثنين من الفضاءات المفتوحة في البيئة المشيدة،

**الأول:** الفضاءات الحرة ثلاثية الأبعاد، والتي تُشكّلها منشآت البناء، سواءً أكانت داخل أم خارج تلك المنشآت،

**الثاني:** الفضاءات ذا الصلّة، والتي تتحول إلى "أماكن"؛ نتيجة لكسبها المعاني التي تُستمد من معيشة الناس، وتختلف من خلال توليد أحداثهم وتجاربهم.

ما يدعم هذه الفكرة هو ما طرحه العالم النرويجي كريستيان نوربرج-شولتز حول أهمية معنى وقيمة الفراغ من وجهة نظر معيشة وانشطة المستعملين حيث اكد على انه كلما تواجدت الحياة في فضاء، سرعان ما حولته إلى مكان واطاف ايضا في معرض تفسيره للفراغ والمكان بان الفضاءات التي تحصل فيها حياة هي أماكن. وبالنتيجة فالمكان يصبح بؤرة أو محور تركيز، وبالتالي، طبقا لوجهة نظره، يأتي الفضاء أولاً ويليه المكان، بعد أن تُعطي الأحداث التي تحصل في الفضاء له معنى[6].

“تتكون الحياة اليومية للعالم من الظواهر الملموسة”؛ أيّ بما تتضمّن من خبراتٍ ونشاطاتٍ واتصالاتٍ (Norberg-Schulz, 1980). [7]

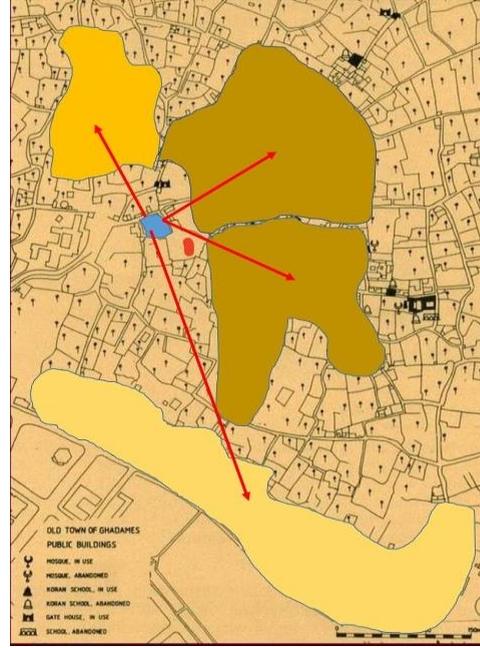
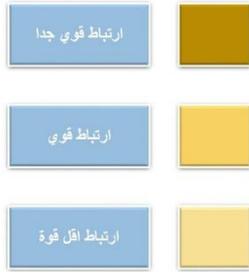
من خلال ما سبق يتبين أن :

**اولا:** عين الفرس تكونت كفضاء يحوي عين الماء (غسوف) وبحيرتها التي شكلت المصدر الرئيسي والوحيد للماء في واحة غدامس.

**ثانيا:** نمت المدينة القديمة حول غسوف على هيئة قوس من المباني الطينية والتي تتكون في اغلبها من المساكن والمساجد والساحات العامة مشكلة الاحياء الرئيسية للمدينة و ترتبط هذه الاحياء مع غسوف بشبكة شوارع وازقة تتجمع تقريبا عندها.

**ثالثا:** يلاحظ من المخطط السابق ان حوالي 70% من المدينة ترتبط ارتباطا قويا مع

فراغ عين الفرس والبقية من المدينة ارتباطها بها اقل قوة.



شكل (6) علاقة غسوف كفراغ مع باقي اجزاء المدينة

**رابعاً:** اصبحت بحيرة عين الفرس فراغا يشمل الانشطة الاقتصادية كالزراعة والصناعة والانشطة الاجتماعية وتعدت وظيفته كونه مصدر للمياه فقط وبالتالي ازدادت قوته وتحول الى احدى الاماكن القوية داخل النسيج العمراني للمدينة القديمة بـغدامس.

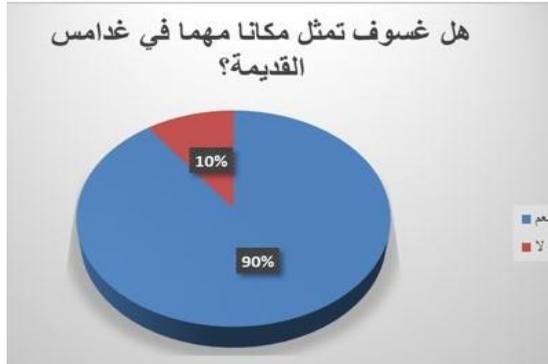
**غسوف كفراغ يمثل جزء من هوية غدامس (المكان كهوية):**

بعد التطور التاريخي للبنية العمرانية وتنوعها واختلافها من مكان لآخر ومن زمن لآخر اضحى مُصطلح هوية المكان حسب كريستيان نورب رـج-شولتر عنصرأ أساسياً في تعريف الفراغ والمكان باعتباره جزءاً من حياة المستعملين. لقد تطور مفهوم هوية

المكان مع الزمن، فأصبحت تُستخدم لتبيين التمايز والاختلاف بين الأماكن، من خلال توليفة مباشرة بين البعد المادي للمكان والأنشطة والمواقف والأحداث، فضلا عن المعاني الفردية والجماعية، التي تتبع من تجارب الناس ونواياهم حول هذا المكان [8] ويعرّف Lynch الهوية باعتبارها تُحدد الشيء، الذي يُتمييز والاختلاف عن شيء آخر والاعتراف به باعتباره كيانًا قابلاً للفصل، وهو مفهوم لا يعني المساواة مع شيء آخر، وإنما يأتي بمعنى الفردانية أو الوحدانية. والهوية في ثَمَكْن من فهم إلى أيّ مدى، يمكن للشخص أن يتذكر مكان ما على أنه متميز عن الأماكن الأخرى -على أنه حيوي أو فريد من نوعه، أو على الأقل ذو شخصية معينة، خاصة به، وهكذا ترتبط هوية المكان من وجهة نظره ارتباطاً وثيقاً بهوية المستعملين بل ويمكن القول بأنه يمكن اعتبار هوية المكان هي مرآة تعكس هوية مستعمليه.

ويرى مايكل هوف بأن العناصر مثل التضاريس ومجموعات النباتات المحلية الباقية والحصن القديم والحظيرة وحجر الرصف القديم هي عناصر رئيسية لبناء الهوية العمرانية للمكان اضافة الى الانشطة والاستعمالات المرتبطة بهذا المكان.

لمعرفة مدى قوة تأثير عين الفرس كمكان او فراغ على الهوية العمرانية للمدينة اجريت دراسات ميدانية من قبل الباحثين على عينات من شرائح مختلفة من مجتمع غدامس فتمتثلين الاتي:



شكل (7) علاقة غسوف كفراغ مع باقي اجزاء المدينة

ان حوالى 90% ممن تم استبيانهم يرون ان غسوف هم مكان مهم جدا في المدينة ويمثل جزءا رئيسيا من هويتها وما يدعم هذه النتيجة هو موقع مكان عين الفرس وارتباطها بباقي اجزاء المدينة.

## النتائج

من خلال ما تم دراسته سالفًا يمكن القول بان:

- 1- عين الفرس (غسوف) شكلت النواة التي تكونت حولها مدينة غدامس القديمة
- 2- المنبع والبحيرة شكلا المصدر الرئيس والوحيد للمياه في واحة غدامس مما ساهم في نمو واستمرار المدينة منذ الاف السنين.
- 3- تطورت البحيرة من فضاء مفتوح الى فراغ عمراني مهم يمثل مصدر الحياة في المدينة.
- 4- وجود أنشطة اجتماعية واقتصادية وأنشطة اخرى تمارس في هذا الفراغ اضى عليه قيمة عمرانية واجتماعية اكبر وبالتالي تحول من مجرد نبع ماء وبحيرة الى فراغ ومكان عمراني مهم في المدينة.
- 5- مع مرور الوقت اصبحت عين الفرس احدى الرموز الثقافية للمدينة القديمة وجزءا رئيسيا من هويتها العمرانية.

## المراجع

- [1] د. عقيل، فوزي ، د.المبروك، عادل، ايدير، ربيعة، العمارة التقليدية كمصدر إلهام لتطوير بيئة مستدامة , مدينة غدامس القديمة كمثل، المؤتمر العلمي الدولي الرابع لكلية الاقتصاد والتجارة ، AISC2020 01-9 نوفمبر 2019.
- [2] د.الخازمي، حمزة، د.عقيل، فوزي.. دراسة وتحليل المعالجات المعمارية المستخدمة لتقميل الكسب الحراري في المناطق الصحراوية - دراسة حالة مدينة

- غدامس. المؤتمر الهندسي الثاني لنقابة المهن الهندسية بالزاوية 2019 .
- [3]د. عبد الهادي ، سحر إسماعيل، الابعاد الاجتماعية والتكنولوجية وتأثيرها على تشكيل الفراغات العمرانية بالمدن، Faculty of Urban & Regional Planning, Cairo University Journal of Urban Research, Vol. 28, Apr 2018
- [4]عقيل، فوزي ، سوف الجين، عبدالسلام، تقييم جودة الفراغ العام المفتوح في إطار التصميم الحضري المستدام، المؤتمر العلمي الدولي الرابع لكلية الاقتصاد والتجارة ، 01-9 AISC2020 نوفمبر 2019.

Rappaport, A. (2006). Vernacular design as a model [5] system, Ch.10 in Vernacular Architecture in the Twenty-first Century, Taylor & Francis pp.179-198.

Rappaport, A. (2007) The Nature of the Courtyard House [6] : A Conceptual Analysis, TDSR, Vol.18, N°2, pp. 57-72.

Rapoport,A-"The Meaning Of The Built Environment"- [7] California,Sage Publications- 1982

Necessity of ، Mohsen، Mina، Sane، Khodadad[8]  
Collaboration between Technology and Architectural  
،Design in Order to Develop the Urban Space Quality  
World Journal of Engineering and Technology, 2017, 5,  
.574-584

## "اهمية المكان"

### غسوف كمرکز رئيسي في التكوين

### العمراني لمدينة غدامس القديمة

## دراسة تحليلية باستخدام نظرية Space Syntax

1. د. حمزة محمد الخازمي محاضر بقسم العمارة والتخطيط العمراني - كلية الهندسة جامعة المرقب - القربوللي - ليبيا

2. د. عبدالرحمن فرج شهران محاضر بقسم العمارة والتخطيط العمراني - كلية الهندسة جامعة المرقب - القربوللي - ليبيا

### المخلص:

ظهرت الدراسات المتعلقة بالبيئة المبنية Built Environment في اوائل القرن الماضي وتطورت من كونها مجرد نظريات الى علوم تطبيقية واصبحت من العلوم المهمة في الدراسات التاريخية والمعمارية حيث تعتمد في منهجها بشكل رئيسي على تحليل المكونات العمرانية للمدن والقرى سواء أكانت تاريخية (Traditional) او حديثة وذلك لمعرفة واستخلاص القيم العمرانية لتلك البيئات المبنية واستخدام هذه القيم Values لتكون اساسا ومنهجاً لعمليات التخطيط والتطوير العمراني المستقبلي وذلك لخلق بيئات عمرانية حديثة تتماشى مع القيم الثقافية والاجتماعية لمستعملي هذه البيئات. تعتمد هذه الدراسة على استخدام برنامج UCLDepthmap والذي يعتبر تطبيقاً عملياً لنظرية التركيب الفراغي Space Syntax Theory المنبثقة عن نظرية صورة المدينة التي اطلقها المعماري الشهير Keven Lynch نهاية القرن الماضي. تم تطبيق عدة عناصر قياس parameters موجودة داخل البرنامج مثل التكامل المحلي local integration والموصلية connectivity والخريطة المحورية

axial map ونتائج ادوات القياس هذه تقيس اهمية كل مكون من مكونات المدينة مثل شبكة الطرق والشوارع وارتباط المباني مع بعضها ومع الفراغات العمرانية كعين الفرس في المدينة القديمة وبالتالي معرفة اهمية غسوف بالنسبة للمدينة ككل. الكلمات المفتاحية: البيئة المبنية، القيم العمرانية، الفراغات العمرانية، space syntax، الخريطة المحورية

## 1. المقدمة

اهتمت هذه الدراسة بتحليل سمات النسيج الحضري لمدينة غدامس القديمة من حيث موضع المدينة و موقعها الصحراوي، و اسباب نشأتها والعوامل التي كان لها الأثر الكبير في تفرد أسلوب البناء والعمران فيها، و من اهم تلك العوامل التي ساهمت بشكل اساسي في تكون ونمو المدينة هي وجود نبع عين الفرس (غسوف) والذي شكل النواة التي نمت حولها المدينة، مع مرور الزمن تحولت عين الفرس من مجرد نبع ماء الى فراغ حضري عمراني رئيسي في تكوين المدينة.

اعدت هذه الورقة البحثية تحت عنوان اهمية الفراغ والمقصود به اهمية عين الفرس كفراغ عمراني بالنسبة لبقية المدينة وذلك باستخدام نظرية التركيب الفراغي space syntax والتي تنتهج المنهج التحليلي لدراسة العلاقة بين مكونات اي بيئة عمرانية مبنية سواء اكانت مباني او فراغات عمرانية ام شبكة الشوارع والطرق، هذا النوع من الدراسات مهم جدا وقد استخدم في دراسات سابقة وتم تطبيقه على مجموعة من المدن والبلدات في مناطق عدة من العالم واعطى نتائج وتفسيرات علمية للعلاقة ما بين اجزاء البيئة المبنية.

نظرية التركيب الفراغي والتي ابتكرها العالم Bill Hillier انبثقت عن نظرية صورة المدينة للعالم Keven Lynch والتي صنف فيها المكونات العمرانية لاي بيئة مبنية الى مجموعة من العناصر واحدى هذه العناصر هي الفراغات العمرانية.

اهمية الفراغ العمراني لا تكمن في كونه انه حيز عمراني مفتوح كالميادين والساحات

او فراغ محصور ضمن مجموعة من المباني المحيطة انما هو ذلك الفراغ الذي يتضمن الميدان ومحيطه ومستعمليه وما يمارسونه من أنشطة بمختلف انواعها ضمن هذا الفراغ، وقد ظهرت عدة فراغات عمرانية واصبحت رموزا مهمة مثل الحرم المكي و ساحة البيكاديللي وميدان الحسين بالقاهرة.

غسوف تمثل اهمية كبيرة لمدينة غدامس القديمة حيث انها تمثل مصدر الحياة للمدينة و مع اضافة الانشطة البشرية (الاجتماعية والاقتصادية) حولها تحولت الى فراغ معماري، وهذه الدراسة تحديد مدى اهمية عين الفرس كفراغ بالنسبة للمدينة ككل.

لمعرفة اهمية عين الفرس اعتمد الباحثون على الزيارات الميدانية لمواقع الدراسة، وكذلك الرواية الشفوية من خلال اللقاءات التي أجريت مع بعض المهتمين، بالاضافة الى تحليل مكونات المدينة القديمة باستخدام برنامج UCLDepthmap والذي تم تعريفه في منهجية الدراسة.

أن مثل هذا النوع من الدراسات يسلط الضوء على الخصائص العمرانية والتي تعكس القيم الاجتماعية والثقافية لكل بيئة مبنية وبالتالي ستكون منهج عمل لاي عمليات تطوير مستقبلية.

## 2. اهمية واهداف الدراسة

يهدف هذا البحث الى دراسة المكونات العمرانية لمدينة غدامس القديمة وتحليل الفراغات العمرانية ضمن نسيجها الحضري ومعرفة علاقة غسوف بهذه الفراغات وبالتالي معرفة مدى اهميتها كفراغ عمراني باستخدام نظرية space syntax.

## 3. الجانب العملي و المنهجية

يعتمد البحث في منهجيته على المنهج العلمي التحليلي Analytical Methodology وذلك ياجراء دراسة علمية عملية لتحليل مكونات المدينة عمرانيا ودراسة الفراغات العمرانية فيها خاصة عين الفرس وعلاقتها بباقي اجزاء المدينة واعتمدت الدراسة في

تحليلها على بحوث ودراسات سابقة من كتب ورسائل ومقالات علمية عن البيئة العمرانية ومكوناتها وهويتها وتطبيقها على مدينة غدامس وذلك بالاستعانة ببعض الخرائط الجوية وبعض ادوات القياس Parameters الموجودة في برنامج UCLDepthmap للحصول على نتائج دقيقة تدعم او تنفي فرضية البحث وتجيب على سؤال البحث والذي يمكن تلخيصه في السؤال التالي:

هل يمكن قياس وتحليل المكونات العمرانية والحضرية لمدينة غدامس و هل عين الفرس (غسوف) كفراغ حضري عمراني هي جزء مهم في مدينة غدامس القديمة؟

#### 4. مدينة غدامس (نشأتها وتاريخها)

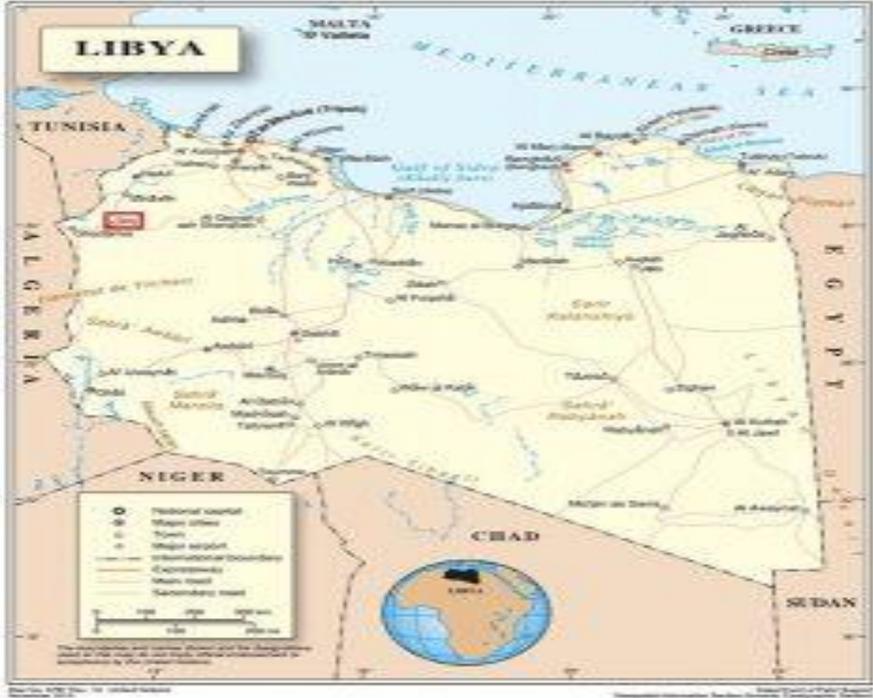
غدامس هي مدينة ليبية تقع قرب التقاطع الحدودي لكل من ليبيا وتونس والجزائر في الجزء الغربي من البلاد على خط عرض 30,08 شمالا وخط طول 9,03 شرقا، وترتفع عن مستوى سطح البحر 357 مترا. وتبعد 543 كيلومترًا جنوب غرب العاصمة طرابلس. مدينة غدامس هي واحة نخيل، سكانها 25 ألف نسمة، وكان السبب الرئيسي في نشأتها

وتطورها هي انها كانت محطة تراتح فيها القوافل التجارية القادمة من الجنوب الى الشمال والعكس، وتعد من أشهر المدن على خط التجارة بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى ولها علاقة تاريخية مزدهرة في التجارة مع عدة مراكز تجارية اخرى في وسط وغرب افريقيا كمدينة تمبكتو في مالي.

ترتبط مدينة غدامس بالعاصمة طرابلس بطريق بري يمتد لمسافة 600 كم ويمر تحت جبل نفوسة وهي السلسلة الجبلية الممتدة من الخمس إلى نالوت.

صنفت منظمة التربية والعلوم والثقافة التابعة للأمم المتحدة "اليونسكو" غدامس القديمة مدينة تاريخية ومحمية من قبل المنظمة، وقد كانت غدامس قديماً واحدة من أشهر المدن الأفريقية الشمالية التي لعبت دورا تجارياً مهماً بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى بكونها محطة للقوافل، ودخل الإسلام غدامس سنة 44 هجرية على يد الفاتح الصحابي

عقبة بن نافع الفهري. وكانت الديانتان المسيحية واليهودية هما السائدتين قبل الإسلام والدلائل كثيرة على وجود هذه الديانات



شكل رقم (1) موقع غدامس بالنسبة لليبيا (المصدر، الخازمي 2021).

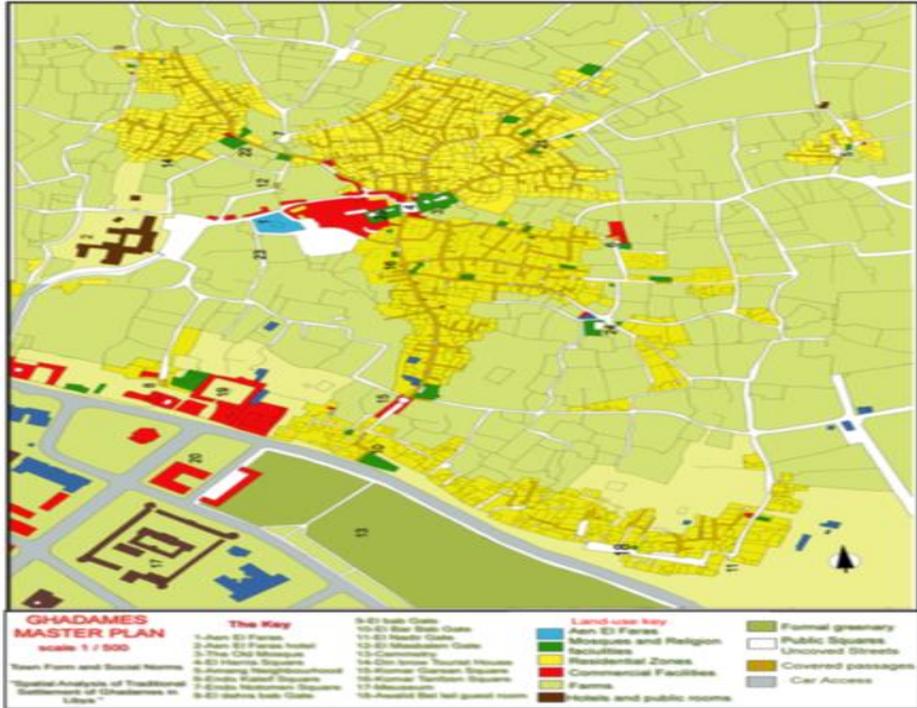
الإبراهيمية منها وجود قبيلة قديمة تتحدر من بني وليد تحمل اسم يوشع وهو اسم مقدس ذكر في سفر يوشع في العهد القديم، يقول بروكوبيوس القيصري "توجد هنا أيضاً مدينة تسمى غدامس، وفيها يعيش المور الذين كانوا متسالمين مع الرومان منذ غابر الأزمان وقد كسب الإمبراطور جستنيان هؤلاء جميعاً واعتنقوا العقيدة النصرانية طوعاً ويسمى هؤلاء (Pacati)، لأن بينهم وبين الرومان معاهدة سلام دائمة" ومور هو أحد الأسماء التي وصف بها الليبيين الأصليين، وقد خضعت المدينة قديماً لسيطرة الاغريق ثم الرومان، إلى أن دخلها المسلمون، وبلغت ذروة مجدها في القرن الثامن عشر عندما خضعت للحكم العثماني الموجود آنذاك في ليبيا، وأصبحت مركزاً مهماً للقوافل ونقطة

للتجارة بين حواضر القارة الإفريقية، واحتلتها الإيطاليون عام 1924 م، واخضعوها لسلطتهم حتى اندحارهم منها ودخول القوات الفرنسية إليها سنة 1940 م وظل الفرنسيون في غدامس حتى 1955.

تقسم ثلاثة أقسام: المدينة القديمة حيث السور والجامع، وغابة النخيل، والمدينة الحديثة حيث المباني المستحدثة. وفي وسط المدينة عين الفرس.

### 5. النسيج العمراني لمدينة غدامس القديمة والعوامل المؤثرة على تكوينه

من خلال تحليل الدراسات السابقة والمخطط العام للمدينة القديمة بواحة غدامس يتبين ان المدينة تشكلت عبر التاريخ بشكل تدريجي على هيئة نسيج متضام وبنيت على النظام العضوي (Organic Structure) الذي يعتمد على النمو الطبيعي للنسيج العمراني.



شكل رقم (2) المخطط العام لمدينة غدامس واحياؤها (ALKHAZMI 2019).

## 1.5. العوامل التي ساهمت في تشكيل النسيج العمراني لمدينة غدامس

معظم الدراسات التي تناولت تحليل النسيج العمراني للمدينة اشارت الى تفرد المدينة القديمة بطرازها المعماري والذي نشأ تحت تأثير عدة عوامل اهمها:

### ا. العامل الجغرافي

ان وجود عين الماء (عين الفرس) في وسط واحة غدامس واحاطتها بمساحات كبيرة من اشجار النخيل جعل منها مكانا مثاليا لإنشاء وتطور المدينة، فقد شكلت عين الماء المصدر الرئيسي للمياه وتطور النخيل احدى مصادر الغذاء، مما ساهم في نمو المدينة داخل هذه الواحة وصمودها في وجه العوامل المناخية الصعبة الى يومنا هذا.

نشأت غدامس فوق منخفض مفتوح نحو الغرب ويتصل مباشرة مع منطقة العرق الكبير الممتد جنوبي تونس وشمال شرق الجزائر وهذا الحوض يعرف باسم (حوض غدامس) حيث يكون جبل نفوسه الحافة الشمالية للحوض والذي يمتد جنوبا عمى هيئة هضبة حتى منطقة مرتفع قرقان التي تفصل حوض مرزق ويمتد الى الغرب داخل الحدود الجزائرية والتونسية وشرقا الى تصدع هون ، وتشكل صخور العصر الكريتاسي اهم التكوينات الجيولوجية انتشارا في غدامس والحمامة الحمراء وتتكون البنية الجيولوجية لمنطقة الدراسة من احجار مختفة تضم أحجار ( الدولوميت ، الطين ، الحجارة السوداء والبيضاء إضافة الى الأحجار الجيرية التي تشكل الطبقات اللافقية والتي تعود الى العصر الطباشيري العلوي وتغطي هذه الطبقات بأحجار منحدره او ترابية برواسب رملية تكونت بفعل الرياح والمياه.

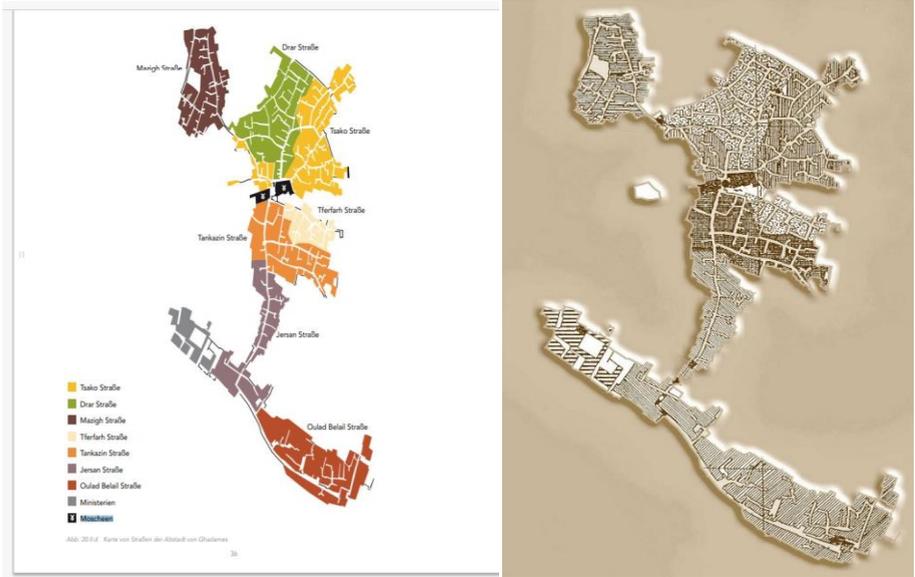
### ب. العامل الاجتماعي

اغلب البحوث والدراسات التاريخية السابقة تشير الى ان العامل الاجتماعي لعب دورا حاسما في التشكيل العمراني للمدينة، فالشكل رقم(3) يوضح رسما توضيحيا مجسما

للاحياء السكنية والتي تمثل حوالي 70% من البيئة المبنية للمدينة

حيث ذكر اللافي 2012 واستنادا الى كتاب غدامس ملامح وصور وما عرضه المهندس خالد افتيته بان المدينة القديمة تنقسم اجتماعيا ومكانيا الى عشيرتين رئيسيتين هما بنو واليد وبنو وازيت وكل عشيرة تقيم في محلة منفصلة وتتفرع كل عشيرة الى مجموعة من القبائل تتوزع على عدد من الاحياء ويكون نمو الحي السكني طبقا للانتماء الاجتماعي.

اذا فالعامل الاجتماعي كان عاملا حاسما crucial في تكون الجزء الاكبر من البيئة



المبنية للمدينة القديمة.

شكل (3) الاحياء السكنية (المصدر الصياد 2002)

## 2.5. البيئة المبنية لمدينة غدامس

يشير مصطلح البيئة الحضرية، أو البيئة المبنية، أو العالم المبني، في العلوم الهندسية والاجتماعية، إلى البيئة التي من صنع الإنسان حيث توفر البيئة المناسبة للنشاط

البشري، والتي تتراوح من المباني إلى المدن وما وراءها. عرّف بأنه «الحيز الذي يصنعه الإنسان، حيث يكون قادرًا على العيش فيه والعمل والقيام بنشاطاته بشكل يومي». Oleru N. (2008). ويرى Assari 2016 بان البيئة الحضرية تشمل الأماكن والمساحات التي أنشأها أو عدلها الناس لتلبية احتياجاتهم من السكن والتنظيم.

اما بالنسبة لنهى الصياد 2002 فترى بان البيئة العمرانية تتالف من ما هو من صنع الانسان من مباني وفراغات وقانون حاكم ينظم العلاقة ما بين المباني والفراغات ليكون النسيج العمراني للمنطقة، ويمكن القول بانه باختلاف العلاقة ما بين المباني والفراغ (ساحات او ميادين او شبكة الشوارع) تختلف البيئة العمرانية وتكتسب البيئة المبنية خصائصها من هذا الاختلاف والتنوع.

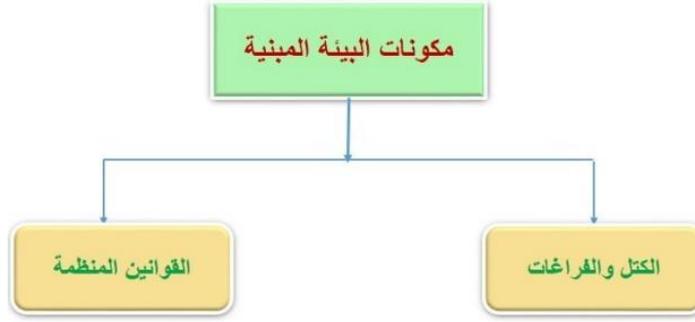
ان التصنيف او التحليل الذي اوردته الصياد 2002 بخصوص مكونات البيئة العمرانية المبنية يمكن اعتباره احد التصنيفات الواقعية المهمة والتي يمكن الاعتماد عليها كاداة قياس لمكونات هذه البيئات، حيث تتكون البيئة المبنية من:

ا. الكتل والفراغات (المكونات الفيزيائية او المادية).

ب. القوانين والتشريعات المنظمة للعلاقة ما بين الكتل والفراغات (الانماط العمرانية (Patterns).

والشكل التالي يوضح باختصار هذه المكونات

الجدير بالذكر ان هذه الدراسة ستركز على الجانب الاول من مكونات البيئة العمرانية المبنية. بناء على ماسبق وما ذكره افتيته 2012 في وصف البيئة المبنية للمدينة القديمة فان بيئتها العمرانية المبنية تتكون من العناصر الرئيسية التالية:



شكل (4) مكونات البيئة المبنية (المصدر الصياد 2002)

الكتل المبنية :



شكل (5) البيئة المبنية والنسيج العمراني للمدينة القديمة (الخازمي 2021)

كما ورد أنفا فالبيئة العمرانية تتشكل من علاقة الكتل بالفراغات ، ونقصد بالكتل المباني أما الفراغات فهي إما المسارات والشوارع أو الفراغات البينية التي تتخلل الكتلة العمرانية ، واختلاف البيئات العمرانية يظهر في اختلاف العلاقة بين الكتل والفراغات ، وهذه العلاقة تحدد ملامح التشكيل العمراني للمنطقة ، وعندما يتكرر شكل أو إطار معين لهذه العلاقة يتكون ما يسمى بالنمط العمراني (بترس 1992).

بالنسبة للمدينة القديمة في غدامس فالكتل عبارة عن تجمعات لمباني مترابطة متلاصقة مبنية من الطين والحجارة والأخشاب وفي أغلبها هب مباني سكنية (منازل

متعددة الطوابق) تتوزع هذه الكتل على هيئة احياء سكنية لكل حي مسجده الخاص.

### 3.5. الفراغات العمرانية

على مر التاريخ نشأت الفراغات العمرانية وتطورت واحتلت اماكن مهمة ضمن النسيج العمراني فنجد الاجورا في المدينة اليونانية والبازيليك الرومانية هي من الفراغات المهمة domain spaces اما بالنسبة للمدينة الاسلامية والتي اكتسبت شخصية عمرانية مختلفة عن سابقتها فقد اصبح المسجد الجامع وساحة السوق وقصر الحاكم هي الفراغ المهيمن وهو الفراغ المرجعي الرئيسي كما هو الحال في مدينة بغداد القديمة وغيرها من مثيلاتها كالقروان والقاهرة القديمة والحمراء باسبانيا. بالنظر الى مخطط المدينة القديمة يتبين ان الفراغات العمرانية تتنوع من حيث الحجم والشكل والاهمية والوظيفة ويمكن حصرها في المستويات التالية:

#### ساحة السوق (المركز او ميدان القادوس او ساحة السوق):



شكل (6) ساحة السوق المركزي بالمدينة

تقع في منتصف الكتلة العمرانية (البيئة المبنية) تقريبا وتلتقي عندها اهم الطرق والشوارع وترتبط ارتباطا وثيقا بالجوامع والميادين الفرعية ويرى باحثون بأن احد اهم

الاسباب في تواجد ساحة السوق في هذا المكان هو وقوعها قرب منبع عين الفرس.

الشكل السابق يوضح موقع ميدان القادوس او الساحة المركزية بالمدينة وارتباطه بباقي الكتل المبنية في المدينة وبحيرة عين الفرس.

### ساحات المساجد والميادين المحلية:

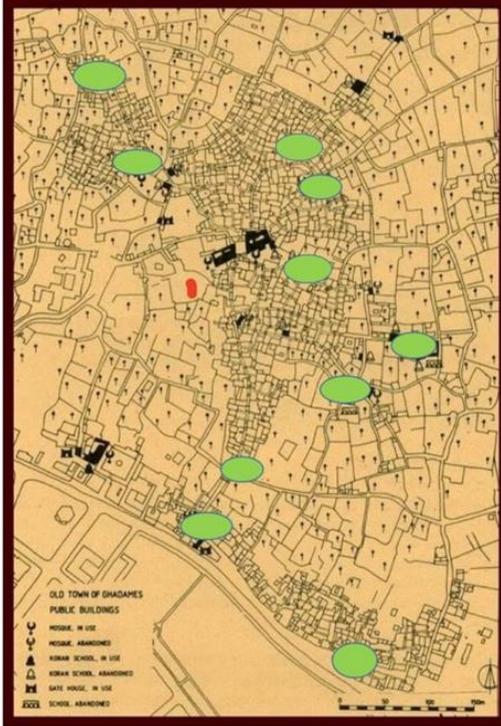
هذا النوع من الفراغات العمرانية يتوزع بشكل رئيسي داخل الاحياء السكنية حيث ان لكل حي سكني مسجده الخاص به وكل مسجد يحيط به ساحة او ميدان وقد سجلت بعض الدراسات ان لهذه الساحات عدة استعمالات اهمها:

تعتبر نقطة لممارسة النشاط الاجتماعي خاصة وان وجود غرفة الاعيان المخصصة لاجتماعات اعيان الحي السكني يزيد من قوة التأثير الاجتماعي للفراغ العمراني المحلي كما كان انه يستخدم في احيان كثيرة للمناسبات الاجتماعية ايضا.

من الانشطة الاكثر تداولاً داخل هذه الميادين هو ممارسة الصلاة كصلاة العيد والجنزة بالاضافة الى الاحتفالات بالمولد النبوي والذي كان جزءاً رئيسياً من الانشطة الدينية في تلك الفترة.

اذا يمكن القول بان الفراغات العمرانية داخل النسيج العمراني المبني للمدينة القديمة يمكن وصفه بانها متدرجة في الحجم او المساحة والوظيفة وتخدم المدينة على مستوى الحي السكني الواحد كساحة تيلوان او ساحة تفرفره او المدينة ككل كميدان القادوس او ميدان عين الفرس. ولمعرفة اهمية ميدان غسوف تقترح الدراسة اجراء تحليل هيكلية للتركيب الفراغي للمدينة ككل باستخدام برنامج UCLDepthmap.

بعض الاحيان يستخدم هذا النوع من الفراغات لممارسة النشاط الاقتصادي حيث وجود بعض المحلات التجارية (الدكاكين) في بعض الميادين يجعل منها مراكز تجارية مصغرة.



شكل (7) ساحة السوق المركزي بالمدينة

## 6. نظرية التركيب الفراغي **space syntax** :

تمكننا نظرية بناء الجملة **space syntax** من وصف الخصائص المكانية لاي بيئة مبنية. حيث ساهمت في فهم البيئة المبنية من خلال طريقة تحليل العلاقات بين مكونات هذه البيئات فبناء الجملة المكاني عبارة عن مجموعة من التقنيات التي يمكن

تطبيقها بشكل فردي وفي مجموعات مختلفة مع بعضها لتحلحول العلاقة بين الفضاء والمجتمع (عقيل 2022).

ميز هيلير الخصائص الخارجية والداخلية للفضاء حيث ذكر بان الخصائص الجوهرية للفضاء ترتبط بالشكل والتكوين والملمس والمادية وأنماط الفراغات. يسهل وصف هذه الخصائص بكلمات مثل "ساحة مفتوحة" أو "شارع ضيق" وهي سهلة الملاحظة. إنما الخصائص الخارجية للفضاء فهي على العكس من ذلك تماما فهي تتعلق بالعلاقات المكانية غير المرئية حيث تأخذ في الاعتبار فقط كيفية ارتباط كل مساحة بجميع المساحات الاخرى او كل فراغ مع الفراغات الاخرى (سواء اكانت غرفة او ساحة عامة) وذلك من حيث التغيرات المسارات (شبكة الطرق والممرات) والتغير الزاوي داخل النظام المكاني (Hiller, 1999).

لاحقا تم تحويل النظرية الى برنامج كمبيوترى software سمي UCLDepth وهذا البرنامج يعمل على قراءة الخرائط بصيغة dxf وتحليلها باستخدام عدة ادوات قياس parameters ومن اهم هذه الادوات:

#### **A. التحليل المحوري (map Axial) او الخريطة المحورية :**

التحليل المحوري هو أحد الطرق للتحليل المكاني و يبين العلاقة بين قمة الخط المحوري والخط المجاور بواسطة شكل المخطط والتحليل العددي الاعلى أو الادنى من الكفاءة وبتعبير آخر يمكن التنبؤ بالسلوك المكاني البشري عن طريق تحليل البنية المورفولوجية. على سبيل المثال في العقد الماضي أثبتت الدراسات التجريبية أن معدلات المشاة ترتبط ارتباطا [11] [حيث تستخدم للبيانات الواردة في " المنطق الاجتماعي للفضاء المحلي [15] وتعمل الخطوط المحورية في تركيب الفراغ على تمثيل اتجاهات الحركة المرئية وتأخذ الخطوط المحورية شكل أطول من خطوط الرؤية لتغطية المساحات الحضرية ثنائية الأبعاد. ومن هنا يمكن أن يمثل الخط المحوري شارعا واحدا أو أكثر لشبكة الشوارع

## B. الترابطية Connectivity :

تعمل اداة القياس الترابطية connectivity على قياس مستوى الترابط بين اجزاء النسيج العمراني حيث ان ارتفاع قيمة هذا القياس تعني أن نمط الشبكة والشوارع المفتوحة تهيمن على خطة المدينة و يعكس ايضا اتاحة التنوع في اختيار المسارات , اما انخفاض القيمة فيعبر عن العكس; شبكة شوارع قصيرة مغلقة النهايات وخصوصية اكبر وهذا المر يحد من تنوع اختيار المسارات.

النتائج المتحصل عليها من ادوات القياس السابقة تحدد مدى قوة الفراغ او الجزء العمراني او ضعفة وبالتالي فهي تحدد مدى اهمية كل جزء من اجزاء البيئة المبنية لاي منطقة.

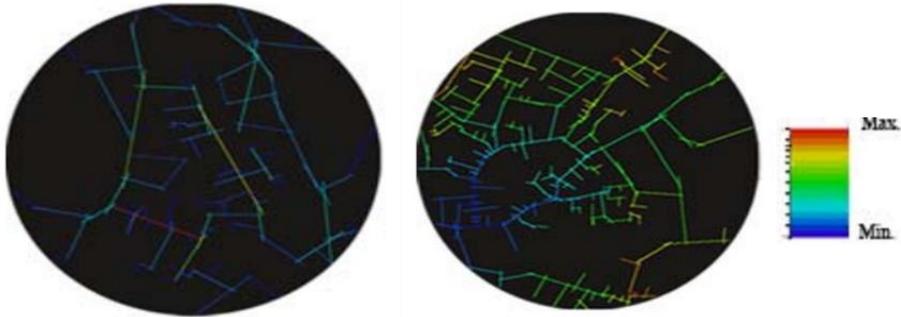


Fig (8.11) Mazigh, Connectivity

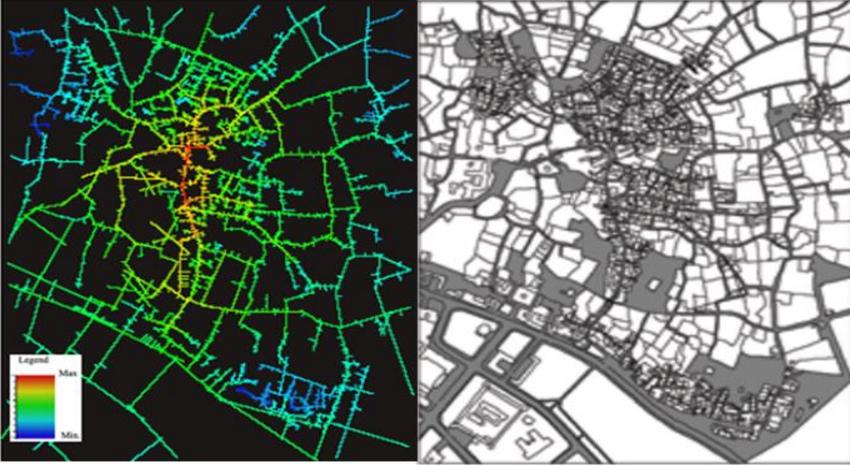
Fig(8. 10) Tsuku, Max. Depth

شكل (8) قياس الترابطية في بعض فراغات المدينة المحلية (تصكو و مازيغ) (المصدر العقوري 2004).

اعلى قيم للترابطية لفراغات غدامس القديمة هي عند ساحة السوق المركزية او ميدان القادوس، يليها فراغ عين الفرس ثم الميادين المحلية في الاحياء السكنية

### C. التكامل المحلي R3

يمثل التكامل المحلي إمكانية الوصول والترابط ضمن جزء من النظام المكاني بأكمله و يتم احتساب هذه القيمة عادة في ثلاثة خطوات في العمق لاي فراغ معين ويمكن تفسير التكامل المحلي من خلال التسلسل الهرمي لإمكانية الوصول والحركة المحلية للمشاة. تم حساب هذا المؤشر على أساس 3 خطوات عمق وقد كان هذا المؤشر منخفضا للغاية في الأحياء السكنية وأكثر قيمة له عند ميدان القادوس و يليه ميدان غسوف.



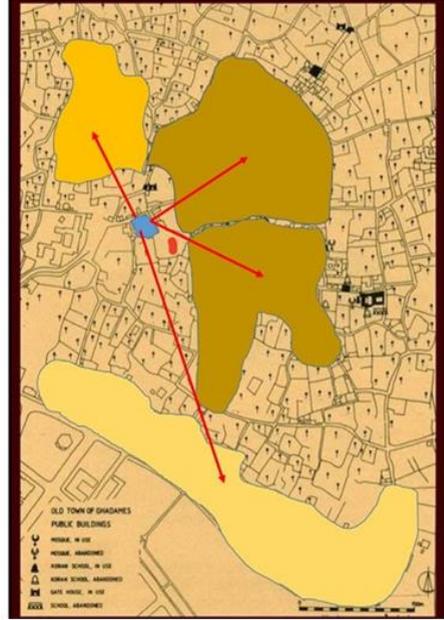
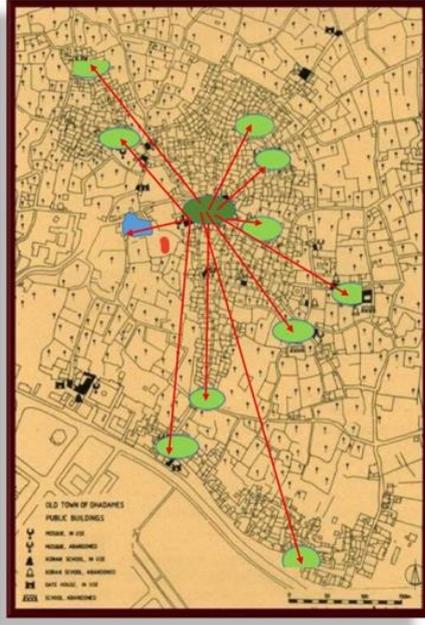
شكل (9) قياس التكامل الشامل في بعض فراغات المدينة القديمة (المصدر العقوري 2004).

### 7. النتائج والمناقشة / أو الاستنتاجات

من خلال تحليل المكونات العمرانية للمدينة يتبين التالي:

- فراغ عين الفرس مكون أساسي من مكونات البيئة المبنية في المدينة وهو يمثل الماء والحياة والتطور.
- احتوى النسيج العمراني على عدة أنواع من الفراغات وتدرجت من المستوى المحلي (على مستوى الحي السكني) أو على مستوى المدينة ككل.

- تنوعت الفراغات العمرانية من ساحات وميادين محيطة بالمساجد (فراغ او فضاء محلي) فراغات مهيمنة domain spaces كساحة السوق المركزية (ميدان القادوس) او ميدان عين الفرس.



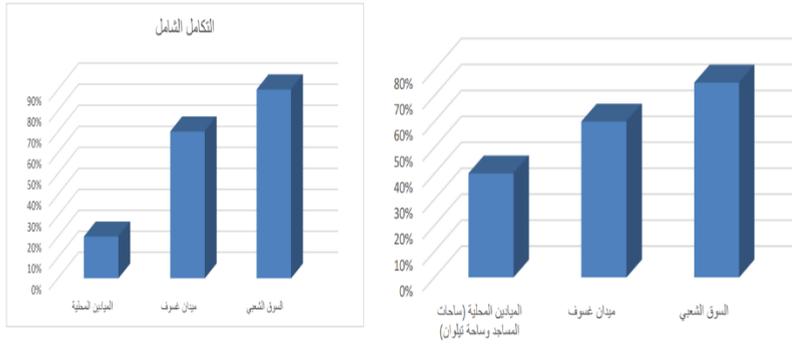
شكل (10) الترابط عند فراغ ميدان القادوس اقوى من الترابط عند عين الفرس

- بينت الدراسة ان قوة الفراغ واهميته تزداد بازدياد قيمة ترابطه مع باقي اجزاء البيئة المبنية وكذلك بازدياد النشاط الانساني فيه لذا نجد ان ساحة السوق الشعبي هي الاقوى والاهم و قد اكتسب هذا الفراغ قوته من موقعه وكمية النشاطات التي تمارس فيه.
- تم تطبيق بعض مقاييس نظرية التركيب الفراغي باستخدام برنامج UCLDepthmap وكانت على النحو التالي:

اعلى قيمة للترابطية connectivity عند ساحة السوق الرئيسية ثم تليها ميدان عين الفرس ثم الميادين المحلية الاخرى.

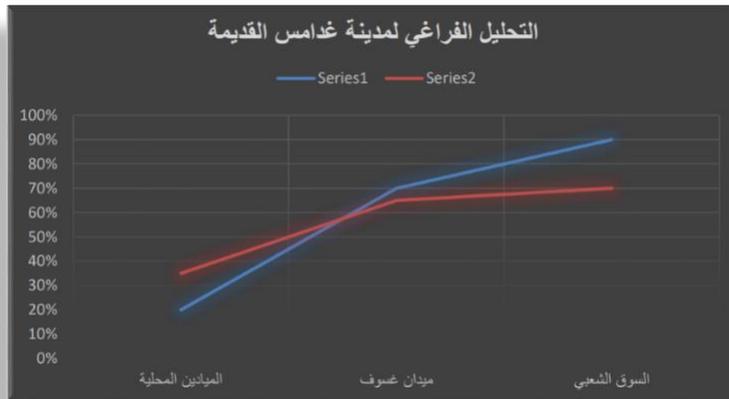
اعلى قيم للتكامل الشامل تاتي عند ساحة السوق ويأتي بعدها ميدان عين الفرس وميدان

اولاد ابو الليل ثم تاتي الميادين الاخرى.



شكل (11) الترابط connectivity عند فراغ ميدان القادوس اقوى من الترابط عند عين الفرس والتكامل الشامل لعدد من الفراغات العمرانية في المدينة القديمة (المصدر الخازمي و العقوري 2004).

وبالتالي يمكن دمج النتائج السابقة في المخطط التالي:



شكل (12) الترابطية والتكامل الشامل لعدد من الفراغات العمرانية في المدينة القديمة .

وبذلك يظهر جلياً بان اهم فراغ حضري في المدينة هو ساحة السوق الشعبي او ميدان القادوس وتليها اهمية فراغ عين الفرس ثم تاتي الفراغات المحلية المحيطة بالمساج كما هو الحال في تصكو وتفرفره وتنفقرين وتيلوان واولاد ابو الليل.

## 8. الخاتمة و التوصيات

شكل الفراغ العمراني في مدينة غدامس القديمة عنصراً رئيسياً في تكوينها، فمن خلال النتائج المتحصل عليها يتبين ان فراغ عين الفرس أو ميدان القادوس أو ميدان تصكو ما هي الا انعكاس لتخطيط وترتيب الفراغات العمرانية داخل النسيج الحضري للمدينة. ان اهمية الفراغ العمراني تاتي من كونه بوتقة تجتمع فيها الأنشطة البشرية وهي التي تعطيه قيمته الفعلية.

## المراجع

تذكر هنا المراجع العربية والأجنبية التي تم استخدامها وتم ذكرها في متن الورقة البحثية. تذكر مرتبة حسب ورودها في الورقة البحثية كما يلي:

[1] First Author; Second Author; Third Author; etc. Paper Title. *Journal Name*, **Year**, Volume Number, Page Numbers

[2] Alhwaige, A. A.; Ishida, H.; Agag, T.; Qutubuddin, S. Biobased Chitosan Hybrid Aerogels with Superior Adsorption: Role of Graphene Oxide in CO<sub>2</sub> Capture. *RSC Adv.* **2013**, 3, 16011-16020.

[3] Ishida, H.; Agag, T. (Eds.). Handbook of Benzoxazine Resins. Elsevier, Amsterdam. **2011**, Chapter 1, pp. 1–83.

[4] الاسم الاول، الاسم الثاني، الاسم الثالث، الخ. عنوان المقال او البحث. عنوان دار النشر (خط مائل)، رقم المجلد (السنة) رقم الصفحات



## نظام الري وتوزيع مياه عين الفرس بـغدامس

أ . ابوبكر عمر هارون / باحث في اللغات القديمة والتاريخ والتراث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد بن عبد الله رسول رب العالمين الى الناس اجمعين.

دراسة موجزة حول نظام الري وتوزيع مياه عين الفرس بـغدامس ورقة مشاركة في المؤتمر العلمي الدولي حول تراث غدامس الدورة الثانية بتاريخ الجمعة 12 شوال 1443 هـ الموافق 13 مايو 2022م

مقدمة عامة في معنى ومدلول اسم غسوف وعين الفرس

عين الفرس هو عين بلد غدامس من اشهر العيون في العالم لقدمها في التاريخ ولشهرة نظامها في الري وتوزيع المياه. وعلى هذا العين نشأت مدينة غدامس منذ عشرات القرون اي منذ نحو اربعة الاف عام تقريبا ، حسب قول الكثير من الدراسات التاريخية وحسب تقدير اليونسكو لتاريخ المدينة، والآن حسب علمي وما وقع في يدي من مصادر ومراجع علمية فان ابا عبد الله ياقوت الحموي البغدادي الرومي هو أول من تحدث عن عين بلد غدامس المسمى بعين الفرس منذ ثمانمائة عام مضت ، أي في عام 626 هـ الموافق 1228م، في كتابه معجم البلدان وأشار الى نظام الري وحساب توزيع مياه هذا العين فقال هو يتحدث عن مدينة غدامس : ( غدامس بفتح أولها وبضم وهي اعجمية امازيغية (بربرية) مدينة في المغرب ، في جنوبه ضاربة في بلاد السودان ، بعد بلاد زغوان . تدبغ فيها الجلود الغدامسية وهي من أجود الدباغ لا شيء فوقها في الجودة كأنها ثياب قر في النعومة والاشراق، وفي وسطها عين أزلية وعليها اثر بنيان رومي عجيب ينبض الماء منه ، ويقسطه اهل البلد باقساط معلومة، لا يقدر احد ان يأخذ اكثر من حقه وعليه يزرعون، واهلها امازيغ (بربر) يقال لهم تتاوريه) هذا النص التاريخي الرائع يحتاج الى شيء من

الشرح والايضاح، بداية يجب أن نقف قليلا لتعرف معنى كلمة تناوريه هذه الكلمة اصلها تنورت وهي كلمة من اللغة الامازيغية الغدامسية ومعناها النبع الذي يفيض منه الماء بغزارة. وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم قال تعالى في الآية 39 في سورة هود (حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ) وكذلك في الآية رقم 26 في سورة المؤمنون ( فأوحينا اليه ان اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ) نقل بن قتيبة تفسير هذه الكلمة عن الامام بن عباس فقال ( التنور لفظ عربي وعجمي بكل اللسنة وهو تبع الماء. وورد تفسير كلمة التنور في المصحف الميسر ما نصه ( التنور نبع الماء وجاش بشدة من تنور الجر المعروف ) وكلمة تنورت يطلقها اهل غدامس على منابع عين الفرس "غسوف" فيقال لها (تنورت انغسوف) أي منابع عين غسوف وكانت المرأة الغدامسية قديما اذا ارادت الثناء والمدح على ابنها او احد اقاربها تقول له (ربي يبارك فيك كما بارك في تنورت غسوف) ( ربي ديبارك ديدك امك يبارك ربي عف تنورت انغسوف) حسب ما ذكر ياقوت الحموي أن اهل غدامس الأصليين الأوائل وهم ملاك عين الفرس ومؤسسو المدينة سموا باسم تناورية بمعنى اهل العين او اصحاب العين نسبة لهذا العين الذي يعتزون ويفتخرون به ، والذي نشأت عليه مدينتهم وتقوم عليه حياتهم فيها . وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم قال تعالى في قصة سيدنا نوح ( ففار التنور) نقل بن قتيبة تفسير هذه الكلمة عن الامام بن عباس فقال ( التنور لفظ عربي وعجمي بكل اللسنة وهو نبع الماء ) ومذكر تنورت هو انور وجمعه انورن وقد سألت الدكتور محمد احمد اوريث رئيس مجمع اللغة العربية في ليبيا لماذا سمي نبع الماء تنورت ؟ فقال ان ذلك تشبيها لفرن النار لشدة الحرارة فالماء النابع من اعماق الأرض يكون ساخن وكذلك فرن الخبز يكون ساخن) .

والان نأتي لشرح باقي النص. وباقي الحديث في الموضوع ... ويسمى هذا العين في اللغة الامازيغية باسم غسوف وذكر الباحث والمستكشف الألماني غير هارد رولفس في كتابه عبر افريقيا والذي زار غدامس مرتين اخرها 1864م نقلا عن اهل غدامس المعاصرين

له) ان معنى كلمة غسوف في اللغة الامازيغية هو وادي التماسيح ) وكذلك أكد نفس المعنى الضابط العسكري والباحث الايطالي فرنسيسكو كورو في كتابه مذكرات عن مدينة غدامس وكان هذا الضابط حاكما عسكريا على غدامس في ثلاثيات القرن العشرين . وانا قد لاحظت ان في كل وثائق غدامس التي تحدثت عن هذا العين لم يرد فيها اسمه باسم غسوف ولا باسم عين الفرس، ولكن يذكرونه باسم عين بلد غدامس . وتعجبت لهذا المسألة ، فسالت رجل كبير السن من اهل غدامس فقلت له قد عرفنا معنى كلمة غسوف فمن اين جاء اسم عين الفرس ؟ فقال ان هذه الكلمة حديثة جدا ربما لا تتجاوز اربعمائة عام فقط . واطلقوها على غسوف تيمنا وتبركا بالعين المباركة التي انفجرت تحت اقدام فرس عقبة بن نافع في احدى مناطق الصحراء الأفريقية بعيدا عن غدامس فلا علاقة لعين غسوف بعقبة بن نافع لان مدينة غدامس والعين وجدنا قبل الاسلام بثلاث الاف عام . وقد ذكر الضابط والباحث الفرنسي مارسيل انجروا احد حكام غدامس زمن الادارة الفرنسية سبب وقصة تسمية هذا العين باسم غسوف وادي التماسيح نقلها عن اهل غدامس في كتابه (غدامس القديمة جوهرة الصحراء الزاهرة الذي صدر في باريس مايو 1987م . وسوف اسرد لكم هذه القصة شفويا وقد نشرتها في بحثي عن معنى ومدلول اسم غدامس في مجلة تراث الشعب الليبية في عددها يناير 2022م والعدد الذي بعده وسيصدر في شهر مايو الحالي 2022م و قد قامت صفحة جمعية غدامس للمخطوطات والوثائق بنشر هذا البحث ويمكن الاطلاع عليه لمن شاء .

### وصف العين ومصادر مياهه الباطنية

شكله اشبه بمخروط يصل عمقه سبعة قامات اي حوالي خمسة عشر متر وقاعدته نحو متر مربع، منابع مائه تأتي من الجهة الشرقية من العين حيث تقع سافيتي تصكو وتارط وحيث مزرعة ابنا الأسود ومزرعة ابناء محمد مصطفى الثني ، اما الجهة الغربية في هذا المخروط فمكسوة بكاملها بحجر الصوان. في حين أن الجهة الجنوبية حيث جامع عين الفرس ومزرعة الانصاري فمكسوة بالطين اللزج الذي يمنع تسرب الماء. تقول دراسة أجريت من قبل المهندس زجوفن أن المنطقة المحيطة بالعين باكملها تعوم فوق مجرى نهر باطني غزير

وان مياه عين الفرس و عيون تالا و عيون الساروط و عيون سطني في تونين تتبع من طبقة مياه واحدة هي طبقتي حوض مياه ككلة و حوض غريان وان هناك عيون مماثلة على نفس الحوض في منطقة جنوب تونس المجاورة الخداس وهي من أكبر احواض المياه الباطنية في غرب ليبيا إلى جانب حوض غدامس ووقال الالجبولوجيون أن البدائل على أن المنطقة كلها تعوم فوق نهر باطني غزير انه في اثناء حملة تنظيف العين سنة 1938م وانزاح مياهه اثر ذلك على مياه عيون تالة الكبيرة وتالة الصغيرة فارتفع فيهما الماء بمنسوب الكبير و هذان العينان لا يبعدان أكثر من مائة وخمسين متر غرب عين الفرس تقريبا وكذلك ارتفع منسوب مياه عدة آبار قريبة من العين منها بئر مزرعة بن حمود المسمى بن غزال و بئر مزرعة بن كلاب لبني حامد و بئر مزرعة موضلان لبني مبارك، وهذه الآبار على نفس مسافة بعد تالا عن العين أي مائة وخمسين متر جنوب عين الفرس. كما لوحظت نفس الظاهرة في سنة 1962م في بئر مزرعة اطور العائلة بني دباب . فقد ارتفع منسوب مياه بئر هذه المزرعة إلى حافة البئر على وجه الأرض أي مسافة حوالي سبعة أمتار حدث هذا اثناء نزوح مياه العين بالمضخات في تلك السنة من عام 1962م وهذه المزرعة لا تبعد عن عين الفرس أكثر من خمسمائة متر ومن هنا استنتج الخبراء أن المنطقة المحيطة بالعين كلها تعوم فوق مجرى نهر باطني غزير والدليل الثاني الذي استدلوا به أن هذه العيون والآبار على مجرى نهر باطني واحد هو أن درجة الحرارة في هذه العيون والآبار كلها تتراوح ما بين 31 الى 38 درجة مئوية. وكان الذي تولى تنظيف ونزح عين الفرس عام 1962م هو المقاول الايطالي كتانيا وهذا المقاول هو من اقام شبكة سواقي الاسمنت المعلقة لعين حمادي المسمى بعين برقامي في زمن الحكم الايطالي سنة 1938م .

### طريقة تنظيف واصلاح العين قديما

قال الكثير من اهالي غدامس في ذلك الوقت أن مجلس اعيان غدامس قديما يستعينون بخبراء و عمال مهرة يجلبونهم من احدى القبائل المغربية في المغرب لإصلاح عين الفرس خلال فترات سنوية دورية معلومة وكان هؤلاء الخبراء يقومون بما يلي:

- 1- استبدال الطين القديم بطين جديد في الجهة الغربية والجنوبية من العين .
  - 2- تتبع الشقوق والمسالك التي تشرب منها مياه العين في قاع التتبع وسدها .
- اما عملية ازالة الطحالب وباقي الأوساخ والأوحال وجذور النخيل الممتدة إلى داخل العين أو ازالة الغرين المسمى الوظ والطين الذي قد ينزلق على فوهات الينابيع في قاع الحوض فنتم باستمرار من قبل أهالي غدامس انفسهم دون الاستعانة بأحد لأنها لا تحتاج إلى خبرة وفن.
- واغلب ظني ان الخبراء المغاربة الذين يأتون من المغرب هم من مدينة تطوان في اقليم الريف شمال المملكة المغربية.

### ميزان تحديد سحب الماء من عيون تالا.

وكان القدماء من اهالي غدامس يدركون العلاقة بين المجاري الباطنية لينايبع عين الفرس وعيون تالا، لذا جعلوا علامتين محددين وثابتين يلتزموا بهما عند سحب مياه تالا بالشادوف المسمى اغويد في تالا الكبرى وتالا الصغرى وهاتان العلامتان هما صخرتين بارزتين في جداري تالة الكبرى وتالا الصغرى فاذا بلغ منسوب سحب مياه تالا حد احدى هاتين الصخرتين يتم وقف سحب المياه من تالا ونلاحظ ان نظام حساب توزيع المياه في عين الفرس يختلف عن مياه تالا الكبيرة وتالا الصغيرة بل ان مياه تالا ذاتها نظامها يختلف بين فترتي الصباح والمساء ... ويقال ان لعين الفرس قديما منفذ مسدود بطابق حجري في اسفل قاع الحوض في الجهة الشرقية من الحوض وعندما يرغب الاهالي في نزح مياه العين واصلاحه يفتحون هذا الطابق وتنطلق مياه العين الى جهة الصحراء قرب مطار غدامس القديم في الاراضي المسماة موران وهي صحراء شاسعة خارج السور .

### نظام الري وتوزيع المياه في عين الفرس.

كان في غدامس نظام ري زراعي مستقر ومنظم يقوم على مياه عين الفرس الذي يسقي حوالي ثمانين في المئة من مزارع غدامس اي حوالي 265 هكتار وكان ذلك إلى بداية

ستينينات القرن العشرين. وكانت رقعة ارض زراعية الصغيرة لا تتجاوز نصف او ربع هكتار تكفي لتعيش منها اسرة كاملة ، وكان نظام الري وتوزيع المياه في العين يقوم على انسياب المياه طبيعياً ومباشرة الى المزارع من خلال خمسة سواقي تمر عبر احياء وشوارع المدينة ومنها إلى المزارع . ووضع لها نظام ري خاص لتوزيع هذه المياه يقول ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان هو يتحدث عن مدينة غدامس : "وفي وسطها عين ازلية وعليها اثر بنيان رومي عجيب ينبض الماء منه ويقسطه اهل البلد باقساط معلومة لا يقدر احد ان ياخذ اكثر من حقه وعليه يزرعون" وكان الري يتم من خلال خمسة سواقي تتدفق بالماء على مدار الليل والنهار خلا 24 ساعة ويتم توزيعها وفق حساب دقيق بوحدات قياسية ثابتة ومعروفة وقال المرحوم الاستاذ بشير قاسم يوشع : "ان وحدات قياس توزيع المياه في النهار تختلف عن وحدات توزيع المياه في الليل ، يتم توزيع مياه النهار بوحدات تسمى الفائز ويتم توزيع مياه الليل بوحدات تسمى تضرميسين" . وكذلك هناك اختلاف في وحدات توزيع المياه من ساقية الى ساقية اخرى ما بين تصكو وتارط وتندفران وتنجيون وتنبشين فوحدات توزيع مياه تنبشين تسمى النتام وافانز ووحدات ساقيني تصكو وتارط تسمى تضرميسن.. وتتكون مياه عين الفرس من وجبات مائئة والوجبة الواحدة تتكون من 12 اثني عشر ساعة واستطاع اهل غدامس تقدير كمية المياه الكاملة للسواقي الخمسة للعين خلال اربعة وعشرين ساعة فكانت 121,5 واحد وعشرون ومائة ونصف وحدة حسابية وذلك على النحو التالي:

- 1- ساقية تصكو 81 وحدة حسابية احدى وثمانون وحدة حسابية .
  - 2- ساقية تارط 27 وحدة حسابية (سبعة وعشرون وحدة حسابية ) .
  - 3- ساقية تنبشين 9 وحدات حسابية تسعة وحدات حسابية ) .
  - 4- ساقية تندفران 3 وحدات حسابية ثلاث وحدات حسابية )
  - 5- اما ساقية تنجيون فقد الغيت سنة 1935م بسبب ضعف العين .
- ثم عمل اهل غدامس على تسمية وحدات قياس وتوزيع الماء كالاتي : الوجبة . الضمي.  
القادوس تضرمس انتام . افانوز القيراط . الحبة واعطوا كل وحدة من وحدات القياس كمية

ومدة زمنية محددة بالدقائق كالآتي :

- 1- قيراط يساوي نصف ثانية.
- 2- حبا تساوي دقيقة ونصف.
- 3- القادوس يساوي ثلاث دقائق.
- 4- افانوز سبعة دقائق ونصف أي يساوي نصف قادوس
- 5- تضرمس تساوي 27 سبعة وعشرون دقيقة إلى ثلاثين دقيقة أي من تسعة إلى عشرة قواديس.
- 6- انتام تسعون دقيقة ساعة ونصف أي يساوي ثلاثة ضراميس اي 60 ستون قادوس اي 16 فانوز .
- 7- الوجبة تتكون من 12 ساعة أي سبعة وعشرون تضرمست اي مئتين واربعون 240 قادوس
- 8- السنة المائية تتكون من 28 ضمي اي 174720 قادوس وعشرون مائة واربعة وسبعون الف وسبعمائة وعشرون قادوس .

### السنة المائية / اصف نامن / يوم الماء

#### اولا مخطوط دفتر مياه عين الفرس

ذكر الاستاذ ابراهيم الشريف الباحث في مركز الدراسات التاريخية بطرابلس وهو من مدينة الريانية بجبل نفوسة أن هناك كراس مخطوط يبين طريقة توزيع مياه عين الفرس على مزارع غدامس ويسمى بـ دفتر عين الفرس ، عدد اوراقه ( 22 ) اثنان وعشرون ورقة مساحة كل ورقة 32\*22 سم بخط مغربي جميل بدون تاريخ وتوجد منه نسخة مصورة بمكتبة المخطوطات بمركز الدراسات التاريخية والوثائق والمخطوطات في طرابلس المخطوط بدون تاريخ اي لم يحتوي تاريخ كتابة المخطوط او اخر كلمة في المخطوط ( الليلة الثالثة حبس بني محمد ..... واصل المخطوط ملك مكتبة احمد محمد ابو القاسم في غدامس .

هذا المخطوط الذي ذكره الاستاذ ابراهيم يسمى في اللغة الامازيغية في غدامس الزجد ويفتح في اليوم الأول من مايو من كل عام يسمى هذا اليوم في غدامس اصف نامن بمعنى يوم الماء ، وهو اليوم الأول من العام المائي الذي فيه يفتح سجل عين بلد غدامس المسمى غسوف . وكذلك تفتح دفاتر كل ساقية من سواقي العين الخمسة تصكو تارط تينبيشين وتندفران وتينجناوين . في هذا اليوم يحق لكل مالك في مياه العين ومن له حصة فيها ان يبيع أو يشتري أو يؤجر أو يعدل حصته فيما يملك من ماء العين في مزاد علني بيع وشراء وإيجار وفي هذا اليوم أيضا تضاف أسماء وحصص للمواليد الجدد في أسرة مالك الماء الذين ولدوا في العام المنصرم فمثلا مواليد عام 2970 امازيغي يضافون الى عام 2971 امازيغي وهو ما يوافق عامي 1442 1443 هـ الموافق 2021 / 2022 م . وفي هذا اليوم أيضا تمسح من سجل العين أسماء من ماتوا في العام المنصرم من سجل العين لمالك حصص من ماء العين . وفي هذا اليوم أيضا ينتظر من ارادوا شراء أو استأجار الماء ليشتروا أو يستأجروا الماء من مالكيها في احدى سواقي العين الخمسة خاصة تصكو وتارط وتينبيشن ليسقوا زروعهم في دورة ماء العين التي تتكون من ثلاثة عشر يوم لتعود الدورة من جديد. وكان لا بد لنظام الري هذا والتقويم الزراعي ان يضبط ويكون أكثر دقة وعدالة حسب قوة ماء العين وحسب قوة استيعاب كل ساقية من السواقي الخمس .

وتوصل اهل البلد الى جعل الدورة المائية للعين تتكرر كل 13 ثلاثة عشر يوم، وهكذا صار العام المائي لنظام الري والزراعة في غدامس يتكون من 28 (ثمانية وعشرون دورة مائية) وسموا كل يوم من أيام الدورة المائية الثلاثة عشر باسم وجبة ولكل وجبة اسم خاص يعرف بها ويميزها باسم وجبة ، فكانت أسماء وجبات ايام وليالي الدورة المائية كالاتي :

1/ وجبة نفوس 2/ وجبة مولى 3/ وجبة ادم . 4 /وجبة طياش 5/ وجبة اسحاق 6 /وجبة سنجاسن. 7/ وجبة صالح 8/ وجبة بالي 9/ وجبة بقايا 10/ وجبة عقبة 11/ وجبة اكاوي 12/ وجبة عمران. 13/ وجبة شطر

مع ملاحظة ان وحدة قياس تضرمس والقادوس يحسب بها مياه ساقيتي تصكو وتارط ووحدة قياس التام وافانوز يحسب بها ساقية تنديشين وتندفران كما ذكرنا قبل قليل .

وهذا الدقة في حساب وتوزيع مياه عين الفرس ينطبق تماما مع ما قاله ياقوت الحموي منذ ثمانمائة عام : "دامس في وسطها عين أزلية وعليها أثر بنيان رومي عجيب ينبض الماء منه . ويقسطه أهل البلد باقساط معلومة، لا يقدر أحد أن يأخذ أكثر من حقه وعليه يزرعون". مع ملاحظة أن وحدة قياس تضرمس والقادوس يحسب بها مياه ساقيتي تصكو وتارط ووحدة قياس انتام وافانوز يحسب بها ساقية تنبيشين وتندفران كما ذكرنا قبل قليل

### القادوس الساعة المائية

القادوس جمعها قوايس وهي كلمة اعجمية غير عربية ومعناه الاصيلي السفينة التي تبحر وهي تشق الماء اما اسم القادوس في اللغة العربية فهو عصمور جمعها عصامير القادوس يقول الرحالة محمد لبيب في كتابه رحلة الاندلس ص 48 وهو يتحدث عن رحلته الى اسبانيا عام 1901م (مزارع وبساتين الاندلس ترى السواقي تدور بحصان عصامير قوايس من الزنك ) .

فالقادوس هو ساعة مائية لقياس زمن توزيع كمية مياه الري المستحقة لكل مزرعة واستعملته الشعوب القديمة لسحب المياه من الابار والعيون والانهار فالمصريون يسمونه الشادوف لسحب الماء من نهر النيل واهل الشام في سوريا ولبنان يسمونه الناعورة من نهر الفرات والنهر العاصي والامازيغيون يسمونه تساروط لسحب الماء من العيون والابار والقادوس معروف بهذا الاسم في اللهجة العامية الليبية في كل مدن الساحل الليبي خاصة تاجوراء وسوق الجمعة في طرابلس.

كان القادوس يستعمل في غدامس من قديم الزمان قبل اختراع الساعة الزمنية المعروفة لدينا في هذا العصر واستمر العمل به الى عام 1948م. ونظام القادوس الموجود في غدامس يوجد مثله في عدة مدن في شمال افريقيا ولكنه يختلف من مدينة الى مدينة ومن قرية الى قرية حسب قوة مياه العيون والابار التي يستخرج منها الماء ، فمثلا نظام القادوس في منطقة الجريد في تونس يشبه نظام قادوس مدينة غدامس مع اختلافات بسيطة فقادوس مدينة غدامس يعمل طوال الليل والنهار خلال 24 ساعة وفي جميع فصول السنة ، القادوس

في غدامس يساوي ثلاثة دقائق ، بينما القادوس في بلدة دقاش في الجريد في تونس يقترّب من اربعة دقائق ويعمل في اوقات محددة في النهار وقادوس بلدة توزر يساوي خمسة دقائق وقادوس بلدة نفطة يساوي ثلاثة دقائق ونصف. وتوجد انظمة قادوس في الجزائر في بلدات تميمون وغرداية وتوات ، وفي المغرب يوجد في بلدة الناظور ومدينة تطوان في اقليم الريف، كل هذه القواديس شبيهه جدا بنظام قادوس غدامس ولا يسع الوقت للحديث عنها، ومن اراد المزيد من المعلومات عن هذا الموضوع يمكن ان يرجع لكتاب توزيع مياه مدينة تطوان اصدار جمعية تطوان الثقافية التراثية .

### بداية ضعف مياه عين الفرس.

في زمن حكم العقيد جوزيبي زاني الحاكم العسكري الايطالي في غدامس ضعفت مياه عين الفرس ربما بسبب وقوع جفاف ونقص الامطار في تلك السنوات في ليبيا . فارسل العقيد زاني تقريرا الى الادارة الحكومية الايطالية في طرابلس بذلك ، فجاء الرد بمنع محاربة العين بالمضخات ولكن فقط يكتفى بتنظيف ينابيعها وسواقيها فقط ، ذلك ان المساس بالينابيع الباطنية المجهولة لنا قد يؤدي الى هلاك العين، فخصص العقيد راني اربعة اشخاص لتنظيف العين رسميا وهم :

- 1 محمد احمد بن قاقا .
- 2 عبد الله متيضا الغنجير .
- 3 قاسم علي العربي .
- 4 البخاري الزروق احمد الحضيري.
- 5 ثم انضاف اليهم متيضا الشادلي .

وخصص للعين مركب صغير اشبه بعوامة لحمل الطحالب والغرين المسمى بالامازيغية الوظ. في سبتمبر 1931م اتم الطليان حفر اول بئر ارتوازية في غدامس المعروفة بعين هقار أو عين حمادي في زمن الحاكم العسكري الايطالي في غدامس . وكان الانتاج الأول لهذه العين 130 متر مكعب من المياه في الساعة. وفي عام 1974م انخفض انتاجها الى

الى 36 متر مكعب في الساعة، قال المرحوم بشير يوشع أن سبب حفر الايطاليين لهذه البئر في غدامس ان والي طرابلس الايطالي باديليو زار غدامس ولمس اقداما كبيرا على الزراعة من الفلاحين في غدامس مع نقص كبير في المياه فجمع المواطنين فخطب فيهم وقال انكم يا أهالي غدامس مههدون بالفقر وبما انكم مقبلون على الزراعة فستقوم ايطاليا بتقجير عين ارتوازية وتقسّم اراضي على الفلاحين النشطين وفعلا تم حفر هذا البئر وبعد ثلاث سنوات من حفره نقص ماء عين الفرس والغيت ساقية تندفران عام 1935م . وفي عام 1949م حفر الفرنسيون بئر ارتوازي اخر في غدامس وهو العين المعروف باسم عين برقامي وكان انتاجها 180 متر مكعب من المياه في الساعة وفي عام 1965م نقص انتاجها الى 85 متر مكعب في الساعة ثم انخفض الى 72 متر مكعب عام 1972م فزاد ضعف عين الفرس مرة اخرى. في سنة 1958م في عهد دولة الاستقلال المملكة الليبية ارسلت الحكومة الى غدامس خبير ومهندس مياه يتبع مؤسسة تنمية المصالح الليبية الأمريكية واجرى دراسة وكشف عن العين ونصح هذا الخبير اهالي غدامس بترك العين على حالها وعدم المساس بها على اعتبار ان الينابيع الباطنية تحت الأرض مجهولة لنا وان عملية جنب ماء العين بالمضخات من شأنه ان يؤدي الى انهيار المجاري السفلية الباطنية للعين وتتعدم مياهه نهائيا ، ولا يوجد لها حل باعتبار اننا لا نعرف الطبقة التي تدفع بالمياه نحو سطح الارض ولا الاتجاه الذي تأتي منه المجاري الباطنية . وازداد هذا الخبير الأمريكي قانلا (لقد رأيت عيون كثيرة في العالم ولكن لم ارى قط مثل هذا العين لذلك انصحكم بتركه على ما هو عليه ، لان من عادة العيون والآبار ان تشح مياهها في سنوات الجفاف القليلة الامطار). وفي عام 1960م الغي نظام ساروط اغوديد في عيون تالا الكبيرة وعين تالا الصغيرة واستبدل بمولد كهربائي كبير ومضخة كبيرة لاستخراج الماء دون مراعاة للمنسوب القانوني المحدد قديما للسحب وضعف العين مرة ثالثة لعين الفرس، وقد اعترض الكثير من اهالي غدامس على هذا الاجراء غير أن الاعجاب بالتقنية العصرية الحديثة وانعدام العلم وقلة التجربة ادى الى ضياع العيون الثلاثة عين الفرس وتالا الكبرى وتالا الصغرى، وهذه أشهر واعظم مصادر للمياه في غدامس.

علاوة على الأهمية التاريخية والجمالية والحضارية والتراثية لعين الفرس ، وما بين عامي 1968 الى 1971م حفرت ثلاث ابار ارتوازية اخرى في المنطقة اثنان داخل غدامس والثالثة في قرية برج الخضراء الواقعة على حدود تونس وليبيا على مسافة 15 خمسة عشر كيلومتر غرب عين الفرس ولم يكتمل عام 1971م حتى انهار عين الفرس نهائيا ، و نقصت مياهه حتى انه لم يتجاوز تدفقها 300م مكعب في الساعة وقامت وزارة الزراعة في يوليو 1971م بجلب مضخات كهربائية ضخمة لانزاح العين بقصد اصلاحه لعودة قوة العين الى ما كان عليه . ووقف مهندس مصري اشتغل في السد العالي وعارض عملية الضخ بالمضخات وكرر نفس النصيحة التي قالها الخبير الأمريكي سنة 1958م. وكذلك عارض اهالي غدامس فكرة استخدام المضخات لنزح مياه العين ومن بين الذين عبروا عن معارضتهم لهذه الفكرة حسب ما اذكر :

- 1 احمد محمد سليمان مدير اشغال غدامس طوال العهد الايطالي والفرنسي والملكي
- 2 صالح او عيسى
- 3 علي احمد بشير يوشع
- 4 السنوسي قاسم موسى الملقب بالصبي .

وفي ذلك العام 1971م قدم الى غدامس مهندس خبير مياه اسمه الدكتور المهندس زوجوفن واجرى دراسة وتجربة حول علاقة مياه عين الفرس بعيون تالا، فلاحظ انه عندما يتم سحب ماء العين بالمضخة يجف معها مياه عيون تالا تماما . وعندما يتم وقف ضخ مياه العين تعود مياه تالا مرة اخرى الى مستواها الأصلي. وقال المهندس أن سبب انخفاض مياه العين عند انبثاقه لسطح الارض يعود الى اندفاع المياه الى شقوق في صخور في جدران العين القريبة من السطح وتضيق المياه بتسربها بعيدا عن ينابيع العين السطحية وقال الخبير الأمريكي في ذلك الوقت أن سبب ضعف عين الفرس لبس بسبب استخراج مياه الآبار الارتوازية ولكن بسبب حدوث تخلخل في طبقات الارض الجوفية فحدثت انهيارات في مجاري المياه الباطنية. بسبب استخراج الماء بالمضخات ، اما سبب نقص مياه الآبار الارتوازية (بئر هوغار وبئر برقامي) حدث بسبب تكون قشرة حول جدران انابيب هذه

الآبار وهي تحتاج الى استبدالها بأنابيب جديدة وان عمرها الانتاجي كان اربعين سنة فقط ثم تستبدل ، ولكن لم يحدث تغييرها الى الآن.

### امكانية اعادة مياه العين الى مجاريها

ولكن مع ذلك هناك من لم يقطع الأمل ويرى امكانية عودة مياه عين الفرس الى حالتها السابقة اذا أزيلت شبكات الاحجار التي قدفتم في العين عام 1971م، وتم اعادتها كما كانت في شكلها المخروطي وتسريح وتنظيف مصادر ينابيع العيون الواردة من الجهة الشرقية والشمالية وتم سند الشقوق والمسارب في الجهة الجنوبية والغربية في اسفل قاع الحوض بالطين اللازب اللزج كما كان يفعل الخبراء المغاربة في قديم الزمان . لان الطين يمنع تسرب المياه وهو اشبه بالاسمنت ويمنع نمو جنور النخيل والطحالب التي تحبس تدفق المياه من الينابيع الباطنية.

منذ سنوات قليلة مضت نظم جهاز صيانة وترميم مدينة غدامس ندوة ترأسها رئيس الجهاز المهندس الدكتور عبد القادر الرابطي عن مدى امكانية اصلاح عين الفرس واعادة مياهه الى سابق عهدها وحضرها عدد من العراقيين الاساتذة في معهد غدامس العالي وبعد الندوة بأيام سألت بعض الاساتذة العراقيين عن رأيهم في الندوة فقالوا ان في المعهد أحد أكبر خبراء هندسة المياه في المعهد لم تستدعوه وسألنا هذا الدكتور الخبير فقال لو سلطت اجهزة كشف الاقمار الاصطناعية لتصوير المجاري الباطنية للعين التي تأتي منها المياه يمكن اكتشاف الوصول الى الاماكن التي وقع فيها تصدع في باطن العين وتسربت اليها الماء بسبب الخلل التي وقعت للمنابع بسبب قوت سحب الماء بالمضخات عام 1971م



المؤتمر العلمي الدولي الثاني حول تراث غدامس

## الجزء الثاني

تاريخ غدامس عبر العصور



## مخطوط دفتر غدامس عرض ودراسة

د. ربيعة أحمد المدّاح

### تعريف

تقدم هذه الورقة دراسة لمخطوط دفتر غدامس المنسوخ سنة 1181هـ/ 1768م ويرجح أنه دون في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، غرض الكشف عما يمثله المخطوط من أهمية في رصد جوانب من تاريخ المدينة السياسي والاجتماعي والاقتصادي

مخطوط غدامس، أو دفتر غدامس<sup>1</sup> هو من بين المخطوطات التي نسب نسخها للكاتب مصطفى خوجه المتوفى عام 1213هـ/ 1879م، وهي نقل لتقييدات من مدينة غدامس القديمة قبل وفاة مصطفى خوجه بنحو اثنين وثلاثين سنة. المخطوط ذيل يتعلّق لمصطفى الكاتب، جاء فيها اسم الناسخ وتاريخ النسخ الذي تم في 7/ محرم/ 1181هـ/ 1768م.

واسم الناسخ هو مصطفى خوجه بن قاسم بن عبد الله المصري. من مواليد مدينة طرابلس نشأ بها، تتلمذ على يد أساتذة عصره منهم: الفقيه محمد بن سالم الفطيس، والفقيه عبد السلام بن ناصر، والشيخ محمد بن عبد الرحمن الكاتوي البرناوي<sup>2</sup>. كان من المقربين للوالي علي باشا القره مانلي (1167هـ/ 1754م - 1207هـ/ 1793م) حفظت هذه النسخة في مكتبة مصطفى خوجه، ثم نقلت إلى باريس وبقت محفوظة في

1 دفتر غدامس مخطوط توجد منه نسختان في المكتبة الوطنية بباريس، في قسم المخطوطات الشرقية تحت رقم 1891، 1892، وقد قام فنلنكي بنشره عام 1905م، نشرت صورة للنسخة تحت رقم 1891 في صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيس بوك. وهي النسخة التي اعتمدت عليها الباحثة في هذه الدراسة.

2 للمزيد أنظر علي مصطفى المصري، مؤرخون من ليبيا مؤلفاتهم ومناهجهم، عرض ودراسة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، ط2، 2002م، ص 135.

الدار الوطنية ببباريس في قسم المخطوطات الشرقية تحت رقم 1891م، ثم نشرها  
فتلنسكي عام 1905م<sup>1</sup>.

المخطوط مكون من ثلاثة عشر ورقة، كتب بخط مغربي جميل وواضح، وهو بحالة  
جيدة، مسطرتة سبعة عشر سطرا، ما عدا صفحة الافتتاح فقد زاد سطر المقدمة، مما  
يوحى لنا أن الناسخ قد كتبها بذات الترتيب من النسخة الأصل، دونت هوامش على  
أطراف بعض الأوراق للتصحيح، أو للتعريف بما ورد في المتن بالرسم ذاته وبأحبار  
مختلفة مما يشير إلى مراجعة الناسخ لها أكثر من مرة، المخطوط يحوى بعض الإضافات  
داخل المتن كعلامات الترقيم فقد استعاض برسم ثلاث نقاط مكان الفواصل، ومن  
الواضح أن الكتابة روجعت لأكثر من مرة من الناسخ لاختلاف نوع الحبر.

كيف وصل زمام بلد غدامس لمصطفى الخوجه وهل نسخه بيده؟

لا نعرف على الوجه الدقة كيف وصل سجل غدامس لمصطفى الخوجه، ومن قام بعملية  
الكتابة؟ هل كتبت بيد مصطفى الخوجه أو أحد النساخ؟ وهل يمكننا الاستعانة بتاريخ  
النسخ لمعرفة الناسخ الحقيقي للمخطوط؟ وقل تمت عملية النسخ طبقا للنص الأصلي  
للزمام؟

وبالمقارنة بين كتابة مخطوط غدامس ومخطوط فزان، نجد أن هناك اختلافا ظاهرا  
ليعان بين النسختين، نلاحظ انهما كتبتا بخطين مختلفين، كما أن هناك اختلاف في  
طريقة رسم الحروف وترتيب كتابة الكلمات في السطر الواحد، واختلاف طريقة  
التدوين، مثل عدم ادراج التعاقيب في الصفحات.

أصل المخطوط أوراق نقلت من زمام بلد غدامس القديمة، وسبب الكتابة كما افاد كاتبها  
سؤال أحد الأخوان له ليكتب ما ورد إليه من أخبار ومعلومات عن المدينة وسكانها،  
أما عن المادة المصدرية للتدوين فهي الروايات الشفوية المتناقلة عبر العصور.

المخطوط كتب بخط مغربي جميل وواضح، تُون باللهجة العامية المحكية، أسلوب

<sup>1</sup> المرجع نفسه.

كتابته سهل سلسل، عباراته قصيرة، رسمت بعض حركات حروفه بلون مغاير للكتابة الأصلية، مما يبعث الاعتقاد بأن المخطوط قد رُجع أكثر من مرة كما أسلفنا. أما عن تاريخ كتابة المخطوط فعلى الأرجح أنه دون في الربع الأول من القرن السابع عشر الميلادي بعد حملة رمضان باي على بلد غدامس سنة 1018 هـ/1609م، لان الكاتب كان ممن حضروا أحداث الحملة.



الصفحة الأولى من المخطوط

فوله اجتمع على اسكل ١٢٠٠٠

ونصائح وبة وربعين وبة مرصا عتد هشت الناس وابتسم عليهم كيف  
 يقصمون على لثم بعد رتب الفانور جن: ا، البيل على اهر بعنة وعشمي رجن، ا  
 وكل جن وة على اهر بعنلمن اوكل ربعين وة على اهر بعين جن: ا، يعني اهر بعنة  
 لهم مسنة والكم مبيضة يقصمونهم علم اربعة وار بعين جن: ا، اهر بعين  
 حب والنهار جن وة على ثمانية اجن: ا، يعني ثمانية نتاج وكن جن: ا، من الثمانية  
 جن وة على مسنة عشمي جن: ا، يعني فاين لوان جن: ا، على اهر بعين حبة ويطلوا  
 الساعة والريجات وركبوا الغاومر يقصمون به البيل والنهار والغاومر  
 سكل متوسك وفيه ثقبه صغيره من اسفله ويطلوا باله، حتى  
 يكمل ثمر يملوا، مرة اخرى من كل لوع الشمس التي طلوع الشمس في غط  
 يعني وجبتين ليلة ونهارا وضع بينهم بعن ماير البيل والنهار في حبيقة  
 مائة سكل بعن وان في كل سكل ثلاثة ثمانية عطة نال عطة المتوسك وينتجس  
 في كل عشمي، تم اتم، ومنهم اعدا انكهم السكل اوضع ياتر بسكل  
 مثل اولب وثبعون ثقبه صغيره، تجذ او بعن ومن ال عطة اولب اهر وافق  
 ولا جو سعوا، شيئا قضيت حتى يوافق العطة اولب التي هو سبعة  
 من انا عرة وبرت الناس يقصمون العين بالعره واجتمه الكيال من العين  
 من المسافين نصك ونارة وام الاخر اتمهم حير من الاويل اعليهم  
 ضبع، واجتمه من يكتب ويقدم بين الناس على صاحب السواق اشبهى  
 وظ السع صير كعور على، الدوعر لها جرناء، مقبر افون، وبالله النويق  
 على برا في الوري واهو جهم التي رفنة الكاتب مصكفي خوجه فانسم  
 اتم، وكان الله له بمنه يتكلم مع العي او باق سنة تسمى

والسكل  
 هو، ائمة من محاسن  
 ينشبه العيرر  
 اهر



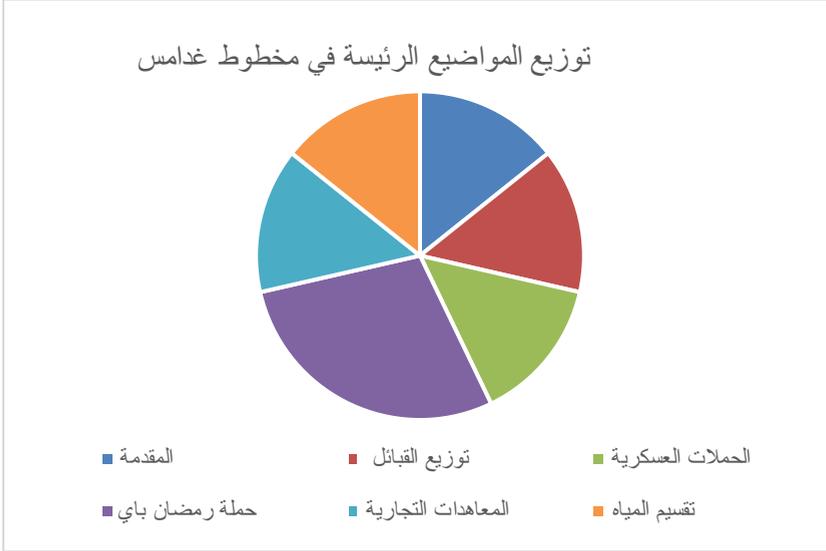
الصفحة الأخيرة من المخطوط

### دراسة المخطوط:

المخطوط مكون من ثلاث عشر صفحة، مقسمة على الوجه الآتي: المقدمة: جاءت في صفتين، عرض فيها سبب كتابة المخطوط، ومصادر المعلومات، والعناصر الرئيسية التي سيتناولها الكاتب في مؤلفه، ورتبها كالتالي كما ذكر في مقدمته: مصالح المدينة - بناء سور المدينة- الأبواب- غفارة القبائل العربية- ضرائب الاتراك- المؤونة- مجاري المياه. وبذلك نرى أن الكاتب اعتمد المنهجية الحديثة في ترتيب المواضيع المتناولة. وزعت العناصر الرئيسية التي تناولها المخطوط على الوجه التالي :

رقم الصفحة	الموضوع	عدد الصفحات	ملاحظات
2-1	المقدمة	2	
5-3	سكان المدينة	3	
6-5	الحملات العسكرية	1	
10-6	حملة رمضان باي	4	
11-10	المعاهدات التجارية	1	
13-12	تقسيم مياه العيون	1	

من خلال توزيع المواضيع في المخطوط نجد أن حملة رمضان باي شغلت أربع صفحات من أصل ثلاث عشر صفحة.



### السياق التاريخي:

استفتح كاتب المخطوط مؤلفه بالبسملة، وسبب كتابة المخطوط، ومصادر معلوماته، وتقسيماته، ثم رتب مواعظ وارشادات للمسلم في صورة نثرية صيغت بلغة أقرب للهجة المحلية المحكية. المخطوط يتعرض لتاريخ المدينة السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، منذ نشأة المدينة حتى النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي. ويبرز لنا مظاهر حياتية لصيقة بالمجتمع الغدامسي من النادر جدا أن نجدها في غيره من المصادر، ومما يدعم القيمة التاريخية لما دون أن الكاتب كان من معاصري الفترة المدونة، فقد سجل لنا مشاهداته وانطباعاته عما يحدث وقتئذ. التسلسل الزمني يبدأ منذ زمن أبناء سيدنا نوح، فقد أورد روايات تعود إلى هذا الزمن منها أنها أسست على يد أحد رجال النمرود بن كنعان بن سام بن نوح، وأشار كذلك إلى رواية ثانية تقول أن اسم المدينة يعود إلى إعدام بن سام، ويلا يغفل كاتب المخطوط ذكر إحدى الأساطير الشعبية والتي ترجع سبب تسمية المدينة إلى حادثة مرور قافلة بالموضع، واستنباط فرس أحد رجال القافلة عين الفرس حينما عاد لموضعهم " غداء أمس" للبحث عن آنية الطعام. ولذلك سميت العين بـ (عين الفرس)، والمكان

ب-(غدامس).<sup>1</sup>

ثم يسرد لنا دخول المسلمين للبلد، وقال إن فتحه قد تم صلحا على يد القائد عبد الله بن جعفر، عندما أرسله عقبه ابن نافع بعد استقراره في إفريقية. دخول عبد الله بن جعفر -حسبما جاء في المصادر التاريخية- يعود إلى سنة 26هـ/646م مع جيش العبادة الذي أرسله الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بقيادة عبد الله بن سعد عقب أحداث إعادة الروم سيطرتهم على مدينة طرابلس.

ويرجح أن حملة عبد الله بن جعفر على غدامس كانت بين عامي 48-49هـ / 668-669م في أحداث حملات عقبة بن نافع في بلاد فزان إذ تذكر المصادر أنه في طريق العودة من حملته أرسل فرقة من جيشه لفتح غدامس<sup>2</sup>.

ثم يتوقف الكاتب عند بعض الأحداث التاريخية ليسلط الضوء على علاقة المدينة بالسلطات القائمة في طرابلس وأفريقية. ومما يبدو لنا جليا أن المدينة قد تمتعت باستقلال سياسي، وكانت تدير شؤونها عن طريق قيادات محلية. ويلاحظ كذلك أن الحملات المرسلة للمدينة لم تطمح لأكثر من تجديد المعاهدات المبرمة بينها وبين ولاة المدينة لدفع الضرائب بعد أن ينقطع إرسالها لأعوام، فلم نشهد أن هذه الحملات حاولت تغيير ولاة المدينة، أو نظام الحكم القائم بها.

ويستشف كذلك من خلال السياق التاريخي للمخطوط، أن كاتبه كان يهدف إلى بيان الضرائب التي فرضت على المدينة، والتي ابتدأت في عهد الدولة الحفصية، حتى حملة رمضان باي التي انتهت عندها تاريخ تدوين المخطوط. ويستهل هذه الفقرة بقوله: " أن أول من فرض قطيع معلوم على غدامس ودرج مولانا أبو فارس فرض عليه أربعمئة

<sup>1</sup> عن أصل تسمية المدينة أفرد الأستاذ أبو بكر هارون بحثا خاصا عن أصل تسمية المدينة وأصوله الأمازيغية واشتقاقاته اللاتينية والرومانية. أنظر أبو بكر عمر هارون، حول اسم غدامس ومدلوله الاصطلاحي، نرات الشعب، ع 73، السنة 4، 1442-1443هـ / 2021م، ص 55.

<sup>2</sup> الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، الطبعة الرابعة، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م، ص 88-87.

مقال بل ويزيد على ذلك"<sup>1</sup>

وجهت حملة أبو فارس الحفصي على المدينة في سنة 892هـ /1407م وكانت ضمن حملة واسعة شملت المناطق الجنوبية لأفريقية<sup>2</sup>.

ثم يورد كاتب المخطوط حملات لقادة بني حفص منهم القائد إبراهيم<sup>3</sup>، حيث ذكر أنه لم يسمعوا ظالما دخل المدينة إلا القائد إبراهيم، وهو من قادة بني حفص<sup>4</sup>. ويبدو من خلال ما أورده أن الحملة نجحت في الدخول إلى المدينة، ووصفه للقائد إبراهيم بالظالم، يدل على أعمال انتقامية قام بها اتجاه المدينة وسكانها.

ثم ينتقل كاتب المخطوط إلى حقبة زمنية حديثة، فترة الحكم الاتراك، ويشير إلى ان الضرائب كانت تدفع سنويا لجابي الضرائب المرسل إلى المدينة، " وأما في دولة الترك كل عام يبعثون شاشا ويعطوا له أهل درج واغدامس من غير زيادة ولا نقصان"<sup>5</sup>، ولكن على ما يبدو أن الأهالي كانوا يمتنعون عن دفع الضرائب المفروضة عليهم في بعض السنين بسبب ضعف نفوذ الاتراك في مناطق.

ولهذا تواصلت الحملات على المدينة وأورد كاتب المخطوط أسماء القادة وتواريخ حملاتهم وجاءت في الترتيب التالي: القائد يوسف 872/ 1466م، القائد أحمد، حسين باي المعروف بالنعال 872هـ /1467م، درويش باي سنة 1001هـ /1477م<sup>6</sup>.

ويبدو لنا أن كاتب المخطوط قد وقع في خطأ ذكر تواريخ الحملات فمن المعروف أن أولى حملات الترك على بلاد فزان كانت بعد دخولهم لطرابلس وتوالت الحملات سنوات 956هـ /1594م، 990هـ /1587م، 1015هـ /1606م. ثم حملة سليمان داي عام

1 المخطوط، ص 3. وأبو فارس عبد العزيز حكم بين عامي (796- 837هـ / 1394-1434م)، وذكر الزركشي أن الأمير أبو فارس قد إلقى القبض على مسؤول جباية الضرائب أثناء رحلته إلى غدامس مما يشير إلى وجود فساد في تحصيل الضرائب، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص 122.

2 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماخ، الأدلة البيئية النوارنية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدرا العربية للكتاب، 1984م، ص 116. أبو عبد الله محمد الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء أفريقية، ط2، مطبعة بيكار وشركائه، تونس، 1323هـ، ص 79.

3 لم نتمكن من الوصول إلى معلومات عن هذه الحملة.

4 المخطوط صفحة 3.

5 المخطوط صفحة 3.

6 لم نتمكن من تحديد تاريخ الحملة

1020هـ/ 1611م 1.

والجدير بالتنويه أن المخطوط وضعنا في إشكال تحديد تواريخ الحملات، فحسين النعال قدم إلى المنطقة مع حملة سليمان داي سنة 1020هـ/1611م، ولم تتمكن من معرفة أن كان حسين النعال قد توجه بحملة لغدامس قبل هذا التاريخ أم لا، خاصة وأنها قد فشلت كما جاء في المخطوط.

وبها عرى الغايب ابراهيم من قباية بين حفص وأصلح دولة التي لم تكل  
على يعقوب وشاوش ويحكوا له أهل الحج وأخذوا من من غير زيادة ولا  
نقصان ويعزونه لما يجتمعهم انفسهم وان ادوا التعاقب وجاءها الغايب يوسفي  
ثم ايضا جاءها سنة ٨٧٣هـ ورمي عليهم مائة الخبز وخذلوا سنة ٨٧٤هـ مما تيمناه وانشى  
ثمانية واشترى سبعين مسكينا الفايض احمد ورمي عليهم مائة الخبز وفروها ثلاثه، الالب  
ع  
منغال

منغال ثم فرغ عليهم حسين باي وبنسهم بحسين النعال سنة ٨٧٤هـ  
ثمانية واشترى مائة مسكينا وخذلوا سنة ٨٧٤هـ مما تيمناه وانشى  
جاءهم الباي عرودين بمحملة ورمي عليهم خمسة، الالب منغال وفسح

يكشف المخطوط أن الحملات التي وجهت في العهد التركي لم تستطع أي منها دخول المدينة إلا بعد التفاوض مع أهل البلد، وأضاف أن سبب ركون الأهالي إلى الصلح كان بسبب تعرض بساتينهم للتخريب، فقد كان قطع الأشجار من بين أساليب الانتقام في فترة

1 قتل حسين النعال عام 1022هـ/ عندما ثار عليه الأهالي للمزيد انظر التذكار، ابن غليون، ص 102 وما يليها.

## الحكم التركي.1

و في حديثه عن الحملات العسكرية على غدامس يبين المخطوط الضرائب المفروضة عليها، وكانت كالتالي: ثلاثة آلاف مثقال في حملة القائد أحمد سنة 872هـ/1466م، وخمسة الألاف مثقال في حملة الباي درويش سنة 1001هـ/1592م، أما بحسين النعال فلم يتمكن من الدخول إل المدينة في حملته المؤرخة في سنة 882هـ/1477م. حسبما ذكر صاحب المخطوط.2

أما عن الكيفية التي توزع فيها أعباء الضرائب على الأهالي فكانت: مائة مثقال على درج، وثلاثمائة مثقال على غدامس قسمت نصفها على بني وازيت، والنصف الآخر على بني وليد. والمتبقي من قيمة الضرائب فرضت على أشجار النخيل. وأضاف أن عوائد الإنتاج من التمور بساتين النخيل تخرس كل تسع سنين وتقسم مناصفة بين بني وازيت وبني وليد.3

ثم يستمر كاتب المخطوط في سرد أبرز الأحداث ويتوقف عند زمنه ليؤرخ لنا كشاهد عيان عن أكبر الحملات التي جردت للهجوم على المدينة وتكشف لنا عن النظام الدفاعي للمدينة، إلى جانب التقاليد التي كانت سائدة آنذاك في المراسلات وأبرام الاتفاقيات، والأساليب القتالية وأنواع الأسلحة؟

## حملة رمضان باي:

جردت حملة رمضان باي حاكم ولاية تونس<sup>4</sup> سنة 1018هـ/1609م. ولأن ما ورد تسجيل من شاهد عيان " ونكتب لك إن شاء الله كيف صار بينهم وبين أهل البلاد والمحلة، بعد ما عاينا ذلك وحضرناه" فالفضل يعود للمخطوط لمدنا بالكثير من المعلومات عن

1 الطاهر احمد الزاوي، ولاية طرابلس منذ بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، دار الفتح لطباعة، بيروت، 1310هـ/1970م، ص 171. 172.

2 المخطوط، ص 5-6.

3 المخطوط، ص 6.

4 عين امير لواء أفريقية ولقب بالباي بعد دخول سنان باشا إلى إفريقية، ثم ثار الجند البليكاشة طلبا لرواتبهم سنة 99هـ/وقدموا أحد قادتهم، غير ان الأوضاع بقت مضطربة لمدة ثلاث سنوات. وفي ظل هذه الأوضاع أرسلت حملة رمضان باي إلى غدامس. للمزيد انظر، محمد الباجي، الخلاصة النقية في أمراء أفريقية، ط 2، مطبعة بيكار وشركائه، تونس، 1323هـ/ ص، 90-91.

هذه الحملة، ونسق معلوماته حسب الترتيب التالي:

- 1- أسباب الحملة
- 2- المراسلات بين الطرفين
- 3- تعداد الحملة
- 4- مسارها
- 5- تجهز الأهالي للدفاع عن المدينة.
- 6- أحداث القتال
- 7- نتائج المعركة
- 8- معاهدة الصلح بنودها ونتائجها.

ومجمل ما أورده عن الحملة: إنها جاءت بعد قطع أهالي غدامس إرسال الضرائب إلى والي تونس، وذكر أن المراسلات استمرت قرابة ست سنوات، ويبدو أن الولاة الأتراك لم تنحصر طلباتهم في إرسال الضرائب بل تعدتها إلى طلب الهدايا والعطايا، وهو ما أثار استياء الأهالي، من بين ذلك طلب رمضان داي من شيخ غدامس عومر بن محمد بن خالد بن سليمان إرسال ثمانية عبيد قياد الدارطواشي ملاح عمر كل واحد خمسة عشر عاما، وثمانية خدم عمرهم خمسة عشر عاما، وعدد مائتين من الجلود شراكة، وايزاء رفض الأهالي لإرسالها خرج الباي بحملة من أفريقية في شهر رمضان، في جيش مكون من 2500 جندي، و400 خيال، مزودين بثلاثة آلاف بعير، واربعمائة غرارة، وابتدأ هجومه بفرض الحصار على المدينة يوم 27/رمضان/ 1018هـ/ 1609م، واستمر القتال بين الجانبين لمدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث تم عقد اتفاقية صلح، بعد أن أقدم رمضان باي على قطع خمسمائة شجرة نخل من بساتين بني وازيت ، فركن الأهالي للصلح بعد صمود دام لثلاثة أيام شارك فيه كل السكان بما فيهم النساء والأطفال، وفكت الحملة الحصار عن المدينة يوم 2/ شوال<sup>1</sup>. ومن نتائجها موت أكثر

<sup>1</sup> المخطوط، ص 6-7.

من مائة جندي من عسكر الحملة، وتوفي من أهل المدينة عشرة رجال أحرار وعشرون من العبيد.<sup>1</sup>

### سكان المدينة:

بين لنا المخطوط بمنتهى الدقة التوزيع الديموغرافي داخل المدينة، كما سلط الضوء على التغيير الذي طرأ على التركيبة السكانية وحركة الهجرة إلى البلد قبل وبعد دخول الإسلام إليها، وبذلك يعطينا صورة واضحة على مراحل تشكل المجتمع الغدامسي والذي فيما يبدو لنا أنه كان نموذجاً للمجتمع القبلي المتحضر، فمن خلال محاولة التحليل الأفقي لسكان المدينة يظهر لنا الوحدات الاجتماعية التي شكلتها خلفيتها الاقتصادية والدينية وهي: فئة الأعيان، وفئة كبار ملاك الأراضي، وفئة التجار، وفئة العوام من المزارعين والحرفيين، وفئة العبيد. مع ملاحظة أن دور كل فئة وتفاعلها مع باقي مكونات المجتمع لم يتخطأ الإطار القبلي المنتمية له. ومن خلال تتبع ما جاء في المخطوط يتبين لنا الآتي: أول من سكن بلد غدامس قوم ابن ماني، وابن مازيغ، وأصلهم من فزارة، وهي مدينة كانت تقع بين بلاد الجريد وخدامس، بنوها وعمروها وتنازلوا فيها حتى صارت مدينة، وبعد انقراض بنو مازيغ عقب أحداث صراع طويلة على فرض السيطرة على المدينة خلفهم بنو ماني الذين تفرعوا إلى ثلاثة فروع بنو ذرار، وبنو فضل، وورنوغا، خلف واجليد، وهو من خلف وليد ووازيث.

ويكمل سرده للقبائل الذي استوطنت اخدامس بعد دخول الإسلام للمنطقة ويقول: "فمن بلاد المشرق وفدت قبائل: أولاد قاق، من مدينة دمشق، وأولاد إبراهيم الذين ترجع أصولهم إلى حسان بن ثابت".

وأما عن الهجرات الداخلية: فكانت أبرز القبائل: بنو أهيات رحلوا من تنووابت، ونزلوا في بني وليد، وأولاد اليرج أتوا للمدينة من ورقلة، وبنو ياقوت قدموا من ورغما، ونزلوا في تفررت، وأولاد جساس من كاغروا نزلوا في بني وليد أول الأمر، ثم في

<sup>1</sup> المخطوط، ص 10.

كاغرُ بني وازيت، والفضالة قدموا من أوجلة ونزلوا في بني وازيت.

### النظام الداخلي للمدينة:

ومن بين الجوانب الهامة التي أثارها المخطوط التنظيم الداخلي للمدينة حيث يكشف عن نظام تكافلي، وزعت فيه المهام والوظائف بين السكان، ويبدو لنا جليا وجود نسقا تنظيميا اجتماعيا ينعكس على كافة النواحي الحياتية في المدينة، فالتوزيع السكاني القائم على الروابط الأسرية واختيار كل فرع من العائلة السكن في جانبها ما، فتكونت بذلك الشوارع التي تمتهي عند الأسواق والأبواب، وبما أن المجتمع داخل المدينة يعتمد العمل التكافلي فإن كل شارع يلتزم بصيانته بناء السوار المواجه له، والباب المؤدي إلى الناحية التي يقطنها. ويمدنا بالمعلومات التالية: اصلاح الأبواب كل شارع يصلح الباب الذي يليه، باب البر وباب تنقيس على جرسان، الباب النادر على لوط، وباب انترس على تنوزين، وباب نموية على تفررت، وباب تُمُّل على تامك. كما عليهم فتح الأبواب واغلاقها. أما ترميم الأسوار واصلاحها " فعلى كل شارع يبني الجهة التي تليه أن تهدم" <sup>1</sup>.

### العلاقات التجارية:

سجل لنا صاحب المخطوط عدد من الاتفاقيات التي عقدها سكان المدينة لضمان سلامة حركة قوافلهم التجارية، كالمحاميد، وأولاد نوير، والطرود. وبينها على الوجه التالي: المحاميد منزلتهم أي المكان الذي ينزلون فيه عند توقعهم داخل المدينة في رحلتهم في بني وازيت، وأولاد أنوير في بني وليد، ولهم القدر على بني وازيت المقارحة، العميان لهم على كافة البلاد ثوب في كل عام والمؤونة ما داموا مقيمين في البلاد، على أهل البلاد عشر ثياب، أربعة للميامين، وأربعة للمزابيع، وثوبان للحرابة، والنصف على بني وليد والنصف على بني وازيت. للحرابة ضيافة ثلاثة أيام، والمقارحة لهم المؤونة لكن لمن سكن وطن غيره لس له شيء، وأما أولاد درج على

<sup>1</sup> المخطوط، ص 12.

المصامدة يعني يعمل منهم بالجور تارة بقليل وتارة بكثير .  
وأما الخبز كله للعرب والتوارق والشاوش وغير ذلك، والذين يأتون لغدامس أحيانا،  
البداية على بني وليد على شارع تصك، ثم تدور ويخبز كل من سكن البلاد الحمراء  
والعتارة عدا النزيل البراني، لكن كل شارع بعادته، وأما الخبز للغرباء يخبزوا له  
الساكنين خارج البلاد.

سلطان التوارق له كسوة، والفرس على بني وليد، والمؤونة تدور على خارج البلاد  
والبداية على بني وليد. والحراية لهم خروبة على كل عبد الذي يسافر إلى أرضهم من  
دخل مشرقا إلى حد وطنه مدخل، وكذلك لهم قربتين على كل من ورد لغدامس من غات  
وتوات ومن فزان، على البادية لا العرب.

وأهل البلد ليس عليهم شيء للحراية إذا قدموا من مقبل (الجنوب) ولا من مغرب، وأما  
ورغمة لهم ربع ريال على كل عبد أن تخطت القافلة على وطنهم، والشعير كذلك،  
والطرود كذلك على من دخل وطنهم، وليس لهم مؤونة في غدامس<sup>1</sup>.

### تقنية توزيع المياه:

في مجتمع الواحات تظل مسألة توزيع حصص المياه من العيون أو الآبار، وهندسة  
بناء شبكة مجاري المياه (السواقي) داخل المدن الصحراوية من القضايا المهمة التي  
تحكم الحياة الاقتصادية والاجتماعية، إذ تعد سبب لحروب داخلية قد تستمر لأجيال كما  
حدث في غدامس بين الأخويين وازيت، ووليد. ويعطينا صاحب المخطوط بعض  
التفاصيل، ويقول إن العين (عين الفرس) شق منها ثلاث سواقي: الكبرى والمسماة  
ب(تاسك) في الجانب الشرقي، والوسطى في الجانب البحري، شمال المدينة وتعرف  
ب(تارط)، والصغرى في الجانب الغربي وسميت ب(تندفران). " وأما خسارة العين  
وما أحاط لها من الحيوط خسارتها منها على بني وليد وبني وازيت، يأخذها أولاد أبو

<sup>1</sup> المخطوط، ص 11.

شينة، ويخصرونها على العين وما عدا ذلك كله يخصرونه على بني وازيت دون بني وليد، يعني كالعين"<sup>1</sup>.

أما عن طريقة توزيع حصص المياه من السواقي فيقول أن عملية تقسيم المياه قد اختلفت بعد حملة الحاكم الحفصي أبو فارس سنة 809هـ / 1406م، وفرض نفوذهم على المدينة. فقد كانت توزع الحصص بمقاييس دقيقة تقدر بالساعات والدرجات ووزعت على الوجه التالي: ساقيتي ناصك، وتارة تروا أحد عشر يوم وإحدى عشر ليلة، أما تنوبيس عشرة أيام نهارا وعشر ليال، وتتجانون خمسة أيام نهارا، وعشر ليال.<sup>2</sup>

أما بعد خضوع المدينة للدولة الحفصية يقول صاحب المخطوط بأنه قد كثر الظلم في البلاد بفعل الولاة في طرابلس وتونس، فتغير نظام توزيع المياه، وزادت مقادير الحصص في اليوم والليلة، فساقيتي ناصك وتارة اثني عشر يوما، نهارا واثنتي عشرة ليلة، وساقية تنوبيس إحدى عشر يوما نهارا، وتندفران تسعة أيام نهارا، واثنتي عشرة ليلة. وحسبما ورد في المخطوط التغيير الذي حصل في توزيع حصص المياه قد أدى إلى حالة من الفوضى بين المستفيدين من السواقي فقد بدأوا يشتركون<sup>3</sup> ثمن ساعة وقيراط من الساعة وقيراطين، ونصف خروبة، وربع خروبة من الساعة<sup>3</sup>. ولذلك أوقف التقسيم بنظام الساعات، ووزعت حصص المياه بواسطة القادوس، وكان يتبع حسابات دقيقة جدا تقوم على عميلة العد أوردتها كالتالي:

وزعت الحصص في كل ليلة على أربعة وعشرين جزء، وكل جزء قسم على أربعة أجزاء، وكل ربع جزء على أربعين جزءا أي ما يعادل أربعة طرمسية. والطرمنية كانت تقسم على أربعة وأربعين جزءا بأربعين حبة. أما النهار قسم على ثمانية أجزاء، وكل جزء قسم على ستة عشر جزء، وقدر كل جزء بأربعين حبة.<sup>4</sup>

ثم يعطينا وصفا دقيقا للقادوس وكيفية عمله: ويقول بأنه سطل متوسط الحجم نقب أسفله

1 المخطوط، ص 12.

2 المخطوط، ص 12.

3 المخطوط، ص 13.

4 المخطوط، ص 13.

ثقبه صغيرة ثم يملئ بالماء حتى ينتهي ومن ثم يملئ مرة أخرى منذ طلوع الشمس إلى طلوع الشمس في اليوم التالي. وبذلك تكون الحصص قد قسمت على فترتين: فترة بالليل وأخرى بالنهار، ومجموع عدد المرات التي ملئ فيها السطل سبعمائة. وكانوا يعدون في كل مرة ثلاثمائة عدة، بالعد المتوسط ويتنفس في كل عشر مرات.<sup>1</sup>

وفي حالة ضياع أو كسر السطل يستبدل بسطل آخر بنفس الحجم ويثقب أسفله ثقبه صغيرة جدا أول الأمر ويقدرّون عملية تسرب الماء منه بالعد، فإذا كان العد مكافئ للعد في السطل السابق استخدموه، أما إذا لم يتعادل الحسابيين فيقومون بتوسعة الثقب شيئا فشيئا حتى يصلون إلى العدد المطلوب.

والقادوس اليوم يوجد في السوق القديم للمدينة فوق ساقية تصكو المسقوفة، ومكانه ضيق يصلح لجلوس شخصا واحدا، وكان الكيال يربط إلى جانب السطل وحدات من الخوص الأخضر، وكلما فرغ سطل عقد عقدة واحدة على حوصة منها<sup>2</sup>. وهكذا كانت تتم عملية احتساب الحصص بين المستهلكين لمياه العين.

وخصص للقيام بمهمة توزيع حصص المياه شخصين هما:

الكيال: وهو المشرف على عمل القادوس ومن يقوم بعملية العد، وكانت أجرته من إيرادات ساقيتي تصك وتارة.

الكاتب: وهو من يدون حصص المستهلكين ويشرف على توزيعها، وكانت أجرته يدفعها صاحب السواقي<sup>3</sup>.

وبالنظر إلى المنهجية التي اتبعت في كتابة هذا الدفتر، نجد أنه قد اتبع منهاجا متطورا لتدوين التاريخ المحلي قياسا بزمن التدوين، فهو مستند على مقاييس منطقية، باعتماده على ابراز ما بين الاحداث المدونة من تجانس وتفاعل، وانتقاء أحداث لبناء أسس فكرته عن الموضوع، ولعل ذلك ما يفسر لنا اغفاله لذكر اخبار القوافل التجارية الوافدة

1 المخطوط، ص 13

2 بشير أبو القاسم يوشع، مدينة غدامس عبر العصور، المركز الوطني للمحفوظات التاريخية، طرابلس، 2011،

ص 80.

3 المخطوط، ص 13.

والخارجة من المدينة، خاصة مع المكانة المميزة للمدينة في حركة التجارة المحلية والإقليمية آنذاك.

وهذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن الكاتب كان قريبا من منهج ابن خلدون في الكتابة التاريخية، الذي يقوم على التعريف بالأماكن وخلفياتها التاريخية، وبيان التغيير الذي طرأ على التركيبيية السكانية تبعا لتسلسل الزمني، و لا يغفل التفاعل الذي حدث بين الوافد والمواطن، ويرصد لنا التنافس بين أبناء القبائل، ودوره في رسم خارطة التوزيع السكاني داخل أحياء المدينة، ولذلك نستشعر ونحن نقرأ المخطوط أن الكاتب قد تحرر من الصورة النمطية في كتابة المورث الإسلامي السائدة حينئذ والقائمة على الحوليات، أو السير والتراجم، ليكون بحق نموذجا متفردا في كتابة تاريخ المدن، وفي حركة التدوين المحلي.

وهو ما يستدعي إلى مزيد من العمل – مع كل ما بذل- لاستخلاص المعلومة التاريخية الكاملة والدقيقة لواقع المدينة في تلك الفترة.

### نص المخطوط

الحمد لله هذه نسخة نقلت من زمام<sup>1</sup> بلد غدامس القديمة، نصه بعد سطر، افتتاحه قد سألني الأخوان أن اكتب لهم ما وجدنا في عقود الأوائل وما سمعناه من الذي أدركناه من أكابر البلاد من عوايل غدامس السالفة من مصالحها وبنين السور والبيبان ونجع العربان ولزمة الترك والمونة ومجاري الماء وغير ذلك، والله موقفا للصواب فاجبته إلى ذلك وبديت بوصية له، وقلت أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم في جميع الأمور، ولزوم طاعته وعليكم بخدمة المشايخ والتواضع للفقراء والمساكين والرأفة بالمؤمنين، وقولوا الحق ولو على أنفسكم، واقصدوا بذلك وجه الله العظيم، ولا تأخذكم في الله لومة لائم، وأمر أهلك يا هذا وحرصهم على الصلاة ففيها كل مغتنم، والصلاة عماد الدين

<sup>1</sup> الزمام هو السجل والقيّد ويقصد به السجل القديم الذي كان في بلد غدامس

### واحفظها مع الطهارة وديم (أوقاتها )

وصومك الشهر فرضا فلا تضيعه، واحفظ فرايضه بالصدق في الكلم، والزكاة من الأموال مكرمة، لا ينقص المال بل يزداد بالقسم، والحج فرض لا تضيعه وتخرم الشرب من حوض لكل ضمء، وفي الجهاد ثواب لا يقاس به أجر أو فضلا من الرحمن يغنتم، وهذه ميزة الإسلام فاحفظها ترجى النجاة بهما مع سيد الأمم، والوالدين فلا تنهرهما أبدا قد ربياك صغيرا غير مفتهم، ولا تقل لهما أف وقل لهما قولا كريما أو لينا، وبين حقوق لا تضعيها، حال كريم ولهم غير منعجم، والجار أكرم مثواه واحفظه، ولا تجافيه أن جفاك بالكلم، وأن هممت بناس أن تجاورهم فإسئل عن الفضل المشهود بالكرم، معروف بالخير مأمون عواقبه، لا ينكر الجار إلا معشر اللئيم، والضيف اكرمه أن الضيف من تحلّ يثني عليك بما قدمته من كرم، وليس الكرامة في الطيب الطعام... ولا التكلف من اللحم ومن أدم، وأن دنوت من السلطان وارتفعت بك المراتب لا تأمن النقم، إن الملوك إذا أحبوك واجتهدوا قد اتعبوك لهم في سائر الخدم، وأن وُلّيت بلاد لا تجور بها واعلم بانك معزولا من الخدم، وأن ازرتنا فكن بالعدل متزرا، أن الوزير بأمر الناس ملتزم، وأن ملكك فكن بالعدل محتكما واحذر سهاما في خُندس الظلم، فرمبا دعوة مظلوم تصادفها إجابة لزوال الملك والنعم، لا تقتل النفس فالرحمان حرماها، كمثل تحريمه للشهور الحرم، والصمت أحسن ثوب أنت لابسه، أن اللسان عن الآفات محتكم، لا تنهروا يتيما مات والداه أن اليتيم عزيز النفس منسجم، ولا تعامل مخلوق معاملة الا بحضرة شهودا يفتدى بهم، وأن تداينت دينا لا تكن مظلا، واعجل به ، قبل أن يأتي الوقت بالغرم، لا تأخذ الدين حلو عند حاجته، وعند الوقت الوفي تعطيه بالدغم، أن الشهادة فرض ليس يكتمها إلا لنيم يرى في غفلة النقم، وأصدق فإن حديث الصدق مكرمة، والصدق ينجيك عند الله لا ليم، والذب ... يُسودُ وجه صاحبه، ولا تحدث صدقا لان متهم، واصبر على ما يأتيك الله من ضرر، ولا بد للعبر<sup>1</sup> من يُسر ومن عدم، واعلم

أن جميع المال عارية طرا يعود وطرا غير ملتزم، والله موفق للصواب اللهم اشرح صدورنا ويسر أمورنا ونور قلوبنا واغفر لحاضرنا وغائبنا واصلح جميع احوالنا، أمين. وبعد فاعلم أيها الواقف على أن بلد غدامس بلاد قديمة من زمان النمرود بن كنعان بن سام بن نوح، وقيل قبله وقيل فارس من قوم النمرود الذي خرج ماء عينها، ثم بعد ذلك جازت قافلة على الوادي، وقيلوا في الوادي وتغدوا هنالك ثم رحلوا وساروا إلى أن باتوا فلما اصبحوا أرادوا الرحيل ففقدوا آلة من الأكل، فقال أحدهم: نسيناها في غدانا أمس، ثم رجع فارس منهم على أثرهم حتى اتى إلى الوادي وترجّل عن فرسه يطلب آلهته وإذا بالفرس تنبش الأرض ونبع من ذلك الموضع الماء، ولذلك سميت العين بعين الفرس، وسميت البلاد بغماس لقول أحدهم غدانا أمس، وقيل أول من سكنها غدامس بن سام والله اعلم<sup>1</sup>.

وتخرج في الزمان عين أخرى في الجانب البحري، ويكون سميا المحراب غدامس خروج هذه العين وأول من أستوطن غدامس بن ماني، وبني مازيغ، وأصلهم من فزارة<sup>2</sup>، يعني بنوها وعمروها وتناسلوا فيها حتى صارت مدينة، ثم صارت قصورا ثم خربت ثم صارت مدينةً، حتى انقرضوا بني مازيغ وعصبوهم بني ماني وتولوا البلاد، فلم يزلوا على هذه الحالة إلى أن تولى ورنوغا يعني بني ماني تفرقوا على ثلاثة فروع: فرع خلف شارع بني نزار، وفرع بني فضل، وفرع خلف ورنوغا، ثم ورنوغا خلف واجليد، وواجليد خلف وليد، ووازيت، ووليد خلف أولاد إبراهيم، وأبي بكر، وموسى، ثم أبو بكر المذكور خلف أولاد داوود. وأمّا موسى خلف محمد بن موسى، ومحمد المذكور خلف ثلاثة أولاد وهم موسى وإبراهيم، وأكيار. وإبراهيم المذكور خلف أولاد إبراهيم، وأمّا أكيار خلف أولاد كيكي وأولاد بربر،

1 انتشرت هذه الرواية بين، وهناك من الباحث من يرجح أن أصل تسمية المدينة تعود إلى اللغة الامازيغية، ثم انتقلت إلى اللغتين اليونانية واللاتينية الرومانية، للمزيد انظر أبو بكر عمر هارون، حول اسم غدامس ومدلوله الاصطلاحي، مجلة تراث الشعب، ع 73، السنة 41، 42-1443هـ/ 2021م، ص 52-55.  
2 في الهامش تعليق " فزارة كانت مدينة بين بلاد الجريد وغماس.

وأما موسى خلف أولاد موسى وعندهم سبعة ديار حمران<sup>1</sup>، أمر ولايتهم بني وليد المذكور، وأما بني ذرار كلهم ولد يونس بن طلع يعني خلف فرعين: فرع خلف أولاد عبد الحميد، وفرع خلف أولاد هارون، وأولاد يوشع.

وأما بني مازيغ أحرارهم جددهم سيدي يونس أصله من التوارق هقار، وأما بني اهيات الولا للفضالة (!) ورحلوا من تتروابت ونزلوا في بني وليد، وأولاد اليرج من ورفلة. وأما وازيت المذكور خلف صالح، ومعطوس، وإسماعيل وبال، ووجليد، وأما وجليد خلف الحاج وازيت وهو جد أولاد أبي شينه، منهم مشاخ بني وازيت، وصالح خلف أهل تفررت، يعني أحرارهم.

ومعطوس خلف الشميلات، وأما شرع جرسان أصلهم من الغرب جاءوا لغدامس في زمان النبي صلعم، وأما غدامس من زمن سيدي إبراهيم<sup>2</sup> قبل سيدي محمد صلوات بثلاثة آلاف عام وفتحها سينا عبد الله ابن جعفر، يعني أرسله إليها سيدنا عقبة بن عامر وهو بإفريقية وفتحها صلحا ليس عنوة، وأما الاصنام المبنيين خلاهم على حالتهم الأولى. وأما أولاد قاق أصلهم من دمشق وأما أولاد (إبراهيم)! جددهم الأعلى حسان بن ثابت صاحب رسول الله صلعم، وأما بني ياقوت من ورغما نزلوا بتفررت، وأما أولاد جساس أصلهم من كاغرواوا نزلوا في بني وليد ورحلوا منهم ونزلوا في كغر بني وازيت، وأما الفضالات أصلهم من أوجلة، ونزلوا في بني وازيت، و(قرجعوا)! على بني جلوجا يعني شارع جرسان نزلوا بين بني وليد وبني وازيت وخرجوا لهم ساقية تنوييس، يعني أول الحال أعين لها ثلاثة سواقي: الكبيرة من الجانب الشرقي المعروفة بتاسك، والموسطة من الجانب البحري المعروفة بتارط، والصغيرة من الجانب الغربي المعروفة بتندفران، تنازعا على الرياسة وليد وأخوه وازيت ورحل وليد للجانب البحري، ووازيت للجانب القبلي حتى كبرت بينهم العداوة حتى أولادهم، واستمرت بينهم الفتنة والمقاتلة

1 الحمران هم أحرار ولدوا من أمة للمزيد أنظر بشير قاسم يوشع، مدينة غدامس عبر العصور، المركز الوطني للمحفوظات التاريخية، 2011م، ص 67.

2 أضيفت الخليل في الهامش.

## والمحاربة.

وغماس ليس لهم المَعْرَمَ للسلطان إلى الدولة الحصافة<sup>1</sup> بعد زمان يرموا عليها رمية المخزن ثم يبعثوا قيّادا ويفسدون بالجور، وأول من فرض عليه قطع معلوم على غدامس ودرّج مولانا أبو فارس<sup>2</sup>، فرض عليه أربعمائة مثقال بل ويزيد على ذلك، واستمر الأمر كذلك في دولة الحفاصة والترك، وما سمعنا ظالمًا دخل غدامس وفيها عدى القايد إبراهيم من قياد بني حفص.

وأما في دولة الترك كل عام يبعثون شاوشا ويعطوا له أهل درج وغماس من غير زيادة ولا نقصان، وبعد ذلك قحبتهم أنفسهم وأردوا النفاق وجاءها القايد يوسف بمحلة ورمي عليهم رمية المخزن وذلك سنة 872 ثمانيتماية واثنين وستين<sup>3</sup>.

ثم أيضا جاءها في سنة 872 ثمانماية واثنين وسبعين القايد أحمد ورمى عليهم رمية المخزن وقدروها ثلاثة آلاف مثقال. ثم قدم عليهم حسين باي ويشتهر بحسن النعال 872<sup>4</sup> ثمانماية واثنين وثمانين وغلقوا دونه البيبان، ثم عاد واحد بعد الألف 1001، جاءهم الباي درويش / عرويش بمحلة ورمى عليهم خمسة الأف مثقال وقسم القطيع ففرض على درج مائة واحد مثقال، وعلى غدامس ثلاثماية مثقال والنصف على بني وليد، والنصف على بني وازيت، واستمر الأمر كذلك كل عام يأتيهم شاوش ويعطوا له ذلك. والفرق على النخيل، والماء على المنفعة فبعد كل تسعة سنين يخرسون الغابة ويقسمون عليها، النصف على بني وليد والنصف على بني وزيت.

وبلاد غدامس جوها خمسة امحال ولا خشها أحد إلا بيععضهم بعضا ثم يصلحون مخافة على النخيل، وأما الخروج لا يخرجون منها، يضربون على أرواحهم من البلاد وجاءتها محلة القايد رمضان، ونكتب لك أنشاء الله كيف صار بينهم وبين أهل البلاد

1 الدولة الحفصية

2 هو أبو فارس عبد العزيز 766-837هـ / 1394-1432م، أرسل في سنة 809هـ / 1406م، حملة إلى مدينة غدامس للمزيد أنظر محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، ص 125

3 في الهامش تصحيح ثم أيضا جاءها في سنة 872 ثمانماية واثنين وسبعين،

4 التاريخ بالأرقام مخالف للحروف

والمحل بعد ما عاينا ذلك وحضرناه.

الحمد لله من تواضع لله رُفِعَ ومن تكبر عليه وُضِعَ، ومن توسل إليه بنبيه محمد صلعم حماه ونفعه، فأعلم أن رمضان باي صاحب عسكر تونس فهو رجل أشقر الشعر غليظ العنق، طويل القامة، كلامه كالرعد، القاصف، وله منذو ستة أعوام يذكر القدوم إلينا وأقرب ما كان بعث إلينا كتابا يريد نبعثوا له ثمانية عبيد قياد الدارطواشي ملاح، عمر كل واحد 15 عاما خمسة عشر عاما، مع ثمانية خدم ملاح عمرهم مثل الفتيان، وماتين جلد شراكة، وإلا بعثنا له ذلك وجاوبناه بتلطف وضعف المال، فلما قدر الله بقدومه وتوالت علينا الأخبار بأنه قادم لبلادنا بجيشه، ونحن حينئذ مخادمين تحت طاعة الله، ونؤدوا<sup>1</sup> النايب الذي علينا، الحاصل لما صححنا قدمه وكتبوا لنا أولادنا من طرابلس بأنه قادم علينا أرسلنا رجلين لجبل الأعراض يلتمس لنا الأخبار فيعد أيام رجعا إلينا وقالوا المحلة وصلت تطاون، ثم أرسلنا رجالة إلى سيبانون ورجع لنا.

ثم انقسموا أهل البلاد على ثلاثة أقسام كل يقيمون نهارهم بالبنين، وتهرس البارود، ويقيمون ليلهم بالعسة، فأهل الشارع تفرفرة، وشارع تصك قرعة، وتوزين وبني ذرار قسم وجرسان وبني مازيع قسم، واتفقوا أهل البلاد إذا وصلت المحلة يرحل الشيخ عمر بن محمد بعياله ويسكن في بني وليد، ويرحل الشيخ أبو بكر بن الشيخ موسى بعياله ويسكن في دار عمر المذكور لأجل تنهني البلاد.

وينصح في بعضهم بعضاً ثم أن المرسل رجع إلينا من سيناون، وعلمنا بالمحلة مصوبة إلى درج وجاءت لدرج فيتها! وربطت خاصتها وفيت أيضاًتهم! مدة قصرها وفيت ما ترس، ورحلت مرحلتين والثالثة نزلت تزفين ونحن ساهرين إذ قدم علينا بلقاسم الفرجومي بكتاب من الظالم المذكور، ودفعه إلى شيخ غدامس الشيخ عومي بن محمد بن خالد بن سليمان من بني وازيت، ونص الكتاب " الحمد لله والصلاة والسلام علي نبيه ، من عبد الله سبحانه صاحب المحلة المنصورة بالله رمضان باي أيده الله تعالى إلى

<sup>1</sup> إضافة في الهامش

ولدنا صاحب الفضل والجمال الشيخ عومي بن الشيخ محمد شيخ بلاد غدامس، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ولا زايد بعد حمد الله إلا حبكم وودادكم، وأنت منّا وإلينا وسبق في علمنا إنك خديم الداوي الكريمة من غير مشكّة، وتعيّزُ لخدمتك للداوي الكريمة، وشكرنا فضل وإحسانك جازاك الله الله عنا خيراً، وأعلم الآن ما عندنا إلا ما عندك، بعثت! لنا سنجقا ونحن قدمنا عليكم ولا نفتشوا إلا عمارة البلاد، وتكون أنت على يدنا وتخدم الداوي الكريمة كما كنت تخدم ما في استخراج حقوقها، وقد آتينا بالكتاب من صاحب المخزن المعمور وديوان العسكر المنصور، وأن امتثلوا أهل البلاد بأمر نافذ لها غاية الآمال، وعليهم الأمان في المال والنفوس، وإلا ما أوجب الحق كما قال العلماء في حق الأمراء وأن قالوا خلاف ذلك لا يلومون إلا أنفسهم ذنوبهم في رقابهم، وعدداهم على أنفسهم بالله بالله لأجعل<sup>1</sup> أعزهم أدلة وهم صاغرون، ومن نذر فقد عذر، والسلام عليكم ورحمة الله.

وكتب الشيخ عومي المذكور بخط يده بسم الله مجري الأمور ومرساها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يتعرّف صاحب المحلة المنصورة بالله صاحب الفاضيل سيدي رمضان باي أيده الله تعالى، يليه لا زايد إلا خير، وقد وصلنا كتابكم المنير وسؤالكم التدير! وفهمت معناه وجزاك الله خيراً، وذكرت غدامس رجعت لكم سنجقا، وتحن عباد الله المؤمنين وممن والاه من عباده طابعين، فلو كان مقصدك عمارة البلاد، أرسلت لنا شلوش واحد كسبيل العادة، والآن قدمت إلينا بنفسك بعسكرك عرموم، والمدافع ما يأتينا من قبلك من الوعيد الشديد وقد خافوا أهل البلاد على أنفسهم وهم غير ملومين، ولكن فحجة أهل البلاد كثيرة، وقد ناشدوك بالله ثلاثاً، وأن أتيت فلم تر من أهل البلاد إلا الضرب بالكفاح، وهي مسروجة عند فالق الاصباح، فأستعد للحرب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والسلام من خادم الداوي الكريمة عومي بن محمد بن خالد. فلما ورد عليه الكتاب وقرأها غضب غضبا شديدا فلما طلعت الشمس ورد علينا بخيله

<sup>1</sup> تصحيح في الهامش

خاصة، وحلّق على البلاد، وفي صبيحة يوم الخميس في سبعة وعشرين من رمضان عام 1018 وثمانية عشر بعد الألف سحلت علينا العسكر في عدد وعديد، وجد وجديد، وجملة المحلة ألفين وخمسمائة منهم أربعمائة خيل، وثلاثة آلاف بعير، وأربعمائة غرارة والباقي من الأبطال والرجال .

والتّمث أهل البلاد من كل جانب ومكان، والتقى الجمعان، وعظم القتال، حتى عاد النهار ليلا منكثرة البارود، ولا تسمع غير تصفير الرصاص وتغريد المدافع، فياله من يوم وما أعظمه.

ومن هول ما أشده فلو رأيتم نساء البلاد الأحرار كشفوا عن وجوههم ورفعوا المصاحف على رؤوسهم، والصغار رفع الألواح، ويدرون في الجامع والشوارع، ويقولون يا مغيث أغثنا، ويقدر الله نصر أهل البلاد، وهزموا المحلة، ونزلت مما يلي بني وليد، في اليوم الأول نزلت على بني وازيت، ومات من بني وازيت ثلاثة رجال، ومات من المحلة عدد كثير، وعاودت المعركة والقتال اليوم الثاني، والثالث إلى أن يحول بين الناس الليل، وفي يوم الفطر آتانا العجمي وطلب منا الصلح، وصالحنا بخمسة آلاف خوفا على النخيل، وقطع من بني وليد خمسمائة نخلة، ورحلت المحلة بعد أن مات منها أزيد من مائة رجل، ومات من أهل البلاد عشرة أحرار، وعشرون عنزبي (عبيد)<sup>1</sup>، ورحلت المحلة في اثني عشر من شوال.

ويأبىها الواقف على هذا إذا داهمك محاربة الترك فأنها أشد مرارا، واستعن بالله وتوكل على الحي الذي لا يموت واعمل مثل ما عمل قبلك، يعني كيف نزلت علينا المحلة، رحل شيخ بني وازيت وسكن في بني وليد، وقول الله أشداء على الكفار رحماء بينكم، إذا أنتم قسمتم على أرواحكم<sup>2</sup>.... تملكتم السلطنة أرفباكم وتهلكوا بعضكم بعضا أمارة الخدلان معاداة الأخوان.

ومشايع أبي شينة لهم عادة على السلطنة عشرين مثقالا وكذلك لهم عادة في مال المساكين

<sup>1</sup> عبيد إضافة فوق السطر.  
<sup>2</sup> وردت كنتصحيح فوق الكلمة

عشرون ريبالا.

ونعلموكم أيضا على قانون العرب المحاميد منزلتهم في بني وازيت عند المشايخ ولهم القدر! وكذلك أولاد نوير منزلتهم في بني وليد، ولهم القدر على بني وازيت والمقارحة العميان لهم كافة البلاد ثوب في كل عام والمونة ماداموا مقيمين في البلاد يعني على أهل البلاد عشرة أثياب منهم أربعة للميامن وأربعة للمزاريع وثوبان للحراية، النصف على بني وليد، والنصف على بني وازيت والحراية ضيافة ثلاثة أيام والمقارحة لهم المونة لكن لمن سكن وطن غيره ليس له شيء.

وأما ولد له درج على ما الصمد الله يعني يعمل فيهم بالجور تارة بقليل، وتارة بكثير، وأما الخبر كله للعرب والتوارق والشاوش وغير ذلك.

البداية من بني وليد على شارع تصك، ثم تدور ويخبر كل من سكن داخل البلاد الحمران، والمعتار!، عدى النزيل البراني، لكن كل شارع بعادته، وأما الخبر للعربان يخبروا له الساكنين خارج البلاد سلطان الطوارق، وله كسوة، وأما فرسه على بني وليد، والمونة تدور على خارج البلاد، والبداية على بني وليد.

والحراية لهم خروبة على كل عبد الذي يسافر إلى أرضهم من دحس! مشرقا إلى حد وطنهم، وكذلك لهم قريبتين على كل من ورد لغدامس من غاث، وترات، ومن فزان على البداية لا العرب وكذلك للندوات والتسعين، وأهل البلاد ليس عليهم شيء للجراية إذا قدموا من مقبل ولا من مغرب، وأما ورغمة لهم ربع ريبال على كل عبد أن تخطت القافلة على وطنهم، والشعير كذلك.

والطراوة كذلك على من دخل وطنهم، وليس لهم المونة في غدامس وأما خسارة العين، وما أحاط لها من الحيوط خصارتها منها على بني وليد، وبني وازيت يأخذها أولا أبو شينة ويخسروها على العين، وما عدى ذلك كله يخسروه على بني وازيت، دون بني وليد يعني كالعين.

أما صلح البيبان كل شارع يصلح الباب الذي يليه؛ باب البر على جرسان، وباب تنفيس، أما الباب النادر على لوط، وباب انترس على تنوزير، وباب نموية! على تفرقت،

وباب تَمَلَّ على تامك، والحاصل كل شارع عليه الباب الذي يليه أن تصكر.

وأما الأسوار كل شارع يبني الجبهة التي تليه إن تهدم.

ويرجع ذكرنا للعين كيف ترورو الحال تامك!، ترور أحد عشر يوما واحد عشر ليلة. وتارة كذلك وتنبيس نهارا على عشرة أيام والليل. كذلك وتنجنون النهار على خمسة أيام وليلها على عشرة أيام ترو نهارها على ثمانية أيام وليلها، وعلى أحد عشر يوما. واستمرَّ الأمر كذلك.

وكل نهار يقيمونه بالساعة والدرجات إلى دولة الحفاصة كثر الظلم في البلاد من تونس وطرابلس وزاد جماعة في ساقية وجبت في الليل والنهار، وصارت الساقية تصك تدور على اثني عشر يوما، واثني عشر ليلة، وتارة مثلها. وتنبيس على أحد عشر يوما والليل كذلك. وتنجينون نهارها على ستة والليل على أحد عشر يوما. وتندفزان نهاره على تسعة والليل على اثني عشر. واستمر الأمر كذلك وكثر الشراء في العيون، وبدت الناس يشتررون ثمن الساعة وقيراطا من الساعة وقيراطين

ونصف خروبة، وربع خروبة من ساعة، دهشت الناس وابتهم عليهم كيف يقسمون ذلك، ثم بعد رتب القانون جزاء الليل على أربعة وعشرون جزء، وكل جزوة على أربعة أجزاء، وكل ربع جزء يعني أربعين طرمسة، والطرمنية يقسمونها على أربعة وأربعين جزءا بأربعين حب.

والنهار جزوة على ثمانية أجزاء يعني ثمانية نتايح، وكل جزوة من الثمانية جزوة على ستة عشر جزءا، يعني فانزلوا كل جزء على أربعين حبة، وبطلوا الساعة والدرجات، وركبوا القادوس يقسمون به الليل والنهار، والقادوس سطل متوسط وفيه ثقبة صغيرة من أسفله ويملوه بالماء حتى يكمل ثم يملوه مرة أخرى من طلوع الشمس إلى طلوع الشمس في غد، يعني وجبتين ليلة ونهارا، فصح بينهم يعني ما بين الليل والنهار سبعة مائة سطل، يعدون في كل سطل ثلاثماية عدة بالعدد المتوسط، ويتنفس في كل عشرة مرات مرة.

ومنها إذا انكسر السطل أو ضاع يأتون بسطل مثال الأول، ويتقبونه ثقبة صغيرة

جدا، ويعدون مثل العد الأول، فإن وافق وإلا يوسعوه شيئا فشيئا حتى يوافق العد الأول، الذي هو سبعة مرات عدة.

وبدت الناس يقسمون العين بالعدد وأجرة الكيال من العين من الساقيتين تصك، وتارة. وأما الأخرات مسرّحين من الأوائل لا عليهم شيء، وأجرة من يكتب ويقسم بين الناس على صاحب السواقي.

انتهى. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله، وهذا ما وجدناه مقيدا قيدينا، وبالله التوفيق، على يد أفقر الورى واحوجهم إلى رحمته، الكاتب مصطفى خوجه بن قاسم المصري كان الله له بمنه، بتاريخ 7 محرم فاتح سنة 1181، تم.



## قصور مدينة غدامس القديمة

الأستاذ / منصور عبد السلام منصور

مراقبة آثار غدامس

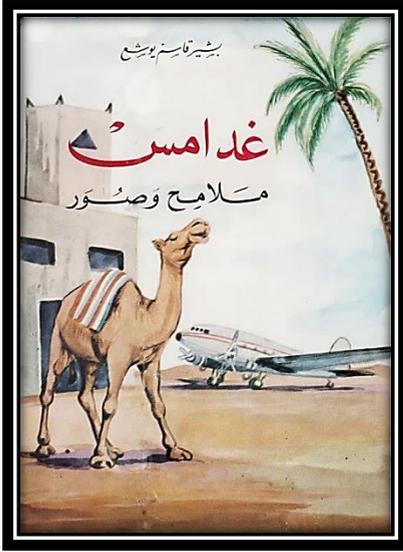
### المقدمة :

تتمتع مدينة غدامس بهندسة معمارية مذهلة وفريدة من نوعها ولها أشكال وتصاميم تزيدها روعة وجمالاً ومن خلال مقومات الحياة في المدينة نلاحظ مظاهر الاستقرار الدائم ومستوى التحضر الذي وصلت إليه فنون العمارة المتمثلة في السور الخارجي والقصور القديمة والمنازل التي تتكون من ثلاثة طوابق وغيرها من العناصر المعمارية وهذا كله يدعم ما ورد في الكثير من المراجع بأن المدينة ضاربة بجذورها في عمق التاريخ.

وفيما يخص القصور القديمة الواقعة داخل سور المدينة القديمة ونظراً لقلة المعلومات التي تخص القصور بصفة عامة وضيق الوقت المخصص لهذه الورقة سأكتفي بالحديث عنها بإيجاز والحديث عن (قصر أمانج) نموذجاً لهذه القصور.



مدخل قصر أمانج



قد ورد في الكثير من المصادر التي تخص مدينة غدامس ومنها كتاب المرحوم الأستاذ بشير قاسم يوشع (غدامس ملاحم وصور) بأن أساس تكوين ونشأة مدينة غدامس القديمة هو عبارة عن مجموعة قصور موزعة على نطاق المدينة القديمة مثل قصر شهوان - قصر نماس - قصر أنانو - قصر النونو وغيرها.

إلا أن معظم هذه القصور لم يتبقى من ملامحها في وقتنا الحالي ما يفيد بأنها كانت

قصوراً حيث أصبحت الآن لا تمثل إلا أسماء لأزقة داخل المدينة القديمة. بينما نلاحظ أن قصر أمانج المتفرع من شارع تفرقة لا زال محتفظاً بأغلب ملامح ومقومات القصر لحد الآن.



قصر أمانج حالياً

**وتسمية** هذا القصر بقصر أمانج مشتقة من كلمة تطلق عادة على مقدمة مكان مرتفع في اللهجة الغدامسية وما يؤكد ذلك هو وجود نفس التسمية تطلق على موقع يقع في مقدمة مكان مرتفع يطلق عليه منادر أمانج في شارع مازيعن كانت تستعمل لتجفيف ودرس الحبوب.

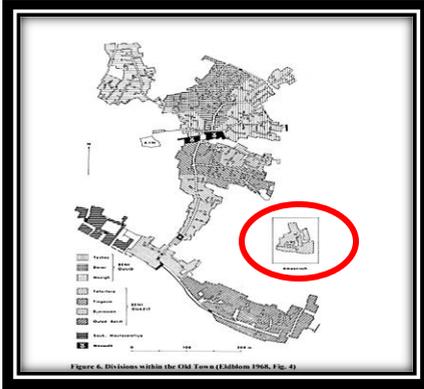


صور منادر أمانج في شارع مازيعن

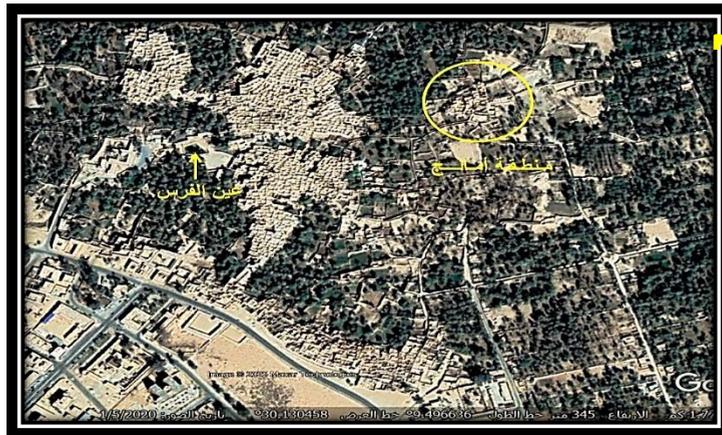
وكذلك مقدمة سطح المنزل في الطابق الثالث من منازل المدينة القديمة يطلق عليه بصيغة أخرى (أمي ننج) أي مقدمة السطح . هذا فيما يخص أسم القصر.



صور لمقدمة سطح أحد منازل المدينة القديمة

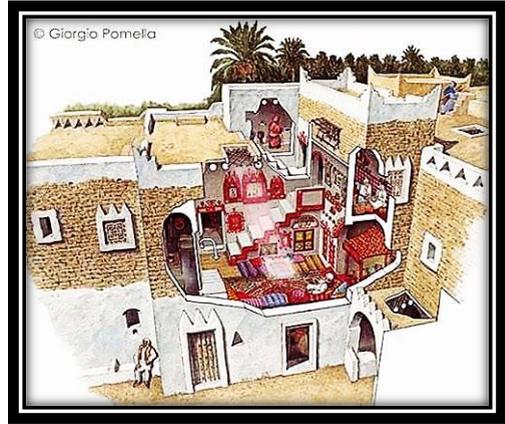
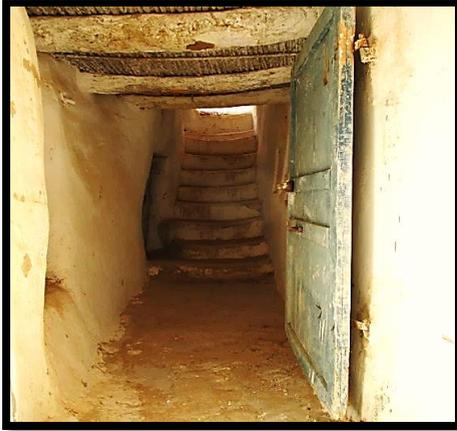


ونلاحظ بأن هذا القصر مميز وله هوية خاصة بحكم موقعه الاستراتيجي وبه منازل متعددة الأشكال والأنواع ويبلغ عددها 30 منزلاً تقريباً موزعة على أربعة أزقة وفيه أربعة أنواع من المنازل.



صور جوية من جوجل إيرث لمنطقة قصر أمانج

النوع الأول/ هو نفس تصميم البيت الغدامسي التقليدي المتعارف عليه في جميع أحياء المدينة القديمة الذي يتكون من ثلاثة طوابق وحمّام سفلي وحجرة في المدخل وصالة معيشة بمرافقتها في الطابق الثاني والمطبخ في الطابق الثالث بالإضافة إلى الممرات النسائية العلوية التي تعلو الطابق الثالث.



نموذج لأحد البيوت من النوع الثاني الموجودة في قصر أمانج  
النوع الثاني/ يختلف عن النوع الأول في عدد الطوابق ويحتوي على طابقين وبدون السلم السفلي والحجرة السفلية , ويحتوي من الداخل على مجموعة مناسب.

النوع الثالث/ يتكون من طابقين مثل النوع الثاني لكنه لا يحتوي على نظام المناسيب.



نموذج لأحد البيوت من النوع الثالث الموجودة في قصر أمانج

النوع الرابع/ يتكون من ثلاثة طوابق لكن السلم السفلي يجمع بين منزلين أحدهما على اليمين والآخر على اليسار بمدخل رئيسي واحد ولكل واحد منهما حجرة سفلية والحمام مشترك.



نموذج للنوع الرابع من البيوت الموجودة في قصر أمانج

ويمكن أن نطلق على هذا القصر حي سكني متكامل بالرغم من صغر حجمه بحكم توفر أغلب المرافق الخدمية فيه من مسجد وميادين بمجالسها وسوق وحمام عام ومزارع تحيط به من الخارج وتتميز هذه المزارع بأنها تسقى من جميع الآبار الرئيسية في غدامس (عين الفرس ، عين حمادي ، عين بُرقامي).



ميدان قصر أمانج

مسجد قصر أمانج



بعض المزارع المحيطة بقصر أمانج

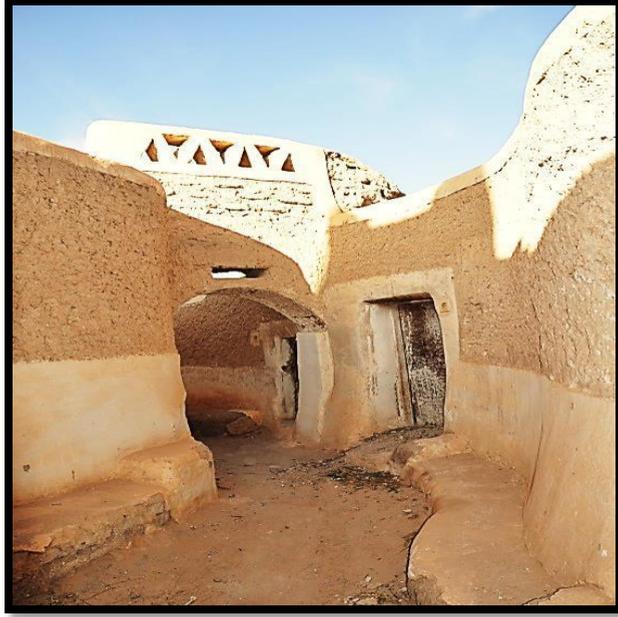


عين حمادي المعروف حالياً بعين الطليان عين بُرقامي المعروف حالياً بعين الفرنسييس

ويوجد فيه أيضاً مرافق خدمية لا تتوفر إلا في بعض الأحياء وهذه المرافق تعتبر من المعالم التي لم تنل نصيبها من التدوين والتوثيق والصيانة والترميم بالرغم من أنها تعتبر من الدلائل المهمة التي توضح مستوى التمدن والتحضر العالي الذي وصلت إليه هذه المدينة العريقة وذلك بوصولها مرحلة إنشاء مكملات الحياة المدنية في مدينة واقعة في عمق الصحراء وهذا ما يزيد من أهميتها ويؤكد عمقها التاريخي.



من بين مرافق هذا القصر المخبز التقليدي الذي لم يتبقى من ملامحه إلا القليل لكنها كافية لتوضح بأنه كان في يوم من الأيام مخبزاً يقدم جميع الخدمات لسكان المنطقة وقد كان آخر من أشرف على هذا المخبز الفنان والفلاح وخبير البناء والعمارة في تلك الفترة المرحوم السيد أحمد ميلود .. الشهير بـ (بزع) .



مخبز قصر أمانج

كما يوجد في هذا القصر مصنع لصناعة الفخار الذي تعود ملكيته إلى (عائلة السنوسي محمد السنوسي قلال وأبنائه) واحتفظت هذه العائلة بهذه الحرفة وتوارثها الآباء من الأجداد والأبناء من الآباء لمدة 300 سنة تقريباً.

وانقطعت هذه الحرفة منذ وفاة آخر من أشغل في هذا المصنع ألا وهو المرحوم الشيخ (يوسف قلال) بتاريخ (24 / 7 / 1960م).

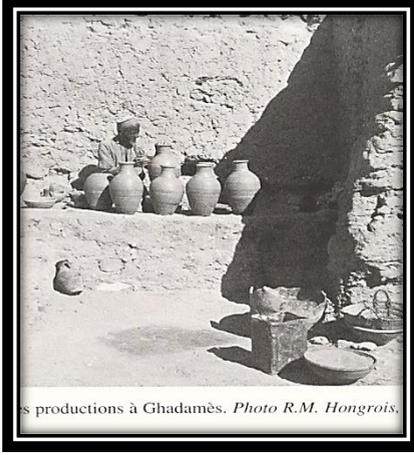


### صور للمرحوم الحاج يوسف قلال

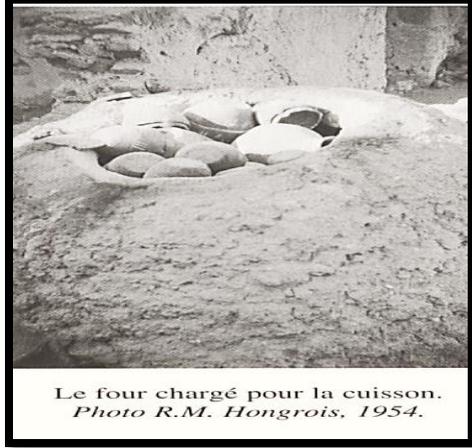
وكان هذا المصنع يوفر جميع الأواني الفخارية بمختلف أنواعها وأحجامها وأشكالها غير الملونة التي كانت تستعمل في تلك الفترة , لكن مع الأسف نظراً لعدم اهتمام الجهات المختصة ومعرفة الأهالي بقيمة هذا المعلم لم يتبقى منه إلا بعض الملامح البسيطة التي تدل على أنه كان في يوم من الأيام مصنِعاً للفخار .



### صور مصنع الفخار من الخارج



s productions à Ghadamès. Photo R.M. Hongrois.



Le four chargé pour la cuisson.  
Photo R.M. Hongrois, 1954.



المسطبة التي يتم فيها تجفيف الأواني  
الفخارية في مصنع الفخار بأمانج

ومن أهم المرافق الموجودة في قصر امانج أيضاً معلم وموقع خدمي فريد من نوعه لا يوجد إلا في هذا القصر فقط ويقع في الناحية الشرقية منه بجوار باب من الأبواب المهمة في المدينة القديمة المعروف (بباب عواتة) وهذا المعلم هو حمام بخاري عتيق غير معروف عند العديد من الأهالي ربما يرجع تاريخه إلى الحقبة العثمانية تقريباً.



صورة للمدخل الرئيسي للحمام البخاري في قصر أمانج



زيارة ميدانية لأعضاء مراقبة آثار غدامس إلى مصنع الفخار  
رفقة أحد أبناء عائلة قلال (الحاج عبداللطيف قلال)

لكن المعلومات المتعلقة به ضئيلة جداً وغير كافية لتسليط الضوء عليه بصورة شاملة وملامحه الداخلية لم تتضح إلا بعد أن قامت مراقبة آثار غدامس بإزالة الانهيارات المترامية داخل الموقع عندها ظهرت بعض ملامحه التي توضح وتؤكد بالفعل أنه كان حماماً بخارياً.

ونحن نحاول أن نعطي فكرة مبسطة عنه مبنية على المعطيات الموجودة فيه بالإضافة للدراسة التحليلية التي قامت بها المراقبة للموقع.



بعض الصور للحمام البخاري قبل التنظيف

بحيث لاحظنا أن أغلب معالمه موجودة مثل (الصالة الرئيسية وأحواض علوية وسفلية ومصطبة تدليك وتكيس وحجرة الطهارة وحجرة الاستقبال) وأن هذه التقسيمات مسقوفة بطريقة القبو وبها فتحات لتهوئة المكان وتجديد الهواء وبه شبكة مياه من



الصالة الرئيسية للحمام البخاري

حجرة الإستقبال والمغادرة في الحمام البخاري

مواسير مصنوعة من الفخار المحلي ويقال بأنه قد تم نقل بعض عناصره المعمارية إلى خارج المنطقة.



بقايا شبكة المواسير الفخارية



مسطبة تدليك وتكيس

**وفي ختام** هذه الورقة نأمل الاهتمام أكثر بهذه المعالم لأنها تعد أمانة في أعناقنا باعتبارها رسالة عظيمة يتوارثها الأهالي .. الأباء من الأجداد والأبناء من الأباء وهكذا .

باعتبار أن هذه العمارة هي المرأة التي تعكس آمال الشعوب وأمانيتها وقدراتها العملية وذوقها الرفيع ونظراً للدور الذي تلعبه العمارة في إثبات العمق التاريخي للشعوب بصفة عامة اعتبرها اليونانيون قديماً أم الفنون .



## عديمس (غدامس) في العصر الروماني

د. رجاء مصطفى موسى الشهبيي قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة بنغازي،

د. نرجس محمد سويسي\_قسم السياحة والآثار - غريان

### الخلاصة:

إن مدينة غدامس تمتاز بظرازها المعماري الفريد جعلها من بين مدن العالم المهمة، وصنفت بناءً على ذلك من بين مدن التراث العالمي الانساني المهمة .  
وتكمن أهمية هذه الدراسة إلى كونها تهتم بفترة مهمة من فترات التاريخ الليبي و تلقى الضوء على أهم المعالم الرومانية في المدينة التي تحتاج إلى بحث وتنقيب مستمرين للكشف عنها. وإن الهدف من هذه الدراسة هو التعريف بتاريخ هذه المدينة في العصر الروماني.

سنتناول الدراسة نبذة عن عصور ما قبل التاريخ في المدينة ، وكيدامس في العصر الروماني وسنتحدث عن حملة القائد بالبوس على إقليم فزان من خلال ما ذكره المؤرخ بليني ، . كما سنتطرق الي التركيبة الاجتماعية والسياسية لسكان سيداموس وسياسة روما اتجاه العناصر الليبية المحلية في المنطقة . وسنتطرق لأهم المعالم الرومانية في المدينة مثل حصن غدامس من خلال النقوش، و تمسودين ، وقصر مجدول ، وقصر الغول . وسنختم بخاتمة تضم اهم النتائج والتوصيات .  
-المنهج المتبع في الدراسة : المنهج التاريخي والتحليلي.  
-الكلمات المفتاحية ( بالبوس- الجرميون- كيداموس - الرومان )

## نبذة عن عصور ما قبل التاريخ في غدامس

تميزت مدينة غدامس بوجود ثقافات مختلفة، منها ثقافة العصر الحجري القديم، حيث عثرنا على بعض الشواهد الموجودة بالمدينة من نقش حجري لحيوانات ما قبل التاريخ. فهناك نقش لحيوان الثور على حجارة اعيد استعمالها كعتبة لمنزل في المدينة القديمة . و نقش آخر موجود حاليا بمقبرة في المدينة(صورة 1) لحيوان الثور مع حيوان اصغر منه في اعلى اللوحة ، ويعتقد ان يكون ذئبا.وقد تم رسمه، والرسم موجودة بالمتحف (الصورة 2) كما عثر في منطقة السائيات<sup>1</sup> على رسومات صخرية لعدد من الحيوانات منها الافاعي والنعام<sup>2</sup>(الصورة 3)



صورة 1) صورة للمقبرة في المدينة

<sup>1</sup> مدخل الحمادة الحمراء حوالي 40 كم جنوب شرق غدامس  
<sup>2</sup> هذه المعلومات تم تدوينها من ا. نور الدين الثني



(الصورة 2) رسم تخيلي لمنظر الحيوانات على الحجارة موجود بمتحف اعدامس



(الصورة 3) لطير النعامه عثر عليه في منطقة السانيات

### (سيدامس = غدامس) في العصر الروماني

- (1) Cidamis Cidamus تعددت أسماء مدينة غدامس فسميت بسيداموس عند الرومان، و بـ *Κιδάμη* عند بروكبيوس الصقلي (2)، وأطلق بطلميوس عليها اسم *Τιδάμησιοι* (3)
- وسميت بمدينة الجلود ومدينة الذهب عند بعض الرحالة العرب، وهي غدامس عند الكثيرين وأسموها السكان المحليين (عديمس) (4).
- تقع غدامس "لؤلؤة الصحراء" في نقطة تلاقي حدود ليبيا مع تونس والجزائر ، ( الخريطة 1 ) وعلى خط عرض 30 شمالاً ، وخط طول 10 شرقاً ، وعلى ارتفاع 357م وتحدها مدينتي ماترس ودرج شرقا ومدينة الدبداب الجزائرية غربا ومدينة برج الخضراء التونسية شمالا ومدينة غات ومابينها من صحراء الحمادة جنوبا. (5)
- حيث تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 620 كم ،وهي أحد الطرق الصحراوية المؤدية من طرابلس مابين الهضبة الصخرية الحمادة الحمراء إلى شرقها والبحر الرملي للعرق الشرقي الكبير إلى جهتها الغربية وجنوب غربي النيجر نحو تومبكتو وهي نقطة عبور للتجارة بين افريقيا ومنطقة البحر المتوسط (6) ويعد حصنها هو النقطة الدفاعية الثالثة من منظومة الخطوط الدفاعية السيفيرية التي أنشأها الرومان في إقليم المدن الثلاث (7). ولعل أول مؤرخ تحدث عنها هو المؤرخ بليني الأكبر حين تحدث عن حملة بالبوس .

(1) IRT, 907. Plin., Nat. hist., V, 35-36., XXXI, 22

(2) Procop. , Aed., VI, 3, 9" ..Τριπόλεως τῆδε τῆς καλουμένης τὰ ὄρια ἔστι, Μαυρούσιοι τε βάρβαροι ἔνταῦθα οἰκοῦσι, Φοινικὸν ἔθνος. οὐ δὴ καὶ πόλις ἔστι Κιδάμη ὄνομα..".

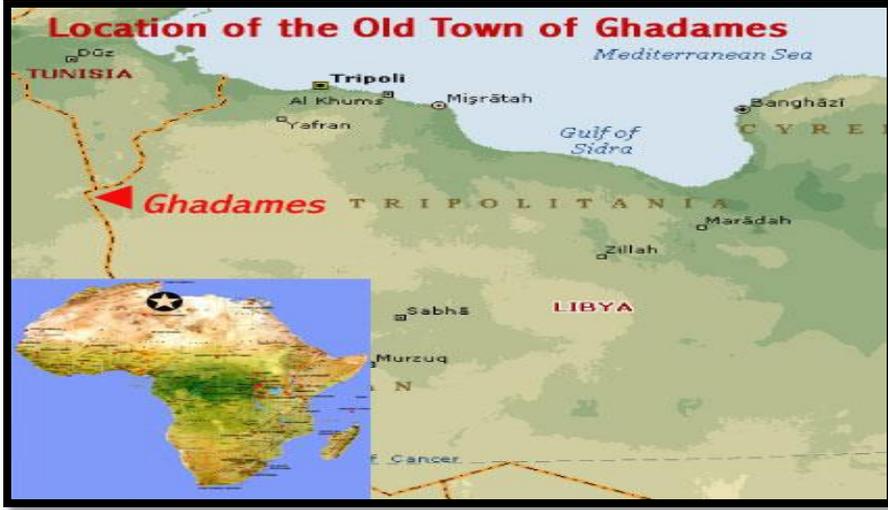
Ptolemy., Geog., IV, 3, 6(3)

(4) الصديق الطيب البخاري ، غدامس " عديمس " الجوهرة الفريدة ، طرابلس ، 2010 ، ص 2

(5) الصديق الطيب البخاري ، المرجع نفسه ، ص 1.

(6) فيليب كنريك ، دليل المواقع الاثرية في ليبيا، "إقليم المدن الثلاث" ، جمعية الدراسات الليبية ، تونس ، 2015 ، ص 84

(7) د.ا هانيز ، منطقة طرابلس لما قبل العصر الاسلامي ، دار الفرجاني ، طرابلس ، 1965 ، ص 124



## حملة لوكيوس كورنوليوس بالبوس (Lucius Cornelius Balbus)

### أسباب الحملة :

-قيام الجرميون بتقديم العون والمساعدة لقبائل الجيتولي في ثورتهم ضد الرومان  
حوالي عام 21 ق م (8) - رغبة الرومان في الوصول إلى مصادر السلع الصحراوية  
، لمشاركة الجرميين في المكاسب التجارية  
-رغبة الرومان في تحطيم قوة الجرميين التي أصبحت تهدد الرومان وأهدافهم  
التوسعية في المنطقة(9) .

وردت تفاصيل هذه الحملة عند المؤرخ بليني الأكبر(1) الذي ذكر قائمة بأسماء

المدن التي مر عليها :

(8) Ptol. I .8.4

(9) مبروكة سعيد الفاخري (2013):العلاقات السياسية بين المملكة الجرمية في الجنوب الليبي والمدن الرومانية على الساحل الليبي (منذ القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي)،مجلة جامعة سبها (العلوم الإنسانية) العدد الثاني ) ، سبها ، ص ص 116-117. ، احمد انديشة ، موقف القبائل الليبية من الاحتلال الأجنبي ، مقالات في التاريخ القديم ، 14 يونيو، 2014  
Pliny, Nat, His, V.35-7 (1)

*"intervenit ad solitudines Africae super Minorem  
Syrtim dictas versas Phazania, ubi gentem  
Phazaniorum urbesque Alelen et Cillibam subegimus,  
item Cidamum e regione Sabratae. ab iis mons longo  
spatio in occasu ab ortu tendit, Ater nostris dictus a  
natura, adusto similis aut solis repercussu accenso.*

*" ultra eum deserta, Mathelgae oppidum  
Garamantum itemque Debris adfuso fonte a medio die  
ad mediam noctem aquis ferventibus totidemque horis  
ad medium diem rigentibus, clarissimumque Garama,  
(2)caput Garamantum, "*

*" .في اتجاه الصحراء الإفريقية جنوب سيرتا الصغرى توجد فزان ،حيث أخضعنا القبائل الفزانية و غزونا مدن اليلن وسلابيا وكذلك كيداموس الموجودة قبالة صبراته ، ومن هذه النقطة تبدأ سلسلة الجبال التي تمتد لمسافة طويلة من الشرق إلى الغرب . وقد اطلق عليها الرومان جبال السودان ، وخلف هذه الجبال تمتد الصحراء التي تقع على أطرافها الشمالية (ماتلجا) Mathelgae المدينة الجرمنتية ، ثم دبريس Debris التي يوجد بها نبع يغلى ماؤها في منتصف الليل، و يصبح باردا في منتصف النهار، وكذلك مدينة جرمة الشهيرة عاصمة الجرمنت" . وفي 27 مارس 19 ق م (3) ، استولى بالبوس على كل المواقع المذكورة واحتقل بانتصاره العظيم ويذكر بليني :*

R. C. C. Law, (1967), The Garamantes and Trans-Saharan Enterprise (2) in Classical Times, Source, J. Afri. His, Vol. 8, No. 2 Published by: Cambridge University Press, p 190.

Mattingly, D.J. (2005) Triplitanian, B.T, Batsford Limited. London , P114 (3)

" كلل النصر وزف في عربية النصر وكان قد حصل هو وعمه بالبوس الكبير  
**Balbo patruo** على شرف الجنسية الرومانية **civitas Romana**  
لانهما كانا أجنبيين من مدينة قادش **Gadibus** .

وهناك حقيقة مهمة وهي أن المصادر ذكرت أسماء المدن السابقة على أن  
بالبوس قد استولى عليها , وقررت إلا أنه حمل في موكب النصر أسماء  
وشعارات كل المدن والقبائل المفتوحة إلى جانب كيداموس **Cidamum et**  
وجرمة **Garamam** بالترتيب التالي:

مدينة تابوديوم **Tabudium** وقبيلة نيتري **Niteris**, مدينة مليغي جملا  
**Milgis Gemella**, بلاد او قبيلة بيبيوم وبلاد أو قبيلة انيبي **Enipi** ومدينة  
ثبن **Thubcn** والجبل المعروف بالجبل الأسود **Niger, Nitibrum** ,  
رايسا **Rapsa**, قبيلة ديسكيرا **Discera**, مدينة ديكري **Dccri** , نهر  
ناتابور, **Nathabur** مدينة تابساجوم **Tliapsagum** , بلاد أو قبيلة تامياجي  
**Tamiagi** مدينة بوين **Boin**, مدينة بيجي **Pcge**, نهر داسيباري  
**Dasibari**, ثم سلسلة المدن التالية باراكون **Baraciun**, الاسيت **Alasit**  
جالسا **Galsa**, بالال ماكسالا **Balla, Maxalla**, كيزانيا **Cizania**, جبل  
جيرري **Gyri** الذي تدل طبيعته على أنه كانت منه الأحجار الثمينة (1) "

(1) " omnia armis Romanis superata et a Cornelio Balbo triumphata, unius  
omnium curru externo et Quiritum iure donate; quippe Gadibus genito  
civitas Romana cum maiore Balbo patruo data est. et hoc mirum, supra  
dicta oppida ab eo capta auctores nostros prodidisse, ipsum in triumpho  
praeter Cidamum et Garamam omnium aliarum gentium urbiumque  
nomina ac simulacra duxisse, quae iere hoc ordine"  
Tabudium oppidum, Niteris natio, Milgis Gemella oppidum, Bubeium natio  
vel oppidum,  
Enipi natio, Thubcn oppidum, mons nomine Niger, Nitibrum,  
Rapsa oppida, Discera natio, Dccri oppidum, flumen Nathabur,  
Tliapsagum oppidum,  
Tamiagi natio, Boin oppidum, Pcge oppidum, flumen Dasibari

ذكر أيوب أن المدن والقبائل التي ذكرها بليني مثل "تابوديوم وجبل الاسود" هي مدن جرامنتية تقع بالقرب من غدامس، أما الأماكن "نيترون ورابسا وديسكيرا" فنقع في الصحراء بين غدامس ووادي الشاطئ، حيث كانت توجد (ماتلجا ودبريس) ذات العين المشهورة . أما ناتابور فنقع في وادي الشاطئ، وداسيباري تقع في وادي الأجال .. وكذلك يشير أن بالبوس قد سار في طريق رجوعه إلى مدن البحر المتوسط، ويرجع هذا الفرض إن الاسمين الأخيرين وهما ماكساللا وزيزاما يقعان في الشمال فالأولى حسب اعتقاده هي "مسلاته" والثانية هي "وادي زيزامت" جنوب شرق قرزة (2).

وهذا يعني أن بالبوس تقدم بقواته من صيراته Sabratae الي غدامس Cidamum ثم قطع الصحراء إلى وادي الشاطئ، ومن هناك عبر صحراء أوباري وجاء لجرمة و زنكرا موجهة ضربة سريعة للجرامنت (3) و لم يستطع الاستيلاء عليها نظراً لمناعتها، ثم سافر إلي وادي الأجال، ومنه اتجه شرقاً حيث سلك طريق سبها إلي دبذب، ومنه عبر وادي مسعوده الي زيزامت ثم إلي مسلاته، فليدة (4). (الخريطة 2) \*

*mox oppida continua Baraciun, Buluba, Alasit, Galsa, Balla, Maxalla, Cizania ; mons Gyri in quo gemmas nasci titulus praecessit"*  
Plin, Nat. His. V.36

(2) محمد سليمان أيوب، "حملة كورنيليوس بالبوس على فزان سنة 19 ق م"، المؤتمر التاريخي لليبيا في التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الليبية، بنغازي، 1968، ص 215.  
(3) Bates, op, cit, p233. أيوب، (1968)، ص 217، راسم رشدي، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، ط2، (1953) ص 47.

(4) محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 217.

\* محمد سليمان أيوب، المرجع نفسه، ص. 219.

وقد ثار جدال بين الباحثين حول نجاح هذه الحملة إذ يرى البرغوثي أن هذا النجاح كان مؤقت إذ اعتبرنا أن هذه الحملة كانت تهدف للردع فقط. كما تبدو فاشلة إذ اعتبرنا أنها كانت تهدف لإخضاع الجرميين وفتح بلادهم ، لأننا سمعنا عن حملة أخرى قامت بها كتيبة من الفرقة الأوغسطية بعد سنوات قليلة ضد الجرميين سنة 15 ق م(1).



ويرى الأثرم (2) أن هذه الحملة لم تفلح في القضاء على الجرميين ألا أنها أشعرتهم بقوة روما، وإثبات قدرتها الهجومية وقد فرضت عليهم المعاهدات ، وأن هذه الحملة حسب ما وصفها ماتينجلي(3) عبارة عن قوة ضاربة صغيرة وسريعة الحركة نسبياً ، وتتكون من عدد من العربات والفرسان وهي تضرب العدو ضربة سريعة ثم تتقهقر إلى مركزها الأول بسرعة (4).

اتفق كلا من البرغوثي والأثرم مع أيوب(5) في أن هذه الحملة لم يتحقق لها

(1) عبداللطيف البرغوثي، المرجع السابق ، ص 355.

(2) رجب الأثرم، المرجع السابق ، ص244.

(3) Pp114-115 Mattingly, D.J. op,cit ,

(4) محمد سليمان أيوب ، المرجع السابق ، ص208.

(5) توصل أيوب و الأثرم و البرغوثي الي بعض الاستنتاجات و الإشارات التي تؤكد صحة ادعائه في عدم نجاح هذه الحملة ومن هذه الاستنتاجات :

النجاح الكافي فلو كانت ناجحة لما كان هناك داعٍ لحملة أخرى في عهد الإمبراطور فسباسيان عام 70 م . بل لما تمكن الجرميين من أن يزحفوا أساساً إلى المناطق الساحلية شمالاً حتى أسوار مدينة لبة لمساعدة مدينة أويا(1).

شرع الإمبراطور سبتيموس سيفيروس في إقامة نظام دفاعي ثابت يحمي مدن الإقليم. وزيادة الاهتمام بالتخوم الطرابلسية Limes Tripolitanus (2)، بواسطة إنشاء مجموعة من الحصون (Forts) والقصور (Fortified Farmes)، والطرق والممرات الرئيسية المؤدية إلى فزان(3)، فقد أكملها ابنه كراكلا Caracalla (217 م – 211 م) وأتمها الإمبراطور الكسندر سيفيروس Alexander Severus (222-235م) ليضمن لولاياته الأمن والاستقرار.

ويعتمد هذا النظام على سلسلة من التحصينات على الحدود الجنوبية للمدن الرومانية الساحلية، وتتضمن إنشاء وإقامة القلاع والحصون (4) وتمتاز هذه الحصون بأنها أعظم القلاع التي أنشئت في إفريقيا في عهد الأسرة السيفيرية، وبمواقعها الإستراتيجية التي تصل الساحل بالمناطق الداخلية الصحراوية. وكذلك أقام السيفيريين

- إن هذا القائد لم يترك بفزان نصبا يخلد هذا الفتح وهذا الانتصار العظيم كعادة الرومان.
- عدم جود حامية رومانية مستقرة بجرمة .
- عدم تطرق المؤرخ استرابون لهذه الحملة رغم انه عاصرها وعاش خلال أحداث الفترة مما يدل على عدم أهميتها او شهرتها . ايوب ، المرجع السابق ، ص ص 207-209. رجب الأثرم، المرجع السابق ، ص 244، عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق ، ص 355

(1) بدأ النزاع بغارة حدود على المحصولات والمواشي وسرعان ما تطور النزاع لحرب ، فأسرعت أويا بطلب المساعدة من الجرمانيين فقاموا بمحاصرة لبة . ولكن فستوس 69م تدخل فأرسل قوة من المشاة والفرسان لإنقاذ لبة وطرد الجرمانيين إلى الصحراء ، وبعد تسوية النزاع بين لبة وأويا سار فستوس لعرض قوته في فزان كما فعل بالبوس قبل تسعين عام . عن هذا الموضوع طالع هاينز ، المرجع السابق، ص 45.

(2) Goodchild., R.G. & Perkins (1949), The limes Tripolitanu in the light of Recent discoveries. J R S. XXXIX, p81.

(3) شارل اندريه جوليان ، المرجع السابق ، ص 187 ؛ جمعة السيفاو قرصع ، المرجع السابق ، ص 31 .

(4) Geddeda. R. A: (1978) "The defense system in Libya during the I-VI centuries A.D.", A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of, Portland State Universit .p 76

-أبناء وأحفاد سبتيموس سيفيروس- سلسلة من الطرق وسلسلة من المزارع المحصنة (الليمس) لصد هجمات القبائل الليبية . ومن هذه الحصون حصن أبو نجيم (جولايا) على الطريق من لبدو إلى فزان, وحصن (غدامس) على الطريق من صبراتة إلى جرمه, وحصن القرينات الغربية(5). وقد بنى هذه القلاع وحماها فرق من الفرقة الاوغسطية الثالثة إذ يعود زمن إنشاء بونجيم إلي سنة 201م ، وقلعة غدامس إلي زمن حكم كراكلا ، والقرينات إلى زمن حكم الكسندر سيفيروس(6).

### حصن كيداموس (غدامس)

في أقصى الجنوب الغربي يقع الحصن، الذي قد أنشئ لغرض مراقبة تحركات قبائل الجرمنتية ، وصد هجومهم على المدن الساحلية ، والسيطرة على الطرق التجارية بهدف حراستها(7).

فقد عُثِرَ على نقش - في حديقة بمدينة غدامس فيما بين باب الحدائق وزاوية سيدي معايد - يعتقد انه كان معلق على مدخل الحصن العسكري، الذي كان يحمي المدينة. وقد اختلفت المراجع في مؤسس هذا الحصن فبعضهم(1) ينسبه لسبتيموس سيفيروس، والبعض(2) ينسبه إلى ابنه كراكلا . من المحتمل إن يكون كراكلا هو من شيده ، فقد اتبع سياسة والده الرامية إلي الدفاع عن الولايات الرومانية بإقامة تحصينات عسكرية ، فشرع في تشييد هذا الحصن ، وربما لم يكمله بسبب انشغاله بالغارات القبلية المستمرة على الإقليم ، لذا أكمله الكسندر سيفيروس !.

تم العثور على نقش(3) يرجع تاريخه إلي الامبراطور الكسندر سيفيروس ،

(5) مبروكة سعيد الفاخري (2015): المملكة الجرمنية في فزان " منذ القرن الخامس ق م حتى 6 م، مجلة جامعة سبها العلوم الانسانية مج 14 (العدد الثاني ) ، سبها . ص 114.

(6) هاينز ، المرجع السابق ، ص 47.

(7) Elmayer, A. F.,(1997), Tripolitania and The Roman Empire ,.Markaz Jihad Al Libyan – studies center . Tripoli ,p124.

(1) مصطفى كمال عبدالعليم ،(1966) دراسات في تاريخ ليبيا القديم ،بنغازي، المطبعة الأهلية. ص 93

(2) هاينز ، المرجع السابق ، ص 47.

(3) IRT, 908 ., Corp. Inscr. Lat., VIII, 1, 10.990

ووالدته جوليا ماميا Iulia e Mamaeae (4) الذي تمت في عصره إجراء أعمال صيانة وترميم للحصن .

Imp (eratori ) Caes(ari) Marco Aurelo Seuero  
Alexandro Pio Felici Augustoet Iulia e Mamaeae  
Augustae matri

Augusti c t castrorum sub FA...

{.....} legato Augusti pro praetor clarissimo uiro uexilla  
tio legionis III Augustae piae .....

يذكر نقش آخر (5) تمركز كتيبة من الفرقة الاوغسطية الثالثة في (الحصن  
( تحت قيادة كنتوريون (6) ماركوس اوريليوس ايانوريوس .

Nae Aug(ustae)

Sacrum

M(arcus) Aurelius Ianu-  
arius (centurio )

Leg (ionis) III Aug(ustae)

P(iae) u (indicis)

S(oluit )I(ibens) a(nimo)

كما يوضح النقش التالي (7) أن واحة غدامس احتلت من قبل كتيبة من الفرقة

(4) Geddeda. Ramadan A: op.cit , p 34

J.. Reynolds., (1958) Three inscriptions from in Trripolitania . PBSR, (5)  
Vol 26, p135. PL.XXV b

(6) كنتوريون (قائد المائة).

IRT. 907 (7)

الأوغسطية الثالثة ، والتي

كان يقودها البرابيتور<sup>(8)</sup> Valerius Senecia

يقرأ النقش على النحو التالي:

[(PRAE)] TENDENT [(ES)]

[[{CY)}] DAMIS UOTU [{M SOL {UERUNT}}]

LI ]B ENTES ) . SUB- VAL [{ERIO)}] [{LI)}] {ENTES

[(SENE)}] CIONE {LEG (ATO) AUG (UST!)}]

[(PR{O)}] PR {AETORE) (CLARISSIMO) [{U (I

RO))

لقد وضحت النقوش سألقة الذكر المراحل الرئيسية من تاريخ واحة غدامس في العصور الكلاسيكية القديمة ، حيث حياة الثكنات العسكرية الرومانية التي تأسست في أوائل القرن الثالث الميلادي والمؤلفة من الفرقة الأوغسطية الثالثة . بالرغم من إن هناك اتصالات كانت بين الرومان والواحة في القرن الثاني قبل إنشاء الحصن والحامية ، فهناك كميات هائلة من الأواني الفخارية تم العثور عليها من منطقة واسعة من الواحة والواحات الأصغر على طول الطريق من الساحل في سيناون وشعواء وتقلفلت وماترس تدل على صلات رومانية أقدم معها (1) . كما ذكر البعض التأثير الثقافي للرومان على غدامس ، فقد استخدم السكان المحليين الأرقام<sup>(2)</sup> والحروف الأبجدية اللاتينية إلى جانب لغتهم الأصلية ، فتركوا

(8) البرابيتور. ( Praetor ) كبير القضاة او المستشار . يرجع السبب في نشأته عام 366-367 ق م إلى زيادة اعباء الدولة في كافة المجالات في العهد الجمهوري - على القنصلين - و ارادوا بانشائه تقليص اختصاصات منصب القنصلية وخاصة في الجانب القضائي ولاسباب اخرى . عن هذا الموضوع طالع : امال الروبي ، "مناصب الحكم في روما في العصر الجمهوري" ، مجلة مركز الدراسات البريدية ، مج 4 ، جامعة عين شمس ، مركز الدراسات البريدية ، القاهرة ، 1987 ، ص 76 -82.

(1) , (2005) , P154 Mattingly,D.J. ,

(2) إن الغدامسيين كانوا يستعملن أرقاما خاصة في معاملاتهم التجارية وحساباتهم وهي جميعا شبيهة بالأرقام الرومانية . بشير قاسم يوشع ، مدينة غدامس عبر العصور ، المرجع السابق ، ص 41

لنا نقوشاً جنانزية لاتينية ، ولكن بلغتهم الخاصة بعد انسحاب الثكنات (3) .  
 لم يتبق إلا القليل في غدامس مما يمكن ان يكون له صلة بالقلعة الرومانية  
 التي بنيت من قبل وحدة عسكرية بإمرة كنتوريون Centurion - كما مر بنا -  
 . حيث أن المكان ، وحجم القلعة العسكرية في غدامس لم يتم إثباتهما للآن . فلا  
 يمكن استبعاد الاحتمال بأنها لم تكن قلعة مكتملة . فقائد المائة يمكن ان يقود قلعة  
 صغيرة . يمكن الافتراض بان فترة إشغال تلك القلعة كانت بين (201 و238 م)  
 . (4)

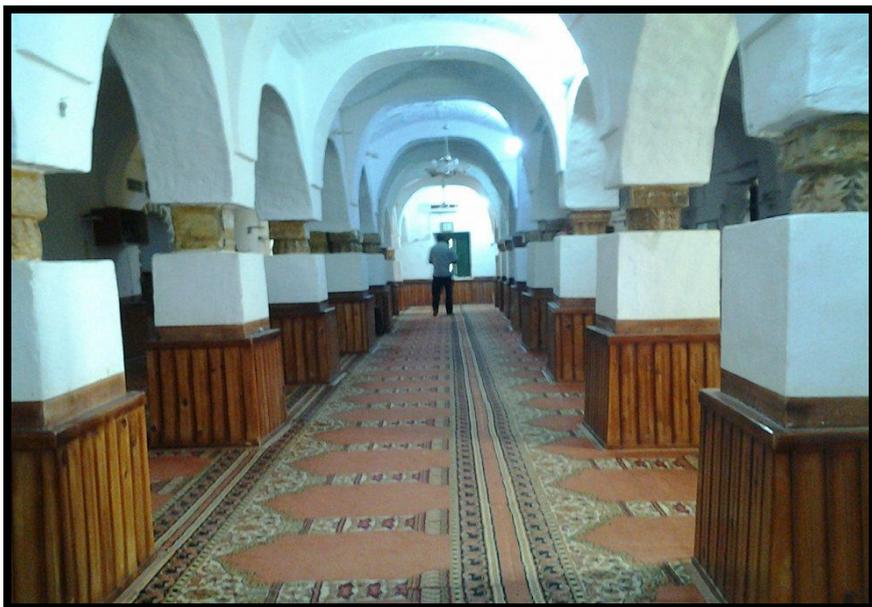
يذكر ماتنجلي أن برجاً مربعاً في الزاوية الشمالية الغربية من سور البلدة مبنياً بالحجارة  
 الصغيرة مع بعض المداميك من الأجر، وكذلك كان يوجد برج آخر منهار ، كما  
 وجدت فيه أعمدة وتيجان رومانية وبيزنطية أعيد استخدامها في المدينة القديمة وفي  
 المسجد(5). (أنظر الصورة 3).



J.M. Reynolds. (1958) p.cit, p136..PL.XXV a<sup>(3)</sup>

P154 Mattingly, D.J. , (2005) ,<sup>(4)</sup>

Idem, p154<sup>(5)</sup>



(الصورة 3) أعمدة وتيجان أعيد استخدامها في البناء

يذكر ماتنجلي أنه وجد بعض الأدوات ،والسلع الرومانية الفاخرة ، فوق جزء واسع

من الواحة قرب المقبرة الكبيرة ، و قد أجرى مسحا لنصب المدافن المعروفة باسم (الأصنام)، والبرج دائري المبهم على مقربة منها (1).

### التركيبة الاجتماعية والسياسية لسكان كيداموس (سيدامس):

يعد سكان كيداموس (Cydamus) من قبائل فزانيا (Phazania) وهي ثلاث قبائل : أليي (Alele) و سيللابه (Cilliba) و كيدامنسي (Cidamensi)، كما يشير بروكوبيوس القيصري في مؤلفه (عمائر جستنيان) إلى وجود قبيلة الباكاتي (Pacati) أو البكواتيس (Baquates) في اللسان اللاتيني في كيداموس ، و يواصل بروكوبيوس حديثه عن الباكاتي بقوله : " كانوا متسالمين مع الرومان منذ زمن ، كما ربطت بينهم و بين الرومان العديد من معاهدات السلام (1) .

يعتمد النظام السياسي في غدامس على النظام القبلي ، و قد كانت غدامس مركزاً حضارياً مزدهراً من أقدم العصور ، احتلتها قرطاجة في عام 795 ق .م ، حيث اعتمدت كمركز حضاري من قبل الفينيقيين على الرغم من أنهم لم يؤسسوا مستوطنات في منطقة ما دون الصحراء ، و ذلك لحرصهم على البقاء في الساحل حيث التجارة البحرية ، كما أن طريق كيداموس كان تمثل لقرطاجة أهم و أقصر الطرق الرابطة بين مدينة لبدة الكبرى (Lepcis Magna ) و مدينة صبراتة (Sabratha) وجنوب الصحراء (2) غير أن مظاهر من الحضارة الفينيقية انتقلت إلى المنطقة من خلال التجار ، كما مارس الكيدامنسي الرعي لمسافات شاسعة ، و سيطروا على واحات و آبار مهمة موجودة في المنطقة خلال العصر الفينيقي (3).

(1) ، (2005) ، P154 Mattingly, D.J.

(1) علي فهمي خشيم ، نصوص ليبية ، نصوص من بروكوبيوس القيصري ، دار مكتبة الفكر ، (د.ت) ، ص 136

(2) ب.هـ ، وارمنجتون ، (العصر القرطاجي) ، تاريخ أفريقيا العام ، مج 2 ، إشراف : جمال مختاري ، مطابع مطابع كاتالي تورنتو ، إيطاليا ، 1985 ، ص 458 ؛ البرغوثي ، عبد اللطيف محمود ، التاريخ الليبي لبقديم ، دار صادر ، بيروت ، 1971م ، ص 311 .

(3) عبد الحفيظ فضيل الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، 2001م ،

و يبدو أن العبادة الوثنية المتمثلة في الآلهة هي التي كانت منتشرة في كيداموس خلال العصر الروماني ، و الدليل على ذلك وجود نقوش الدفن الوثنية على شواهد القبور ، وفي عهد الامبراطور جستينيان(Justinian) دخلت المسيحية إلى كيداموس بعد أن أصبحت الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية ، كما أن سياسة الإمبراطورية في هذه المرحلة كانت تتجه إلى تنصير العناصر المحلية بالقوة (1) و يبدو أن الوثنية ظلت منتشرة في كيداموس حتى بعد محاولة الإمبراطورية الرومانية فرض المسيحية ، و ذلك ما يتضح من خلال الرسائل المتبادلة بين كل من القديس أوغسطين(Augustinus) (354-430م) و بوبليكولا (Poplicola) حيث يعبر الأخير في رسائله عن قلقه البالغ من تشغيل الكيدامنسي في ممتلكاته كراعة أو حراس محاصيل أو حصّادين أو ناقلي بضائع ، و أنه سمح لهم بذلك بعد ما أقسموا بأيمانهم بالوثنية أمام قائد العشرة (Decurion) -و هو الضابط المسؤول عن حرس الحدود الذي قام بتزويدهم برسالة تسمح لهم بالمرور- ، و في إشارة إلى تمسك الكيدامنسي بعقيدتهم يرد عليه أوغسطين قائلاً " إن الخطيئة تكون أكبر عندما يقسم المرء بالإله الحق قسماً كاذباً - و هو يشير هنا إلى السيد المسيح - بينما يقسم البربري - إشارة إلى العنصر المحلي - بالآلهة المزيفة صادقاً " (2).

### سياسة روما في كيداموس تجاه العناصر الليبية المحلية .

تعد قبيلة الباكاتي أو البكواتيس كما ترد في النصوص الكلاسيكية أحد المكونات القبلية لمدينة كيداموس و يشير بروكوبيوس بأنهم كانوا متسلمين مع الرومان من خلال توقيع معاهدات السلام كما سبقت الإشارة ، وإن لم نستطع الوقوف على هذه المعاهدات في المدينة إلا أنه في مورتانيا الطنجية عثر على بعض من المعاهدات التي كانت بين الأباطرة الرومان و زعماء هذه القبيلة و هي على النحو التالي :

(1) ر.ج جودتشايد ،دراسات ليبية ، ترجمة : عبد الحفيظ الميار ، أحمد اليازوري ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، 1999م ، ص 107 .

(2) - Mattingly ,D .J ., op cit , p : 186.

## 1 - المعاهدة الأولى .

Pro Salute imperatoris Caesaris Marci Aureli(i) Antonini " Aug(usti) Armeniaci Medici Parthici Germanici max(imi) Epidius Quadratus proc(urator) eius conlocut(us) cum (11) . "

ترجمة النص : " السلام على الامبراطور قيصر ماركوس اوريليوس انطونيوس أغسطس الأرمني ، الميدي ، الباراثي الجرمانى العظيم ، بعد أن تحادث البروكوراتور أبيدوس كوادراتوس مع أوكميت زعيم قبائل البكواتيس " (22) .

يبدو من خلال ما ورد أعلاه أن النقش كان عبارة عن معاهدة سلام وقعت بين الإمبراطور ماركوس أوريليوس (161 - 180م) و شيخ قبيلة البكواتيس المدعو أوكميت (Ucmetio) من خلال حاكم ولاية موريتانيا الطنجية أبيدوس كوادراتوس (Epidius Quadratus) ، و يرجح أن تاريخ هذه المعاهدة يرجع إلى الفترة ما بين عامي (173 - 175 م) .

## 2 - المعاهدة الثانية .

Genio impratoris Lucii Commodi Lucii Aurelii Commodi " Augusti Sarmatici Germanici Principis Juventutis Decimus Veturius Macrinus procurator Augusti conlocutus cum Canartha princcipe constituto genti Baquatium ante diem tertium Idus Octobers .praesente iterum et Condiano co (n) (s(ulibus) " (33) .

ترجمة النص : " إلى عبقرية الإمبراطور لوكيوس أوريليوس كمودوس أغسطس

1 ) - Racht .M., Rome et les Berberes Un Probleme Militaire d'uguste diocliton coll latomus , London , 1970 , 204 ..

2) – Galand . L ., Moroccan History , London , 1966 , p: 55.

3 ) - Racht .M., op. cit , p 211.

السرمانى الجرمانى بعد أن عقد ديكيموس فيتوريوس ماكرينوس بروكوراتور أغسطس محادثات السلام مع كنارتا زعيم قبيلة البكواتيس ، رفعت هذه المعاهدة في اليوم الثالث من شهر أكتوبر " . و يشير هذا النص إلى معاهدة سلام بين الامبراطور الرومانى لوكيوس أوريليوس كومودوس(180) (Commodus - 192م) مع شيخ قبيلة البكواتيس الجديد المدعو كنارتا (Canartha) من خلال البروكوراتور ديكيموس فيتوريوس ماكرينوس ، و ذلك في الثالث من شهر أكتوبر سنة 180م (41) ، ولعل أهم المعطيات التي يقدمها النص أنه تم تنصيب شيخ جديد لقبيلة البكواتيس ، وأن هذا الأخير سار على نفس النهج السلمى الذي اتبعه الشيخ أوكميت من قبله ، وتوقيع معاهدة سلام مع السلطات الرومانية في ذلك الوقت ، أي بعد مرور خمس سنوات من توقيع معاهدة السلام الأولى .

### 3 - المعاهدة الثالثة .

Genio Imperatorum duorum Lucii Septimi Severi pii " pertinacis Marci Aurelii Antonini et Publii Septimii Getae Caesaris, Augustorum duorum , Caius Sertorius , procurator eorum conlocutus cum Illasene , principe gentis Baquatium m pridie nonas martias , Victorino et "proculo consulibus" (52).

ترجمة النص : " إلى عقرية الأباطرة لوسيوس سيبتيموس سيفيروس المقدم ، و ماركوس أوريليوس انطونينوس ، وبوبليوس بتييموس جيتا القياصرة و الأغسطسيين ، بعد أن تحادث البروكوراتور كايوس سيرطوريوس كاتيانوس مع أليانس زعيم قبيلة البكواتيس ابن أوريتي زعيم قبيلة البكواتيس (عقدا) معاهدة عدم التدخل في

4 . Desauges , J., Catalogue de trebus Africaines , Paris , 1970 , p:36 ) -

5 . Rachtet .M., op. cit , p 213. ) -

شؤون بعضهما و ذلك في التاسع من شهر مارس " ( 11 ) .

من خلال ما ورد يتضح أن هذه المعاهدة وقعت بين كل من الامبراطور سيبتيموس سيفيروس (193) (Septimus Severus - 211م) و شيخ قبيلة البكواتيس ألياسن (Ililasene) و ذلك في التاسع من شهر مارس سنة 200م تقضي بعدم تدخل الطرفين الروماني و البكواتي في شؤون بعضهما البعض . و بما أن المنطقة كانت تعيش ذات الظروف السياسية فيبدو أن إشارة بروكوبيوس لمعاهدات السلام بين هذه القبيلة المتواجدة في جنوب منطقة المغرب القديم و بين الإمبراطورية الرومانية تشمل البكواتيس القاطنين في مدينة كيداموس .

يشير ماتنجلي بأن الطراز المعماري في كيداموس كان يغلب عليه الطراز المحلي في العمارة ، و يشير في ذلك إلى مقبرة قديمة في المدينة تقع على بعد حوالي 2 كيلوا متر غرب واحة كيداموس تحتوي على أضرحة و شواهد قبور بنيت على الطراز المحلي (سيأتي ذكرها)، بالإضافة إلى العديد من المباني المشيدة بالحجارة المنحوتة على النمط المحلي ، و يبدو أن الرومان سمحوا بوجود مثل هذه المظاهر ذات الصبغة المحلية بناءً على معاهدات السلام المبرمة مع البكواتي ؛ لضمان استقرار الأوضاع بالمنطقة ، كما يشير ماتنجلي في ذات الصدد إلى كميات كبيرة من الأدوات الرومانية الأنيقة ، بالإضافة إلى العديد من اللقى الفخارية المصقولة و الرائعة المستخدمة في المدينة (22).

#### ( تسمودين ) معالم منطقة المعابد :

وتقع هذه الأصنام على الهضاب إلى الغرب من الواحة وهي أعمدة لا شكل لها من انقاض مباني ومنها حطام لاثنين لا يزالان مرتفعين بعض الشيء . وفي هذا الصدد يخبرنا القاسم بشير يوشع(2) أنها في الأصل كانت أكثر من تسعة أصنام ، أما اليوم فلم

1 - Desauges , J., op cit , p:37 .

2 - Mattingly ,D .J ., op cit , p :75 .

(2) يوشع أحد أبناء المدينة في مقابلة شخصية بتاريخ 2018-7-23.

يبقى منها سوى اثنين ( الصورة 4 )

ويبدو أنها مبنية بالأحجار والجبس فعند التحقق منها عن قرب نرى أنهما بقايا قبرين كبيرين كانا في السابق مغطيين بحجر مزين.. ومن المحتمل إنهما كانا محاطين برواق أعمدة شبيهة بأعمدة قرزة. وربما ترجع لنفس الفترة الزمنية\* .

كما أنها تنتمي إلى المقبرة الكبيرة التي تمتد فوق الهضبة ، ويبدو أن المقبرة بدأت تستعمل في القرن الثاني الميلادي، والأضرحة الكبيرة في الهضبة ترجع إلى القرن الثالث أو الرابع الميلادي (3) .

يعتقد البعض (4) أنها نصب خاصة بالدفن ، ذات تأثير محلي . وأن التيجان والأعمدة الموجودة في كل مكان في واحة غدامس هي منقولة من الأضرحة .  
تم العثور على عدد كبير من الجماجم تبلغ (150 جمجمة ) (5) ، وهياكل بشرية. ويبدو أن المقبرة بدأت تستعمل للدفن في العصر الروماني خلال القرن الثاني الميلادي.



صورة 4 ( تسمودين ) المعابد

\* توجد في قرزة مجموعتين من القبور التذكارية أولها القبور بشكل مسلات مثل تلك التي عثر عليها في مسلاطين ووادي نفذ في إقليم طرابلس ، والنوع الثاني قبور المعبد التي تعد نادرة مثل قصر بنات واصنام غدامس .. للمزيد انظر: فيليب كنريك ، المرجع السابق ، ص 189-190.

(3) فيليب كنريك ، المرجع السابق ، ص 85، ريبوفا ، " حفريات أبونجيم، 1972م " ، (ت/ محمود عبدالعزيز) ليبيا القديمة ، مج 14، 13، 77-78 ص 22.

(4) Goodchild., R.G\_ (1954), Oasis forts of legio III Augusta on the Routes to the Fezzan" PBSR , XXII, p22.

(5) بشير قاسم يوشع ، غدامس ملامح وصور ، المرجع السابق ، ص 18.

تم العثور على لوح حجري منقوش عليه بالحروف اللاتينية كلمة (ماريا) ، كما وجد أيضا قرط ذهبي(1) ، ومجموعة من الفخار روماني في كل أرجاء الواحة ، وهو دليل على أن هذه الواحة كانت مزدهرة في العصور القديمة ففي متحف غدامس (القلعة التركية الايطالية) يمكن رؤية نقش مكتوب على كتلة حجرية مستطيلة الشكل من الحجر الرملي ، وقد احتوت على ستة سطور، منقوشة باللغة اللاتينية . وهي عبارة عن نقش جنائزي (الصورة 5) . حيث احتوى السطر الأول على كلمتين DIS MANIBVS والتي تعني إلى (أرواح الموتى) (2) احتوى السطر الرابع من النقش على العمر بالسنوات ويبدو أن عمره 35 عاما ANNIS XXXV ومن المؤكد أن تأريخ هذا النقش بعد القرن الأول الميلادي لأن كلمة السنوات ANNIS قد شاع استخدامها خلال النصف الأول من القرن الأول الميلادي.

DIS MANIBVS MEMORIAM. MONIMENIVM  
MACAROVM MARIV ARA VIX ANNIS XXXV EIEF  
ICAVIEV ARIVARIVARAS III QS  
VODESVM IIBVS SVIS



(صورة 5 ) النقش الجنائزي

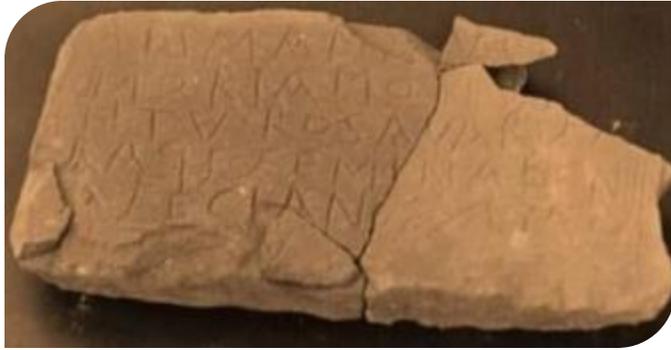
(1) بشير قاسم يوشع، (2002)، غدامس ملامح وصور ، مطبعة الفاتح، مصراته، ص18

(2) English Latin Dictionary, DIS-DITIS,p123.

كذلك يوجد بالمتحف بعض العتبات المقوسة ، والأعمدة والتيجان ، و أفاريز منحوتة  
و من المرجح إنها نقلت أيضا من القبور(1).

وفي نقش آخر شبيهه بالسابق \* عثر عليه في أحد المتاحف الإيطالية وقد نقل من  
غدامس من موقع تسمودين اثناء الاستعمار الإيطالي  
ترجمته.. (إلى الالهة تحت . في ذكرى انا روزاويرا ريج المرأة الطيبة صنعت هذا  
الشاهد ، عندما أكملت أربعين عاما وشهر وخمسة أيام ).

DIS MANIBVS ME MORIA. MONIMENTVM  
ROSAURARAGE FAMINA BON A FECI AN NOS XL M  
ENSES I D IES V



تقدم ( لوحة السيدة على كرسي ) (2) (الصورة 6) رسم جميل لرجل أو امرأة  
ليبية من غدامس رجع إن يكون أصلها من تلك المدافن. فربما تعود لأواخر الدولة  
الحديثة في مصر(3). وتبدو اللوحة أن الملكة في حالة تعبد ، وخلفها وصيفتها. وذلك

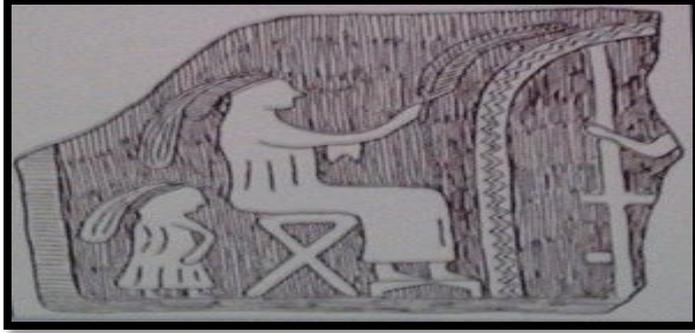
(1) فيليب كنريك ، المرجع السابق ، ص85.

\* منشور في صفحة الفيس للأستاذ عبدالجبار الصغير تم نشره 2-فبراير 2019-

(2) P128,n 133 O.Bates,( 1970), The Easter Libyans, London,

(3) رجب الأثرم ، (2003)، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات جامعة بنغازي ، بنغازي، ص87.

من خلال رسم أصغر للوصيفة ، كما يؤكد الجلوس على الكرسي ووضع الأقدام على مسند للأقدام، المستوى العالي من التحضر .  
ونلاحظ من اللوحة أن المدينة تمتعت بمستوى حضاري عالي، وباستقرار، وذلك من خلال وجود سعة النخيل بيد المتعبدة . كما أن شكل وزخرفة القوس الظاهر امامها يعبر عن مهارة الاسلوب المتبع في تلك الفترة .



الصورة 6 لوحة السيدة على كرسي

#### قصر مجدول :

يقع قصر مجدول على السور الغربي لمدينة غدامس، ويعتقد أنه روماني الأصل ، وربما يكون أحد الأبراج الرئيسية للحصن الروماني، وأن الإمبراطور كراكلا هو من قام ببنائه- كما أسلفنا- لتأمين هجمات الجرمنيين على مستعمرات الرومان(1).

يتكون من ثلاثة طوابق، وبرج دائري الشكل، ذو باب خفي، وربما استعمل للمراقبة(2) ، وآثار إشعال النار فيه(3) ، حفر أمام مدخله بئر عميق، يقال أنهم

(1) عبدالجبار الصغير ، ( 2018 ) كتيب تعريف ببلدية غدامس وأهم المعالم التاريخية بها ، المجلس البلدي غدامس ، ص10

(2) عبدالجبار الصغير ، المرجع نفسه ، ص10

(3) ابوبكر جمعة الغاير ، ( 2012 ) ، النظم الدفاعية في عهد الأسرة السيفيرية ، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس ، ص 101.

يغطونه بالنهار، ويفتحونه ليلا احتراسا من العدو ، الذي قد يهاجمهم بغته "ليجد البئر فاغرا فاه ليبتلعه" على حد قول يوشع(4) " و لا زالت بقاياها موجودة في الجهة الجنوبية الغربية من غدامس القديمة (الصورة 7 ).



(الصورة 7) قصر مجدول

#### قصر الغول(1) :

في منطقة الناعة تنحرف إلى الشمال الغربي ،لنصل بعد حوالي سبعة كيلومتر إلى جبل الصحابة(2) ، وهو عبارة عن بقايا قصر قديم على شكل دائري ، يسمى حاليا رأس الغول .يصل ارتفاعه تقريبا إلى مائة متر ، ، به أثر بنيان ، وبئر عميق، وبجانبه حوض بني بالحجر والجبس كان يملأ من تلك البئر، يشاع أنه أحر مكان فتحه المسلمون بغدامس بعد حصار طويل(3) .

يقع قصر الغول على تلة مرتفعة ، تتكون من عدة مناسيب، ومطلّة على

(4) بشير قاسم يوشع ،( 2002 ) ، المرجع السابق ، ص32  
(1) سمي هذا القصر بعدة أسماء منها الغول نسبة لمقتل قائد المشركين الذي كان يلقب بالغول. و سمي بقصر جبل الصحابة نسبة لانتصار الصحابة المسلمين على المشركين في هذا القصر في أخر معركة لفتح غدامس سنة 42هـ، وسمي أيضا بقصر جبل الجاهلية  
(2) بشير قاسم يوشع ،(2011)، مدينة غدامس عبر العصور ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس ، ص 83.

(3) عبد الجبار الصغير ، المرجع السابق ، ص10

سهل به مفترق طرق "وحكيت حوله الكثير من الأساطير، حيث تروى الأسطورة أن القلعة حوصرت، ومنع المتحصنين بها من استعمال البئر -الذي يشرب منه المتحصنين داخل القلعة- بالوصول إلي عنقه ، حيث قاموا بالحفر الأفقي أو أنهم اهدتوا إلى نفق يوصل إلي البئر ومنعوه من الوصول إليه عن طريق قطع أي دلو ينزل لغرف الماء مما اضطرت الحامية إلى التسليم" (4).

كما يوجد مقبرة بالقرب من القصر يطلق عليها أهل غدامس بمقبرة الشهداء وعند زيارتنا لهذه المقبرة، وجدنا اعتداء وعبث حصل على بعض المقابر هناك (الصورة 8).



#### (الصورة 8) مقابر الشهداء

يخبرنا يوشع (1) أن القصر قد يعود إلى فترة ما قبل العصر الروماني ، في حين يعتقد عمورة (2). أن قصر الغول ( الصورة 9) هو (القلعة الرومانية) و موقعها يتشابه كثيرا

(4) بشير قاسم يوشع ، ( 2011 ) ، المرجع السابق ، ص83

(1) بشير قاسم يوشع ،(2011)، المرجع السابق ، ص 83.

(2) علي الميلودي عمورة ، القلاع والحصون والقصور والمحارس على التراب الليبي ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس 2005. ص ص 110-111

مع قلعة القريات الغربية. لذا، فربما تكون قلعة رومانية. ولكن في الواقع لم يُعثر حتى الآن على ما يؤيد ذلك تأييدا قاطعا. ولم تجرى حفريات جادة تؤكد أو تنفي هذا الاعتقاد



الصورة 9 قصر الغول

وختاما فقد أسفرت هذه الدراسة عن عدة نتائج وتوصيات علمية ، ومن هذه  
النتائج:

- إن الغرض الرومان من وراء إنشاء مجموعة من الطرق بإقليم طرابلس لإحكام السيطرة على المناطق الداخلية
- إن القائد بالبوس لم يترك بفران نصبا يخلد هذه الحملة وهذا الانتصار العظيم كعادة الرومان.
- إن المعالم الأثرية التي تعود للعصر الروماني تحتاج إلى بحث وتنقيب مستمرين لمعرفة الغموض الذي يكتنفها .

التوصيات:

- ضرورة الاهتمام بالمعالم الأثرية في مدينة غدامس و صيانتها .

- توفير الحراسة اللازمة للمواقع الأثرية النائية ، وحمايتها من السطو والتخريب المتعمد .
- تشجيع الباحثين والبعثات العلمية على دراسة المعالم الأثرية ، لأنها مازالت تحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة التي يمكن من خلالها الوصول إلى العديد من النتائج العلمية التي تتعلق بتاريخ المنطقة

#### المصادر والمراجع :

أولاً: النقوش والمصادر

Corpus Inscriptionum Latinarum CI L

Rome, 1952 ( I R T ) ,Inscriptions of Roman Tripolitania

Pliny, Natural History, Translated by H. Rackham,

Harvard University Press, London.

Ptolemy, Geography, Translated by F.E. Robbins,

Harvard University Press, London.

Procopius, De Aedificiis.

#### ثانياً: المراجع والدوريات العربية :

1. ابوبكر جمعة الغاير، (2012)، النظم الدفاعية في عهد الأسرة السيفيرية ، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية ،طرابلس ، ص 101.

2. احمد انديشة، (2014) موقف القبائل الليبية من الاحتلال الأجنبي ، مقالات في التاريخ القديم ، 14 يونيو، 2014.
3. امال الروبي، (1987)، "مناصب الحكم في روما في العصر الجمهوري" ، مجلة مركز الدراسات البردية ، مج 4، جامعة عين شمس ، مركز الدراسات البردية ، القاهرة ، ص ص 76 -82.
4. بشير قاسم يوشع ، (2002)، غدامس ملامح وصور ، مطبعة الفاتح، مصراته .
5. بشير قاسم يوشع ،(2011)، مدينة غدامس عبر العصور ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس .
6. جودتشايلد ، ر.ج ، ( 1999)، دراسات ليبية ، ترجمة : عبد الحفيظ الميار ، أحمد اليازوري ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس .
7. راسم رشدي،(1953)، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر ، ط2. طرابلس.
8. رجب الأثرم،(2003) محاضرات في تاريخ ليبيا القديم ، بنغازي، منشورات جامعة بنغازي .
9. ريبوفا ، " حفريات أبونجيم، 1972م " ،(ت/ محمود عبدالعزيز)، ليبيا القديمة ، مج 14، 13-77 م .
10. الصديق الطيب البخاري،(2010)، غدامس " عديمس " الجوهرة الفريدة ، طرابلس .
11. عبدالجبار الصغير،(2018) كتيب تعريف ببلدية غدامس وأهم المعالم التاريخية بها ، المجلس البلدي غدامس
12. عبد الحفيظ فضيل الميار، (2001 م ) ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس.

13. عبد اللطيف محمود البرغوثي، (1971م) ،التاريخ الليبي القديم ، دار صادر ، بيروت .
14. علي الميلودي عمورة،(2005). ، القلاع والحصون والقصور والمحارس على التراب الليبي ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس .
15. علي فهمي خشيم ، (د.ت) ، نصوص ليبية ، نصوص من بروكيوس القيصري ، دار مكتبة الفكر.طرابلس
16. فيليب كنريك (2015)، دليل المواقع الاثرية في ليبيا، "إقليم المدن الثلاث" ، جمعية الدراسات الليبية ، تونس
17. مبروكة سعيد الفاخري (2013):العلاقات السياسية بين المملكة الجرمية في الجنوب الليبي والمدن الرومانية على الساحل الليبي (منذ القرن الاول قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي)،مجلة جامعة سبها العلوم الانسانية( العدد الثاني ) ، سبها . ص ص 113-132.
18. مبروكة سعيد الفاخري (2015): المملكة الجرمية في فزان " منذ القرن الخامس ق م حتى 6 م، مجلة جامعة سبها العلوم الانسانية مج 14 ( العدد الثاني ) ، سبها . ص ص 111-131.
19. محمد سليمان أيوب،(1968) : حملة كورنيلليوس بالبوس على فزان سنة 19 ق م ، المؤتمر التاريخي ليبيا في التاريخ ، كلية الآداب ، الجامعة الليبية ، بنغازي .
20. مصطفى كمال عبدالعليم،(1966) دراسات في تاريخ ليبيا القديم ،بنغازي، المطبعة الأهلية .
21. هانيز. د.ا، ( 1965 )، منطقة طرابلس لما قبل العصر الاسلامي ، دار الفرجاني ، طرابلس .

22. وارمنجتون ، ب.هـ، (1985) ، "العصر القرطاجي" ، تاريخ أفريقيا العام ،  
مج2 ، إشراف : جمال مختاري ، مطابع مطابع كنانالي تورنتو ، إيطاليا .

### ثالثا: المراجع والدوريات الاجنبية :

1. Bates. O., (1970) ,The Easter Libyans, London, , .
2. Desauges , J. (1970), Catalogue de trebus Africaines .2  
, Paris.
3. Elmayer, A. F.,(1997), Tripolitania and The Roman  
Empire ,.Markaz Jihad Al Libyan – studies center . Tripoli.
4. Geddeda. R. A: (1978) "The defense system in Libya  
during the I-VI centuries A.D.",A thesis submitted in partial  
fulfillment of the requirements for the degree of, Portland  
State Universit .
5. Goodchild., R.G.&Perkins (1949), The limes Tripolitanu  
in the light of Recent discoveries .J R S. XXXIX, pp81-95.
6. Goodchild., R.G ,(1954), Oasis forts of legio III  
Augusta on the Routes to the Fezzan" PBSR , XXII, p56-  
68.
7. Galand . L. ( 1966 .), Moroccan History , London , .
8. R. C., (1967), The Garamantes and Trans- Law.  
Saharan Enterprise in Classical Times, Source, J. Afri. His,  
Vol. 8, No. 2 Published by: Cambridge University Press.

Mattingly, D.J. (2005) *Tripolitania*, B.T, Batsford Limited. .9  
London

Reynolds J.M., (1958) , Three inscriptions from in .10  
*Tripolitania* ., PBSR, Vol 26, p136..PL.XXV a

Rachet .M., (1970 ), *Rome et les Berberes Un* .11  
*Probleme Militaire d'uguste diocliton coll latomus* ,  
London.

## غدامس (لؤلؤة صحراء ليبيا)

### في عيون الرحالة المسلمين

د. نجية محمد خليفة ميلاد

قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة الزيتونة

#### الملخص:

عُرفت مدينة غدامس بأنها أقدم المدن الليبية بل من أوائل المدن في العالم الأهلة بالسكان, حيث أن أقرب التواريخ المدونة عنها تعود إلي آلاف السنوات قبل الميلاد، بينما يعود تاريخها المدون إلي العصر الروماني، كما وجدت نقوش تدل علي وجود حياة في هذه المنطقة منذ عشرة آلاف سنة، وقد احتلها القرطاجيون عام 795 ق. م ثم الرومان عام 19 ق.م، وافتتحها العرب المسلمين بقيادة عقبه بن نافع الفهري عام 42 هجرياً. فقد وُصفت قصورها بأنها ذات سحر وفن، ونقطة وصل بين الشمال والجنوب، وبنائها عليه أثر عجيب، وتكمن أهمية هذا البحث في أبرز أهم ما ذكره المؤرخون والرحالة خاصة المسلمين منهم عن تاريخ مدينة غدامس ونشاطها الاقتصادي والاجتماعي والعلمي. وكان من أهم نتائجه أن الرحالة الذين زاروا مدينة غدامس قد أعطوا لها دوراً مهماً بسبب موقعها الجغرافي، وعلاقة الترابط بينها وبين مدن الشمال ووسط الصحراء الكبرى.

#### Summary:

Ghadames was known as the oldest Libyan city, but rather one of the first inhabited cities in the world. The earliest recorded dates date back to thousands of years BC, while the recorded history dates back to the Roman era. Inscriptions were also found indicating the existence

of life in this region ten thousand years ago, and it was occupied by the Carthaginians in 795 BC. AD, then the Romans in 19 BC, and it was opened by the Muslim Arabs under the leadership of Uqbah bin Nafi in 42 AH. Its palaces have been described as having charm and art, and a point of connection between the north and the south, and its structure on it has an amazing effect. The importance of this research lies in highlighting the most important what historians and travelers, especially Muslims among them, mentioned about the history of Ghadames and its economic, social and scientific activity. One of its most important results was that the travelers who visited of Ghadames gave it an important role because of its geographical location and the relationship between it and the cities of the north and central Sahara.

### المقدمة:

اشتهرت بتسمياتها المتعددة عروس الصحراء . لؤلؤة الصحراء، زنبقة الصحراء، بوابة الصحراء.

كانت غدامس بمثابة بوابة الصحراء والسوق الأهم لتصريف البضائع ونقلها إلى الأسواق الأخرى، وكان لسكانها علاقات تجارية هامة، خاضت المدينة العديد من المعارك منها معركة "رأس الغول" التي كانت بين جيوش الفتح الإسلامي وبعض الذين ارتدوا عن الإسلام سنة 44 هجري.

كانت غدامس قبلة للرحالة الأوربيين والرحالة المسلمين، حيث زارها العديد من الرحالة منهم الكسندر جوردن وهو أول أوروبي يصلها عام 1825م. تتضح أهمية كتابات الرحالة من خلال تناولهم للعديد من جوانب الحياة في غدامس. وتكمن أهمية الدراسة من خلال هذه الدراسة إبراز تاريخ غدامس من خلال الرحالة الذين زاروا غدامس وكانوا شاهدي عيان للعديد من الأحداث. ولا بد للتطرق في هذا البحث لدور الرحالة الذين عبروا غدامس في رسم الصورة الحقيقية للمدينة وأهلها. أهداف البحث: تتمثل في إبراز دور الرحالة في التعريف بالمدينة وما دار فيها من أحداث.

- إبراز أهمية مدينة غدامس كمعبر للمسافرين من التجار والحجاج والرحالة بين المشرق والمغرب .

- الكشف عن العديد من الجوانب المتعلقة بتاريخ غدامس.

- الكشف عما تناولته بعض المراجع من أحداث عن المدينة.

وقد قسمت البحث الي مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة.

كما أتبعته المنهج الاستقرائي التحليلي .

### **المبحث الأول : لمحة سريعة عن مدينة غدامس:-**

مدينة غدامس هي إحدى أقدم مدن واحات الصحراء الكبرى بشمال إفريقيا، وتقع في الاتجاه الغربي من ليبيا، عند ملتقي الحدود السياسية الليبية الغربية مع حدود تونس والجزائر، وتمثل غدامس أقصى مدن الواحات الشمالية الممتدة في شمال الصحراء الليبية.

موقع غدامس جعلها أقرب مركز عمراني في أقصى غرب ليبيا وشمال الصحراء

الكبرى لمناطق العمران المتاخمة لساحل البحر المتوسط، وهي تقع علي المدخل

الأقصر طريقا بين إقليم البحر المتوسط وإقليم الصحراء وجنوبه، ذات الاختلاف

البيئي طبيعيا واقتصاديا وحضاريا مما أكسب غدامس أهمية خاصة منذ العصور القديمة<sup>1</sup>.

اشتهرت غدامس في الماضي بالتجارة عبر السودان الغربي والأوسط وترابطها به طريقان، وقد كانت محطة للقوافل والحجاج القادمون من السودان والمغرب وينزلون في محطتهم بمنطقة بئر البخاري في الجنوب الشرقي خارج السور للاستراحة والبيع والشراء.

إن وضع غدامس جعلها بابا من أبواب العلم والعرفان، فقد انتجت مجموعة من العلماء والمؤلفين منهم علي سبيل الذكر الشيخ اسماعيل الدراري<sup>2</sup>، والشيخ عبد السلام عبد الرحمن الغدامسي<sup>3</sup> صاحب مخطوط "فتق الأزهار من الكشف والبيان، والشيخ عبد الله أبوبكر صاحب المؤلفات العديدة، وغيرهم كثيرون، وهذا الثراء العلمي جعل منها كنزا للمخطوطات والوثائق..

إن أهمية موقع غدامس جعلها بوابة الصحراء، ولا تنتهي فريدة غدامس وأهميتها عند هذا الحد فمدينة غدامس القديمة من الأمثلة القليلة الباقية في ليبيا التي تعتبر نموذجا للمدينة الإسلامية التقليدية التي قاومت الزمن محتفظة بطابعها الأصلي المستمد من التراث العربي الإسلامي، وهو طابع يظهر في شكلها العام المتميز بالتماسك ووحدة الأجزاء، كما يظهر تكويناته المكانية الداخلية، فالمدينة بأكملها محاطة بسور تتخلله عدة بوابات ومقسمة إلى دورين لكل منها وظيفة محددة وقد شبهها بمنزل واحد

1- الطاهر الزواوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، 1967، ص24.

2- الشيخ اسماعيل الدراري، صاحب المذهب الأباضي في ليبيا، من حملة العلم الخمسة، سافر إلى البصرة في البعثة التي أرسلها سلمة بن سعد، واشتغل بالقضاء ومعلم للأجيال، بشير بن قاسم يوشع، غدامس ملامح وصور، منشورات مركز الجهاد، 1972، ط1، ص24.

3- الشيخ عبد السلام عبد الرحمن الغدامسي، له مخطوط وهو اختصار لكتاب الكشف والبيان لأيات القرآن الكريم لابن اسحاق بن إبراهيم، بشير يوشع، اعلام غدامس، دار لبنان للطباعة، 1973، ص83.

كبير يتخلل الجزء الأرضي الشوارع الضيقة المسقوفة التي هي شبيهة بالأنفاق<sup>4</sup>. وقد ذكرت غدامس عند مؤرخي الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، حيث يروى أن عقبة بن نافع الفهري قد توغل حتي ودان و غدامس وسأل سكانها عن المواقع الجنوبية فذكروا له جرمة المدينة الكبرى في فزان ففتح فزان، واتجه جنوبا إلى كاوار<sup>1</sup>، حتى انتهى إلى مكان يعرف بعين الفرس<sup>2</sup>، حيث تفجر هناك نبع تحت حوافر فرسه، ثم غادر عقبة البلاد بعد أن دعاه الخليفة.

المبحث الثاني:- أهمية غدامس من خلال كتب الرحلات

-الرحلة وأهميتها

الرحلة : أي الرحيل أي شد رحالها قال ورحلها رحلة<sup>3</sup>، والترحال والارتحال والانتقال وهو الرحلة والرحلة : أي ارتحل فلان<sup>4</sup>. وفي مختار القاموس الرحلة بمعنى ارتحل اليوم عن المكان وترحلوا أي انتقلوا أو الرحلة بالضم والكسر الرحيل اسم ارتحال القوم وارتحل فلان أعطاه راحلة ورحل كمنع<sup>5</sup>، هذه التفسيرات مكنت المسلمين والعرب القيام برحلات منذ أوائل العصر

- 
- 4 - مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، السنة الثالثة عشرة ، العدد الثاني، 1991، ص 82.
  - 1 - مجموعة من الواحات الي الجنوب من فزان ، وقد ذكر البكري كاوار ، ترجمة دي سلان ، ص 34، اما اقصي هذه الواحات فهي بيلما الغنية بملاحاتها ، اتوري روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتي سنة 1911 ، ترجمة خليفة محمد النليسي ، الدار العربية للكتاب ، 1974 ، ص64.
  - 2 - عين الفرس ، تقع هذه العين بعد ميدان المشرح ببضع خطوات، تحدث عنها ياقوت الحموي ت 1228/626م، ويقال أن اسم عين الفرس جاء عن قصة فرس عقبة بن نافع، الذي عرف بفتحه غدامس، بشير يوشع ، مدينة غدامس عبر العصور، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2011، ص77-78.
  - 3 - غيد الرحمن ابن منظور، لسان العرب، تقديم عبدالله العلايلي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988، ج.4، ص 141.
  - 4 - المصدر نفسه، ص142.
  - 5 - الطاهر محمد الزاوي، مختار القاموس، الدار العربية للكتاب والنشر والتوزيع، طرابلس، 1981، ص43.

الإسلامي<sup>6</sup>.

### - الرحلة في نظر الإسلام

بعد ظهور الإسلام وتأسيس الدولة العربية الإسلامية أصبح للرحلة صفة رسمية وخاصة التجارية منها، فقد اخذت منحرجا سياسيا حيث أجبر العديد من الخلفاء والحكام والملوك أمام ازدهار التجارة الإسلامية علي ربط النشاط التجاري بالشؤون السياسية، وقد كان للتجار الدور المهم في القيام بهذه الرحلات التجارية إلى مختلف بقاع العالم.

لقد جاءت الرحلات بالعديد من المعلومات المهمة والقيمة في مختلف الجوانب عن المناطق التي وصلت إليها، الأمر الذي جعلها تكتسب أهمية في معرفة شعوب تلك المناطق.

ولم يترك الإسلام إي وسيلة للتقدم والرقي إلا ودعا إليها من أجل تحقيق العديد من الأغراض، فقد حث الله تعالى في كتابه العزيز المؤمنين على السير في الأرض والتفكر في أحوال الأقبام السابقين وما جرى لهم عبر الفترات التاريخية التي سبقتهم. فقال الله تعالى في محكم كتابه (وفي الأرض آياتٌ للمُؤمِنِينَ)<sup>1</sup>، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد حث على السفر فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "سافروا تصحوا، واغزوا تغنموا"<sup>2</sup>، وقال الإمام الشافعي رحمه الله في السفر:

تَعَزَّبَ عَنِ الْوُطَّانِ فِي طَلَبِ الْعُلَى \* وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ  
تَقَرُّجُ هَمِّ وَكَتِّسَابُ مَعِيَشَةٍ \* وَعِلْمٌ، وَآدَابٌ، وَصُحْبَةٌ مَاجِدِ  
وقال أيضا:

6 - أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العرب للطباعة والنشر، جدة، ب.ت، ص11.

1 - الذاريات:20.

2 - نصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، الحديث رقم 3352.

سافر تجد عوضا عن تفارقه \* وانصب فإن لذيق العيش في النصب  
إني رأيت ووقف الماء يفسده \* إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب<sup>3</sup>.

### أهمية الرحلة:

تكمن أهمية الرحلات في حفظها للعديد من العلوم، خلال مصنقات العديد من الرحالة كابن بطوطة وابن جبير، والناصري، والفاصي وغيرهم. كما تكمن أهميتها في قيمتها العلمية الكبيرة لما تحتوي عليه من معلومات قيمة في وضعها لمناطق الصراع وجوانب الحياة المختلفة في المجتمع، قد لعبت الرحلة دورا بارزا في تنمية مختلف العلوم وانتشارها، فالعديد من الكتب العلمية ما هي إلا وليدة الرحلة، وبالتالي ساهمت الرحلات في استكمال جوانب عديدة من الدراسات التاريخية والحضارية للمجتمعات الي جانب تصويرها للحياة الاجتماعية لما فيها من عادات وتقاليد ونظم اجتماعية وفنون وآثار وأحوال معيشية للسكان.

### دوافع الرحلة وتصنيف الرحلات:

تعددت دوافع الرحلات فمنها ما كان لأداء فريضة الحج وطلب العلم ومنها ما كان للتجارة أو الحصول علي المعرفة في مختلف فروع العلم من تاريخ وجغرافيا وفقه وغيرها، حيث تختلف الرحلات باختلاف الأغراض التي يتوخاها القائمون بالرحلة، فهم يسعون إلى تحقيق غرض معين، فمنهم من يطلب العلم والمعرفة، ومنهم من يسعى إلى تحقيق مكاسب تجارية أو سياسية أو دينية، كالرحلة لأداء فريضة الحاج الذي تعد من أهم البواعث وأعظمها شأنًا عند المسلمين. ولأن الإسلام قد حث على طلب العلم، تعد رحلات طلب العلم من انواع الرحلات التي عرفها العرب قديما، وهي من الأسباب التي دعت طلاب العلم إلى الانتقال

3 - الديوان، فصائد الإمام الشافعي، <https://www.aldiwan.net/poem24704.html>، تاريخ الاطلاع 2022/04/26، 2:35 صباحا.

بين المراكز العلمية من اجل تحصيل مختلف المعارف والعلوم مما نتج عنه حدوث تبادل ثقافي بين الشعوب وانتشارا للثقافة العربية، وقد أدت الفتوحات الإسلامية إلى اتساع رقعة الدولة الإسلامية مما أدى إلى انتشار العديد من المراكز العلمية، الأمر الذي أدى بانتقال طلاب العلم إلى هذه المراكز مما نتج عنه تبادل ثقافي بين الشعوب وانتشار الثقافة العربية من خلال انتقال طلاب العلم بين تلك المراكز العلمية<sup>1</sup>، وقد أكد ابن خلدون على أهمية الرحلة في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشائخ ومباشرة الرجال<sup>2</sup>، وقال أن العلم والتعلم طبيعي في البشر، وأن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من مذاهب وفوائد تارة علما وتارة محلاة وتلقينا بالمباشرة، لأن الكلمات عند المباشرة والتعليق أشد استخداما وأدق رسوخا كبيرا<sup>3</sup>.

أما الرحلة لغرض التجارة ، حيث ازدهرت الرحلات التجارية بعد الفتوحات الإسلامية الأمر الذي أنتج ازدهار في عملية التبادل التجاري مع العديد من الدول وخاصة الدول الأوروبية<sup>4</sup>، وظهور الأسواق، إضافة إلى انتشار الإسلام في مختلف أنحاء العالم.

وهكذا تعدد الرحلات، فمنها ما كانت ذات طابع ديني كرحلات أداء فريضة الحج أو العمرة، ومنها ما كان لطلب العلم أو الحصول على المعرفة في مختلف فروع العلم الإنساني والاقتصادي والسياسي والديني وغيرها، ومنها ما كانت لغرض التجارة.

ويمكننا القول أن الرحلات تعد أداة تفاعل حضاري ووسيلة من وسائل التقدم وصلة وصل بين الثقافات المختلفة.

- 1 - علي مفتاح ابراهيم منصور ، الرحالة العرب ودورهم في كتابة تاريخ ليبيا السياسي والاقتصادي في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، دار الكتب الوطنية ، ط1، 2005، ص37.
- 2 - عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون، المقدمة، دار الجبل، ط2، دبت، ص476.
- 3 - المصدر نفسه، ص.597
- 4 - احمد رمضان احمد ، المرجع السابق ، ص 13-14.

### المبحث الثالث: غدامس من خلال كتب الرحالة.

تعد الرحلات هي إحدى المصادر المهمة للدراسة في تاريخ أي مدينة أو بلد خلال فترة زمنية محددة خاصة في العصر الحديث، وقد وصف كثير من الجغرافيين والرحالة العرب مدينة غدامس وصفا ينم عن الإلمام بكثير من المعلومات حول مختلف المناحي العلمية والدينية والاقتصادية والاجتماعية. وقد ذُكرت مدينة غدامس عند اقدم المؤرخين والرحالة الكلاسيكيين الذين رافقوا لجيوش المختلة في العالم القديم خاصة الجيوش الرومانية ومن أولئك المؤرخين المؤرخ الروماني باليني الاكبر Pliny في كتاب التاريخ الطبيعي (Naturalis Historiae) في اطار وصفه لحملة القائد الروماني وحاكم ولاية إفريقيا البروقنصلية (كرونيليوس بالبوس) ضد قبائل الجرمنت سنة 19 ق.م بقوله " في اتجاه الصحراء الأفريقية جنوب سيرتيس الصغرى توجد فزان , حيث أخضعنا القبيلة الفزانية (الجرميين) ومدن ليلي وكيليبيا بالإضافة إلى كيد اموس قبالة صيراته"<sup>1</sup>.

كما أن الحميري قد وصفها في كتابة الروض المعطار في أخبار الأقطار ( في القرن السادس الهجري) بقوله " مدينة غدامس مدينة لطيفة قديمة أزلية، وإليها ينسب الجلد الغدامسى، وبها دوامس وكهوف كانت سجونا للملكة الكاهنة التي كانت بإفريقية، وهذه الكهوف من بناء الأولين.

وفيها غرائب من البناء ومن غدامس يدخل إلى تاد مکت وغيرها من بلاد السودان وبينهما أربعون مرحلة<sup>2</sup>، وذكر ياقوت الحموي في كتابة معجم البلدان، (... غدامس

1 - Pline l'ancien, Histoire naturelle, V. 1

2 - محمد بن عبد المنعم الحميري، ت 900/ 1495م / الروض المعطار في خبر الأقطار، ت احسان عباس، ط مكتبة لبنان، 1974، ص113؛ بشير يوشع، غدامس عبر العصور، ص

بفتح أولها وهي عجمية بربرية مدينة في المغرب في جنوبية ضاربة الي بلاد السودان بعد بلاد زاغون في تونس تدبغ فيها الجلود الغدامسية، وفي وسطها عينا أزلية وعليها أثر بنيان عجيب رومي يفيض الماء فيها، ويقسمه أهل البلدة بأقسام معلومة لا يقدر أحد يأخذ أكثر من حقه وعليها يزرعون" (ويقصد بذلك عين الفرس)<sup>3</sup>.

ونجد الرحالة المغربي محمد بن عبد الله المعروف "بابن بطوطة" ت 779 هـ /1377م يذكر غدامس في القرن 14 م في كتابة (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ) عن مرافقته لقافلة كبيرة من الغدامسيين من كوكو علي نهر النيجر إلى تكدا، ويعد هذا أول الرحالة المسلمين الذين تناولوا مسألة التجارة الغدامسية وإن كانت دون ذكر التفاصيل. كما يصفها الحسن بن محمد الوزان الفاسي، بقوله: "هي منطقة كبيرة مسكونة حيث القصور العديدة والقرى المأهولة سكانها أغنياء لأنهم يتعلمون مع بلاد السودان يتاجرون ولهم بساتين نخل، يديرون شؤونهم بأنفسهم<sup>1</sup>، ويقول عنها البكري، "غدامس مدينة لطيفة ، كثيرة النخل والمياه ، وأهلها بربر مسلمون ، وأكثر طعام أهل غدامس التمر<sup>2</sup>، كما اشار ليها أيضا القلقشندي بقوله :.....مدينة جليلة عامرة في وسطها عين ازلية عليها أثر بنيان رومي عجيب يفيض منه الماء<sup>3</sup>.

ظلت غدامس منذ عهد الفينيقيين محطة عبور وسوقا صحراوية ونقطة لتنظيم المعاملات التجارية بين موانئ الشمال والعديد من المناطق جنوبي حزام الصحراء، اذ كان تجارها الميسورين يمثلون بجانب معاملاتهم التجارية الخاصة، حلقة وصل وتنظيم لأعداد القوافل و اشراف ممثلهم علي سلامتها وتوجيهها وتديبر شؤونها، من

3 - ياقوت بن عبدالله شهاب الدين الحموي، معجم البلدان، دار صادر ، 2006، ص 187.

1 - بشير يوشع، المرجع السابق، ص 17-18.

2 - ابو عبيد الله البكري، المسلك والممالك، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992،

ص881.

3 - القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987، ص124.

استيراد وإعادة تصدير من كلا الاتجاهين ولما كانت غدامس مشتهرة بغناها المفرط فقد كان الغدامسيون التجار يكيلون الذهب كيلا لا وزنا<sup>4</sup>.

## الخاتمة

من خلال هذا البحث حاولت الباحثة إلقاء الضوء علي تاريخ غدامس من خلال كتب الرحالة، فقد كان للموقع الجغرافي لمدينة غدامس قد أعطى أهمية كبيرة لليبيا وجعلها تلعب دورا مهما في ربط العلاقة بين الساحل والصحراء وأصبحت حلقة وصل ومعبرا للرحالة عبر السنين، وقد حظيت ليبيا بالعديد من الرحلات سواء من الرحالة العرب أو الأوربيين في مختلف الفترات.

وتعد هذه الرحلات إحدى المصادر المهمة للدراسة في تاريخ أي مدينة أو بلد خلال فترة زمنية محددة خاصة في العصر الحديث، وترجع أهميتها ليس بكونها مصدرا يمدنا بمعلومات تاريخية فقط بل ينقل لنا العادات والتقاليد والعديد من الجوانب الحياتية، ورصدها للتحويلات والأحداث السياسية التي دارت في البلاد الليبية، ومن ثم دراسة دقيقة لمختلف الجوانب الاقتصادية متضمنة بالتحليل والنقد أحيانا وبالوصف والمقارنة أحيانا أخرى الأمر الذي جعل هذه المدونات مصادر قيمة يمكننا استغلالها في مختلف الدراسات.

ومن هنا نشير إلى أن هذه الرحلات تعد مصادر تاريخية وذلك لمعاصرتها للأحداث ووصفها لها، حيث استطاعت كتب الرحلات إعطاء صورة واضحة عن مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية.

**ومن هنا نستنتج ما يلي :-**

- استطاعت كتب الرحالة اعطاء صورة واضحة علي مدينة غدامس.

4 - نور الدين مصطفى ، لمحات عن تاريخ العلاقات، مجلة البحوث التاريخية، العدد2، مركز البحوث التاريخية، طرابلس، 1999، ص104.

- مدح الرحالة عند مرورهم بغماس طيبة أهلها وكرمهم وتمسكهم بالعادات والتقاليد.

- كانت لغدامس علاقات ممتازة مع كل المدن التي كانوا يتاجرون معها، وقد سجل لنا الكثير من الكتاب والمؤرخين جوانب من هذه العلاقات.

#### التوصيات :-

- الاهتمام بكل معالم المدينة، والمحافظة علي الوثائق والمخطوطات المتعلقة بالمدينة قبل ضياعها.

- تدوين كل ما كتبه المؤرخون والرحالة علي مدينة غدامس في كتاب يحفظ لها حقها التاريخي والتراثي.

- فتح ابواب غدامس للسياحة الداخلية والخارجية .والاهتمام بمعالمها الاثرية والتاريخية.

#### المصادر والمراجع

##### أولاً المصادر

- 1-القرآن الكريم
- 2-ابن منظور، لسان العرب، قدمه الشيخ عبدالله العليلي ، دار الجبل ، بيروت، لبنان، 1988م.
- 3-عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الجيل، بيروت، ط2، د.ت.
- 4- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، لبنان، 2006م.
- 5- البكري، ابو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامية، مجلد 2، 1992م.
- 6- الحميري، محمد بن عبد المنعم الحميري، ت 900ه، الروض المعطار في خير الاقطار، ت: احسان عباس، مكتبة لبنان، 1974م.
- 7- نصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة.

9- الديوان، فصائد الإمام الشافعي،

10- <https://www.aldiwan.net/poem24704.html>، تاريخ

الاطلاع 2022/04/26، 2:35 صباحاً.

### ثانياً المراجع

- 1- احمد رمضان احمد، لرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العرب للطباعة والنشر، جدة، ديت
- 2- الطاهر محمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، 1967م.
- 3- الطاهر محمد الزاوي، مختار القاموس، الدار العربية للكتاب والنشر والتوزيع، 1981م .
- 4- أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م، ترجمة خليفة التليسي، دار العربية للكتاب، 1974م.
- 5- بشير قاسم يوشع، غدامس ملامح وصور، منشورات مركز الجهاد، ط1، 1972م .
- 6- بشير قاسم يوشع، أعلام غدامس، دار لبنان للطباعة، 1973م .
- 7- بشير قاسم يوشع، مدينة غدامس عبر العصور، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2011م.
- 8- علي مفتاح ابراهيم منصور، الرحالة العرب ودورهم في كتابة تاريخ ليبيا السياسي والاقتصادي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى، 2005م.
- 9-مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين والدراسات التاريخية، السنة الثانية عشرة، العدد الثاني، طرابلس، 1991م.
- 10- نور الدين مصطفى، لمحات عن تاريخ العلاقات، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، طرابلس، 1999م.



## الحركة التجارية في مدينة غدامس زمن حكم العائلة القره مانلية 1711-1835م.

كريمة العابد خليفي

قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، جامعة سوسة ، تونس

### الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة "الحركة التجارية في مدينة غدامس زمن حكم العائلة القرامانلية" العوامل الداعمة لها وسياسية الحكام القرامنليين تجاه مدينة غامس. ويعود إختيار هذا الموضوع إلى جملة من الأسباب المتداخلة أهمها: ذاك التحول النوعي الذي شهده الجانب الإقتصادي خلال هذه الفترة والمراوحة بين الركود والإزدهار حسب درجة الأمن المتوفرة داخل طرابلس وحسب سياسة الحكام المعتمدة تجاه هذا القطاع الذي يستحق البحث فيه والتعمق أكثر خاصة خلال فترة حكم القرامنليين، ودراسة سياستهم الموجهة تجاه التجارة الداخلية عامة وخدامس كمثال للمدن التجارية في مركز الصدارة.

ينتزل موضوع البحث في فترة زمنية تمتد من 1711 إلى 1835م وهي فترة تولي القرامنليين الحكم والإعلان عن دخول طرابلس في تجربة سياسية جديدة. وتحتاج دراسة وضع التجارة في مدينة غدامس خلال هذه الفترة إلى تجميع المقاربات وتبويبها في دراسة واحدة مفصلة ، وقد تم إعتقاد منهجية مبسطة لدراسة هذا الموضوع وتتلخص في أربعة محاور كبرى تتفرع إلى عناصر ثانوية.

القسم الأول: ملخص عن فترة تولي القرامنليين الحكم وسياستهم تجاه المدن

التجارية الداخلية، **القسم الثاني**: العوامل المؤثرة في الحركة التجارية بمدينة غدامس كالموقع الإستراتيجي وخبرة الغدامسيين في التجارة وعلاقتها بالدول المجاورة، **القسم الثالث**: تحت عنوان غدامس كمنطقة عبور، في تجارة القوافل وفي هذا القسم تم التأكيد على دور القوافل التجارية في توطيد علاقة غدامس بالسودان وبمدن المغرب العربي تونس أنموذجا، أما **القسم الأخير** من هذا البحث تناولنا فيه دراسة حملة يوسف باشا على غدامس: الأسباب، ردة فعل الأهالي وشروط الباشا.

ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث:

- أهمية العامل الجغرافي والموقع الإستراتيجي في إثراء مدينة غدامس وجعلها من بين المدن التجارية التي تحتل الصدارة.

- أهمية تجارة القوافل في جعل غدامس تحت أنظار الحكام القرامنليين كغيرها من المدن التجارية الداخلية المستهدفة ضمن مخطط الإخضاع من أجل إستغلالها كبوابة للمرور إلى بلاد السودان والتحكم في المسالك التجارية الصحراوية .

- مرحلة حكم العائلة القرامنلية لم تختلف عن سابقتها في إدارة شؤون البلاد كانت الغاية الأولى والأخيرة كيفية إستنزاف خيرات البلاد.

وقد تناول دراسة هذه الفترة التاريخية عديد الباحثين والرحالة العرب والأجانب ومن أشهرهم: **رودلفوميكاكي Rodolfo Mikaki** "طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرامنلية" نقلها إلى العربية طه فوزي، و**فوليان كولا** "ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القره مانلي" ترجمة عبد القادر مصطفى والباحث **عبد القادر السوداني** الذي أعد رسالة دكتوراه في التاريخ المقارن، تحت عنوان السلطة في تونس وطرابلس 1705-1837 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس-تونس ومحمد ناجي، كتاب "تاريخ طرابلس الغرب"، ترجمة عبد السلام أدهم و محمد الأسطى والبحوث عديدة .

لم تكن البحوث والدراسات التي تناولت دراسة مدينة غدامس قد أولت إهتماما كبيرا بدراسة الحركة التجارية في مدينة غدامس خلال هذه الفترة التاريخية، فجل المراجع تتناول الجانب التجاري كعنصر فرعي دون الإلمام بجميع التفاصيل، من بين

هذه الدراسات كتاب " les confins saharo-Tripolitains de la Tunisie 1881-1911" للمؤرخ أندري مارتال **André Martel**، الذي خصص قسما من هذه الدراسة حول العلاقة التجارية بين تونس ومدينة غدامس، هناك أيضا مؤلفات للباحث بشير قاسم يوشع الذي إهتم بتاريخ غدامس ومنها كتاب " غدامس عبر العصور " وصدر له أيضا مقالا في مجلة الثقافة العربية عددا 1 لسنة 1984 تحت عنوان " حملة يوسف باشا على غدامس وبعض المؤلفات الأخرى، إلا أن الدراسات تبقى في حاجة للتوسع أكثر.

### المقدمة

يعتبر تاريخ تولى القرامنليين الحكم نقطة فاصلة في الحكم في طرابلس وتثبيتهم دولة مستقلة عن العثمانيين،

لكن المناخ السياسي والسلطوي والاجتماعي لم يتغير بالنسبة للمواطنين. وهذا يعود إلى السياسة التي أعتمدها الحكام في تسيير شؤون البلاد والتي من الطبيعي أن يكون لها تأثيرا واضحا على مدن طرابلس وسكانها. ونخص بالذكر هنا المناطق التجارية الداخلية والمحاولات الدؤوبة لإدخالها تحت النفوذ المباشر لطرابلس، لمالها من أهمية في تجارة العبور. وفي هذا الإطار ينتزل موضوع البحث " الحركة التجارية في مدينة غدامس زمن حكم العائلة القرامنلية" بإعتبار مدينة غدامس محطة للقوافل التجارية لتوفر جملة من الخصائص المتنوعة فيها التي أدت بها إلى أن تتحول إلى نقطة إستهداف من قبل الحكام القرامنليين كغيرها من مدن المناطق الداخلية .

ويهدف هذا البحث إلى إجلاء الغموض على بعض المسائل التي في علاقة بالحركة التجارية في غدامس،

وتثمين المعلومات المتفرقة في الدراسات. أيضا تسليط الضوء على الفكر القرامنلي ومميزات هذه الفترة: عراقيل الحكم مراحل الإستقرار والركود، وسياسة الحكام القرامنليين تجاه المناطق الداخلية وسبب التركيز على مناطق العبور والتفكير في

إخضاع هذه المناطق. تتمين أيضا الموقع الإستراتيجي لقدامس وأهمية تجارة القوافل في إثراء الجانب الإقتصادي.

لقد تناولت الدراسات التي إهتمت بفترة حكم القرا منلبيين عديد الجوانب السياسية، وخصت في الغرض دراسات متعددة إهتمت بظروف تولي هذه العائلة الحكم ومراحل إخضاعهم لأقاليم طرابلس وخاصة تلك الثورات المتتالية. إذ نجد في قسم المراجع التي إهتمت بهذه الجوانب عديد المؤلفات العربية والأجنبية وكتب الرحالة التي تناولت دراسة ثورة غومة وثورة سيف النصر وسياسة يوسف باشا. ورغم الدور الهام الذي ساهمت به المدن الداخلية في تنشيط الحركة التجارية إلا أنها لم تستوفيهما الدراسات حضها فقد كانت تذكر التجارة كعنصر من عناصر البحث في إشارات موجزة تفتقد للدقة والشمولية .

يحتاج كل عنصر من العناصر المكونة للحركة التجارية في مدينة غدامس إلى أن يكون موضوع بحث مستقل بذاته مثل "المسالك التجارية" "علاقة غدامس التجارية بالسودان" و"علاقة غدامس ببلدان شمال إفريقيا"، أيضا "السلع والمبادلات التجارية" و"خبرة التجار الغدامسيين في مجال التجارة". وكل هذه المواضيع

توجد العديد من الوثائق الأرشيفية حول هذه المواضيع، وهي عبارة عن رسائل لتبادل السلع وفيها عديد الحثيات التي في حاجة إلى نفض الغبار عليها وإدراجها في البحوث.

لذلك تم إقتراح موضوع "الحركة التجارية لمدينة غدامس خلال فترة حكم العائلة القرا مانلية" كمحاولة لأن تكون دراسة تتطرق لمثل هذه الجوانب في بحث شامل من أجل إجلاء الغموض على عديد الإشكاليات التي سبق وتم طرحها وفتح آفاق البحث للتوسع أكثر .

## 1. لمحة تاريخية حول فترة تولي القرامنليين الحكم وسياستهم تجاه المناطق الداخلية

### 1. أهم العوامل التي ساعدت القرامنليين على وصول إلى الحكم.

كانت طرابلس تعيش حالة فوضى وفراغ سياسي خلال الفترة الممتدة من 1672 إلى سنة 1711م، وقد توالى على الحكم 24 واليا ويصف "دوكابرنیکا" هذه الفترة قائلاً: "إنها كانت أقرب إلى الجمهورية منها إلى المملكة والمفروض إن حكم الداي وراثي، ولكنه لم يستمر فعليا أكثر من عام، لأن أي مخمور كان يمكنه أن يثير المدينة لقطع رؤوس الحكام ويقول أيضا: أن القضاء كان سينا يصدر الأحكام جزافا" (1) . ورغم علم السلطان بحالة الفقر والبؤس الشديدين التي وصلت إليها الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إيالة طرابلس الغرب وما قدمه الأهالي من تضحيات لرفع المظالم إلا أن السلطة العثمانية واصلت في ممارسة التعسف والظلم ضدهم ما جعل الأهالي ينتظرون ساعة الخلاص .

لقد كان هذا الوضع سائدا قبل وصول أحمد القرامنلي للحكم الذي توفرت له القدرة من خلالها إستطاع الصمود ومواجهة خصومه، وتمكن من القضاء على جميع محاولات التمرد والعصيان، وقد إستغل ضعف الجند من الأتراك والمشاركة والإنكشاريين وتخلص منهم بسهولة(2). ونجح بعد ذلك في الإستيلاء على الحكم في طرابلس عام 1711، إذ أنه وجد المبايعة والتأييد بسهولة من قبل الأهالي أملا في التخلص من الظلم الذي حل بهم .

[1] - كوستناتزيو بيرنيا، "القرامنليون" بحث بالاطالية نشر في مجلة(ليبيا) الصادرة بطرابلس، سنة 1953 ص185-198.

[2] - رودلفو ميكاكي، طرابلس تحت حكم أسرة القرامنلي، ت، طه فوزي، جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة 1961، ص22.

## 2. خصائص الفكر القرامانلي

حاول أحمد القارمانلي عند إستلامه الحكم تثبيت دولة مستقلة عن العثمانيين، وظل يستمد شرعيته من الأساتنة. وكان يخص كل عام قسما من الضرائب لخزينة السلطان. وهنا يجب الإشارة إلا أن المناخ السياسي والسلطوي والاجتماعي لم يتغير بالنسبة للمواطنين فقد إستمرت البلاد تدار وفق النظم التركية. لكن رغم محاولة أحمد القارمانلي تدعيم أركان حكمه إلا أنه واجه العديد من حركات التمرد، من أبرزها ثورة علي بن عبد الله سنة 1715 التي إنتشرت في مناطق طرابلس الغرب، وقد تمكن من إخمادها وتشتيت أنصار المتمرّد وتحسنت بعد ذلك الأوضاع الاقتصادية وساد الأمن. لكن الحال لم يستمر على حاله فقد عادت الثورات من جديد بعد موت أحمد القارمانلي، وكان خلفائه على درجة كبيرة من الضعف والعجز عن تسيير أمور البلاد مما أدى إلى تجدد حركات التمرد والثورة ضد الحكم القرامانلي(1).

أعلنت قبيلة أولاد علي الفاطنة في الجبل الأخضر ثورتها وتم القضاء عليها ودفعها نحو البلاد المصرية، وفي عام 1790 أعلن سكان مصراتة رفضهم تعيين يوسف باشا ابن علي باشا القارمانلي حاكما عليهم نظرا لجرائمه وإستباحته لأموالهم، فأرسل لهم حملة تأديبية تمكنت من دخول مصراتة بعد معارك عنيفة مما زاد في كره الأهالي لحكم القرامانليين(2).

إن سياسة الجبائية التي إعتمدها الحكام القرامانليين دفعت الأهالي في كثير من الأحيان إلى عدم التوسع في الإنتاج بل والهجرة أيضا. من ناحية أخرى تضرر الإقتصاد بسبب إنتشار المجاعة التي جرت من بعدها الطاعون الذي قضى في سنة 1785 تقريبا

[1]- عمر علي بن إسماعيل، إنهيار حكم الأسرة القرامانلية في ليبيا 1795-1835، مكتبة الفرجاني، طرابلس - ليبيا، ط1-1966، ص 38-40

[2]- عمر علي بن إسماعيل، إنهيار حكم الأسرة القرامانلية في ليبيا 1795-1835...، مرجع سابق، ص 54-55

على ربع السكان وكان سببا من أسباب إنهيار طرابلس(1). كل هذه الأوضاع زادت في كره السكان لهذه العائلة وتنازل الثورات فلا يتم إخماد واحدة حتى توصي بغيرها، بعدها وتواصل الحال إلى حد تولي يوسف باشا القرملي الحكم سنة 1795 .

حاول يوسف باشا القضاء على حركات التمرد وعمل على ترسيخ حكم عادل إذ أصبح يعد مثلا للحاكم الصادق وحقق لشعبه الكثير من الانتصارات، كما استطاع أن يفرض إرادته على الكثير من الدول الأوروبية التي تنشط في البحر المتوسط. لكن علاقته مع المدن التجارية الداخلية كان يسودها التوتر، فماهي السياسة التي إعتدها تجاه هذه المدن؟

ساهمت تجارة القوافل أيضا في تنشيط الحركة الإقتصادية لطرابلس، فالمناطق الداخلية كانت بعيدة عن أنظار الحكم مادفع الحكام دائما إلى التفكير في إحكام قبضتهم عليها، إذن ماهي الخطة التي إتبعتها الحكومة القرامنلية في السيطرة على تجارة المناطق التجارية؟

### 3. سياسة القرامنليين تجاه المدن التجارية الداخلية.

إهتم الحكام القرامنليين بتجارة المناطق الداخلية وقد كان التركيز على بعض المدن التي كان لها سيطها في تجارة القوافل مثل فزان و غدامس وترهونة. كانت تجارة العبور أكثر أهمية بالنسبة لحكام طرابلس نظرا للعائدات التي تساهم بها في خزينة الدولة. من الطبيعي أن يولي الحكام القرامنليين إهتماما خاصا بالمدن التجارية وإدخالها تحت النفوذ المباشر وذلك نظرا للخصائص التي تتميز بها هذه المناطق مثل إرتباطها ببلاد السودان من ناحية وأيضاً علاقتها المتواصلة بمصر وبلادان شمال

[1]- أتوري روسي، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911،ت،خليفة محمد التليسي، ادار العربية للكتاب،1911، ص 362 .

إفريقيا، مما أضف عليها على أسواقها الصبغة الدولية لذلك السيطرة عليها تمكن السلطة الحاكمة من جني ثمار هذا النشاط ووضع يدها على تجارة العبور .

ما يكن الإهتمام بتجارة العبور موضوعا جديدا ظهر فقط في فترة القرامنليين وإنما يرجع إلى ما قبل ذلك، تذكر المصادر مثلا إهتمام بشوات طرابلس وداياتها في العهد العثماني المباشر الأول(1551-1711) بتجارة العبور ومحاولة إخضاع هذه المناطق بإرسال حملات متكررة لإقليم فزان مثلا لاتصاله المباشر ببلاد السودان بإعتباره ملتقى القوافل القادمة من شمال إفريقيا ومن مصر وحتى المغرب الأقصى(1).

شهدت طرابلس خلال فترة يوسف باشا نوعا من الأمن والإستقرار السياسي وازدهار الصناعة، وكان كل ذلك عاملا أساسيا لازدهار التجارة ، وأصبحت طرابلس حلقة وصل بين مدن إفريقيا الوسطى والمدن الأوروبية. وقد إهتم يوسف باشا بهذا النشاط التجاري لما يدره عليه من ربح كبير وذلك عن طريق الضرائب التي كان يفرضها على التجار وعلى بعض البضائع .

ساهمت طرق القوافل في ربط طرابلس بوادي وبنو وبقية مدن السودان عن طريق فزان وخدامس، وقد نشطت الحركة التجارية بين المدن الداخلية وطرابلس وبين مصر وتونس حيث يتم تبادل البضاعة التي تأتي من السودان ومن شمال إفريقيا .

كانت العلاقة بين الحكام القرامنليين وتجار المدن الداخلية يسودها التوتر الدائم، وذلك نظرا للضرائب المتكررة التي كانت تفرض على التجار مع تتالي أيضا الحملات التأديبية زد على ذلك مشاركة أفراد العائلة القرامنلية في التجارة. ولم تكن المنافسة

[1] محمد ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ت، عبد السلام ادهم و محمد الأسطى، منشورات الجامعة الليبية، كلية الأداب، 1970، ص168.

من طرف الرجال فقط بل نجد بعض النساء من هذه الأسرة يزاحمن بقية أفراد الشعب في الإشتغال بالتجارة شأنها في ذلك شأن الرجال من عائلاتهم، وبسبب هذه المنافسة في الفلاحة والتجارة جعل التجار يكتفون لهذه العائلة كرها شديدا (1).

كانت غدامس مستقلة عن مركز الحكم، وهي من المدن التجارية التي تحتل الصدارة في تجارة وهي مدينة ذات خاصيات تتفرد بها جعلتها محور دراسة وإهتمام عديد الكتاب وخصصت لها عديد المؤلفات، وحتى الرحالة الأجانب أولوا بها اهتماما خاصا نظرا لدورها في العملية التجارية (تجارة القوافل). إلا أنها تعتبر مؤلفات منقوصة نظرا لأنها كانت تفقد الحياد وتخدم مصالح شخصية في بعض الأحيان.

ماهي إذن أهم العوامل التي ساهمت في تنشيط الحركة التجارية بمدينة غدامس وجعلها في صدارة المدن التجارية؟

## II. العوامل المؤثرة في الحركة التجارية بمدينة غدامس :

### 1. الموقع الاستراتيجي .

تحتاج تجارة العبور إلى توفر عدة عوامل لتمر القوافل بسلام ومن هذه العوامل توفر مكان ملائم لاستراحة والتموين ويكون بها مياه عذبة. فمن خلال تتبع سير القافلة التي رافقها ليون(2) تبين أن توقفها كان دائما يرتبط بوجود بئر أو واد أو منطقة يتوفر بها الكلاء للدواب فضلا عن صلاحية الأرض لنصب الخيام. وحسب الدراسات يوجد نوعان من محطات مرور وتوقف القوافل، النوع الأول يتمثل في مناطق الراحة والرعي وتكون قريبة من طريق القافلة وتحول بعضها إلى أماكن عامرة بالسكان، النوع الثاني يتمثل في المراكز التجارية الكبرى التي تلتقي عندها طرق القوافل الكبيرة وتعد هذه

[1] عمر علي بن إسماعيل، انهيار حكم الأسرة القراماتلية في ليبيا 1795-1835.....، مرجع سابق، ص198.

[2] جون فرانسيس ليون، رحلته من طرابلس إلى فزان،ت مصطفى جودة،الدار العربية للكتاب ليبيا- تونس،1976،ص 58، ص129.

المراكز مدن تجارية كما هو الأمر بالنسبة لـ **غدامس** و**غات** و**مرزق** على سبيل المثال (1)

وقد تميزت غدامس بموقعها الإستراتيجي المتوسط بين تونس وليبيا، ومن مميزات هذا الموقع وخصائصه الطبيعية (وفرة المياه، المسالك التجارية، الواحات، صلاحية الأرض لنصب الخيام واستراحة القوافل..). جلب لها التميز وقد لقبها الرحالة العرب بعروس الصحراء.

تبعد غدامس عن جنوب غربي طرابلس حوالي 495 كيلو متر، محاطة في كافة جهاتها بالصحاري، وهي واحة خصبة طولها كيلو متر ونصف وعرضها كذلك، أزقتها مغطاة بأروقة ومنافذ الإنارة فيها قليلة. يوجد بداخل البلدة ينبوع ماء حار يصب في حوض باق من زمن الرومان أشهر باسم ينبوع عين فرس، يحيط بالبلدة سور طويلة ستة كيلو مترات، ويوجد بعض المغارات بجوارها حسب ظن (البكري) أحد جغرافي العرب في القرون الوسطى أنها المكان الذي كانت (الكاهنة) ملكة بلاد البربر تسجن وتحرق فيه الأسرى. وتوفرت فيها كثرة الجمال وأدوات الركوب التي تحتاجها القوافل، وتشكل نقطة ملتقى الطريق الذاهب من قابس والطريق (2).

مكنها موقعها لإستراتيجي من التحول إلى وجهة سياحية للأوروبيين أين تشاهد سياحتهم الفينة بعد الفينة في هذه الأنحاء، فقد زارها لأول مرة **laing** في سنة 1826 وبعدها بالترتيب **Dichardson** (1845-1849) و**Bonnemain** (1856) (3). وتعتبر غدامس أيضا حلقة وصل في تجارة القوافل مع عديد المدن التجارية مثل **غات** التي تعد من بين المدن التجارية الهامة المساهمة في تنشيط حركة التجارة القوافلية، فهي محطة للقوافل الوافدة من غدامس والمتجهة إلى السودان الأوسط والغربي كما أنها

[1] الشريف خديجة، "طريقة تقويم القوافل الغدامسية، السلع والبضائع" مجلة البحوث التاريخية، عدد، 1988، ص 99.

[2] محمد ناجي، تاريخ طرابلس....، مرجع سابق، ص 68.

[3] نفس المرجع، ص 102.

مكان لاستراحة القوافل الوافدة من بلاد السودان ويمكن الاتجاه منها إلى فزان أو إلى غدامس. بضل هذه الخصال يمكن إنكار أهمية موقع غدامس التجاري ومهما أعطيناها من إهتمام فهو قليل. قال عنها الحسن الوزان (ليون الإفريقي) "إنها منطقة كبيرة مسكونة بها قصور وقرى مأهولة بالسكان، وأهلها أغنياء لهم بساتين نخيل وأموال كثيرة نظرا لأنهم يتاجرون مع بلدان السودان (1)

كان الرحالة وزوار طرابلس منبهرين ببراعة وذكاء سكان غدامس والمعرفة النادرة التي توافرت لهم بعدد كبير من اللغات واللهجات، حيث إستطاعوا لفترة طويلة السيطرة على أسواق تجارة القوافل المتجهة إلى غات و كانو أو المتجهة إلى الغرب، الأمر الذي زاد في ثراء المدينة حتى أصبح يقال "أن الغدامسي يكيل الذهب كيلا" (2)

وأجمعت المصادر على أن الغدامسيون خلقوا بالفطرة تجارا وتكيفوا بالشروط المحلية و جديون في عملهم، عاملون بعملية البيع والشراء و عارفون بالطرق التجارية. كما أنه لهم علاقات واسعة مع مدن السودان وقبائلها حيث يتنقلون بكل حرفية، فكانوا يذهبون من غدامس إلى غات وإير وبلدة زندر ويمرون بين قبائل إزقر وهقار والتوراق إلى كانو وساكاظوا (3). وتعتبر الدراسات أن الغدامسيون لا ينافسون في التجارة بفضل مؤهلاتهم ومعارفهم ولتفوقهم وإمامهم بكل الحثيات التي تتعلق بالعملية التجارية.

كان بعض الغدامسيون لهم بيوتات تجارية في الصحراء وفي الساحل، ويذكر الباحثون أنه في كانوا وحدها يبلغ عدد البيوتات التجارية التابعة لأهل غدامس ما بين 60 و80(4)، يوجد بغدامس سود أحرار وأتباعهم يعرفون بال(العتارة). و أغلب سكان

[1] الحسن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ط2، ت احمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 164، ص165.

[2] تيسير بن موسى، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، 1988، ص 172.

[5] محمد ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، مرجع سابق، ص64.

[4] عماد الدين غانم وآخرون، الصحراء الكبرى نشر المركز وطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ص60 و80.

غدامس يتكلمون بطلاقة إحدى لغات وسط إفريقيا وغربها ويستخدمون اللغة العربية في بعض الأحيان في الكتابة والمراسلة التجارية وكانت رسائلهم ترسل مفتوحة، كما أنهم يستعملون أرقام سرية في كتابة الأسعار على البضائع كما يبينها الجدول(1).

**جدول رقم (1): الأرقام الغدامسية**

غدامسي	غباري	روماني
1	1	I
11	2	II
111	3	III
1111	4	IIII
د	5	V
1د	6	VI
11د	7	VII
111د	8	VIII
1111د	9	XI
هـ	10	X
1هـ	11	XI
هـهـ	20	XX
هـهـهـ	30	XXX
هـهـهـهـ	40	XL
ح	50	L
6	100	G

**III. دور غدامس كمنطقة عبور في تجارة القوافل.**

**1. تاريخ التجارة والمسالك التجارية في غدامس.**

تعتبر الرسائل التجارية المتراكمة في غدامس دليلاً واضحاً وترجمانا جلياً يثبت مهارة الغدامسيون ونجاحهم إلى حد كبير في مجال لتجارة، لكن نتساءل هنا على تاريخ

[1] بشير قاسم يوشع، وثائق غدامس، وثائق تجارية تاريخية اجتماعية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ص 10، 1995،

بداية التجارة بمدينة غدامس ؟ وتاريخ تراجعها؟ وأسباب ذلك؟.

من المعلوم أن إنهيار التجارة كان سببه السياسة الإستعمارية التي سيطرت على المسالك التجارية وتحويلها إلى المحيط ثم اجتياحها غرب ووسط إفريقيا، إضافة إلى فرض الضرائب المجحفة على البضائع التي تأتي من الشمال، أما تاريخ بداية التجارة في غدامس ليس محدد بدقة، فترجعه بعض الدراسات ما قبل العهد الفينيقي، لأن الإغريق والفينيقيون كانوا يحتلون المناطق الساحلية بليليا. وقد أكد الدكتور عبد اللطيف البرغوثي في كتابه "التاريخ الليبي القديم" أن الطرق التجارية عبر الصحراء يعود وجودها إلى ما قبل التاريخ ويذكر أن الحيوان المستعمل قبل الجمل كان الحصان. إستمرت هذه التجارة على مر العصور، وقد رافق ابن بطوطة قافلة إلى غدامس حين عودته إلى بلده سنة 756هـ-1355م (1).

كان لخدامس مسلكا تجاريا يعود إلى العصر الفينيقي والروماني، وقد إعتمدتها روما كحصن تجاريا وحربيا على طريق الجنوبية. ودخلت غدامس ضمن الحدود الدولة الإسلامية في حملات عقبة ابن نافع الفهري على فزان والمغرب (2). ويتفرق من غدامس طريقان الأول يسمى بالطريق الغربي يتجه إلى (تماسانين) و(تيديكلت) و(توات) ومنها تتجه إلى الغرب الشمالي وبعد أن تجتاز واحة (تافيلت) ومنها تتجه إلى الغرب الشمالي تذهب إلى أراضي المغرب أو تتجه للجنوب فتدخل أراضي (تمبكتو) و(النيجر)، والطريق الثاني تسمى بالطريق الشرقية تصل إلى (ابدين) و(غات) بعد أن تمر من سلسلة جبال حمادة (3).

[1] بشير قاسم ، يوشع، غدامس عبر العصور،المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية،طرابلس،ليبيا،2010 ص 53.

[2] خليفة إبراهيم، ضو، (تجارة الرقيق في ولاية طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر،جامع، سبها،2008، ص43.

[3] بشير قاسم ، ويشع، ملامح عن الحياة السياسية و الاقتصادية والاجتماعية في غدامس قبل العهد العثماني، مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية ، مجلة البحوث التاريخية ، السنة السابعة عشر ، العدد الأول، ص132.

## 2. علاقة غدامس التجارية مع السودان ودول شمال إفريقيا. أ. التجارة مع السودان .

ساهمت القوافل التجارية المارة من غدامس في تشييط الحركة التجارية بينها وبين السودان، وقد إرتبطت غدامس تجاريا مع تمبكتو وجاو، واغاديس وتادمكة ومع مدن وقرى سودانية أخرى وأصبحت بذلك محطة مهمة عبر المنطقة الوسطى من الصحراء الكبرى إلى السودان كما يوجد بمدينة تمبكتو حي يطلق عليه حي " الغدامسية"، وهناك مدينة تسمى غدامس في بلاد السودان تقع على بعد سبعة أيام من جبل نفوسة(1)

كانت البضائع تصل إلى غدامس بإعتماد المقايضة عبر طرق عديدة من مراكز السودان إلى المغرب ومدن ساحل البحر المتوسط، وساهمت هذه الطرق في تنشيط الحركة التجارية لطرابلس وبقية المدن التي تمر منها القوافل سواء القادمة من السودان أو المتجهة لها. وكان يكتسب طريق طرابلس - غدامس - غات - ابر - تشاد أهمية كبيرة في هذه العملية إلى جانب طريق توات - افقيق - عين صالح - تيبكتو(2)

أما عن البضائع الآتية من السودان فهي متنوعة ومنها الجلود وخاصة جلود النعام بريشها والأقطان بأنواعها والتوابل و القمصان الواسعة يطلق على أحسن نوع منها (samia) وهي خليط من القطن الأزرق والحريير الأبيض، وذكر الرحالة ليون إن ثمن القميص يعادل ثمن أنثى زنجية (3) إضافة إلى التبر وناب الفيل والكرم والصمغ

وكان يستورد من بلاد السودان الرقيق أيضا، وقد أولت الأسرة القرامنلية الحاكمة

[1] خليفة إبراهيم ، تجارة الرقيق في ولاية طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر.....، مرجع سابق، ص44

[2] بشير قاسم يوشع، غدامس عبر العصور....، مرجع سابق، ص67.

[3] captain.G.E.Lyon. »A narrative of travels in Northern Africa in the years 1818.19and 20«London 1821, p157-158.

إهتماما كبيرا بهذا النوع من التجارة لما فيه من أرباح طائلة وأمثالهن "حواء بنت علي قرامنلي". وقد إستمر بالاعتراف بهذه التجارة طوال العهد القرمانلي وحتى بعده، وكانت هناك سوق مرتكزة في طرابلس لهذه التجارة وكذلك في تونس، و أما عن الثمن فكانت الأنثى أغلي من الذكر نتيجة الإقبال عليها من أجل الأعمال المنزلية.

ما يثير الإلتباه إن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع أشارت إلى أن الغدامسيون بصفة إستثنائية كانوا يتجنبون تجارة الرقيق، وسجلت لهم أقوال مأثورة حول هذه البضاعة «ثلاثة لا يستغنون أبدا ببيع البشر وقطاع الشجر وحراق الجحر» . وكانت معاملتهم اضطرارية في حالات معينة إما خلال مرافقة القوافل أو الخدمات الضرورية، وما أن يصلوا إلى غدامس يبيعون ما زاد عن حاجتهم أو يعتقدونه بعد إجتيان فترة الإختبار وتشكل ذرية هؤلاء العتقاء مجموعة لا باس بها من سكان غدامس (1).

كان التجار يحملون إلى السودان جميع أنواع الخزر والمرجان و الإبر والمخايط والحريير والأقمشة الطويلة والشيلان والمرايا والسيوف وبعض أنواع السجاد الذي كان يصنع في مصراتة وبعض نواحي طرابلس الأخرى، وساهمت هذه الحركة التجارية في تطور واحات غدامس وتحويلها إلى محطة إما لتخزين البضائع أو لاستراحة القوافل، وأصبحت طرابلس آخر محطة للقوافل عل شاطئ البحر المتوسط المركز الرئيسي لتجارة أهل غدامس .

#### ب. العلاقة التجارية مع شمال إفريقيا: تونس أنموذجا

أكدت جل البحوث والدراسات التي إهتمت بموضوع التجارة أن غدامس كانت لها علاقات ممتازة مع المدن التي تتاجر معها، وقد ذكر الحشائشي أن تجار غدامس كانت علاقاتهم طيبة حتى مع الحكام والمسؤولين ومنهم من هو بمثابة وزير لحاكم كانوا

[1] بشير قاسم يوشع، غدامس عبر العصور.....، مرجع سابق، ص54.

وهم أول من دخل السودان بسلع تونس. حدثنا الحشائشي عن وجود مايقارب ثلاثمائة تاجر قاطنين بتونس، كان لهم تكريم وتبجيل من الحاكم وما أن يصل الركب إلى حمام الأنف حتى يرسل لهم الأمير من يستقبلهم ويكرم ضيافتهم ويحث على تبليغ سلامه إلى الأعيان الغدامسية. كما أن هذا الركب يحمل هدية لحاكم تونس عند قدمه، ما يثبت العلاقة الودية الطيبة التي كانت تجمع تجار غدامس بتونس ولم ينقطع هذا لركب إلا في عهد المشير أحمد باشا الحسيني(1837-1855) (1).

كان لطرابلس علاقة ثنائية تربطها بالجزائر وتونس وتمر بعض القوافل بالمناطق الحدودية بين البلدان الثلاثة، فتعبر منطقة العرق بواسطة مسلك يؤدي إلى كوينين في منطقة سوف ثم تنعرج في بئر الجديد نحو نفطة التي تصلها خلال أربعة عشر يوما، ويعتبر هذا المسلك تغيير وجهة التجارة نحو جنوب مقاطعة قسنطينة، وتتبع بعض القوافل خط سير مستقل عبر تيارت ومنتصر ودوز وقبلي ثم تعبر الشط لتدرك الجريد أو قفصة(2).

تدخل القوافل تونس عن طريق نفطة و قابس وتلتقي في القيروان، وتتبع عند رجوعها أحد المسلكين حسب التفاهات المبرمة مع الرحل. بالنسبة لقوافل الغرب تتبع مسلك المحلة وتتزود بالبرانس والحولي من الجريد ونفزاوة، أما قوافل الشرق فتقتني في طريقها منتجات جزيرة جربة(3) .

سلكت أيضا القوافل الصغيرة نفس المسالك المذكورة، وتتلخص مهمتها في تموين غدامس التي كانت تفتقر إلى الحبوب والزيت والزبدة واللحم، تساهم منطقتان متكاملتان

نفس المرجع، ص1.66]]

[2] André (M), Les confins saharo-Tripolitains de la Tunisie (1881-1911) T1,1ér Édition presse universitaires de France. p159.

[3] André (M), les confins saharo-Tripolitains.....op cit, p 160.

في تزويدها، هما الجبل الطرابلسي والجبل التونسي من جهة وواحات الجريد ونفزاوة وسوف من جهة أخرى. أما شراءات تونس لا تختلف عن شراءات أسواق شمال إفريقيا الأخرى خاصة من حيث العبيد وكان الغدامسيون يحتكرون هذه التجارة عن طريق أعوانهم المتمركزون في تونس، وكان المبشر إيفالد شاهدا في رحلته على عميلة بيع للعبيد حيث يقول «وكان الحداة من أصيلي غدامس وعلمت منهم أنهم على سفر من ستة أشهر خلت، وعن قرب سوف يزدان سوق العبيد بتونس بهؤلاء البائسات. ففي كل يوم ماعدا الجمعة يساق إلى هذا السوق ابتداء من الساعة العشرة صباحا الزنج المساكين ذكورا وإناثا ويتراوح ثمن الزنجية عادة بين ثلاث مائة وأربعمائة مائة ريال في حين لا يفوت ثمن الزنجي غالبا نصف هذا المبلغ».(1)

وكانت تونس توفر لقوافل غدامس روح الورد والعمور والثلثاب المطرزة والأوشحة الحريرية والمرجان، وترسل جربة الأغطية المزركشة والأنسجة الحريرية والصوفية الفاخرة، ويرسل الجريد ونفزاوة البرانس والحاك (2).

#### IV. سياسة القرامنليين تجاه غدامس: حملة يوسف باشا سنة 1810.

##### 1. التاريخ السياسي لخدامس

كانت غدامس تتبع إقليم فزان قبل عهد سلاطين أولاد أحمد، وفي عهدهم قسمت فزان إلى تسع مقاطعات أو عمالات (مديريات) وهي: 1-القطعة (بوادي الشاطي) 2-سكونة، 3-القلعة في (وادي الحياة الشرقي)، 4-تكركيبا (في واد الحياة الغربي)، 5-زويلة، 6-مرزق، 7-غدامس، 8-غات، 9-القطرون. (3) أما عن تاريخ غدامس السياسي وعلاقتها بالسلطة الحاكمة يشير صاحب دفتر غدامس إلى أنها كانت تتمتع بشي من

1 - الغندري □ منير □، رحلة المبشر إيفالد من تونس إلى طرابلس في سنة 1835 مرورا بسليمان ونابل والحمامات وسوسة والمنستير والمهدية وصفاس وقابس وجربة، بيت الحكمة 1991، ص 23.

2] André (M), les confins saharo-Tripolitains ...op ,cit, p158.

[3] خليفة إبراهيم ضو، تجارة الرقيق... مرجع سابق، ص 40.

الاستقلالية نظرا لبعدها عن مركز السيادة، وكانت تتعامل في علاقتها التجارية بعقد الإتفاقيات مع نوير وورغمة وغيرهم حتى تأمن تجارتها الصحراوية وليس لها تبعية لأي سلطة إلى أن غزاها أبو فارس عبد العزيز الحفصي سنة 809هـ-1407م. تالتت عليها الغزوات رغم ما تؤديه من ضرائب فرضت عليها، فقد غزاها القائد إبراهيم الحفصي والقائد احمد وأبي درويش ورمضان باي، وقد دخل هذا الأخير في معركة مع أهل البلدة سنة 1018هـ-1609م وانتهت المعركة صلحا بدفع خمسة آلاف مئقال من الذهب(1).

ويبدو أن وضعية غدامس لم تتغير حتى خلال العهد العثماني الأول ورغم غياب إشارات واضحة حول الحملات الموجهة لها، إلا أننا نجد أغلب الدراسات تشير إلى أن علاقة غدامس بالعائلة القرمانلية كان يسودها التوتر و ذكرت بعض الدراسات إنها أعلنت خروجها عن هذا الحكم ودفعت ضرائبها لتونس ابتداءنا من 1221هـ-1806م ما دفع بيوسف باشا إلى إرسال حملة لها وذلك سنة 1225هـ-1870م(2).

فماهي إذن حيثيات هذه الحملة؟ وماهي ردود فعل سكان غدامس؟

## 2. الحملة على غدامس وردود فعل السكان

كان يوسف باشا في بداية حكمه يتمتع بهيبة وإحترام لدى العرب وحتى الأوروبيين، إلا أن سكان الدواخل في علاقة توتر دائم مع يوسف باشا، نظرا لسياسة الضرائب ومحاولته وضع يده على هذه المناطق التي كان سكانها في عصيان متكرر. وفي سنة 1803 كان عليه أن يخمد ثورة قامت في غريان، وسنة 1221هـ-1807م قتل محمد بك زعيم أولاد سليمان أحمد سيف النصر الذين كانوا يغزون فزان وسرت

[1] بشير قاسم يشوع، غدامس عبر العصور مرجع سابق، ص 20.

[2] بشير قاسم، غدامس عبر مرجع سابق .ص20

وبرقة.

وتمثل كل غدامس وقران مركزا تجاريا مهما وغنيا و غدامس مدينة موعلة في التجارة الصحراوية ومعروفة بتجارها الأثرياء ومعارفها ومموليها الذين أسهموا بقسط كبير من رأس مال تجارة الصحراء والسودان .

كانت واحة غدامس في السابق تابعة لطرابلس إلا أنها منذ خمسة سنوات انفصلت عن طرابلس وأصبحت تدفع التكاليف الأميرية لتونس. وبعد إن قام سكان غدامس بقطع علاقتهم مع طرابلس ورفضوا دفع الضريبة أرسل لها يوسف باشا حملة بقيادة ابنه علي بك(1)، إلا أن السكان واجهوها بإستتكار ففي إعتقادهم ليس هناك مبرر لها ولم يظهروا أي روح عدائية. و كما ذكرنا سابقا أن التجار الغدامسيين لهم دراية بكل ما يتعلق بالعملية تجارية فكانوا يحسبون بدقة تكاليف نقل البضائع والضرائب والمصاعب والفائدة التي ستعود لهم من تجارتهم، لذلك عندما أحاطت قوات يوسف باشا بقيادة ابنه بالمدينة، إجتمع كبار تجار المدينة والممولين للتجارة واتفقوا على تجنب المقاومة لما تخلفه من دمار للمدينة وخسارة لتجار الغدامسيين في المقابل عدم تكلف قواة الباشا أي خسائر. لهذه الأسباب طلب التجار من سكان غدامس أن يسلموا أنفسهم طوعية لقوات الباشا ولكن هناك أقلية عسكرية كانت تطالب بالمقاومة ولكن تكتل التجار والممولين قد أسكت الآخرين وسلمت المدينة بكاملها في اليوم الثالث بكل هدوء(2).

### 3. شروط الباشا

ومقابل إستسلام سكان غدامس فرض باشا طرابلس جملة من الشروط على الأهالي و تمثل في:

[1] - أتوري روسي، تاريخ ليبيا .. مرجع سابق، ص382]

[2]- خليفة إبراهيم ضو، تجارة الرقيق ... مرجع سابق، ص87.

1: تدفع غدامس الضرائب التي دفعوها لتونس مضاعفة عن مدة الخمس سنوات الماضية وقد قدرت هذه الضرائب 20.000 مثقالا من الذهب و 20.000 محبوبا كتعويض للباشا على نفقات الحملة .

2: نصب على غدامس واليا وجمع كل المستحقات واحتفظ ب 10% منها كعمولة.

3: اشترط أيضا أن يكون من حق الوالي المحلي فرض ضريبة على التجار متى إحتاج الباشا لأموال إضافية ثم جمع كل ممتلكات دون وريث إلى الباشا (1)، وبهذا تحصل الباشا على عدد كبير من الأراضي، ويذكر جوردن لينج الذي زار المدينة سنة 1825 أن للباشا ارض تقدر مساحتها ثلثي هكتار.

لقد ساهم بعد غدامس عن مركز السيادة وإستقلالها في تنامي أطماع الحكام وإستغلال موقعها الإستراتيجي كبوابة التجارة إلى السودان وللمغرب وملتقى القوافل التجارية هذا من ناحية، ثم إستغلال يوسف باشا رفض الغدامسيين دفع الضرائب من ناحية ثانية لإرسال حملة إليهم قصد إرغام السكان على دفع الضرائب المتخلدة في ذمتهم من أجل خزينة الدولة والانتفاع بعائدات التجارة، ثم التمكن من سهولة بناء علاقات دبلوماسية مع السودان لسهولة مراقبة المسالك التجارية الصحراوية ووضع يده عليها.

تمكن بذلك يوسف باشا من إحكام قبضته على المدن التجارية وفرض إرادته على الكثير من المناطق، ما ساعد على إزدهار الاقتصاد وتكديس مبالغ هامة في خزينة الدولة. ويلخص هذا الإزدهار التقرير الذي تحصل عليه المؤرخ كاستنارو بيرنا **Castanso**

[1] - شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي ، ت، محمد عيد الكريم الوافي، طرابلس، دار الفرجاني 1973، ص555.

**Bergna** وهو تقرير أرسله مير(Mur) القنصل الفرنسي في طرابلس إلى وزارة البحرية الفرنسية بتاريخ أول يوليو1820 وفيه ما تدفعه المدن التجارية من ضرائب فغامس كانت تدفع سنويا 2000 قرش ومرزق 50.000 قرش وأوجلة 500 قرش نظير حريتها في تجارة غبار الذهب والرقيق الزنجي والتومور وريش النعام والعاج، وكان حاكم بنغازي ودرنة يدفع 5000 قرش.(1)

لكنه في أواخر عهده شهدت البلاد حالة من الفوضى وإستنفار الشعب نظرا لسياسته المالية التي أفلست البلاد وإدخلتها في الديون ما زاد في تتالي الثورات التي أدت إلى سقوط العائلة القرامنلية سنة 1835، وهنا دخلت البلاد في حكم عثماني مباشر وبنظام مركزي صارم وعرفت هذه الفترة بالعهد العثماني الثاني.

## الاستنتاجات

توصلنا من خلال البحث الموجز إلى العديد من الاستنتاجات أهمها :

**1:** خيبة آمال سكان طرابلس في الحكام القرامنليين الذين إنتهجوا نفس سياسة من سبقوهم ، وكان هدفهم جمع الأموال وإثقال كاهل السكان بالضرائب وإدخال السكان في دوامة التوتر عوض الأمن والإستقرار المنشود الذي كانوا يتطلعون إليه من السياسة الجديدة التي بجلت مصلحة الدولة على مصلحة الأهالي.

**2:** الالتفات إلى المناطق الداخلية للبحث عن مورد للخزينة يسهل منه جمع الضرائب الأمر الذي زاد في غضب السكان ودفعهم إلى تكرار الثورات ضد القرامنليين.

**3:** أهمية تجارة القوافل في تنشيط الحركة الإقتصادية لمدينة غدامس التي تعتبر مركزا هاما ونقطة التقاء وتفرع المسالك التجارية القادمة من السودان والرابطة غدامس

[1] P.Castanzo bergna»Tripoli Del1510 A1850«op cit P281-282.



جعلت للواحة طابعا معيناً مميزاً (1).

صورة رقم (1): عين فرس - غدامس (2)



5: أهمية واحة غدامس التي تحيط بالمدينة وتمثل مكان لراحة القوافل وكانت تنصب فيها الخيام وقد وصفها ليون برفنكيار بقوله «تعد واحة غدامس حسب ما بلغني بين 20000 و30000 نخلة»<sup>3</sup>.

[1] علي مصطفى المصراتي، مؤرخون من ليبيا مؤلفاتهم ومناهجهم، عرض ودراسة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط2، 2002، ص151.

[2] بشير قاسم يوشع، غدامس عبرا لعصور، مرجع سابق، ص101.

[3] ليون برفنكيار، أسرار ترسيم الحدود التونسية الليبية 1911 ت، الضاوي موسى، مطبعة تونس قرطاج 2012.

صورة رقم (2): الواحة التي تحيط بمدينة غدامس القديمة (1)



6: أهمية الخبرة التجارية التي يكتسبها الغدامسيون في تحقيق الإرباح بسرعة وإكساب غدامس شهرة كبيرة التي طورت بها علاقتها التجارية الخارجية، وقد ساهمت الحركة التجارية في هذه المدينة في تكوين مدينة تجارية ثرية لا تبالي بدفع الضرائب ولا تقاوم الحملات

### الخاتمة

دام حكم القرامنليين زهاء قرن وربع، ولم يتخلصوا من عبئ السيادة العثمانية وإن حكموا البلاد حكما مستقلا من الناحية العملية إلا أنهم ظلوا تابعين لها من الناحية الاسمية. كان الحكم القرامنلي يمكن أن يستمر مدة أطول لولا سياسية يوسف باشا الخارجية الهجينة التي وضعته في ضائقة مالية، كما أنه نظر للبلاد على أنها مصدر لمأخزينته

[1] بشير قاسم يوشع غدامس، عبر العصور..... ومرجع سابق، ص100.

فق، وفي الاستقلال الذي تعيشه مناطق الجنوب حرمانا له من العوائد الضخمة للتجارة، الأمر الذي أدى به إلى السعي في وضع يده على المناطق التي لها دورها في إثراء خزينة الدولة. ومن بين المدن الشهيرة التي جاهرت بالعصيان وظلت في استقلالية عن المركز هي مدينة **غدامس** الشهيرة برفضها دفع الضرائب ولم ترسخ إلا بعد الحملة التي وجهها إليها يوسف باشا واستسلمت دون مقاومة .

وهنا يمكن أن نستخلص أن تلك الشهرة التي اكتسبتها مدينة غدامس وذلك الثراء الذي جعل منها في صدارة مراكز عبور تجارة القوافل، لم يأتي من فراغ بل كان نتاج عديد العوامل المتداخلة منها الموقع الجغرافي المتميز. وما تحتوي عليه من مقومات الراحة التي تتطلبها القوافل الصحراوية، بدءا بوفرة الماء وواحتها الشهيرة مع خبرة تجارها الذي ذاع سيطهم في طرابلس وخارجها واشتهارهم بالذكاء وتمكنهم من تكوين علاقات متميزة مع السودان ودول شمال إفريقي، ولكنها لم تسلم من بطش القرامنليين كغيرها من المدن التجارية وهنا يمكن أن نفتح آفاق البحث على مدينة غدامس مصير التجارة الصحراوية والقوافل التجارية زمن حكم العثمانيين في العهد العثماني الثاني وأهم التطورات التي ستحصل خلال دخول الإستعمار الإيطالي .

## المراجع:

### المؤلفات العربية

- 1- الحسن محمد الوزان، الفاسي، وصف إفريقيا، ط2، ت، أحمد حجي ومحمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- 2- الشريف خديجة، "طريقة تقويم القوافل الغدامسية، السلع والبضائع" مجلة البحوث التاريخية، عدد 1 1988
- 3- يوشع بشير قاسم، غدامس عبر العصور، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 2010.

4- بشير قاسم يوشع، وثائق غدامس، وثائق تجارية تاريخية اجتماعية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ص 1995

5- تيسير بن موسى، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني،*الدار العربية للكتاب*، 1988

5 -خليفة إبراهيم ضو، تجارة الرقيق في ولاية طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر،*جامعة سبها*، 2008

7-علي مصطفى المصراطي، مؤرخون من ليبيا مؤلفاتهم ومناهجهم، عرض ودراسة،*الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان*، ط2، 2002 .

8- عمر علي بن إسماعيل، إنهيار حكم الأسرة القرامانلية في ليبيا 1795-1835، *مكتبة الفرجاني*، طرابلس - ليبيا، ط1-1966 .

9 -عماد الدين غانم وآخرون، الصحراء الكبرى،*نشر المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية*.

محمد ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ت، عبد السلام ادهم و محمد الأسطى،*منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب*، 1970

#### ✓ الكتب المترجمة

أتوري روسي، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911، ت، خليفة محمد التليسي، *الدار العربية للكتاب*، 1911.

جون فرانسيس ليون، رحلته من طرابلس إلى فزان، ت مصطفى جودة، *الدار العربية للكتاب ليبيا - تونس*،

197،

رودلفو ميكاكي، طرابلس تحت حكم أسرة القرامنلي، ت، طه فوزي، *جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية العالمية*، القاهرة 196 .

شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي، ت، محمد عبد الكريم الوافي، *طرابلس، دار الفرجاني* 1973 .

كوستانتينو (بيرنيا)، 'القراملون' بحث بالايطالية نشر في مجلة(ليبيا) الصادرة  
بترابلس، سنة1953 .

### المراجع الأجنبية

André (M), Les confins saharo-Tripolitains de la Tunisie[1]1  
(1881-1911) T1,1ér Édition presse universitaires de  
France,1965.

] Captain.G.E.Lyon. »A narrative of travels in Northern 2 [  
Africa in the years 1818.19and 20. London 1821.

] P.Castanzo bergna »Tripoli Del1510 A1850«Tripoli 1924.3[



## مدينة غدامس من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة

### خلال الفترة من ق 4- 8 هـ

د. علي محمد سميو

كلية الآداب - جامعة مصراته - ليبيا

#### توطئة:

الحمد لله رب العالمين، جامع الأولين والآخرين ليوم الفصل والدين، حمداً يوجب رضاه، ويقضّي المزيد من فضله ونعماه، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد نبي الرحمة، وهادي الأمة، وخاتم النبوة، وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً، وبعد..

ففي تاريخ التفكير التألّيفي ألوان من التصانيف وضرّوب من التّأليف تتضمّن إشارات ومعلومات قيّمة تتصل بحياة البلاد والعباد في مختلف الأمصار والاعصار، مما يتألف منه مادة جغرافية وتاريخية واجتماعية واقتصادية، وفكرية صالحة قد تضنُّ بها علينا أحياناً مدونات التاريخ ومصادره.

ومن تلك التصانيف والتّأليف كتب الجغرافيا والرحلات التي تعتبر على جانب كبير من الأهمية خاصة بالنسبة للجانب التوثيقي فيها، ولهذا أو ذاك عنيت بها أقلام كثير من الباحثين والدارسين قديماً وحديثاً، عرباً وعجماً، إما بنشر نصوص منها محققة موثقة، أو بإجراء بحوث ودراسات حول ما اشتملت عليه من مادة علمية.

وقد استأثرت كتب الجغرافيا والرحلات من هذه العناية بالنصيب الأكبر والحظ الأوفر لفائدتها المؤكدة في مجال البحث التاريخي والجغرافي، إذ هي المعين الذي يستقي منه أهل أمة معلوماتهم عن الأمم.

#### المقدمة:

لقد كان علماء الاستشراق سبّاقين إلى الاهتمام بكتب الجغرافيا والرحلات، فقد تنبهوا إلى قيمتها العلمية والأدبية، فأكثرُوا النقل عنها وترجموا معلوماتها إلى لغاتهم، وممن حدا حذوهم وسلك طريقتهم العلماء المغاربة، إذ اهتموا بنشر ودراسة العديد من هذه المصادر والكتب.

ومن هذا المنطلق رأيت أن أقدم هذه الورقة البحثية عن تاريخ مدينة غدامس الحضاري، من خلال ما شاهدوه وما كتبوه الجغرافيين والرحالة عن هذه المدينة التاريخية العريقة، ومحاولة التعليق عليها وتحليل نصوصهم قارنين ذلك أن تطلب الأمر بأقوال المؤرخين للوصول قدر الإمكان الي توافق في سرد المعلومة الصحيحة.

وتتمثل أهمية دراسة موضوع الجغرافيين والرحالة الذين مروا بغدامس أو كتبوا عنها، من خلال ما خلفوه من كتابات ونصوص تتطلب دراستها والتدقيق فيها لمعرفة مختلف الظروف والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ومحاولة مقارنتها بأقوال المؤرخين الذين تحدثوا في مؤلفاتهم عن هذه الفترة، إضافة إلى ذلك الكشف عن العديد من الجوانب المتعلقة بتاريخ المدينة، ومحاولة التعرف على الأحداث والتطورات، وذلك بالاعتماد على ما كتبه باعتبارهم شاهدوا عيان لهذه الفترة.

كما تهدف الدراسة الي محاولة إبراز دور الجغرافيين والرحالة في كشف - ولو جزء بسيط - تاريخ هذه الفترة باعتبارهم شاهدوا عيان للعديد من الأحداث في هذه المدينة. وايضا إبراز الجوانب الحضارية التي اهتمت بها كتب الجغرافيا والرحلات في مدينة غدامس.

ومن خلال استيضاح أهمية وأهداف الدراسة تتضح الأسباب التي كانت وراء اختيار هذا الموضوع، ومن هذه الأسباب: إن مرور العديد من الجغرافيين والرحالة وفي فترات زمنية مختلفة عبر المدينة، وكتاباتهم عن مختلف الجوانب منها يطرح العديد من التساؤلات. هل استطاع هؤلاء الرحالة أن يكشفوا العديد

من الجوانب في المنطقة خلال فترة الدراسة؟ وهل استطاعوا رسم الصورة الحقيقية لطبيعة الأوضاع السياسية والحضارية في تلك الفترة؟  
ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة سيتم الاعتماد على المنهج السردى التاريخي مع الاستعانة بالمنهج التحليلي المقارن، ويقوم هذا المنهج على أساس جمع المعلومات ونقدها وتوثيقها وتصنيفها في مواضيع محددة، ومن ثم تحليلها واستخراج النتائج التي سيتم عن طريقها الوصول إلى نتائج منطقية وموضوعية.  
إن الدراسات السابقة التي تناولت تاريخ هذه المنطقة في هذه الفترة، تكاد تكون شحيحة، وحتى إن وجدت فهي مبتورة وغير مستكملة في دراستها وتحليلها لجميع الجوانب السياسية والحضارية، وفي نفس الوقت، فإن آراء أصحابها متضاربة وكل تركيزها كان منحازا إلى الجانب السياسي فقط أو بعض من الجوانب الأخرى ودون التعمق فيها، كما أن الذين تناولوا تاريخ مدينة غدامس لم يتناولوا بالدرس والبحث المنطقة إلا باعتبارها منطقة عبور أو مجالا للعمليات الحربية للدول والإمارات التي ظهرت في هذه المنطقة.

ومن هذا المنطلق حاولت قدر الإمكان البحث في هذه الكتابات للحصول على معلومات قد تكون معينا لمعرفة بعض جوانب الحياة في هذه المدينة، إلا أن المعلومات كانت قليلة جدا خاصة فيما يتعلق بالجانب السياسي والاجتماعي والثقافي وهو ما جعل تركيزي على الجانب الاقتصادي حيث وجدت طفرات متفرقة بين طيات هذه الكتابات حاولت تجميعها وعرضها في محاولة - قدر الإمكان - التعرف على الحياة الاقتصادية في البلاد الغدامسية.

### أولاً: جغرافية المنطقة:

تشغل مدينة غدامس الليبية موقعا جغرافيا هاما في المثلث الحدودي الذي يجمع بين تونس والجزائر في النواحي الغربية من ليبيا(1)، وتقع على الحافة

(1) البرغوتي: عبداللطيف، التاريخ الليبي القديم منذ اقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، دار صادر، طرابلس، بيروت، 1971م، ص140.

الغربية للحمادة الحمراء بين خطي عرض 30 شمالا و طول 9.16 شرقا، ويفصل بينها وبين العاصمة الليبية طرابلس مسافة تقدر ب 543 كم الي الجنوب الغربي. ويصل ارتفاع المدينة فوق مستوى سطح البحر أكثر من 357 متر(1). وتعد المدينة من المدن الليبية التي لها تاريخ ضارب في القدم، اذ يرجع تاريخها الي العصر الفينيقي والروماني حيث كانت حصنا تجاريا حريبا لروما على طريق جزمة جنوبا(2). واعتبرت منذ التاريخ القديم احدى أهم المحطات التجارية الصحراوية. وأشار اليها ياقوت الحموي بأنها عبارة عن واحة نخيل ولها تاريخ عريق اذ كانت ممرا للقوافل التجارية، كما أنها تعتبر من أكثر الخطوط شهرة في المنطقة(3). وذكرها ابن خلدون بقوله: "...، وفي حمتها شرقا أرض ودان التي بقيتها في الإقليم الثاني،... "(4)، وذكرها الحميري قوله: "...، غدامس في الصحراء على سبعة أيام من جبل نفوسة، وهي مدينة لطيفة قديمة ازلية في الاسلام،..."(5). أما ما يخص دخول المسلمين لها فاتحين فكان في سنة 671 / 5هـ بقيادة عقبة بن نافع الفهري زمن الخليفة الاموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه(6).

### ثانياً: أصل التسمية:

تشير الكتابات القديمة الي ان مدينة غدامس كانت مدينة بربرية تسمى

(1) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(2) المرجع السابق، ص142.

(3) ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله الرومي (ت: 626 هـ / 1228م) معجم البلدان، دار صادر، دار بيروت، 1979م، ج4 ص187.

(4) ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت: 808 هـ / 1405م) مقدمة ابن خلدون، منشورات دار ابن خلدون، الإسكندرية، دت، ص134.

(5) الحميري: محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت: خلال القرن التاسع الهجري / القرن الخامس عشر الميلادي) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، دار العلم للطباعة، بيروت، 1975م، ص79 - 80.

(6) ابن عبدالحكم: عبدالرحمن بن عبدالله بن أمين (ت: 257 هـ / 870م) فتوح مصر واخبارها، مطبعة بريل، لندن، دت، ص131 - 132.

سيداموس Cydaamus وعرفت باسم ردامس(1). كما اشتهرت باسم كيدامي(2)، Kedame ومع مرور الوقت ومع دخول الفاتحين الي المدينة، يبدو أن الاسم حرف وكعادة العرب لتسهيل النطق فأصبح غدامس وهو ما جرت عليه عادتهم في مختلف المناطق التي فتحوها.

### ثالثاً: الحياة الاقتصادية:

تباينت الوضعيات الطبيعية والإنتاجية بمختلف أقاليم ليبيا بحسب درجة قساوة المناخ وتبعاته على الحياة الاقتصادية، حيث برز اقليمي برقة في الشمال الشرقي وطرابلس في الشمال الغربي كمنطقتين اقتصاديتين متميزتين عن غيرهما، في حين برزت المنطقة المحصورة فيما بين تاورغاء وأجدابية كصحراء قاحلة غير قابلة للاستغلال الزراعي، وبدرجة أقل المناطق الجنوبية، والتي لم تكن قادرة على الانتاج الا في نطاق الواحات الضيقة(3). وهو ما ينطبق على مدينة غدامس - موضوع دراستنا - بحكم موقعها في النطاق الصحراوي، وهذا ما جعل الانتاج الفلاحي في كل اقاليم ليبيا لا يعرف انتظام نتيجة لتذبذب تساقط الامطار، والتي بدونها تتعرض المنطقة لحالة جفاف شديد مرة كل خمس او ست سنوات، وقد تستمر في بعض الاحيان سنتين متتاليتين مما يؤثر على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية(4).

وأذ كان هذا الاطار الطبيعي العام للموارد الطبيعية، فأن الجغرافيين والرحالة قد اهتموا كثيرا برصد معالم وضعية البلاد، سواء من الناحية الطبيعية،

(1) ينظر كل من: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مادة غدامس؛ كذلك ابن خلدون، المقدمة، ص134؛ الزاوي:

الطاهر، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، ط1، طرابلس، 1968م، مادة غدامس.

(2) ياقوت الحموي: المصدر السابق، مادة غدامس.

(3) الواحات: واحدا واح على غير قياس لا اعرف معناها وما أضنها الاقضية وهي ثلاث كور في مصر غربي مصر ثم غربي الصعيد، لان الصعيد يحوطه جبلان غربي وشرقي وهما جبلان مكتنفا النيل من حيث يعلم جريانه الي أن ينتهي الشرقي الي المقطم بمصر وينقطع وليس وراءه غير بادية العرب والبحر القلزمي. ينظر:

ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5 ص341 - 342.

(4) البرغوتي: عبداللطيف، تاريخ ليبيا الاسلامي منذ الفتح حتى بداية العصر العثماني، منشورات الجامعة الليبية، دار صادر، طرابلس، بيروت، 1972م، ص6.

خاصة مصادر المياه ومناطق الجفاف الصحراوي، أو وضعية الانتاج الحيواني، الي جانب النشاط الرعوي وتربية الحيوانات المنتشرة في البلاد، كما دونوا ملاحظاتهم حول اماكن تواجد بعض المعادن وطرق استغلالها، وبعض أنواع الصناعات التي عرفها الناس في هذه الاقاليم في ذلك الوقت، دون ان ينسوا التطرق الي وصف مظاهر التبادل التجاري المحلي والخارجي، مما يسمح بتكوين نظرة شمولية على الجانب الاقتصادي لهذه المنطقة خلال تلك المرحلة، لاسيما أن التوافق - الي حد بعيد - قد جمع بين الشهادات المختلفة لهؤلاء الجغرافيين والرحالة طوال الفترة المعنية بالدراسة ولم يبرز الاختلاف الا حسب الفصول التي صادفت مرورهم عبر الاقليمين برقة وطرابلس(1).

ومهما يكن من امر التوافق والاختلاف حول البلاد الطرابلسية فإن ما يهمننا من ذلك هو مدينة غدامس على وجه الخصوص باعتبارها موضوع الدراسة.

#### رابعاً: الزراعة:

عقب دخول الاسلام الي اقليم طرابلس استعادت المنطقة امنها واستقرارها، مما ساهم في اندفاع الناس الي مزاوله نشاطهم الاقتصادي، فكثر المزارع وتنوع انتاجها من الحبوب والثمار والفواكهة. ومدينة غدامس كغيرها من مدن اقليم طرابلس غنية بمياهها وخيراتها وترتبهها الخصبة الصالحة للزراعة، ولعل ابلغ دليل على ذلك ما حدثنا به الجغرافي ابن سعيد المغربي في حديثه عن مدن غدامس واولجة وودان: "...، بأنها جزائر كثيرة النخل والماء،... (2)" وهو ما يوحي بوجود تربة خصبة ومناخ مناسب لاشتغال الاهالي بحرفة

(1) عبدالسلام: محمد الحراري، ليبيا عبر كتابات الرحالين المغاربة في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، منشورات شعبة التثقيف والتعبئة والاعلام، ط1، طرابلس ن 1998 م، ص164.

(2) ابن سعيد المغربي: ابي الحسن علي بن موسى ( 673 هـ / 1274م) كتاب الجغرافيا، تحقيق: اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1970م، ص127. كذلك: ابن سعيد، ابي

الزراعة وأن كانت في عمومها تصب في مصلحة السكان واكتفائهم الذاتي خاصة فيما يتعلق بجانب الغذاء.

لقد اعتمدت الزراعة في مدن الواحات والتي من بينها مدينة غدامس على العديد من مصادر المياه، ولعل أبرزها الأمطار والآبار والعيون، وان كانت الأمطار قليلة، وبالتالي كان الاعتماد الكامل لسكان هذه المناطق على الآبار والعيون بالدرجة الأولى، ولعل أبلغ دليل على ذلك ما أشار اليه الجغرافيون والرحالة في حديثهم عن عين ماء لا تنضب موجودة في مدينة غدامس حيث استعملت في ري الأراضي الزراعية طيلة فترة الدراسة وبعدها.

ويحدثنا ياقوت الحموي وكذلك القزويني عن وجود تلك العين القديمة ويصفانها وصفا دقيقا بالقول: "...، وفي وسطها - يقصد مدينة غدامس - عين ازلية وعليها أثر بنيان عجيب رومي يفيض الماء فيها، ويقسمه أهل البلدة بأقسام معلومة لا يقدر أحد أن يأخذ أكثر من حقه، وعليه يزرعون،..."<sup>(1)</sup>، وأشار إليها أيضا القلقشندي بقوله: "...، مدينة جليلة عامرة في وسطها عين ازلية عليها اثر بنيان رومي عجيب يفيض منه الماء،..."<sup>(2)</sup>، وذكرها الشيخ الطاهر الزاوي قوله: "...، بأنها عين ماء تقع في مدينة غدامس يشرب منها سكان الواحة، ويسقون منها مزروعاتهم وتتجمع مياهها في حوض طوله 25 م، وعرض 14م، وعمقه متر واحد،..."<sup>(3)</sup>، وهو ما يؤكد اعتماد اهالي المدينة في زراعتهم وسقايتهم وشربهم على هذه العين بشكل كبير، ولعل ابلغ دليل على ذلك أنها كانت مقسمة بينهم بالتساوي وبطريقة منظمة وبأشراف أشخاص لهم دراية بمختلف قنوات

الحسن علي بن موسى، كتاب بسط الارض في الطول والعرض، تحقيق: خوان خينيس، تطوان، 1958م، ص61.

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص184؛ كذلك: القزويني: زكريا محمد بن محمود ( 682 هـ / 1283م) آثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1969م، ص57.

(2) القلقشندي: ابي العباس احمد بن علي ( 821 هـ / 1418م) صبح الاعشى، شرح وتعليق: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1978م، ج5، ص103.

(3) معجم البلدان، ص235.

هذه العين الازلية المميزة.

ومن خلال ما سبق يبدو أن اهالي مدينة غدامس قد اعتمدوا بشكل كبير على هذه العين، ولعل مرجعه في ذلك هو قلة سقوط الامطار على المدينة. وهو ما يوحي على ان الزراعة بغدامس كانت زراعة بعلية، والتي تعتمد بالدرجة الاولى على انتشار الاودية المجاورة للمدينة الشحيحة الامطار مما جعل اعتماد الاهالي على مياه الابار والعيون كمصدر أساسي للزراعة بالمدينة الغدامسية.

#### خامساً: الرعي وتربية الحيوانات:

في ظل وجود الاراضي الغنية بالأعشاب الصالحة للرعي، والاشجار المثمرة، والغابات الواسعة، يمكن القول ان الثروة الحيوانية كانت متوفرة -الي حد ما- وان لم اجد اي أشار في كتابات الجغرافيون والرحالة الا أن المؤرخ الدمشقي ذكر في حديثه عن مدينة غدامس قوله "...، وسكانها بربر، وأقواتهم الأنعام وعيشهم اللحم واللبن،..."<sup>(1)</sup>، وهو دليل على وجود اصناف مختلفة من الحيوانات، كالأبل والأغنام والماعز، وأن كانت على ما يبدو قليلة ولكنها كافية لسد الحياة اليومية بالمدينة.

#### سادساً: الصناعة:

لقد كانت الصناعة في مدينة غدامس بسيطة جدا كونها اعتمدت على إنتاج السلع الاستهلاكية التي تصنع محليا<sup>(2)</sup>.

ومن خلال ما نستشفه من كتابات الجغرافيين والرحالة نجد إشارات بسيطة للصناعة في غدامس ولعل أبرز تلك الصناعات صناعة الجلود. حيث اشتهرت المدينة -كمركز تجاري- بصناعة الجلود ودباغتها، وبلغت أعلى مرتبة في هذه الصناعة، فقد كان يحصل أهالي هذه المدينة على المادة الخام بما يصلهم من بلاد

(1) الدمشقي: شمس الدين ابي عبدالله محمد بن ابراهيم ابي طالب الانصاري ( 727 هـ / 1326م) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة النبي، بغداد، ص239.

(2) مفتاح: صالح مصطفى، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية الي مصر، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، ط1، طرابلس، 1978م، ص209.

كانم(1).

والهاوسا(2). وكانت صناعة الجلود تتم في غدامس على نفس طريقتها في بلاد الكانم(3).

ومن الجغرافيين الذين أشاروا الي ذلك ابو الفدا بقوله "...، وفي غدامس جلود مفضلة وهي على طريق بلاد السودان المعروفين بكانم،..."(4).

وتعد صناعة دباغة الجلود في مدينة غدامس من اجود الدباغ، اذ توجد العديد من الاشارات في عديد من نصوص الجغرافيين والرحالة، فقد ذكر صاحب كتاب الاستبصار في حديثه عن المدينة بأنها "...، مدينة كبيرة، واليها ينسب الجلد الغدامسي،..."(5)، وحدثنا ياقوت الحموي عن ذلك بقوله: "...، وهي - الجلود غدامسية - من أجود الدباغ، لا شيء فوقها في الجودة، كأنها ثياب الخز في النعومة والاشراق،..."(6).

ويؤكد ذلك الجغرافي ابن سعيد المغربي بقوله: "...، وتقع مدينة غدامس التي ينسب اليها الجلد المفضل،..."(7)، ولعل أبلغ دليل على جودة الجلود

- (1) كانم: مملكة أفريقية قامت شرقي بحيرة تشاد والتي تعرف قديما بإقليم برنو، وبجمهورية نيجريا حاليا، ولذلك عرفت في التاريخ بمملكة كانم - برنو. ينظر: الفيتوري: عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء، منشورات جامعة قاريونس، ط1، بنغازي، 1998م، ص219. وللمزيد من المعلومات ينظر: ابن بطوطة: أبو عبدالله محمد بن ابراهيم (ت: 779 هـ / 1377م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فب غرائب التاريخ والامصار، شرح: طلال حرب ن دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987م.
- (2) الهاوسا: وهي عبارة عن دويلات تمتد في وسط القارة الافريقية من المحيط الاطلسي الي البحر الاحمر الواقع بين الصحراء شمالا والمنطقة الاستوائية جنوبا، والذي عرف عند المؤرخين والجغرافيين العرب باسم بلاد السودان. للمزيد من المعلومات عن دويلات الهاوسا ينظر: عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص26، ص209.
- (3) ابوالفدا: عماد الدين اسماعيل بن محمد ( 732 هـ / 1330م) تقويم البلدان، تحقيق: رينو ودي سلان والبان ماك كوكين دجيلان، باريس، 1840م، ص147.
- (4) المصدر نفسه: ص147 .
- (5) مؤلف مجهول: ( كان حيا خلال القرن السادس الهجري / الحادي عشر الميلادي ) الأستبصار في عجائب الامصار، تعليق: سعد زغلول عبدالحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، 1986م، ص146.
- (6) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4 ص187، ونقل عنه حرفيا القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص103.
- (7) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص127؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص61.

الغدامسية أيضا إشارة القزويني في حديثه عنها: "...، مدينة بالمغرب...، ويجلب منها الجلود الغدامسية، وهي من أجود الدباغ، ولا شيء فوقها في الجودة، وكأنها ثياب الخز في النعومة..."(1).

ومن خلال هذه النصوص دليل واضح على ان غدامس كانت مركز مهم لصناعة الجلود ودبغها والاتجار بها فهي توضح أنها مصدر اساسي للبلاد الغدامسية في حياتهم بشكل كبير، بل تعد مصدر رزق أساسي لسكان المدينة على وجه العموم.

### سابعاً: التجارة:

تتنوع الأسواق في إقليم طرابلس الغرب بشكل عام بحسب البيئة الزراعية والرعية المختلفة، وبحسب حاصلاتها وصناعاتها ودرجة وجودها في المناطق الجبلية والساحلية (2)، وهي بحكم موقعها حركة اقتصادية ذاتية على مدار العام، اذ قلما تخلو من مرور ركب من اركاب الحجيج مرورا وورودا(3).

ومما سبق سنحاول أن نتتبع مراحل تطور الحياة التجارية والأسواق في مدينة غدامس من خلال نستشفه من كتابات الجغرافيين والرحالة، ولعل الطرق التجارية كانت أبرز ما تم الإشارة اليه اذ تعد هي الرابط بين العديد من المدن والقرى والمناطق الداخلية، وهي حلقة الوصل بين مركز تجاري وآخر وبهذا واكتسبت اهميتها.

لقد أشار الجغرافيون والرحالة المسلمون الي كثرة الطرق التجارية فعددها وذكروا مسافاتها، وعددوا مراحلها ومسالكها واتجاهاتها، وهو ما يوحي بوجود

(1) القزويني: أثار البلاد واخبار العباد، ص 57 .

(2) السباني: صالح، الأسواق العربية اللبية من خلال ما كتبه الرحالة العرب، مجلة كلية الآداب، منشورات جامعة الزاوية، مارس 2005م، العدد الاول، ص 150 .

(3) الاحرش: سعيد، صورة ليبيا من خلال رحلتين مغربيين رحلة العبدري ورحلة العياشي، اعمال ندوة التواصل الثقافي بين اقطار المغرب العربي خلال الفترة من 20 - 23 ديسمبر 1995م، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، تقديم: عبدالحميد هرامة، ط1، طرابلس، 1988م، ص 566 .

حركة تجارية مزدهرة في مختلف المدن التي تقع على هذه الطرق، والتي من بينها مدينة غدامس كونها مركزا تجاريا وملتقي لعديد من الطرق التجارية، حيث تصله القوافل التجارية قادمة من أربعة اتجاهات عبر مفازات الصحراء الكبرى، فطريق توات تصل غدامس مع السودان الغربي في الاتجاه الغربي، وطريق غات(1). وفي الاتجاه الجنوبي تصل غدامس كوار مع بلاد السودان الأوسط، وطريق غدامس طرابلس وحتى برقة من خلال الطريق الساحلي، وتتصل غدامس في الاتجاه الرابع مع بلاد أفريقية عن طريق(2).

يقول القزويني عن غدامس: "...، بأنها مدينة بالمغرب جنوبية ضاربة في بلاد السودان، تجلب منها الجلود الغدامسية... (3). كما تجمع المصادر الجغرافية على ان هذه المدينة هي مفتاح لبلاد السودان في جنوب الصحراء(4).

وبالنظر الي وقوع مدن إقليم طرابلس بشكل عام ومدينة غدامس بشكل خاص عند ملتقى طرق التجارة البرية والبحرية، فقد كانت لها أسواق عامرة بالبضائع، ومن خلال تتبعي لنصوص وكتابات الجغرافيين والرحالة في فترة البحث نستطيع ان نستشف ان المنطقة تزرخ بالسلع المتداولة في أسواقها منها الصادر ومنها الوارد، وها هو صاحب كتاب الاستبصار يحدثنا عن غدامس كونها تتميز عن غيرها من مدن برقة وطرابلس بصناعة الجلود وتصديره الي

(1) غات: تسمى رات- ويسمى الطوارق "أرض السلام" وفي اللغة الليبية القديمة كانت تسمى " أرض الشمس " باعتبار موقعها الذي يمثل قلب الصحراء الكبرى في افريقيا. ابن بطوطة: الرحلة، ص706؛ كذلك: الطاهر الزاوي: معجم البلدان الليبية، ص240؛ وللمزيد من المعلومات عن قبائل الطوارق سكان مدينة غات ينظر: الدالي: الهادي المبروك، قبائل الطوارق دراسة وثائقية، اصدارات القيادة الاجتماعية في ليبيا، طرابلس، 2006م.

(2) خليفة: علي حامد، المراكز التجارية الليبية وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط وأثرها على الحياة الاجتماعية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، طرابلس، 2002م، ص45.

(3) القزويني: اثار البلاد، ص57.

(4) مجهول: الاستبصار، ص145؛ أبو الفداء: تقويم البلدان؛ الحميري: الروض المعطار، ص424.

خارج البلاد فيقول: "... بلد كبير واليها ينسب الجلد الغدامسي،..." (1)، كما أشار الي أن صحراء غدامس كانت مصدرا للأحجار الكريمة، وقال في ذلك: "... ان هذه الأحجار منها العراق من الحمرة والصفرة والبياض، وأن اهل السودان عندهم بمثابة الياقوت واجمل، واذا وصل عندهم فأنهم يتغالون في ثمنه،..." (2)، كما يؤكد القلقشندي على ان مدينة غدامس تتمتع بجودة جلودها ونظافتها (3).

### الخاتمة:-

ومما سبق عرضه من معلومات يمكن ان نستخلص النتائج التالية:

1 - شككت كتابات الجغرافيين والرحالة مصدرا قيما لتاريخ اقليم طرابلس الغرب بصفة عامة ومدينة غدامس على وجه الخصوص، الامر الذي ينبغي على كل باحث لتاريخ المنطقة فترة العصر الاسلامي الوقوف عندها، والاستفادة من نصوصها خاصة وان هؤلاء يعتبرون المرأة الحقيقية لمظاهر الحضارة الاسلامية بصفة عامة، والحياة الاقتصادية بصفة خاصة، باعتبارهم شهود عيان لتلك الفترة التاريخية.

2 - من خلال الاطلاع على كتابات الجغرافيين والرحالة خلال فترة الرسالة ن اتضح جليا اهمالا في الحديث عن الجوانب السياسية، والاجتماعية، والثقافية، في المدينة، وان تركيز الكتابات على الجانب الاقتصادي وهو ما يوحي ان المدينة كانت مركز او محطة تجارية كنقطة التقاء على مفترق الطرق التجارية التي تربط بين شمال القارة الافريقية وجنوبها الصحراوي، مما جعلها تكسب شهرة واسعة كمحطة تجارية أي بمعنى استراحة، الامر الذي مرده ان أصبحت مع مرور الوقت -خاصة في العصر الحديث- محطة مهمة لها تأثيرها على الحركة

(1) مجهول: المصدر السابق، ص145 .

(2) المصدر نفسه: ص224 - 225 .

(3) القلقشندي، صبح الاعشى، ج5 ص100.

التجارية بين الشمال والجنوب والشرق والغرب.

3 - ابرزت الدراسة أن السكان كانوا يعتمدون في زراعتهم بشكل كبير على المياه البعلية وذلك من خلال اعتمادهم على العيون والابار، ومرجعية ذلك قلة سقوط الامطار على المنطقة بشكل عام، وهذا دليل على ان الزراعة كانت بالدرجة الأولى بعلية، والتي تعتمد وبشكل كبير على الاودية المنتشرة والمجاورة للمدينة والتي تجلب المياه فترة سقوط الامطار خاصة على المناطق المرتفعة.

4 - بينت الدراسة ان سكان مدينة غدامس كانت لهم حرفة بصناعة الجلود ودباغتها، وهو ما جعلها صناعة أساسية للسكان ومصدرا مهما لحياة المجتمع الغدامسي آنذاك.

5 - تمثل هذه الدراسة بداية لمحاولة نفض الغبار وصبغ اغوار تاريخ هذه المدينة العريقة ذات الجذور التاريخية القديمة، في محاولة لإزالة ما يكتنفها من غموض خلال هذه الفترة الزمنية فترة العصر الإسلامي، وذلك لإيجاد نصوص موثقة تشير الي حقائق تاريخية خاصة فيما يتعلق بالظواهر الاجتماعية، والاقتصادية والثقافية، والتي لازالت -غالبا- حبيسة ارفف المكتبات خاصة فيما يتعلق بالمخطوطات والتي يتطلب من الباحثين دراستها وتحقيقتها، في محاولة للوصول الي نتائج إيجابية فيما يتعلق بتاريخ مدينة غدامس عروس الصحراء.

## ثبت بالمصادر والمراجع

### أولاً: المصادر:-

- ابن بطوطة: أبو عبدالله محمد بن إبراهيم (ت: 779 هـ / 1377م).
- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظر في غرائب التاريخ والامصار، شرح: طلال حرب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987م.
- ابن عبد الحكم بن عبدالرحمن بن عبدالله بن أمين (ت: 257 هـ / 870م). فتوح مصر وأخبارها، مطبعة ليدن، لندن، 1930م.
- الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي).
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، دار العلم للطباعة (بيروت، 1975م).
- ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت: 808 هـ / 1405 م). مقدمة ابن خلدون، منشورات دار ابن خلدون، الإسكندرية، د. ت.
- الدمشقي: شمس الدين ابي عبدالله محمد ابن إبراهيم ابي طالب الانصاري (ت: 727 هـ / 1326م).
- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة الثني، بغداد، د. ت.
- ابن سعيد المغربي: ابي الحسن علي بن موسى (ت: 673 هـ / 1274م). كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1970م.
- ابن سعيد المغربي: ابي الحسن علي بن موسى (ت: 673 هـ / 1274م). بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: خوان قرنيط خي8 نيس، تطوان، 1958م.
- أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن محمد (732 هـ / 1330م).

تقويم البلدان، تحقيق: رينو ودي سييلان، والبان ماك كوكتين ديسلان، باريس، 1840م.

- القزويني: زكريا محمد بن محمود (682 هـ / 1283م).

آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1969م.

- القلقشندي: ابي العباس احمد بن علي (ت: 821 هـ / 1418م).

صبح الاعشى، شرح وتعليق: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1978م.

- مجهول: (ت: خلال القرن السادس الهجري / الحادي عشر الميلادي).

الاستبصار في عجائب الامصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، 1986م.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت: 626هـ/1228م).

معجم البلدان، دار بيروت، دار صادر (بيروت، 1979م).

**ثانياً: المراجع: -**

- الأحرش: سعيد.

صورة ليبيا خلال رحلتين رحلة العبدري ورحلة العياشي، اعمال ندوة التواصل الثقافي بين اقطار المغرب العربي خلال الفترة من 20 - 23 ديسمبر 1995م، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، تقديم: عبد الحميد هرامة، ط1، طرابلس، 1988م.

- الطيف: علي حامد خليفة.

المراكز التجارية الليبية وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط وآثرها على الحياة الاجتماعية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، ط1، طرابلس، 2002م.

- البرغوتي: عبد اللطيف.

تاريخ ليبيا الإسلامي منذ الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني، منشورات

- الجامعة الليبية، دار صادر، طرابلس، بيروت، 1972 م.
- البرغوتي: عبد اللطيف.
- تاريخ ليبيا القديم منذ أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، دار صادر، ط1، بيروت، 1971 م.
- الدالي: الهادي المبروك.
- قبائل الطوارق. دراسة وثائقية، إصدارات القيادة الاجتماعية في ليبيا، طرابلس، 2006م.
- الزاوي: الطاهر.
- معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، ط1، طرابلس، 1968م.
- السباني: صالح الصادق.
- الأسواق العربية الليبية من خلال ما كتبه الرحالة العرب، مجلة كلية الآداب، منشورات جامعة الزاوية، مارس 2005م، العدد الأول.
- صالح الصادق السباني.
- ليبيا أثناء العهد الموحد والوحدة الفصائية (من القرن 6-10هـ / 12-16م) منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس، 2006م).
- عبد السلام: محمد الحراري.
- ليبيا عبر كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين منشورات شعبة التنقيب والتعبئة والاعلام، ط1، طرابلس، 1998م.
- الفيتوري: عطية مخزوم.
- دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء مرحلة انتشار الإسلام، منشورات جامعة قاريونس، ط1، بنغازي، 1998م.
- مفتاح: صالح مصطفى.
- ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية الي مصر، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، ط1، طرابلس، 1978م.

## أهمية غدامس في تجارة أفريقية<sup>(1)</sup> وبلاد السودان<sup>(2)</sup> خلال العهد الحفصي ( من القرن 7 – 9 هـ / 13 - 15 م )

د. أسماء موسى زايد

جامعة بني وليد

إن دراسة تاريخ الواحات الصحراوية ، وأثرها الإيجابي في تاريخ العلاقات الاقتصادية بين شمال الصحراء وجنوبها خلال العصر الوسيط ، مازالت تطرح إشكاليات تاريخية بين المؤرخين المهتمين بهذا المجال من الدراسات التاريخية . وموضوع أهمية غدامس في التجارة الصحراوية خلال العصور الإسلامية بصفة عامة - على الرغم مما قيل فيه - ما يزال يحتاج إلى مزيد الدراسة والبحث والتنقيب الأثري ، لتوضيح المكانة التي وصلت إليها حتى عُرفت بمدينة الجلود ، والنحاس ، وعروس ، ولؤلؤة ، وزنبقة ، وبوابة الصحراء ، والمؤتمنة على تراث الأمة . ومن المعروف أن مدينة غدامس ارتبطت منذ نشأتها بتطور التجارة الصحراوية وشبكة الطرق خلال العصور القديمة ، فهناك اتصال لا نعرف مداه تيشير إليه الرسوم والنقوش الصخرية التي وجدت بمختلف مناطق الصحراء الليبية ، وتظهر بها العربات وهي تشق طريقها عبر مسالك لا نطن أنها تغيرت كثيرا خلال العصور المختلفة وصولا إلى العصر الإسلامي ، وما شهدته تلك التجارة من

1 ( إفريقية بلاد واسعة ومملكة كبيرة ، تمتد حدودها الجغرافية طولا من طرابلس شرقا ، إلى طنجة غربا ، وعرضا من البحر المتوسط إلى الصحراء الكبرى التي هي أول بلاد السودان جنوبا ، وتميزت هذه الحدود طيلة العهد الحفصي بعدم الثبات ، لأن الحدود في العصر الوسيط لم تكن تحكمها المقاييس والضوابط المتعارف عليها اليوم بين الدول .  
2 ( يشمل مصطلح السودان الغربي أو غرب إفريقيا المنطقة الفسيحة التي تمتد من المحيط الأطلسي غربا حتى السودان ، وادي النيل شرقا ، وبين نطاق الغابات الاستوائية في الجنوب ، وهو نفس المفهوم الجغرافي الذي عرفه الرحالة الجغرافيون المسلمون في العصور الوسطى باسم " بلاد السودان " وكانوا في الحقيقة يطلقون اسم بلاد السودان على هذه المناطق التي ذكرناها . حسين أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1963 م ، 1 / 820 .

انتعاش نظرا لما وفرته من موارد مالية اعتمدت عليها خزائن الدول والإمارات التي قامت ببلاد المغرب على وجه العموم .

ويعالج هذا البحث أهمية غدامس في تجارة أفريقية وبلاد السودان خلال العهد الحفصي ( بين القرن 7 – 9 / 13 - 15 م ) ، والذي نحاول من خلاله إظهار مكانة غدامس التجارية ووزنها الاقتصادي في ذلك العهد ، ولتسهيل دراسة الموضوع من الضروري تقسيمه إلى عناصر ، منها :

- تأسيس مدينة غدامس والتطور التاريخي الذي مرت به ، وأهمية موقعها الجغرافي .

- أهمية غدامس في تجارة أفريقية وبلاد السودان منذ الفتح الإسلامي وصولا إلى قيام الدولة الحفصية .

- أهمية غدامس في تجارة أفريقية وبلاد السودان خلال العهد الحفصي ( بين القرن 7 – 9 / 13 - 15 م ) .

**أولا : تأسيس مدينة غدامس والتطور التاريخي الذي مرت به ، وأهمية موقعها الجغرافي :**

لم تظهر حتى يومنا هذا دراسة جادة متخصصة حول تأسيس مدينة غدامس (كيداموس) ومكانتها التجارية والسوقية وتحديد دقيق لظهورها على مسرح الحياة الصحراوية في التاريخ القديم – حسب اطلاعي - ، فليس هناك سوى بعض الإشارات السريعة والموجزة ، بعضها مقتبس من إشارات عابرة أوردها المؤرخون القدماء الذين ذكروا معلومات تدل على وجود اتصالات تجارية بين المناطق الشمالية وبلاد جنوب الصحراء ، يقوم بها الجرمانيون الذين سكنوا الصحراء الليبية منذ القرن الثامن قبل الميلاد ، عندما أشاروا إلى ممارستهم لتجارة العبيد ، فكانوا يصطادون الأثيوبيين من سكان الحفر أو الكهوف في مركبات صغيرة تجرها أربعة خيول ، ليتم جلبهم لأسواق النخاسة ؛ ولعل التجارة كانت

أبرز ما يميزهم فقد دفعتهم إلى أن يصبحوا مهرة في الملاحة الصحراوية ، كما أنهم قاموا ببناء المحطات والحصون على طرق القوافل التجارية العابرة للصحراء الليبية وضواحيها ، ولعبوا دور الوسيط الذي ينقل سلع صادرة من جنوب صحراء أفريقيا إلى شمالها(1) .

وقد يفهم من ذلك أن تأسيس مدينة غدامس يرجع إلى فترات قديمة جدا ، غير أن الأمر يحتاج إلى تحريات أثرية ؛ ويزداد الغموض كلما حاولنا الكشف عن نشأتها ومراحل تطورها العمراني غير أن المتفق عليه أنها من مآثر الجرامنيين ، وأن تاريخ بنائها يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخهم وحضارتهم ، ولكن كيف تحولت هذه المحطة إلى مركز تجاري يتحكم في تجارة العبور ؟ وتصبح فيما بعد مدينة قائمة بذاتها متفوقة على مثيلاتها من المدن الصحراوية .

#### أهمية موقع غدامس الجغرافي :

تعتلى مدينة غدامس موقعا له أهمية خاصة من الناحية الطبوغرافية ، ساعد على نموها وازدهارها التجاري ، حيث تلتقي عندها الطرق التي تسلكها القوافل التجارية الرابطة بين أفريقية وجنوب الصحراء وبلاد السودان ، مما جعلها حلقة وصل ومنفذ لا غنى عنه لمنتجات الشمال المتجهة نحو الوسط الأفريقي ، كما جعلها من جهة أخرى منفذا للبضائع السودانية المتجهة نحو الشمال .

تقع غدامس في الصحراء الليبية إلى الجنوب الغربي من طرابلس بمسافة تقارب 500 كم ، محاطة من كافة جهاتها بالصحاري ، وهي واحة خصبة طولها يزيد عن كيلومتر ونصف وعرضها كذلك(2) ، فكان لهذه الخصائص الطبيعية أثرها في جعل مسارات الطرق التجارية نحو الشمال وجنوبه ، تمر عبر هذه المدينة أو بالقرب منها – درج

( 1 ) بوفيل : الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء ، ترجمة زاهر رياض ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1968 م ، ص 47 . عبد اللطيف البرغوثي : التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي ، بيروت ، دار صادر ، 1971 م ، ص 228 .

( 2 ) محمود ناجي : تاريخ طرابلس الغرب ، ترجمة عبد السلام أدهم ، محمد الأسطى ، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي ، 1970 م ، ص 101 .

– تؤدي وظيفتها كاملة خلال العصور المختلفة ، حيث اكتسبت هذه المدينة الصحراوية مكانة ممتازة من الناحية السوقية وتاريخ العلاقات التجارية بين إفريقية وبلاد المغرب الأوسط وغرب ووسط أفريقيا لاسيما في العصور الوسطى .

وبالإضافة إلى ذلك نجد أن موقع غدامس من الناحية الجغرافية كان يتوسط أهم المراكز الحضارية التي كان لها دور مرموق في تنشيط الحركة التجارية بين الشمال والجنوب ، فغدامس تتصل من الناحية الشمالية بمدينة طرابلس وقابس والقبروان وتونس نفسها ، ومن جهة الغرب تتصل ببلاد المغرب الأوسط وجنوبا بغات وبلاد فزان ومنها إلى دواخل بلاد السودان والمناطق المحيطة ببحيرة تشاد .

أما بالنسبة لموقع المدينة فكان محل اهتمام جغرافي ورحالة العصر الاسلامي ، فجاءت كتاباتهم زاخرة بالمعلومات عن مكانتها وأحوال المعيشة بها ، فقال عنها البكري : أنها مدينة لطيفة كثيرة النخل والمياه وأهلها بربر مسلمون(1) ، ووصفها العمري ، بأنها مدينة " لطيفة قديمة أزلية .... بها دواميس وكهوف كانت سجوننا للملكة الكاهنة التي كانت بأفريقية ، وهذه الكهوف من بناء الأولين ، وفيها غرائب من البناء والأزاج المعقودة تحت الأرض يحار الناظر فيها إذا تأملها ... " (2) في حين وصفها الحموي بأنها مدينة جنوب بلاد المغرب ضاربة في بلاد السودان ، وأشاد بجودة الجلود المنتجة بها ، وكيف أن حياة أهلها قائمة حول عين ماء عليها أثر بنيان عجيب يفيض الماء فيها ويقسم بأقساط معلومة وعليه تقوم زراعتهم(3) ، والحميري وصف موقعها فقال : " إنها في الصحراء على سبعة أيام من جبال نفوسة ، وهي مدينة قديمة .... لم تكن أرض غدامس صحراء ، كانت عامرة خصبة يأكل أهلها التمر والكمأ ، وهم بربر

1 ( البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، مكتبة المنتبي ، بغداد ، 1867 م ، ص 183 .  
2 ( الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1974 م ، ص 427 .  
3 ( ياقوت الحموي : معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2011 م ، 4 / 212

مسلمون مثلثون ، وكان يأتي إليها القادمون من بلاد السودان .... " (1) ؛ وذكرها الحسن الوزان في وصف مهم ودقيق حيث يقول : إنها " منطقة كبيرة مسكونة حيث القصور العديدة والقرى المأهولة .... " ويؤكد أهمية المدينة وتأثير التجارة الصحراوية على اقتصادها بقوله : " .... سكانها أغنياء لهم بساتين نخل وأموال ؛ لأنهم يتجرون مع بلاد السودان .... " (2) .

ولقد كانت المدينة خلال العهد الحفصي ، عامرة على جانب كبير من التحضر وال عمران متكونة من عدة أحياء ، بعضها تابع لبني ورتاجن والبعض الآخر لبني الوطاس (3) ، وتعد عشيرة بني وليد من سلالة بني الوطاس وعشيرة بني وازيت - من فروع قبائل زناتة المنحدرين من قبيلة ورغمة - الأكثر وجودا بها ، هاتان العشيرتان اللتان تنازعتا فيما بينهما على الرئاسة فرحلت بني وليد إلى الجانب البحري للمدينة ، ووازيت إلى الجانب القبلي إلى جانب طوارق أزقر ، وبعد الغزو الهلالي للبلاد تسربت بعض القبائل العربية من بني سليم إلى جنوب أفريقية فسكنت قبائل أولاد أبي الليل من الكعوب غدامس (4) .

### ثانيا : أهمية مدينة غدامس في التجارة بين الشمال والجنوب :

إن فهم أهمية الواحات الصحراوية لاسيما واحة غدامس في التجارة ما بين الشمال والجنوب ، لا يتم دون الاهتمام بتطور التجارة الصحراوية وشبكة طرقها خلال العصور المختلفة ، حيث كان للعلاقات والصلات التجارية روابط تاريخية ترجع إلى عصور - وأن كنا نجهل ماداه - إلا أن ما وجد من رسوم ونقوش صخرية تشمل صور للعربات ، والأبقار ، والحيوانات ، والحلي ، وأنواع الأسلحة منتشرة

1 ( الحميري : المصدر السابق ، ص 428 .  
2 ( الحسن الوزان : وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي ، محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 م ، 1 / 146 .  
3 ( نرنشفيك : تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م ، ترجمة حماد الساهلي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1998 م ، 1 / 355 .  
4 ( صالح الصادق السباني : ليبيا أثناء العهد الموحد والدولة الحفصية ( ق 6 - 10 هـ / 12- 16 م ) ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 2006 م ، ص 353 ، 371 .

على طول طرق القوافل القديمة ، تدل على قدم العلاقات والصلات التجارية بين الشمال ، وجنوب الصحراء الكبرى ، حيث كانت العربيات تشق طريقها ذهابا وإيابا ، من محطات ساحل المتوسط إلى بلاد السودان عبر طرق قد تكون نفس الطرق التي سلكتها القوافل في العصور اللاحقة(1) .

ولقد ظلت غدامس ومنذ عهد الجرامانيين محطة عبور صحراوية وسوقا منظما للمعاملات التجارية يربط بين الشمال الأفريقي مع جنوب الصحراء بصفة عامة ، إذ كان لتجارها دور محوري في تنظيم القوافل وحمايتها وتدبير شؤونها ، واستمرت المدينة في تأدية دورها خلال العهد القرطاجي ، حيث كانت قوافل القرطاجيين تقطع الصحراء لجلب الذهب والعييد والعاج ، مقابل المنسوجات والنحاس والأدوات المصنعة ، وظل هذا التبادل قائما في العصرين اليوناني والروماني ثم العصر البيزنطي(2) ، وبعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، تولى سكانه إقامة المحطات التجارية والأسواق ، وتأمين وتنظيم الطرق والمواصلات مع بلاد السودان على أساس تجاري أولا ، سرعان ما توطد عبر فترات تالية حاملا معه مجموعة من التنظيمات الاجتماعية والدينية والحضارية .

**ثالثا : تجارة إفريقية مع بلاد السودان ، منذ الفتح الإسلامي وصولا إلى قيام الدولة الحفصية :**

ما أن استقر الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، حتى نشطت العلاقات التجارية مع جنوب الصحراء ، ورغم كونها غير منظمة أو منتظمة خلال الفترة الأولى ، إلا أن الفترات اللاحقة شهدت ازدهارا وتكيفا للمبادلات التجارية بين المنطقتين ، بوجود أنظمة حكم مستقرة في كلا المنطقتين ووضع الأسس الدائمة لها وهي متمثلة في

1 ( صالح بن قربة : أهمية تلبالة في تجارة المغرب وبلاد السودان خلال العصر الوسيط ، دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية ، مجلة محكمة نصف سنوية تصدرها كلية العلوم الانسانية وكلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الجزائر 2 أ أبو القاسم سعد الله ، 2001 م ، ص 92 .

2 ( هويكنز : التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية ، تعريب أحمد فواد بلبع ، تقديم محمد عبد الغني سعودي ، المجلس الأعلى للثقافة / المشروع القومي للترجمة ، 1998 م ، ص 158 .

مبادلات الملح بالذهب مفتاح التجارة الصحراوية لعدة قرون تالية ، ومن الواضح أن تلك السياسة ظهرت مع الفاطميين الذين سيستغلون بانتظام علاقاتهم التجارية للحصول على الذهب الضروري لتمويل مشاريعهم السياسية ، وبما أن أهم المسالك العابرة للصحراء كانت تركز على ثلاثة طرق رئيسة وهي :

- المسالك الغربية التي ربطت منطقة المغرب الأقصى جنوبا (عبر سجلماسة).
- المسالك الوسطى من الصحراء الكبرى التي ربطت منطقة المغرب الاوسط جنوبا (عبر ورجلان) .
- المسالك الشرقية وهي التي ربطت المناطق الليبية جنوبا ( عبر الجريد وطرابلس مرورا بغدامس )<sup>(1)</sup> .

وهذا ما دفع الفاطميين للعمل جاهدين للسيطرة على هذه الطرقات الثلاث ، فتم القضاء على الدولة الرستمية سنة 908 م المتحكمة في أهم طرق التجارة الواصلة إلى بلاد السودان ، محاولين بسط نفوذهم على أهم المعابر التجارية بالمغرب الأوسط ، كما عمل الفاطميون على الاتصال بالسودان الغربي عبر سجلماسة التي تم انتزاعها من بني مدرار سنة 976 م ، نحو أودغشت والنيجر أمام التجارة الصحراوية<sup>(2)</sup>.

كما حاول الفاطميون تأكيد سيطرتهم على أفريقية والمناطق الجنوبية منها ، ولاسيما مدينة غدامس ، إلا أن سيادة المذهب الإباضي واستقلال سكانها عمليا بالحكم ، في المناطق الممتدة جنوبي طرابلس وصولا إلى فزان وزويلة ، حال دون السيطرة الكاملة للدولة الشيعية على التجارة ومعابرها المارة بتلك الأراضي<sup>(3)</sup>

1 ( الهادي روجي إدريس : الدولة الصنهاجية تاريخ أفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 م ، ترجمة حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، 1992 م ، 2 / 291 .

2 ( صالح بن قربة : المرجع السابق ، ص 93 .

3 ( هناك اشارات تدل على تبعية غدامس للجماعات الإباضية بجبل نفوسة ، حيث ذكر الشماخي في ترجمته لأبو الفضل سهل الشروسي ، ان فساد وقع بمدينة غدامس الواقعة على سبع أو ثمانى مراحل من نفوسة ، فخرج إليهم الشيخ المذكور يصلح فسادهم ، كتاب السير ، تحقيق ودراسة محمد حسن ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، 2009 م ، 2 / 432 .

ومع الغزو الهلالي تعرف نشاط القوافل وأصبحت طرق التجارة في حالة فوضى ، ذلك أن الهجرة الهلالية قد " .... أصابت في الصميم شبكة الطرق الجنوبية بكل جلاء ووضوح معتمدا على شهادات تاريخية متعددة وعلى رأسها شهادات مستمدة من الفتاوى الفقهية .... " (1) ؛ ونتيجة لهذه الحالة ، تحولت التجارة الصحراوية شيئا فشيئا نحو الوجهة الغربية ببلاد المغرب الأقصى ، وساعدت على تدعيم الإمكانات المادية لحكام المنطقة بالإضافة إلى تقوية قدراتهم على جميع المستويات ، وذلك على حساب المسالك الشرقية المرتبطة بغدامس التي أصابها التجزؤ لفترة من الزمن .

ولقد ساعد ظهور المرابطين (صنهاجة اللثام) على بدء مرحلة جديدة في تاريخ بلاد المغرب الأقصى ، فسعوا جاهدين إلى تأمين الحركة التجارية ودفعها ، مما أدى إلى تأسيس محور تجاري يربط بين غانة وقرطبة ، مرورا بأودغست وسجلماسة ومراكش وفاس ، وقد تحولت مدينة أغمات إلى عاصمة للتجارة مع السودان ، فكان تجارها من هوارة يذهبون بالقوافل إلى غانا وما يجاورها وهي محملة بالنحاس ونسيج الصوف والأحجار الكريمة والعطور والأدوات الحديدية ويعدون بالذهب ومنتجات السودان (2) .

غير أن ظهور الموحيين ومد سيطرتهم على أفريقية أعطى نفسا جديدا للمحاور التجارية الشرقية التي عادت من جديد كمنافسة لمحور بلاد المغرب الأقصى في تجارته مع بلاد السودان الغربي ، وتحولت مدينة غدامس من محطة للقوافل العابرة للصحراء الكبرى ، إلى مركز تجاري كبير يتحكم في تجارة العبور من بلاد أفريقية إلى السودان وبالعكس ، حيث عمل الموحدون على ضمان سير التجارة لخطوطها

1 ( محمد الشريف : ابن بطوطة وأزمة التجارة الصحراوية في القرن 12 الميلادي ، ضمن نصوص جديدة ودراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، مطبعة الحداد يوسف إخوان ، تطوان ، 1996 م ، ص 81 .

2 ( عز الدين أحمد موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الشرق ، بيروت ، لبنان ، 1983 م ، ص 163 .

المارة بتلك المدينة ، ويدل على هذا التحول أن الطريق الغربي الذي كان يخترق المغرب الأقصى من بلاد السوس إلى الريف أصبح مضطربا خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي(1) .

لكن ما شهدته الدولة الموحدية من مواجهات دائمة مع المغامرين أو الطامعين بالدولة ، من امثال قراقوش الأرمني الذي حل بجنوب افريقية سنة 568 هـ / 1172 م محاولا السيطرة على طريق القوافل الصحراوي الرابط بين مصر وبلاد السودان الغربي مرورا بالصحراء الليبية ؛ أو الخارجين على دولتهم من امثال بني غانية ( 580 – 630 هـ / 1184 – 1234 م ) الذين كرس القطيعة داخل بلاد المغرب ، أضف إلى ذلك طرفية قاعدة حكمهم ( مراكش ) ، واستتقال حركات المعارضة والصراعات الداخلية والانقسامات السياسية فيما بينهم ، كل ذلك جعل من الموحدين عاجزين عن تكوين شبكة طرقات متينة داخل المجال المغربي بصفة عامة(2) .

ولقد مهد ضعف الموحدين ومن ثم سقوط دولتهم ، الطريق أمام منافسة شديدة للقوى السياسية المتصارعة ببلاد المغرب بصفة عامة ، ما بين المرينيين والزنانيين والحفصيين لتوسيع نفوذهم تمهيدا للاستيلاء على التجارة مع الصحراء ، ومن جهة أخرى نجد أن بلدان السودان عرفت بدورها تطورات عميقة أثرت في خارطة المبادلات التجارية ، فسلطين مالي وسينغاي نجحوا في تحقيق الوحدة السياسية لسودان الغربي ، كما نجح حكام مملكة الكانم والبرنو حول بحيرة تشاد ، في انتهاج سياسة تجارية نشيطة تهدف إلى سيطرتهم على التجارة والانفلات من قبضة الاحتكار المغربي لها مما أحدث تغير في الميزان التجاري ، كما حلت المبادلات الخاصة محل المبادلات الرسمية في حماية التجارة التي ظلت نشطة عبر الصحراء

(1) صالح بن قرية : المرجع السابق ، ص 95 .

(2) محمد حسن : المدينة والبادية بافريقية في العهد الحفصي ، منشورات جامعة تونس ، 1999 م ، 1 / 36 – 37

الكبرى ، على الرغم من المشاكل التي تعترض سبيلها(1) .

### رابعا : أهمية غدامس في تجارة أفريقية وبلاد السودان خلال العهد الحفصي ( بين القرن 7 – 9 هـ / 13 - 15 م ) :

لقد فهم الحفصيون منذ قيام دولتهم (1228 – 1574 م ) ، قيمة التبادل التجاري وما يدره على الدولة من أرباح خصوصا الذهب الذي يقوي الدولة اقتصاديا وازدهارها اجتماعيا ، فعملوا على تشجيع الحركة التجارية وحمايتها ، ولا أدل على تشجيع الحركة التجارية وحمايتها ، من محاولات حكام الدولة السيطرة على غدامس مفتاح تجارة الصحراء ، عديد المرات واتخذوها نقطة رئيسة لتصدير وتوريد بضائعهم من بلاد السودان وإليها ؛ وبفضل تلك التجارة ظهر الحفصيون بمظهر لائق بين الدولة الإسلامية التي قامت ببلاد المغرب ، فنجد أن نفوذهم وصل أبعد من الرقعة الجغرافية لدولتهم .

أما عن علاقة الدولة الحفصية مع القبائل الساكنة لمدينة غدامس - لاسيما قبائل زناتة المسيطرة على الحركة التجارية بها - فنجدها متوترة في أغلب الأوقات ، فتشدد الدولة في جباية الضرائب غالبا ما يقابل بمماطلة من جانب تلك القبائل لدفعها أو رفضها بالمطلق ، مما جعلها عرضت للحملات التأديبية التي تنتهي باستخلاص جميع الضرائب السابقة وإلزامها بمغارم جديدة ، نذكر منها الحملة التي قام بها السلطان أبو فارس عبد العزيز ( 796 – 837 هـ / 1394 – 1433 م ) ، الذي استخلص من غدامس جميع المغارم السابقة وفرض عليها أتاوات قدرها أربعمئة مثقال كل سنة ، واستمرت هذه الوضعية حتى سنة 863 هـ / 1454 م ، عندما رفض أهل غدامس دفع تلك الأموال وامتنعوا عن التعامل مع الدولة الحفصية ، التي كانت حريصة كل الحرص لبقاء المدينة تحت سيطرتها لكونها أحد أهم المراكز الأساسية لتجارته الصحراوية ، فأرسل إليهم السلطان أبو عمرو عثمان (

(1) صالح بن قرية : المرجع السابق ، ص 96 .

839 - 893 هـ / 1435 - 1498 م ) حملة عسكرية وأرغمهم لامتنثال للاتفاقيه السابقة ، إلا أنهم امتنعوا عن تنفيذها فعاد إليهم في سنة 879 هـ / 1474 م ، وفرض عليهم دفع ثلاثة آلاف مقال(1) .

وهذا كلما امتنعت هذه المدينة عن دفع مستلزماتها للحفصيين تعود إليها حملة عسكرية ، وهو ما حدث سنة 883 هـ / 1478 م ، عندما جاءت إليها حملة بقيادة حسين النعال ، فقام أهل المدينة بالتصدى لها وأقفلوا أبوابها في وجه الحملة ، واستمرت تلك الحملات حتى نهاية السيطرة الحفصية على إقليم طرابلس ، بل استمرت حتى نهاية تلك الدولة(2)

كما حرص الحفصيون على تعزيز علاقاتهم مع الدول والممالك جنوب الصحراء ، للمحافظة على مكاسبهم التجارية ولاسيما مع مملكة الكانم والبرنو ويتضح ذلك من موقف الحياض الذي وقفه الحفصيون أثناء حروب مملكة كانم الداخلية ، ومن المحتمل أن الدولتين كانتا قد دخلتا في حلف لحفظ الأمن على الطرق ، لأن كانم اخمدت الثورة التي قام بها أحد أبناء قراقوش الأرمني على الحكم الحفصي عندما التجأ إلى فزان(3) ؛ كما أرسل ملك كانم سنة 657 هـ / 1258 م ، رسالة ومعها هدية إلى المستنصر الحفصي ، كان ضمنها زرافة أثارت الحيرة والتعجب(4) ؛ ورغم أن تجارة غدامس مع مملكة كانم ، تُعد خارج موضوع البحث ، لكن استحضار ذلك يدل على المكانة التجارية التي وصلت إليها المدينة ، باعتبارها منفذ صحراوي متعدد الاتجاهات .

### الطرق التجارية المارة بمدينة غدامس :

كان لموقع غدامس الجغرافي ووقوعها في نهاية بعض المسالك التجارية لبلاد السودان

1 ( ذكر الحسن الوزان انه رغم كون نظام الحكم بمدينة غدامس ، كان شبه مستقل عن حكام تونس ، لكنها كانت تدفع الضرائب والإتاوات لهم ، المصدر السابق ، 1 / 124 ؛ صالح الصادق السباني : المرجع السابق ، ص 355 .

2 ( المرجع نفسه : ص 355

3 ( أحمد الياس حسين : سلع التجارة الصحراوية ، ضمن كتاب الصحراء الكبرى ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1979 م ، ص 215 .

4 ( ابن قنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تحقيق محمد الشاذلي النيفر ، عبد المجيد التركي ، تونس ، 1968 م ، ص 120 .

جعلها تتحكم في النصيب الأكبر من تجارة الذهب والرقيق بحكم موقعها كهمزة وصل بين النشاط التجاري بين افريقية التي يصلها بأسواق المشرق الإسلامي وبلاد السودان ، لوجود التجارة الربحة ، لذلك كان من الضروري وجود مسالك تجارية تربطها ببلاد السودان متمثلة في العديد من الطرق :

- الطريق الأول : تنطلق القافلة من مدينة طرابلس - جبل نفوسة - غدامس - غات - تادمكة (1) - غاو (2) - اودغست (3) - كوكو (4) ؛ حيث يبدأ هذا الطريق من طرابلس باتجاه عاصمة الجبل مدينة شروس في اتجاه مدينة غدامس (يسمى طريق السودان) وانطلاقا من غدامس غربا يتصل هذا المسلك بتادمكة مستغرقا أربعين مرحلة تقريبا ، ومنها جنوبا إلى كوكو ببلاد السودان ، بتسع مراحل تقريبا ، وهناك طريق آخر متفرع من نفس المسلك بداية من غدامس إلى تادمكة - مالي ، لكنه غير واضح وغير دقيق المراحل (5) .

- الطريق الثاني : طرابلس أو تونس أو القيروان مرورا ببلاد الجريد - غدامس وعندها يتفرع باتجاه ورجلان - توات - تمبكتو (6) - ولاته - غاو - جني (7) ، أو باتجاه غات - مرزق - كاوار (8) - بلما (9) - بورنو أو ممالك الهوسه الغنية ، أو

1 ( تادمكة : قال عنها البكري بانها اشبه بلاد الدنيا بمكة ، وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب ، وهي أحسن بناء من مدينة غانه ومدينة كوكو وأهلها بربر مسلمون ينتقبون كما ينتقب بربر الصحاري ، المصدر السابق ، ص 880 ؛ تقع انقاضها حاليا في شمال شرق دولة مالي .

2 ( غاو أو جاو : تقع على ضفاف نهر النيجر ، بشمال مالي ، تبعد عن تنبكتو 320 كم باتجاه الجنوب الشرقي .

3 ( اودغست : أو اودغشت حاليا وسط موريتانيا .

4 ( كوكو : قال عنها ابن بطوطة : أنها مدينة كبيرة على نهر النيجر وهي من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها ، المصدر السابق .

5 ( البكري : بين غدامس وجبل نفوسة سبعة أيام في الصحراء ، وبين نفوسة ومدينة طرابلس ثلاثة أيام . ص ؛ ابراهيم بحاز : الدولة الرستمية 160 - 296 هـ / 777 - 909 م ، دراسة في الاوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، منشورات الفا ، الجزائر ، 2010 م ، ص 218 . منشورات اليونسكو : تاريخ افريقيا العام ، مجلد 4 ، إشراف ج . نياني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1988 م ، 215

6 ( تنبكتو : بضم التاء وسكون النون وضم الباء وسكون الكاف وضم التاء آخرها واو ، بينها وبين النيل أربع أميال وأكثر سكانها مسوفة اللثام . ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار ، تحقيق محمد عبد المنعم العريان ، بيروت ، دار إحياء العلوم ، 1987 م ، 707 .

7 ( جني : أو جنييه تقع حاليا بالمنطقة الوسطى لدولة مالي .

8 ( كاوار أو كوار : منطقة واسعة في جنوبي فزان بها مدن كثيرة منها : قصر أم عيسى والبلاس وأبو البلام أكبرهم ، ذات مياه جارية ونخل كثير ، وهي الآن ضمن مدن تشاد الشمالية .

9 ( بلما : عاصمة اقليم كاوار الواقع بين منطقة فزان وبحيرة تشاد .

غات - أجادس ( أغاديس ) ثم يتجه منه إلى الغرب مارة بتكداء - جاو على نهر النيجر - تمبكتو(1) ؛ ويمتاز طريق غدامس - غات بانتشار الآبار حوله ، ويتفرع إلى ثلاث طرق أولها : الطريق الوسطى وتسمى الغار وهي سبع عشرة مرحلة للقافلة ، والطريق الغربي ويسمى بأبي اعرجات وهي ثلاث وعشرون مرحلة للقافلة ، والطريق الشرقي ويسمى انزر وهي ست وعشرون مرحلة للقافلة ، وتُعد طريق الغار أسهلها وأقصرها ؛ كما يوجد طريق آخر من غدامس إلى عين صالح بالمغرب الأوسط ، وهو ثمان وعشرون مرحلة للقافلة(2) ، وهو الطريق الذي يربط مناطق المغرب الأوسط مع دولة الكانم .

إذا كانت مدينة غدامس الواقعة على حدود الصحراء الشمالية ، من أهم الموانئ الصحراوية تنقل إليها التجارة الآتية من أفريقية إلى السودان ، وكذلك التجارة الآتية من السودان إلى أفريقية ومنها إلى موانئ البحر المتوسط في طرابلس وتونس وغيرهما ، وقد وضحت أهميتها كنقطة ارتكاز بين أفريقية والسودان وبلاد المغرب بصفة عامة ، حيث كانت ترد إليها القوافل المحملة بالسلع السودانية والمغربية مما أدى إلى انتعاش التجارة في فترات ازدهارها خلال العهد الحفصي .

### التجار الغدامسية :

وعند الحديث عن تجارة أهل مدينة غدامس وتحديد خصائصها خلال العهد الحفصي ، نجد أن دورها لم يقتصر على كونها محطة للقوافل بل كان جل أهلها يتاجرون مع بلاد السودان ، يسبغون القوافل لحسابهم حيث ذكر ابن بطوطة عن مرافقته لقافلة كبيرة من الغدامسيين من كوكو على نهر النيجر إلى تكدا(3) ؛ ويذكر ابن خلدون أن القوافل التجارية قد تصل إلى اثني عشر ألف بعير محملة بأصناف

1 ( الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق ، ص 186 .

2 ( صالح الصادق السباني : المرجع السابق ، ص 422 .

3 ( ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 625 .

البضائع من بلاد المغرب وإليها(1) .

ولقد كان تجار غدامس " سادة التجارة الصحراوية " يفتحون رمال الصحراء في قوافل منتظمة يعبرونها بأوقار البضائع الثقيلة وأحمال المتاع الجمّة ، وظهرت آثار هذه التجارة واضحة في ثراء غدامس والغدامسيين ، وبلغت سلعهم مكانة مرموقة في القارة الإفريقية ككل ، فقوافلهم التجارية لا تكاد تعرف التوقف طوال السنة ، وللحفاظ على راحة الجمال ولياقتها يتم استبدال القادمة من طرابلس وتونس في غدامس لمواصلة سيرها ، كما عمل التجار الغدامسيون في شكل ممولين لبعض المدن الشمالية ، وهذا ما انعكس على توفر اليد العاملة ومجئ البعض من التجار الصغار للعمل بها(2) ، واختصت بعض القبائل بمهمة خفارة القوافل التجارية مقابل بعض البضائع المتنوعة حيث ذكر ابن بطوطة أثناء مرافقته لقافلة للغدامسيين أنهم عندما وصلوا إلى " .... بلاد بردامه وهي قبيلة من البربر لا تسير القوافل إلا في خفارتهم .... " (3) ؛ كما أشار ابن بطوطة إلى دفع أتوات عينية كالأثواب وسواها ، من قبل تجار غدامس للقبائل التي كانوا يمرون بأراضيها(4) ، في حين لا يوجد ما يؤكد أو ينفي أن أهل غدامس فرضوا رسوما جمركية على السلع الداخلية والخارجة منها .

ولقد اعتمد التجار الغدامسيون بشكل كبير على وكلائهم التجاريين المقيمين في أسواق المدن بإفريقية كطرابلس وتونس وقابس والقيروان ، بالإضافة إلى الوكلاء الموجودين بالمدن والمراكز التجارية السودانية ، فمن المحقق أن الغدامسية يتمتعون بتأثير بالغ في السودان وفي الصحراء ، وأنهم احتكروا تجارة تلك الجهات بصفة مطلقة ، لدرجة أصبح يمنحون القروض لغيرهم ، وتأسست شركات تجارية

(1) ابن خلدون : كتاب العبر ، تقديم عبادة كحيلة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 2007 م ، 6 / 405 .  
(2) منصور محمد البابور : غدامس التحضر والقاعدة الاقتصادية ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، ط 2 ، 1995 م ، 30 .  
(3) المصدر السابق : ص 625 .  
(4) المصدر نفسه : ص 306 .

لأصحابها وصارت لهم الأحياء السكنية الخاصة بهم بالمدن السودانية ، لاسيما بمدينة تنبكتو حيث كان لهم حي خاص بهم يُعد من أرقى الأحياء الواقعة جنوب شرق المدينة ، حيث يبلغ طوله حوالي نصف كيلو متر مربع ، وكان على درجة من الأناقة وحُسن البناء وتناسق في شوارعه ، ولقد تعامل سكانه مع مدن السوق وجاو ، وجني ، وغيرها من الأماكن الأخرى بمملكة مالي(1) .

### أهم البضائع والسلع التجارية :

ولما كانت مدينة غدامس تعيش على المبادلات التجارية فلا شك أن السلع الرئيسية التي تنقلها قوافل تجارها إلى بلاد السودان تشمل بضائع وسلع متنوعة منها : الحبوب ، والتمور ، والأقمشة والمصنوعات المعدنية ، والجلدية ، وصنوف من الزجاج ، والخزف ، والأصداف ، والخواتم ، والقطران والخيول ، والأسلحة ، والملابس ، وأدوات الزينة وتشمل الحلى والعطور منها : القرنفل والمصطكى(2) والشب الذي يوازي في قيمته الذهب والعبيد ، والأحجار الكريمة المستخرجة من صحراء غدامس(3) ، وكذلك الجلود الغدامسية التي وصفت بأنها من أجود أنواع الدباغ ولا شيء فوقها في الجودة وكأنها ثياب الخز في النعومة والإشراق حتى عرفت المدينة باسم مدينة الجلود(4) . وكذلك الملح المستخرج من سبخة طرابلس ومنها يحمله التجار إلى أودغست ومنها إلى غانه وبلاد السودان التي كانت في أمس الحاجة إليه ، كما يتضح من قول ابن حوقل في هذا الشأن : " .... وحاجة ملوك أودغست من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام فإنه لا قوام لهم إلا به بلغ الحمل الملح في دواخل السودان وأقاصيه ما بين مائتين وثلاثمائة دينار .... " (5) ، وترجع أهمية الملح بالنسبة

1 ( الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق ، ص 192 .

2 ( ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 195 .

3 ( البكرى اشار إلى وجود معدن حجارة ملونة يستخرج من صحراء غدامس بقوله : " .... النادر الحجر الجليل الكبير فإذا وصل به إلى أهل غانه غالوا فيه وبذلوا فيه الرغائب وهو أجل عندهم من كل علق يقتنى .... " المصدر السابق ، ص 183 .

4 ( ياقوت الحموي : المصدر السابق ، 4 / 212 .

5 ( ابن حوقل : صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص 99 .

للسودانيين قيمته الغذائية ونظرا لكونه معدوما في بلادهم ، فكان يستبدل بوزنه ذهباً ، كما اعتبر في بعض الاحيان عملة شرائية(1) .

وبالمقابل كانت هناك بضائع و سلع يجلبها التجار الغدامسية من بلاد السودان ، نذكر منها الذهب الذي يأتي في مقدمة الصادرات السودانية من حيث القيمة ولتزايد الطلب عليه " .... معيار الذهب القابل للتبادل بين جميع المناطق والشعوب الصحراوية ، ومع ذلك فهو ذهب ، وعملة دولية متداولة للتجارة .... " (2) ، ولقد أكد أغلب المؤرخين أن ذهب السودان كان يغطي احتياجات بلدان المغرب والأقطار الأوربية كما أنه كان يغطي وحده أثمان جميع السلع المجلوبة إلى الجنوب ، تبقى أثمان الواردات الأخرى ، فائضا في الميزان التجاري(3) ، وكان الذهب يشحن في أكياس صغيرة على شكل مسحوق أو أوراق مطوية وحُصرت مناطق تواجده بروافد نهري السنغال والنيجر ، لذلك لا نجده ضمن قائمة السلع المجلوبة من بلاد الكانم والبرنو التي كانت أحد أهم المصادر للرقيق الذي عوضت به نقص الذهب بأراضيها(4) .

وكان تجار غدامس يجلبون العبيد من تكدا التي يتفاخر أهلها " .... بكثرة العبيد والخدم ، لكنهم لا يبيعون المعلمات منهن إلا نادرا وبالثمن الكبير ...."(5) ، وجزء كبير من هؤلاء العبيد يتم استخدامهم في العمل الفلاحي وخدمة البيوت والعمل الحرفي(6) .

أما ريش النعام وبيوضه فقد كان يصدر للمغرب وأوربا حيث يتخذ للزينة والمراوح وأغطية للرأس وأدوات الركوب أو الوسائد ، أما البيض فكان يستخدم في المركبات العلاجية لبعض الأمراض الجلدية ، كما يجلب العنبر ، والأبنوس ، والعسل

(1) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 674 .

(2) أحمد اليأس حسين : المرجع السابق ، ص 204 .

(3) صالح بن قربة : المرجع السابق ، ص 104 .

(4) المصدر نفسه : ص 697 .

(5) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 697 .

(6) الشماخي : المصدر السابق ، 1 / 83 ، 177 - 242 .

، والصمغ ، وحبوب الكولا ، وناب الفيل ، والكركم(1) .  
كانت غدامس عاصمة للتجارة الداخلية ومركز تبادل تجاري خارجي ، ومن المحتمل جدا أن أهل غدامس من التجار الذين يعقدون الصفقات مع تجار المغرب أو السودان كانوا يستعينون بالترجمة لتسهيل التفاهم بينهم ، وأشار ابن بطوطة إلى تعلم بعضهم ولاسيما المستقرون بالمراكز التجارية السودانية للغات المحلية عندما شرح له أحدهم فحوى بعض المحادثات التي جرت في البلاط السوداني(2)  
وكان من آثار هذه التجارة المغربية – السودانية ، أن نشأ أسلوب جديد لتسهيل العلاقات المالية بحيث توفر وسائل للدفع مأمونة من الضياع بعيدة عن اللصوص ولعبت السفائح والصكوك دورا مهما في المعاملات ؛ فالسفتجة خطاب تذكر فيها قيمة معينة من المال قابل لأن يصرف في أي مكان من عملاء وجهابذة الشخص الذي حرر السفتجة ، وتساعد هذه العملية على تأمين المال للطرفين : الدافع والقبض ، وحمایته من غرر الطريق ومن مخاطره(3).  
أما الصكّ فهو عبارة عن ورقة مالية تثبت فيها قيمة دين أو قرض أو استحقاق مالي له أجل معين ، وقد ذكر ابن حوقل أنه رأى بأودغست صكا بائنين وأربعين ألف دينار بدين على رجل مغربي لرجل من أهلها وقد شهد عليه العدول ، ويقول مستغربا : " .... ما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبيها ولا نظيرا .... " (4) .  
أما عن طرق التعامل فكان هناك البيع بالمقايضة ، والبيع بالعملة النقدية ، والتعامل بالودع والخرز كنوع من أنواع العملة ، ويذكر الوزان أن أربعمئة ودعة تعادل أوقية من الذهب(5) ، وهناك نوع من القماش ( دندی ) استعمل في الكانم والبرنو كنوع من العملة ، كما استعملت قطع النحاس المكسور ، وقد استخدم الملح كنفد(6)

1 ( محمود ناجي : المرجع السابق ، ص 102 ؛ أحمد الياس حسين : المرجع السابق ، ص 204 .

2 ( المصدر السابق ، ص 698 .

3 ( محمد حسن : المرجع السابق ، 1 / 525 .

4 ( ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 96 .

5 ( المصدر السابق ، 1 / 208 .

6 ( البكري : المصدر السابق ، ص 183 .

**خلاصة القول :** إن أهمية مدينة غدامس في التجارة القائمة ما بين إفريقية وبلاد السودان كانت متواصلة متجددة منذ أقدم العصور ، فمنذ عهد الجرامنت عرفت الشعوب التي سكنت الصحراء الأعمال التجارية وأسهمت بها مساهمة فعالة ، وعزز ذلك التواصل الوجود القرطاجي والروماني فيما بعد ، وتواصل وتضاعف أكثر مع مجي العرب الفاتحين لتتوج مرحلة اقتصادية وسياسية كانت من أزهى الفترات التي جمعت طرفي الصحراء في علاقات توطدت فيما بعد حاملة معها تنظيمات مختلفة من القيم الاجتماعية والدينية والحضارية .

قائمة المصادر والمراجع :

- ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، قدم له وحققه محمد عبد المنعم العريان ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، 1987 م .
- البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، مكتبة المتنبى ، بغداد ، 1867 م .
- الحسن الوزان : وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي ، محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 م .
- الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1974 م .
- ابن حوقل : صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
- ابن خلدون : كتاب العبر ، تقديم عبادة كحيل ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 2007 م .
- الشماخي : كتاب السير ، دراسة وتحقيق محمد حسن ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 2009 م .
- ابن قنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1968 م .

- محمود ناجي : تاريخ طرابلس الغرب ، ترجمة عبد السلام أدهم ، محمد الأسطى ، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي ، 1970 م
- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2011 م .

#### ثانيا : المراجع :

- ابراهيم بجاز : الدولة الرستمية 160 - 296 هـ / 777 - 909 م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، منشورات الفا ، الجزائر ، 2010 م .
- برنشفيك : تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م ، ترجمة حماد الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998 م .
- بوفيل : الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء ، ترجمة زاهر رياض ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1968 م
- حسين أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1963 م .
- صالح الصادق السباني : ليبيا اثناء العهد الموحدى والدولة الحفصية ( ق 6 - 10 هـ / 12 - 16 م ) ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 2006 م .
- صالح بن قربة : أهمية تلبالة في تجارة المغرب وبلاد السودان خلال العصر الوسيط ، دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية ، مجلة محكمة نصف سنوية تصدرها كلية العلوم الانسانية وكلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الجزائر 2 أ أبو القاسم سعد الله ، 2001 م
- عبد اللطيف البرغوثي : التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي ، بيروت ، دار صادر ، 1971 م .

- عز الدين أحمد موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الشروق ، بيروت ، 1983 م .
- محمد الشريف : ابن بطوطة وأزمة التجارة الصحراوية في القرن 12 الميلادي ، ضمن نصوص جديدة ودراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، مطبعة الحداد يوسف إخوان ، تطوان ، 1996 م .
- محمد حسن : المدينة والبادية بأفريقية في العهد الحفصي ، منشورات جامعة تونس ، 1999 م .
- منشورات اليونسكو : تاريخ افريقيا العام ، مجلد 4 ، إشراف ج . نياني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1988 م .
- منصور محمد البابور : غدامس التحضر والقاعدة الاقتصادية ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ط2 ، 1995 م .
- هادي روجي إدريس : الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 م ، ترجمة حمادي الساطي ، دار الغرب الإسلامي ، 1992 م .
- هوبكنز : التاريخ الاقتصادي لافريقيا الغربية ، ترجمة أحمد فؤاد بليغ ، تقديم محمد عبد الغني سعودي ، المجلس الاعلى للثقافة ، 1998 م .

## البيت الغدامسي بين الشكل الفني والمضمون الإنساني

د. هدى حسين الجلاي، باحثة في المجال الفني والمعماري

### ملخص البحث:

يصف البحث المميزات المعمارية والزخرفية الخاصة بالبيت الغدامسي، في علاقتها بالجوانب الأيديولوجية والأنثروبولوجية، مؤكداً على ملائمة البناء لخصوصيات الحياة الاجتماعية وظروف المعيشة الصحراوية. ويقدم البحث وصفاً دقيقاً لأجزاء البيت الغدامسي، مشفوعاً بعدد من الصور الفوتوغرافية والرسوم البيانية والتخطيطية الدالة على عبقرية الغدامسي، في البناء والزخرفة، بما يتوافق مع مستلزمات سكنه البيئية والاجتماعية والثقافية.

### مقدمة:

لطالما كانت العمارة والعمران مجال اهتمام الباحثين من مختلف الاختصاصات. ولئن توجّه المؤرخون، والأنثروبولوجيون، والمهندسون، وعلماء الأعراق البشرية، في النصف الثاني من القرن العشرين، نحو دراسة ما يسمى بـ"التراث العالمي"، فإنّ مردّد ذلك هو ثرائه المادي واللامادي في ظلّ كل ما هو حديث ومعاصر، وهذا ما يفسّر التطور المتواصل الذي تشهده الأبحاث المعمارية والتراثية، المتعدّدة الإشكاليات والقضايا.

وفي هذا السياق، وبعد اطلاعي على بعض الكتابات والدراسات المرتبطة بالتراث العالمي لمدينة "غدامس" الليبية (التي تم إدراجها سنة 1985 ضمن قائمة التراث العالمي لليونسكو)، انجذبت لمعرفة وفهم الخصائص المعمارية والجمالية لمنازل "لؤلؤة الصحراء" وأفضيتها الداخلية، ضمن البحث والتدقيق في كل ما يخصّ مميزات مدينة "غدامس" التراثية.

وقد استنتجت، كوني مهتمة بالهندسة المعمارية والديكور، ندرة الكتابات المهمة

بالمسكن التقليدي لمدينة غدامس من الناحية التشكيلية والجمالية<sup>1</sup>، وعدم التمعّن في الخاصيات المعمارية والفنية (الزخرفية) والرمزية والطقوسية المميّزة للفضاء والتي يمكن أن تكون مفتاحا لقراءات جديدة.

- ما هي مميزات البيت الغدامسي، وكيف يمكن له ان يعكس صورة النظام الاجتماعي؟

- ما هو الدور الذي يؤديه الديكور في فضاء البيت الغدامسي، وفي حياة المرأة الغدامسية؟

- كيف يمكن أن نفهم الابعاد الجمالية والشعائرية الخاصة بزخرفة وتزييق البيت الغدامسي؟

### في مفهوم السكن:

قد لا يضبط الاصطلاح اللغوي مفهوم السكن بدقّة، لكنّه يساعد في فهم بعض دلالاته. وللتمييز بين جملة الألفاظ المتعلقة بالإقامة والسكنى ك: "البيت"، و"المنزل"، و"الدار"، استأنسنا بجملة من المعاجم والمؤلفات العربية. ولا يمكن الحديث عن السكن بوصفه فضاء غفلا؛ فهو منشّد إلى الفضاء الذي يُسمّى المسكن، بما هو يُسمّى أيضا البيت أو المنزل. وبعبارة أخرى، فإنّ السكّن يقرن قرانا عضويّا بين التشكيل الهندسي للفضاء (بغضّ النظر عن موادّ البناء) وبين رمزيّته الوظيفيّة. أو لنقل بأنّ المسكن هو انتقال من مكان غفل إلى مكان ينصهر ضمن المعيش اليوميّ للإنسان بما هو معيش توثّته وقائع ماديّة وأحداث رمزيّة بل وحتىّ تمثّلات خياليّة. على أنّ هذا التعميم محكوم بالخصوصيّات الثقافيّة التي تنفرّع إليها وتنوّع عليها المجموعات البشريّة<sup>2</sup>. لذلك، فإنّه لا مناص من مقارنة مفردة السكّن مقارنة أنثروبولوجيّة خاصّة، فانه مرجع الإنسان الحميمي، بل يكاد يكون شرط إمكان وجوده، (فحتّى عندما يستحيل على

<sup>1</sup> جلّ ما كتب حول المسكن التقليدي لمدينة غدامس، يخص الجوانب التاريخية والوصفيّة.

<sup>2</sup> روجي بيريناجي، المسكن عالم تنشئة اجتماعية للطفل في المجتمعات المصنّعة، ضمن كتاب أنماط تنشئة الطفل اجتماعيا، طرابلس، الدار العربية للكتاب، تأليف جماعي، تعريب صالح البكري، 1984، ص 167.

الإنسان أن يشيّد بيتا فإنّه ينشئه تخييلا وترميزا).

لا يتعلّق الأمر، بمطلق مفهوم السّكن؛ وإنّما بالأساس بنمطٍ من السكن التقليديّ ألا وهو البيت الغدامسيّ. ولنا أن نلاحظ في هذا المقام أنّ السّكن في إطار المجتمع التقليديّ يستحضر أكثر من السكن العصري الصلّة بالسّكن "البدائيّ". ولا يعني ذلك طبعا انتفاء صلة السّكن العصري بالأصول السحيقة للسكن، ولكن يعني ضمور الوظائف الرّمزيّة للسّكن التقليدي المرتبطة أساسا بتقسيم العمل وبنظام الأسرة اللذين تغيرا جذريًا، نتيجة مؤثرات ثقافة الحداثة.

ان ما يعيننا من البيت الغدامسي لا يكمن فقط في "هويّته" المعماريّة التي تعكس نمط التّصميم وضروب الزّينة والرّخرفة، وإنّما يجب ان ننتبه إلى إحالاته الرّمزيّة الملازمة لكيانه ولوجدان ساكنه. وهذه الإحالات تلوح واضحة أحيانا وتحتاج في أحيان أخرى إلى ضرب من الاستكشاف التّأويليّ، عبر جملة من العناصر التي تولّف التّراث اللّاماديّ لمدينة (غدامس)، من حيث السلوكات التي يأتيها الغدامسيّ والغدامسيّة عند التّحرّك من البيت إلى خارجه أو من خارجه إلى داخله فضلا عن داخل البيت نفسه؛ أي ما يتعلّق بما يسمّيه بعضهم "الممارسة السّكنيّة"<sup>1</sup>.

### البيت الغدامسي: المميزات المعمارية والجمالية:

يُعتبر البيت الغدامسيّ أحد النماذج النادرة التي عمرت منذ القرن 15. وهو من ضمن النماذج التي حافظت على هيئتها رغم التطور والتغيير في فعل البناء والزخرفة. ورغم تشابه البيت الغدامسي مع بيوت جل المدن العربيّة الإسلاميّة عامة، وبيوت المدن الصحراويّة في الوطن العربي على وجه الخصوص، إلا أنه يتسم بطابع خاص في العمارة والزخرفة، وذلك لاحتوائه لعنصر الشريفة (الثالوث) في أعلى السطح. وما دام قطب الرّحى، في هذه الدراسة، هو تحليل التجليات المعمارية والتعبيرات الزخرفية الخاصة بالبيت الغدامسي، فإنّ لا بدّ من الاستعانة ببعض

1 عماد صولة، « سيرورة الرمز من العتبة إلى وسط الدار: قراءة أنثروبولوجية في السكن التقليدي التونسي، مجلة إنسانيات، عدد 28، 2005.

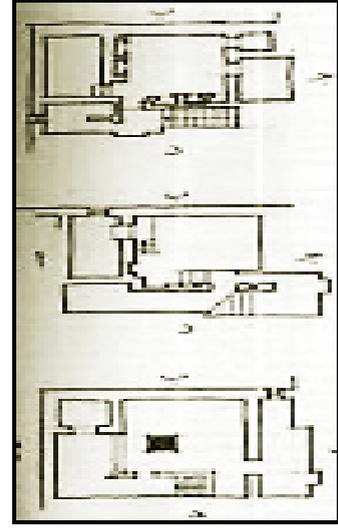
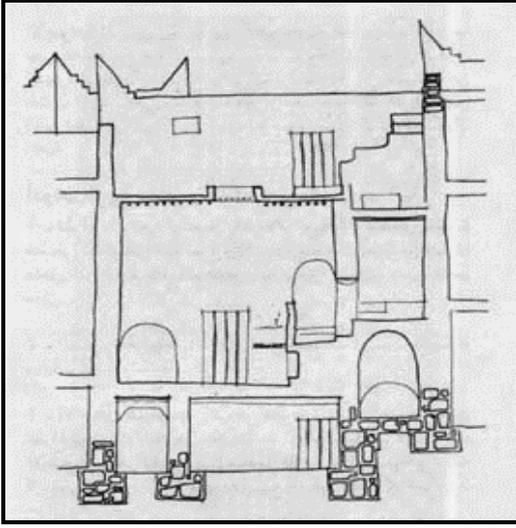
الرسوم البيانية والمعمارية، والتصاميم المقطعية.

يمكن القول في وصف أولي، أن متوسط ارتفاع المساكن الغدامسية يبلغ حوالي 10 أمتار، وأن اللون الغالب على جدرانها الخارجية هو اللون الأشهب (أي لون التربة التي بنيت بها)، أما نهاية المباني فتطلى بالجبس وتزين بالأشكال المثلثية<sup>1</sup>. وتكون هذه البيوت متضامة (بفعل الحوائط المشتركة)، فلا يمكن تمييز واجهتها المتلاصقة بوضوح. وغالبا ما يكون الطابق العلوي، لهذه المساكن، أكبر من الدور السفلي وذلك لتيسر تغطية الشوارع والممرات. أما الفتحات فهي صغيرة الحجم، لا تكفي سوى للإضاءة ولدخول الهواء (نظراً إلى شدة الحرارة وشدة السطوع الشمسي بالمنطقة).

يمكن ضبط تصميم البيت الغدامسي بتتبع خط السير فيه ابتداء من الولوج إليه صعوداً إلى سطحه بعد المرور ببقيّة أرجائه. ولنا أن نتمثل ذلك عبر التصاميم الموالية:

يختزل المسكن الغدامسي التقليدي العديد من المهارات والخبرات والتجارب التي توافرت جميعها للإيفاء باحتياجات هامة تفرضها ضرورات الحياة. ومن خلال المعاينة المباشرة نلاحظ أنّ أهم العناصر المشكّلة للبيت الغدامسي هي تقريبا: الممرات، غرفتي التخزين الأرضية والعلوية، السلالم (المؤدية إلى غرفة المعيشة)، دورة المياه (التي تكون خارج الغرفة المركزية)، غرفة الكبة، غرف النوم، ثم المطبخ (القريب من السطح)، ومن ثم مصطبة النوم الحجرية (المهيأة على السطح)، وغرفة السطح، وفتحتي التهوية المقامة في سقف الطابق الثاني.

<sup>1</sup> تتميز جدران البيت الغدامسي بالتبسيط المتجلي في هيمنة الالوان الترابية والقيم الضوئية (اللون الأبيض).



شكل رقم (1): طوابق البيت الغدامسي: شكل رقم (2) مسقط عمودي لبيت بمدينة غدامس مسقط افقي

يفتقر المسكن الغدامسي التقليدي إلى كثرة الفتحات؛ وذلك بسبب تشابك والتصاق حوائط المساكن وتضامها بعضها مع بعض. وهذا ما يدفع إلى جعل فتحة في سقف الدور الثاني للتهوية والإنارة، وعادة ما تكون صغيرة نسبياً ويمكن أن تتخذ شكل المستطيل أو شكل المربع أو شكل المثلث. وغالبا ما تؤطر بشرائط عريضة من الجبس داخلياً وخارجياً. وتقام في أعلاها المثلثات الطويلة التي تمتاز بها الأطر الغدامسية الشهيرة وتُدهن باللون الأبيض.

لا يلتزم المعمار التقليدي بمدينة غدامس، بالقياسات الدقيقة والمضبوطة حيث لا وجود لقوانين صارمة تحدد ارتفاعات البناء والفتوحات. ويتجلى ذلك على مستوى فتحات الأبواب، وعلى مستوى فراغات الحجرات والمخازن والممرات التي تتفاوت فيها القياسات من نقطة إلى نقطة؛ وهو ما يبرر ما نجده من اختلاف في قياسات الارتفاعات من غرفة إلى أخرى، ومن ممر إلى ممر في المسكن الواحد. لكن ذلك لا يعني فوضى المعمار وإنما يعكس ضرباً من التلقائية عند التشييد بحيث نلقي الخطوط في هذه العمارة حرّة ومرنة وغير ملتزمة بالاستقامة الصارمة فالجدران

كثيرا ما تكون متعرّجة، سميكة من الأسفل ونحيفة نسيبًا من الأعلى. وهذا ما يضيف على العمارة الغدامسيّة الصبغة النحتيّة العضويّة التي نلاحظها ماثلة في كثير من المدن الصّحراويّة الواحيّة<sup>1</sup>.

ومما يلاحظ أنّه في البداية، كانت تشيّد بيوت مدينة غدامس من طابق أرضيّ فقط؛ لكن مع مرور الوقت واكتشاف مواد بناء جديدة كالأخشاب، والجبس، وغير ذلك تمكّن البنّائون المحليّون من تطوير العمارة ومضاعفة الطّوابق على الحال التي هي عليها الآن<sup>2</sup> بما يتلاءم مع البيئة والمحيط.

### قراءة في البيت الغدامسي من منطلق أنثروبولوجي:

بيد أنّه ينبغي أن نحذر الانزلاق إلى نقص منهجيّ عند قراءة البيت الغدامسي؛ فيجب هنا أن نذكر بضرورة الانتباه إلى المقتضى الأنثروبولوجي الذي يؤثر في كميّة صياغة هذه المفردة السكّنيّة. وهذا المقتضى لا يقتصر فقط على البيئة الصّحراويّة وما يتطلّبها مناخها من تكيف معماريّ، ولا يقتصر أيضا على مؤثّرات العمارة العربيّة الإسلاميّة بما هي تحوي رؤية ثقافيّة للإنسان وسكانه؛ إنّما يكتنف هذا المقتضى الأنثروبولوجيّ مخزوننا ثقافيّا محليّا مرتبطا بسكان أصليين لشمال الصّحراء الكبرى، ونعني بذلك الثقافة الأمازيغيّة للبربر.

تختلف ملامح الثقافة الأمازيغيّة باختلاف البيئة والمناخ: حيث تتباين العادات ومعارف العمل (savoir faire)، عند الانتقال من بيئة صحراويّة إلى بيئة جبليّة، أو عند التحول من مناخ صحراويّ قاريّ إلى مناخ بحريّ ساحليّ. ويتجلّى هذا التفاوت (/ التباين) أساسا على مستوى العمارة، وكميّة تشييد البيوت. إلّا أنّ ذلك لا يلغي قواسم مشتركة حتّى على صعيد طرق التشييد والزخرفة، المتجليّة بعد التّمعّن والتفحص المحكم للأشكال والخامات والألوان، فتلوّح لنا كما لو أنّها "ذاكرة

<sup>1</sup> أنور عبد الزازق يوسف الحاسي، المرجع السابق، ص.240.

<sup>2</sup> أحمد قاسم ضوي، غدامس بين الماضي والحاضر، ليبيا، 2009.

معماريّة" تُسند بيتا أمازيغيًا بأطلس المغرب، وبيتا أمازيغيًا بـ(غمراسن) تونس، وبيتا أمازيغيًا بـ(غرداية) الجزائر<sup>1</sup>، وبيتا أمازيغيًا بـ(غدامس) ليبيا.

صحيح أنّ البيت الغدامسيّ ليس محفوراً في سفح جبل، لكن عندما يدلف المرء إلى الطّباق الأرضي، على وجه الخصوص، سيشعر كما لو أنّه يدخل إلى ما يشبه الكهف. وقد يكون ذلك راجعاً إلى ما يوحي به حجم البناء وسماكة الحيطان من كُتَل تشابه الصخور الضخمة المنتصبة على وجه الأرض، (أو الصحراء). ويُضاف إلى ذلك القواسم المشتركة على صعيد الخامات المستخدمة في البناء، فجِلّ البيوت البربريّة، فيما عدا تلك المحفورة في سفوح الجبال، هي بيوت متينة قد بُنيت من آجر الطّين المطبوخ أو من التّراب المدكوك (pisé). وتسمّى هذه المساكن في جِلّ المناطق البربريّة "تغزمت" أو "إيغارم"<sup>2</sup>؛ وتسمّى في غدامس "باليوت" أو "الديار".

وقد يجوز لنا أن نستعير عبارة كارل ماركس عن الطّبيعة حيث يقول بأنّها "الجسد اللاّعضويّ (inorganique) للإنسان"<sup>3</sup>، وربّما كان هذا الاستشهاد وارداً خاصّة وأنّ ماركس يسحب هذا الوصف على القاطرات، والسكك الحديدية، والكهرباء، وغير ذلك. انه يتحدّث ضمن سياق آخر يتعلّق بالتقسيم الاجتماعيّ للعمل واستغلال البيئة، لكن العبارة في حدّ ذاتها تبدو مناسبة لعلاقة الغدامسيّ ببيته فهو امتداد وجوديّ لحياته، بل هو بمثابة الرّحم الذي يغادره ويؤوب إليه في حميميّة لافتة.

### الأيدولوجي والجمالي في زخرفة البيت الغدامسي:

لتأكيد التوافق الحاصل بين الوظيفي والجمالي، فيما يتعلّق بتشييد البيت الغدامسي؛ فإنّه يكفي أن نعاين بعض البيوت التي أهملت في غدامس التقليديّة حتّى نتبيّن نضج

<sup>1</sup> يكون ارتفاع البيوت التقليديّة بغرداية اقل من ارتفاع البيوت بـغدامس.

<sup>2</sup> Salima Naj, Art et architecture berbères du Maroc, Ed La Croisée des Chemins, Casablanca, Maroc, p. 57.

<sup>3</sup> Introduction à l'économie politique, Ed. Seuil, p. 139... Karl Marx,

المعماري الغدامسي وخبرته، القائمة على التصور المسبق لما سيكون عليه البيت في صيغته النهائية.



شكل رقم (3) جانب من غرفة "تمانحت" وقد رُفِعَتْ عنه مظاهر التزيين والديكور.

ونهتم في هذا السياق بالموتيفات الهندسية والنباتية، المزخرفة للجدران. وهي بمثابة الهندام تكسى الحوائط بألوان وأشكال مختلفة، تتم التهيئة لها بتنصيب قوالب ناتئة لتجاري بناء الجدار نفسه: فمثلما تُحفر الطاقات في الجدران، يتم إبراز تلك الهياكل والموتيفات لتغدو مفردات وتكوينات تزويقية فيما بعد. وهذا ما نلاحظه بشأن المفردات الجبسية التي تزيّن جدران الغرف في البيت الغدامسي (وبخاصة "غرفة التمانحت"). فهذه المفردات الجبسية: هي عبارة عن نتوءات تزويقية بالأساس، منها ما هو في شكل إطار مربع ومنها ما هو مشقوق بسكين. وتتم طريقة تنفيذها تبعا لأحد هذين الأسلوبين: إما عن طريق تجهيزها بعيداً عن الحائط ثم تلسق على الجدار، أو تصنع مباشرة على الجدران. وهذا يؤكد أنّ البناء الغدامسي يحمل في الوقت نفسه أثناء تشييد البيت وعي المعماري ووعي المهندس الداخلي (/ او مهندس الديكور).

ويمكن التأكيد دونما مبالغة، بأنّ هذا المهندس المعماريّ الداخليّ ليس إلاّ المرأة الغدامسيّة نفسها، فهي التي تتولّى طلاء هذه المفردات، وتلوينها، وزر كشة حواشيها. بل وتصميم اختلافاتها الهندسيّة بما تملّيه جملة المعتقدات الموروثة (حيث يتمّ استنتاج الشكل الهندسيّ تشكيليًا ليتحوّل إلى مفردة من التّراث الشّعبيّ: كأن يصبح القالب الجبسيّ كفاً يتوسّط "يد فاطمة"؛ فيكون اللّون الأحمر خضاب حنّاء ويكون بياض الكفّ بياض القالب الجبسيّ (بياض سريرة)، ليس إلّا. )



شكل رقم (4) مفردة جبسيّة بعد تزويقها.

على أنّه ينبغي أن نلاحظ أيضا أنّ زر كشة جدران وأركان وسقوف البيت الغدامسيّ، لا تتمّ فقط بأشكال رمزيّة تشي بقر من التّجسيم، وإنّما يتمّ أيضا تزويقه بأشكال تجر يديّة خاصّة على مستوى السّفف؛ وقد يكون ذلك تحت تأثير بعض الأحكام الدينيّة التي تنبذ التّجسيم. ونلاحظ أنّ كثيرا من البيوت تتشابه فيها الرّخارف لكونها تعكس في حقيقة الأمر نفس السّمة الجرفيّة. وبالفعل، فإنّنا عندما نتأمّل سائر السقوف المزركشة في العمارة العربيّة الإسلاميّة بالمدن الأخرى سواء بالمغرب أو بالمشرق نجدها مزينة بأشكال هندسيّة تجر يديّة. والسبب الاطناب في الزخرفة هو في الغالب، لنقادي فراغ مساحة السقف، بمعنى أنّ تأنيثه بأشكال معيّنة من شأنه أن يدرجه ضمن

عمارة البيت المهنم<sup>1</sup>. وقد تكون تلك الأشكال ذات مدلول رمزيّ غابر موروث من الثقافات التي عمّرت في أحقاب تاريخيّة سابقة تلك المنطقة.

### تشكيل البيت الغدامسي وملائمته لخصوصيّات الحياة الاجتماعيّة:

من الاعتبارات التي يتعيّن إيلاؤها الأهميّة المطلوبة عند تشكيل البيت الملاءمة بين الخصوصية والانفتاح على (/ أو الخضوع لـ) مقتضيات الحياة الاجتماعيّة. ويتمّ ذلك باعتماد تقسيم البيت إلى قسمين متميّزين: فضاء خاصّ محكم يتكفل بصيانة الحياة الأسريّة بتمامها ضدّ أيّ إكمان من إمكانات التطفّل الخارجيّ بحيث لا يتسنى لأيّ كان وهو في الخارج أن يختلس النّظر، وفضاء شبه خاصّ يوضع عادة على ذمّة الضيوف الذكور<sup>2</sup>.

أما تنظيم فضاء البيت الغدامسي، فيعكس مراعاة العلاقة بين الحياة الأسريّة الداخليّة والانفتاح على الحياة الاجتماعيّة. وتتشابه أشكال وأحجام المساكن، خاصّة من حيث توزيع الفراغات البيئيّة المعيشة حتّى أنّ المرء يتعدّر عليه أحيانا التمييز بين تلك المساكن، فلا يفرقها إلاّ بفضل توزيع الألوان وتديبير الرّخارف.

وتكمن الفوارق من حيث حجم البناء، حيث تتمثّل في اختلاف عدد الغرف من بيت إلى آخر، كما توجد بعض الفوارق على مستوى مساحات بعض الغرف كـ "حجرة المعيشة"، او مساحة قطعة الأرض المعدّة للبناء<sup>3</sup>. وهنا مثال توضيحي لعمارة مدينة غدامس (انظر الصورة المرافقة للنص)

<sup>1</sup> زخرفة السقف تُشعر الساكن أنّه في بيت غير مكشوف، ولنا أن نستحضر هنا أنّ كثيرا من سكّان شمال إفريقيا يسمّون السقف محلياً بـ"السميّة".

<sup>2</sup> يجدر بالذكر ان البيت الغدامسي مثله مثل بيوت المدن الإسلاميّة التقليديّة، بما في ذلك المدينة الصحراويّة، لا يشذ عن هذه القاعدة. وفي الجملة، فإنّ المساكن التقليديّة في غدامس تتميّز بأنماط تصميميّة متشابهة، ولا نعاين الاختلاف تقريبا إلاّ على مستوى الزخرفة والزينة.

<sup>3</sup> تتراوح وفي الجملة مساحة قطعة الأرض المعدّة للبيت، ما بين 60 مترا مربعا و100 مترا مربعا. وهناك مساحات قياسيّة لبعض العناصر داخل البيوت الغدامسيّة، من ذلك أنّ مساحة غرفة التّوم تتراوح عادة ما بين 08 و12 متر مربع، وتتراوح مساحة غرفة المعيشة ما بين 12 و16 متر مربع، ومساحة الحمام ما بين 04 و06 أمتار مربعة، وتضاهي مساحة حجرات التخزين 20 مترا مربعا تقريبا.



شكل رقم (5) مثال توضيحي للمميزات الانشائية لاحد بيوت مدينة غدامس

يتكوّن البيت الغدامسيّ عادة من ثلاثة طوابق يكون سطحه متساويا مع أسطح بقية المنازل، أي أنّ كلّ المنازل تكون على مستوى واحد تقريبا. أمّا أرضية البيت فتتمّ بإجراء لمسات أخيرة على البيت، وبالأخصّ، بحسب وضع طبقة من الجبس على السطح وعلى الأرضية والسلم والمربوعة، ثمّ يتمّ إحضار كمية من الزيت تعادل عشرين لترا تقريبا تُسكب على الأرضية وتأخذ النساء بعد ذلك أحجارا صغيرة لحكّ الأرضية حتّى تصبح صلبة قويّة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup>غدامس بين الماضي والحاضر، ص.121.

ونجد أنّ المساكن الغدامسيّة متّفقة تقريباً في ثلاثة مستويات: المستوى الأوّل (ويتعلّق بالطابق الأرضي)، المستوى الثّاني (وهو الدّور، أو الطابق الثّاني)، وأخيراً المستوى الثّالث (ويتمثّل في السّطح).

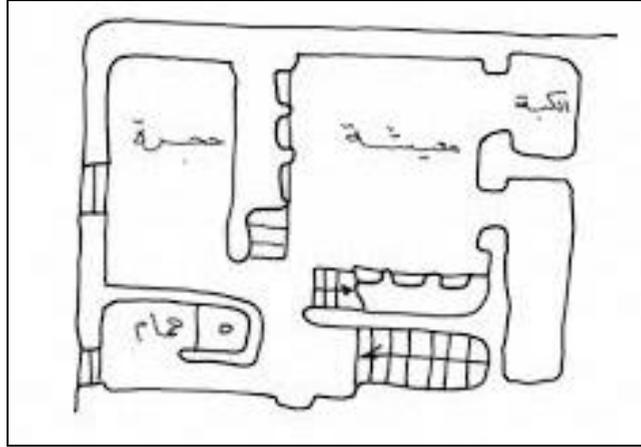
← المستوى الأوّل:

يتعلّق المستوى الأوّل بالطابق الأرضي الذي يتكوّن من باب المدخل، وغرفة التخزين، والسّلم، وغرفة مغلّقة تسمّى "خزان الصّرف". والمدخل هو عبارة عن ممّر مبخوس الطّول نسبياً ويرتبط بما يجري بالخارج، بمعنى أنّه يحتوي تقريباً على كلّ ما يحتاجه صاحب المسكن في عمله بالخارج من أدوات زراعيّة ومعدّات وغيرها. كما يوجد بهذا الطابق مخزن التّموين. فعند زيارة المرء لمنزل غدامس<sup>1</sup> العتيقة تصادفه السّقيفة أوّلاً، وهي عبارة عن قاعة مستطيلة الشّكل يلقّها الظلام في الغالب. وتكاد ان تكون خاضعة لزمن واحد لا يتغيّر. وتوجد في السّقيفة حجرة السّقيفة التي تُستعمل لعدّة أغراض؛ فهي تصلح لتكون مخزناً لحفظ الممتلكات الصّروريّة لصاحب البيت، فضلاً عن كونها تتميّز بالبرودة في فصل الصّيف. وهي في الغالب بلا نوافذ. أمّا "خزان الصّرف"، فهو لا يتّصل بباقي غرف المسكن لكونه عبارة عن خزان موجود تحت المرحاض. ويمكن الوصول إليه عند الحاجة سواء عن طريق الشّارع أو حتّى من الدّاخل بحيث يتمّ ثقب أحد الجدران من قبل مهنيين مختصّين. ثمّ يُستفاد من مخزونه سماداً للزّراعة. ولنا أن نلاحظ، هاهنا، أنّ مستوى الإنارة ضعيف في الطابق الأرضي نظراً إلى تسلّلها من خلال نافذة صغيرة تطلّ على "وسط الحوش". وتزداد الإنارة قوّة كلّما تمّ الصّعود إلى الطابق الثّاني فالطابق الثّالث من المسكن.

<sup>1</sup>حسب الإحصاء الوارد في كتاب أحمد قاسم ضوي (غدامس بين الماضي والحاضر، ص. 108)، وهو الإحصاء الوحيد الذي عثرنا عليه؛ فإنّ عدد المنازل في غدامس هو 1081 منزلاً، وهو مفصل كالاتي: شارع تصكو: 247 منزلاً، شارع درار: 213 منزلاً، شارع مازيغ: 169 منزلاً، شارع تنفزين: 133 منزلاً، شارع تفرقة: 90 منزلاً، شارع جرسان: 128 منزلاً، وشارع أولاد بالليل: 101 منزلاً

← المستوى الثاني:

يتمثل المستوى الثاني في " الدور"، أو الطابق الثاني. ويتكوّن من ممرّ ومن قاعة وسطى تُسمّى "الْتَمَانحت"، ومن غرفة تخزين، ومن "الكَبّة".



شكل رقم(6) مجسّم للدور (الطابق) الأوّل

يُعتبر هذا الطابق بمثابة مركز البيت، فإليه تُؤوب مختلف الأنشطة بالبيت ومنه تتفرّع. ويرتفع السقف بارتفاع الدورين معاً، وفيه تفتح نوافذ باقي الحجرات. وبهذا، فإنّه يتولّى تنظيم المناخ بالمسكن إذ توجد بهذا الطابق فتحة سماوية تتوزّع منها الحرارة والإنارة إلى باقي أجزاء المسكن. وتكون الإضاءة في هذا الجزء من المسكن قويّة. ويساعد على ذلك بعض الديكورات من أوان نحاسية ومن مرايا تعمل هي بدورها على توزيع الأشعّة وانتشارها داخل الغرفة فيشعر المرء باتّساع المسكن نظراً إلى ما توفّره هذه الديكورات من فراغات مصطنعة. وقد يجدر بنا، هاهنا، أن ننوّه بهذا الاستخدام المزدوج لهذه الديكورات حيث تضطلع بجمالية وظيفيّة تتمثّل في تحقيق ما يُسمّى "المتع المفيد": الزينة والمنفعة.



شكل رقم (7) صورة لمشهد من "التمانحت"، وتلوح في الخلفية حافة السلم (حافة حمراء) المؤدية إلى بعض الغرف.

فما أن يدلف المرء البيت الغدامسي ويرتقي السلم إلى غرفة الاستقبال أو الجلوس (التمانحت)؛ فإنه يستشعر كما لو أنه في دوحة مشكّلة في موازاة للدّوحات التي نلفيها في الطبيعة تلك التي تتألف من أشجار ومفردات طبيعية حقيقية في حين أنّ "التمانحت" مكوّن من نقوش ومفروشات ونحاسيات؛ وكلّ من هذه العناصر يحاول أن يفتكّ ناظره حالما تتلقت إلى غيره. صحيح أنّ بعض هذه العناصر التي تولّف "لوحات التمانحت" مستوردة من بلاد أخرى، لكن كثير منها هو من صنع حرفيي وحرفيات (غدامس) نفسها. ولما كان "التمانحت" عالمًا يتمثّل في تصاوير المفروشات المعلقة على جدرانه عناصر من الطبيعة ولو وفق تشكيل تجريدي رمزي؛ فإنّ تلك المزهريات النحاسية، التي تُسمّى "المشارب" والتي لا يخلو أيّ "تمانحت" في البيوت الغدامسية منها، تبدو كما لو أنّها أشجار يستحيل بدونها "التمانحت" وكأنّها أرض جرداء. وحتى تكون هذه المشارب بمثابة الأشجار الحقيقية فإنّ المرأة الغدامسية تزيّن الكبير منها بغطاء أحمر، وأمّا الأصغر حجماً فتزيّنه

بغطاء أصفر أو أخضر، وحتى أزرق إن كان من الحجم الأصغر. ولكن جمالها البديع يتألق أكثر حينما توضع عليها فواكه نظير الرّمان والبرتقال والشّمَام؛ فذلك أبهى حتى من الغطاء الأحمر حيث يُعدّ هذا اللون مجيدا في الثقافة الغدامسيّة. لكن لا بدّ من التنزيه بأنّ دأب المرأة الغدامسيّة على تزيين "المشارب" أو المزهاريّات النّحاسيّة بالفواكه الحقيقيّة يرتقي إلى مستوى "الجماليّة الوظيفيّة"؛ فالمزهريّة مفردة تزويقيّة ولكنّها في الوقت نفسه مخزن صغير لهذه المؤونة من الفواكه التي بإمكانها أن تحفظها لشهور عدّة والتي تُقدّم للحامل إذا اشتهدت، أو للطفل إذا أرادت أمه ترغيبه في الأكل، وللمريض... لكن لماذا توضع هذه الأواني بالذات في الثّمانحت؟ لماذا لا تُفرد بمكان في المخزن السقليّ أو في الغرفة المؤونة؟ لا نخال الأمر إلاّ تعبيراً عن ضرب من الكرم تجاه الضيف الذي يُستقبل عادة في "الثّمانحت"؛ فهذه المزهريّات بفواكهها تعبير عن الاحتفاء به. على أنّ ما يعنينا من هذه الملاحظة الأخيرة هو ما حرصنا على التذكير به دائما في هذا القراءة، ألا وهو التّوسّل بالخلفيّة الأنثروبولوجيّة لدراسة مفردات البيت الغدامسيّ ومكوّناته.

وبعبارة أخرى، فإنّ فرادة السّكن التّقليديّ في (غدامس) متأتية من كونه يأخذ في الاعتبار، في الوقت نفسه عوامل الوسط البيئيّ (حرّ في الصّيف وبارد في الشّتاء) الذي تحتاحه الرّمال كما يراعي عوامل الإكراهات الدّينيّة والاجتماعيّة. تتعدّم التّوافد منه تماما أو تكاد فيكون الضّوء الذي يأتي من فتحة السّقف غير كاف لإنارة كلّ زوايا البيت أو جلّ أركانه ممّا يحتمّ مضاعفته؛ ففتحتت قريحة السّاكن الغدامسيّ عن جيّل تفرن بين الرّينة والمنفعة فإذا بالمرايا المعلّقة على الجدران الدّاخليّة، للـ"ثّمانحت"، والمصّاهر (coupelles)، والأواني النّحاسيّة تعكس الضّوء الوافد من فتحة السّقف بشكل مضاعف.

وان من شأن الطّابع الجّدّاب المفرط أن يحجب حميميّة المسكن، فيجعله

مزارا أكثر منه فضاء حميميًا<sup>1</sup>. وبالفعل، فنحن نجد صعوبة في الاهتمام إلى الصلة الحميميّة التي تشدّ الغدامسيّ إلى بيته. وبعبارة أخرى، فإنّ تناولنا الفينومينولوجي للبيت الغدامسيّ مهما حاول أن يلمّ بكيفيّة إدراكه من قِبَل سكنه وساكنته لا يمكن أن يقول غير حاضر هذا البيت، أمّا ماضيه بما هو جزء حميميّ فموكول بالأساس إلى أصحابه أنفسهم. وربّما كان صحيحا أيضا ما يقوله "باشلارد" من أنّ كلّ بيت يحتفظ في ذاكرة ساكنه بغيش يجعله منذورا للأدب في عمقه، أي الشّعْر، وليس للأدب الفصيح أو للخطاب الوصفي إلا أن يعوّل على روايات الآخرين<sup>2</sup>.

وتفضي إلى الطّابق الثاني حوالي عشر درجات، بحيث يمكن القول بأنّ هذا الطّابق (الذي يمثل قلب المنزل الغدامسيّ) يؤدّي دور الجناح الذي يلي السقيفة في المنازل التقليديّة بالمدينة الإسلاميّة القديمة، بما في ذلك المدينة الصّحراويّة. ويحتوي هذا الفضاء على قاعة الاستقبال ("تمانحت")، كما توجد به أيضا حجرات النّوم، وحجرة للأغراض اللاّزمة للاستخدام المنزليّ.

وتتميّز قاعة "التمانحت" بشكلها المستطيل أو المربّع، وبسقفها المرتفع نسبيا، وتغطّي عادة بالحصائر والبسط والوسائد والمخادّ التي عادة ما تكون من الصّناعة المحليّة<sup>3</sup>. ويمكن القول بأنّ "التمانحت" هي بمثابة متحف مصغّر في البيت الغدامسيّ؛ فهي تتميّز بتزيين كلّ حيطانها تقريبا بقطع نحاسيّة أو فضيّة فضلا عن الصّور المضبوطة داخل إطارات متقنة الصّنع والزّينة. وبالإضافة إلى ذلك تُزيّن الحيطان بمصنوعات أثرية وتقليديّة غالبا ما تكون مستوردة من البلاد البعيدة.

و"التمانحت" هي الرّكن الأساسيّ في البيت حيث يتركّز عليها كلّ النّشاط والحركة في البيت؛ فحولها توجد حجرات المنزل التي تفتح أبوابها منها وعليها. ويختلف عدد هذه الحجرات من منزل إلى آخر حسب حجم المنزل ومساحته. إلّا أنّ هناك ثلاث حجرات

Voir : Gaston Bachelard, La poétique de l'espace, PUF, 3ème édition, 1961, p. 1  
40.

Gaston Bachelard, Op. cit. p. 40. <sup>2</sup>

غدامس بين الماضي والحاضر، ص. 106. <sup>3</sup>

لا يخلو منها ضرورة أي منزل غدامسيّ. وأول هذه الحجرات حجرة النَّوم التي للزَّوجين والتي عادة ما تسمّى هي أيضا باسم "التمانحت". ثمّ حجرة "الكبّة"؛ وهي حجرة للنَّوم أيضا وغالبا تخصّ الأبناء. ثمّ الحجرة الثالثة التي تسمّى حجرة "السّرير" والذي هو حائط ضخم من الطّين والحجر يبرز من أحد جوانب "التمانحت"، ويصعد إليه عبر بضعة سلالم.

وتستخدم حجرة السّرير التي توجد فوقه لعدّة أغراض؛ ففيها تُحفظ الملابس الأثياف الثمينة التي عادة ما تحرص عليها الأسرة. وتوجد تحت السّرير عدّة خزائن صغيرة لوضع بعض الأشياء الخفيفة كمواعين الطّهي وأدوات الشّاي والغسيل، وغير ذلك<sup>1</sup>. أمّا المرحاض فيقع ما بين الطّابق الأرضي والطّابق الثاني.



شكل رقم (8) الركن الأساسي في البيت "التمانحت"

وأمّا الطّابق الثالث (السّطح)، فيتمّ الصّعود إليه بواسطة أدراج حيث توجد حجرتان

<sup>1</sup> غدامس بين الماضي والحاضر، ص. 106.

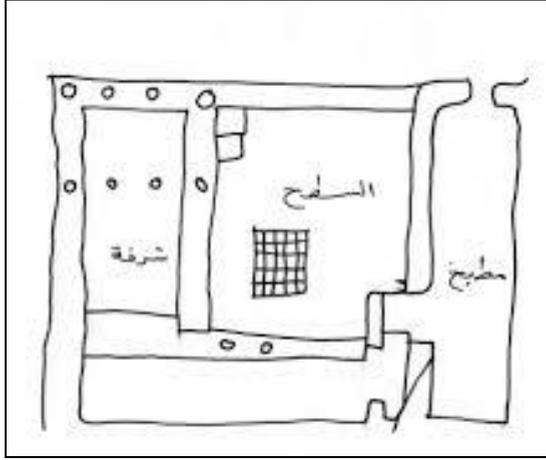
في منتصفها تُسمّى الأولى "أساجل" وتُسمّى الثاني "الرّف"1. ويوجد المطبخ في نهاية الأدراج المؤدية للسّطح.

← المستوى الثالث:

ويتمثّل المستوى الثالث في السّطح، الذي يُطلق عليها باللّهجة المحليّة اسم "انجاون"، ويصلح لتناول العشاء، والتّوم، ونشر الغسيل، وللسّهر في ليالي الصّيف، بل ويمكن الاستفادة منه في الشّتاء أحيانا للتمتّع بأشعة الشّمس عندما يشدّد البرد داخل المنزل2، (وربّما جاز وصف السّطح بأنّه "فناء معلق").

ويسمح السّطح لأفراد الأسرة، وخاصة النّساء، بالاتّصال مباشرة بالطّبيعة. وهو يحتوي على المطبخ وعلى باحة صغيرة للعب الأطفال. كما يمكن المرأة الغدامسيّة من أداء أغلب نشاطاتها وإدارتها مثل الطّهي والحرف التّقليديّة، فضلا عن تمكّنها من زيارة جاراتها. وثمة في واقع الأمر ما يمكن أن نعتبره عبقريّة معماريّة تميّز السّطح في البيت الغدامسيّ؛ فهو معدّل مناخيّ بامتياز نظرا إلى كونه يتدبّر الفرق بين درجات الحرارة ليلا ونهارا. فهو يقوم في اللّيل بإعادة إصدار أو بثّ كمّيات الطّاقة الشمسيّة التي كان قد اختزنها طوال النّهار في حوائطه وأرضيّته، كما يقوم في الوقت نفسه، ليلا، بتخزين الهواء البارد للإفادة من برودة السّطح أثناء النّهار في اليوم الموالي.

1 و"الرّف" هي حجرة خاصّة توضع فيها المأكولات والموادّ الغذائيّة التي تحتاجها الأسرة عادة.  
2 يلاحظ أحمد قاسم ضوي، أنّه لا يوجد مقابل في العربيّة لـ"انجاون" التي تعني في الوقت نفسه السّطح كما تعني الممرّات التي تصله ببقية أسطح المنازل الأخرى؛ ولذلك وجب الانتباه إلى المقصد من هذه اللفظة عند سماعها.



شكل رقم (9) تصميم للسّطح يبيّن استثماره فضاء يستكمل وظائف البيت .  
وبعبارة أخرى، فإنّ السّطح يلعب دور الفناء الدّاخليّ الذي نجده في بيوت المدينة الإسلاميّة ولاسيّما المدينة الصّحراويّة (ما عدا في مدينة غدامس). ويمكن تعزيز هذا التّأويل بالانتباه إلى كونه يلعب أيضا دور غرفة الجلوس وهو الدّور الذي يؤدّيه الفناء الدّاخليّ عادة ضمن البيت التّقليديّ بالمدن الصحراوية الأخرى، والإسلاميّة عموما. فنحن نلاحظ أنّه يُقسّم إلى جزئيين: جزء مفتوح للسّماء تماما، وجزء تنتصب عليه عوارض خشبيّة ويغطّى بقطع من القماش هي بمثابة الستائر الخفيفة. وللافت للانتباه أيضا وجود المطبخ في السّطح؛ فيظهر عندئذ كأنّه جسم منفصل عن المبنى أو ملحّق به. غير أنّ اختياره في هذا الموقع ينمّ كذلك عن ذكاء معماريّ يراعي جملة من الأسباب منها إبعاد روائح الطّبخ والدّخان عن باقي أجزاء المسكن؛ فالدّخان يخرج من الفرن عبر فتحة مستطيلة إلى الهواء الطّلق حتّى لا يلوّث الشوارع.

ولنا أن نلاحظ في السّطح تلك الشّرفة التي تعلو مستواه بحوالي المتر والنّصف، والتي تستعملها النّساء أساسا لتبادل الحديث مع الجارات؛ فهي هي بمثابة الاستراحة العلويّة للمرأة الغدامسيّة، وهي في الوقت نفسه، ستر لمن في السّطح خاصّة وأنّه يُستغلّ في ليالي الصّيف الحارّة للسّهر أو للنّوم من قبل كلّ الأسرة.



شكل رقم (10) مشهد فوقى لأسطح بيوت غدامسيّة

ولكنّ السّطح من ناحية أخرى يمكن أن يعدّ مركزاً ثانياً للبيت الغدامسيّ، بالإضافة إلى التّمانحت؛ فإذا قارنناه بالفناء أو الصّحن الذي يمثّل مركز البيت العربيّ التقليديّ حيث تتمّ فيه الأنشطة ذات الصّلة بالمعيش اليوميّ فإنّ السّطح يكون من هذه النّاحية، أي وظيفيّاً مركزاً للبيت الغدامسيّ في حين يكون التّمانحت، من النّاحية المعماريّة مركزاً آخر للبيت الغدامسيّ باعتباره الفضاء الذي يصل بين غرف البيت داخليةً. وقد يكون لتضعيف المركز بعد جنديريّ.

وإذا استأنفنا مرّة أخرى المقايضة بين الفناء، أو الصّحن، بالبيت التقليديّ في العمارة العربيّة الإسلاميّة؛ فإنّ الفناء يؤدّي إلى عزل البيت عن الضوضاء، وذلك نظراً إلى وضعه في المسكن والتفاف عناصره حوله فيشكل بذلك حاجزاً طبيعياً وقوياً ضد نفاذ الضوضاء. ولذلك يعتبر استخدام الفناء حلاً مثالياً لتوفير فراغ هادئ داخل المسكن يمكن ممارسة الأنشطة المختلفة به بعيداً عن الضجيج الخارجي.

وتشير دراسة "أنماط البناء المناسب للبيئة الصحراوية"<sup>1</sup> إلى أن المباني ذات الأفنية تتميز بقدرتها على حماية مستخدميها من الضوضاء الخارجية (حيث يكون أحد أضلاع المبنى حاجزاً صوتياً طبيعياً يؤدي إلى تخفيض الضوضاء بما مقداره 53 ديسبل، وهو مستوى مقبول يحقق الراحة السمعية للسكان). وقد أشارت هذه الدراسة إلى أن أداء الأفنية الداخلية لا يقتصر على منع أو تقليل الضوضاء الصادرة إلى الفناء ولكنها أيضاً وبنفس القيمة يمكنها تخفيض الضوضاء الصادرة من الفناء إلى الخارج حيث يسهل التحكم فيها ومنعها من الانتشار للمساكن المجاورة، وأظهرت النتائج أن المباني ذات الأفنية الداخلية هي أكثر هذه الوسائل فاعلية حيث يمكنها تخفيض الضوضاء فتصل إلى الحد المقبول للراحة السمعية.

ولمّا كان السطح يحلّ، ضمن البيت الغدامسيّ، محلّ الفناء في البيت التقليديّ بالمدينة العربية الإسلامية؛ فإنّه يضطلع هو أيضاً بوظيفة الحماية ضدّ الضوضاء طالما أنّ السّماء المكشوفة للسطح تجعل الأصوات ترتفع إلى أعلى ثمّ لا تصلها أيّة جلبة من الأصوات التي قد تأتي من الأزقة الأرضيّة المسقوفة؛ وهي في الغالب الأعمّ هادئة بطبيعتها.

### الخاتمة والتوصيات:

تُعرّف مدينة غدامس بطابعها الإسلامي التقليدي، المستمد من شكلها المتميّز بالوحدة المعمارية والتلاحم العمراني. وتعبّر المدينة على عديد المعارف، والخبرات، والقيم الدالة على الشعور بالتواضع والمساوات والتأزر. لقد سعينا، ضمن دراستنا للبيت الغدامسي، للتعريف بمميزاته الهندسية والثقافية، وللكشف عن تجلياته التعبيرية والزخرفية، في علاقتها بالجوانب الأيديولوجية والأنثروبولوجية، وذلك بغية تأكيد:

<sup>1</sup>أ.د.رزقمر حماد، / د.علي العماير، بحث منشور، أنماط البناء المناسب للبيئة الصحراوية "الفناء الداخلي كمنظم للإضاءة النهارية"، جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا.

- التفاعل القائم بين الغدامسي وبيئته السكنية،
- ملائمة البيت الغدامسي لخصوصيات الحياة الاجتماعية وظروف المعيشة الصحراوية،
- عبقرية الغدامسي، في البناء والزخرفة، بما يتوافق مع مستلزمات سكنه البيئية والاجتماعية والثقافية.

نحن نؤكد على القيمة التاريخية والمعمارية المميزة للبيت الغدامسي، ونقر بواجب الاعتناء بالتراث المعماري والعمراني الغدامسي، وبأهمية الحفاظ على واحدة من أهم خصائص هوية العمارة في ليبيا.

#### بيبلوغرافيا:

#### كتب باللغة العربية:

- (1) روجي بيريناجي، المسكن عالم تنشئة اجتماعية للطفل في المجتمعات المصنّعة، ضمن كتاب أنماط تنشئة الطفل اجتماعيا، طرابلس، الدار العربية للكتاب، تأليف جماعي، تعريب صالح البكاري، 1984، ص 167.
- (2) عماد صولة، «سيرورة الرمز من العتبة إلى وسط الدار: قراءة أنثروبولوجية في السكن التقليدي التونسي، مجلة إنسانيات، عدد 28، 2005 .
- (3) أنور عبد الرزاق يوسف الحاسي، المرجع السابق، ص 240.
- أحمد قاسم ضوي، غدامس بين الماضي والحاضر، ليبيا، 2009.
- (4) أ.د. رزقمر حماد، / د. علي العمير، بحث منشور، أنماط البناء المناسب للبيئة الصحراوية "الفناء الداخلي كمنظم للإضاءة النهارية"، جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا.

**كتب باللغة الفرنسية:**

- (5) Salima Naj, Art et architecture berbères du Maroc, Ed –  
La Croisée des Chemins, Casablanca, Maroc
- (6) Karl Marx, Introduction à l'économie politique, Ed. Seuil –
- (7) Voir : Gaston Bachelard, La poétique de l'espace, PUF, –  
3ème édition, 1961, p. 40.



## تأصيل النقوش والمفردات-المعمارية الغدامسية

### بالمساكن المعاصرة

د. عمر الهنشيرى

قسم التصميم الداخلى - كلية الفنون - جامعة طرابلس

#### المقدمة :

غدامس جوهرة الصحراء كما أطلق عليها الباحث، فقد شهدت هذه المدينة استقرار كبير أنتج لنا موروث متنوع ثقافي وفنى واقتصادي لعبت ينابيع المياه دوراً ورئيسياً في هذا الموروث ، ومن أهم هذه الينابيع عين الفرس والتي تبدو كبهيره كبيره يتم من خلالها توزيع المياه للمساكن والمساجد، كما يتم سقايه جميع بساتين المدينة المحيطة بأشجار النخيل عبر قنوات صغيره وفق حسابات مضبوطة ودقيقه من خلال ساعة مائية تسمى القادوس " لم يقتصر هذا النظام على ذلك فقط بل تم استدامه التجارة من والى مدينه غدامس عبر الصحراء الشاسعة، مما انعكست على تطوير عمارتها السكنية وأثرت على تراثها وأصالتها، وأصبحت غدامس مكوناً اجتماعياً متماسكاً ومتضامناً والذي أنعكس بشكل واضح على العمارة الغدامسية، والتي أنتجت مساكن تميزت واجهاتها الخارجية بمفردات معمارية متناسقة، ذات حركة مستمرة تبرز بشكل واضح من خلال الاقواس والمداخل والنوافذ والذروة العلوية للأسطح رغم بساطتها في الشكل، كما تميزت عمارتها الداخلية من خلال المناسيب وتقسيم الوظائف عبر الأدوار المتعددة، وتجميلها وطلاء جدرانها الداخلية والخارجية باللون الأبيض وزخرفتها بالنقوش والاعمال الجبسية وصيغة بألوان متباينة وجاره أعطت نوع من الحيوية والتميز داخل تلك الفراغات، بحيث أصبحت هذه المدينة عالم زاهر بالإبداعات الفنية والهندسية المميزة عن حياة الشعوب المرتبطة بثقافتها وعاداتها وتقاليدها ومن خلال هذا الجانب جاءت فكرة البحث التحليل وتأصيل عناصر عمارتها الداخلية لتبقى هذه المدينة في حلقات متجددة دائما بين الأصيل وبين ما هو حديث يلبي

حاجة العصر، تجعل الماضي حلقة من حلقات الحاضر ويضمن ربط الوشائج وتعميقها في الامتداد الثقافي وتعزيز الذات الاجتماعية في كونها تسعى لعملية التجديد والبناء الحضاري من خلال التواصل المستمر بين الماضي والحاضر، وبذلك تكون لصفحات الماضي حيزاً متطوراً متميزاً داخلاً في الحياة المعاصرة، إن جماليات العمارة الداخلية والتصميم بهذه الدرجة أو تلك يعبر على عمق المصمم في كيفية رؤية الماضي بعين ورؤية المستقبل بالعين الأخرى، إن هذا الطرح يسعى من خلاله الباحث إلى الدمج بين ماضي غدامس من حضارة، وما تحمله من تصميمات داخلية وعناصر ومفردات فنية وجمالية وبين توظيفها والاستفادة منها في تصميمات مبتكرة ومعاصره بما يخدم الأسرة الليبية وظيفياً وجمالياً في تصميمات مبتكرة ومتنوعة وبذلك يحقق لمصمم الأصالة في كونه متجذراً مع التاريخ منتمياً لحضارته معيراً عنها بحق .

#### مشكلة البحث :

إن التأصيل في التصميم يشكل عاملاً مهماً في هوية المجتمع الليبي وتأصيل تراثه وحضارته التي باتت غزو للمعمار الأوروبي حيث شيدت كثير من نماذج العمارة الداخلية التي تأثرت بالتصميمات الغربية التي لا تمت إلى أصالتنا وأصبحت تشكل قلقاً وتخوف على هوية مجتمعنا، وتأثير العمارة الداخلية العربية على العمارة الداخلية الليبية يطمس الهوية ويساهم في تفكيك الأواصر الاجتماعية لأنه لا يراعى خصوصية المجتمع وعاداته وتقاليده، ونتيجة عدم الاهتمام بالأصالة المعمارية الليبية دفع الباحث أن يربط في دراسته الماضي بالحاضر حيث يشكل الحاضر فن جمال الماضي في تشييد العمارة الداخلية والحفاض على خصوصيتها إن دلالات العمارة الداخلية من عناصر وقضاءات وتكوينات لها تعيد الحنين إلى الماضي بشكل معاصر بالإضافة إلى قلة الدراسات التي تناولت العمارة الداخلية بمدينة غدامس على المستوى العلمي والأكاديمي في التطرق في تأصيلها وتوظيفها بشكل معاصر وبناء على تلك المؤشرات جاءت فكرة دراسة تأصيل عناصر العمارة الداخلية للمسكن الغدامسي .

## أهداف البحث :

يهدف البحث إلى أضاء التجديد والتحديث في الفراغات الداخلية والاشكال والعناصر المعمارية بمدينة غدامس، وإعادة صياغتها في أشكال جديدة، وهي محاولة للتوصل إلى أسلوب ملائم لوضع مفهوم فلسفي معاصر وقيمة فكرية مضافة، كما أن هذا البحث لا يهدف إلى أحياء الموروثات والاشكال والعناصر المعمارية في مسكن معاصر فقط ، ولكنه يهدف بصورة اشملى وأدق إلى ربط التراث المحلى بالاتجاهات والمدارس المعاصرة في العالم من حيث الاستفادة من الامكانيات التكنولوجية المتاحة ومبادئ التصميم، ومحاولة نشر هذا الفكر والابداع فيه ومن ثم تصديره .

## أهمية البحث:

تكمن أهمية الدراسة في النقاط التالية:

- الحفاظ على عناصر وجماليات العمارة الداخلية في المساكن الغدامسية.
- زيادة الوعي بالقيم الجمالية للعمارة التقليدية بـغدامس.
- تعتبر الدراسة مرجع للمكتبات العلمية في مجال العمارة الداخلية للمسكن الليبي.
- تشكل الدراسة أهمية في زيادة الوعي بالقيم الجمالية والفنية للمهتمين بالعمارة الداخلية.
- تفيد نقاد الفن والباحثون والدارسون والمهتمون بمجال العمارة الداخلية.

## تساؤلات البحث:

- ما هي الأبعاد الجمالية والفلسفية على المسكن الليبي المعاصر .
- ما مدى الاستفادة من التأصيل في العناصر الداخلية في المسكن الليبي.
- هل تأصيل عناصر العمارة الداخلية والموتيفات الزخرفية للمسكن الغدامسي يلائم المعاصرة.

## حدود البحث:

تقتصر الدراسة الحالية على :

- الحدود الموضوعية: (تأصيل عناصر العمارة الداخلية للمسكن الليبي المعاصر

(العنوان)

- الحدود الزمانية : 2022

- الحدود المكانية: مدينة غدامس التقليدية.

**منهج البحث:**

- من خلال العرض السابق لمشكلة البحث وهدفه للوصول إلى النتائج والحلول المثلى فإن الدراسة تعتمد على المنهج الوصفي التحليلي بالإضافة إلى المنهج التطبيقي.

**المنهج الوصفي التحليلي :** دراسة وصفية تحليلية للفراغات الداخلية بمنطقة غدامس واستقراء العناصر المهمة منها للوقوف على قيمتها الوظيفية والجمالية التي يمكن أن تؤدي إلى تكامل عناصر جديدة في مجالي العمارة والتصميم الداخلي.

**المنهج التطبيقي :**

يتم ذلك من خلال توظيف جماليات العمارة الداخلية التقليدية الغدامسية في نموذج سكني معاصر.

**مدينة غدامس الموقع والحضارات**

تقع مدينة غدامس على مساحه تقدر بحوالي 75 هكتار، تتضمن البنايات والبساتين والنخيل والحدائق، في صحراء الجنوب الغربي لليبييا وتبعد عن الحدود التونسية بمسافة 9 كيلومتر وعن الحدود الجزائرية بمسافة 13 كيلو متر وتبعد حوالي 630 كيلو متر عن طرابلس وترتفع عن سطح البحر ب 300 متر و يعتبر النسيج العمراني لمدينة غدامس نموذجا للمدن الصحراوية ذات المرافق المتكاملة من بيوت متراصة بأكثر من دور في معظم الاحيان وشوارعها المسقوفة ذات فتحات الاثارة والتهوية وساحتها المخصصة للمناسبات والمساجد والأسواق والمدارس القرآنية، وهي مسورة ومحصنة وذات أبواب رئيسية عليها حراسة ومراقبة ثققل وتفتح في مواعيد معينة وتتميز غدامس بقنوات المياه الواصلة إلى داخلها تستخدم لتزويد السكان والمساجد أما المزارع المحيطة بالمدينة فقد خصص لها مكان خاص يتم من خلاله توزيع الماء بالتساوي على أصحاب البساتين حسب

مساحة كل ارض يسمى (القادوس)<sup>1</sup> ويعتبر من أهم ما يحيط بالمساكن الغدامسية التي يضيف لها بعد جمالياً ووظيفياً



وتشكل غدامس إحدى أهم الطرق التجارية التي تربط بين وسط أفريقيا والبحر الأبيض المتوسط، ومن الأسباب التي جعلت المدينة تستمر وتقاوم الصحراء كثرة عيون المياه الجوفية التي وجدت بكميات كبيرة وبالعودة إلى التاريخ نرى أن مدينة غدامس مرت بها عدة حضارات متعاقبة أولها حكم الجرمنت وقد ذكر هذا تشارلز نابيرة بان الجرمنتيون هم من أرسى اللبنة الأولى لمدينة غدامس<sup>2</sup> وذكر بأن المدينة يرجع تاريخها إلى عهد النمرود وقد وجدت كتابات وحروف ذات طابع إغريقي وكتابات اخري مجهولة من المتوقع أن تكون جرمنتية وحكمها اليونان ووجدت العديد من النقوش والآثار والأواني اليونانية كما ذكرها عبد العزيز طريح)، وفي عام 16 ق.م قد سيطر الرومان علي هذه المدينة المتوغلة في الصحراء علي يد القائد اليوناني القادم من لبدة لوسيو سنيلو سيالكولوس والتي تعتبر من اهم اليوابات التجارية في الصحراء ودام حكم الرومان قرنين كاملين إلى أن جاء حكم بيزنطة (اشكال 171) حيث أمر القائد جستنيان باحتلال افريقيا وايطاليا وجنوب اسبانيا

1 - ساعة مائية يتم من خلالها توزيع الماء بفترات زمنية محددة حسب مساحة كل أرض  
2 - Charles denier "the gemant of soutgre Libye" olender preso p20 3 - 455

وبهذا أصبحت غدامس مستعمرة بيزنطية<sup>1</sup> ، وفتحت ليبيا في عهد الخليفة معاوية بن ابي سفيان سنة 40 الي سنة 60 هجرية على يد عمرو بن العاص حيث خدمت غدامس بدورها للفتح الاسلامي وفي عام 551 بسطت تركيا نفوذها على ليبيا فأصبحت غدامس من ضمن بقية المدن تحت السيطرة التركية<sup>2</sup> وبعد طرد العثمانيين من قبل الايطاليين منه 1911 فرضت إيطاليا هيمنتها بالكامل على ليبيا، وفي عام 1943.1.13 اصبحت غدامس مستعمرة فرنسية لأطماعهم بالوحدات والمدن الاستراتيجية لأسباب عسكرية واقتصادية<sup>3</sup>



- 1 - الغد أمسي احمد محمد مصطفى: مرجع سابق، 12 ص ص 15 ص 17
- 2 - رودولفو جريسيباني : الطريق نحو فزان، ترجمة طفوزي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1971 ص 225
- 3 - يوشع بشير قاسم: غدامس ملامح وصور دار لبنان ب بيروت 1975 ص 134

## المحور الأول: دلالة التأصيل في العمارة المعاصرة :

### 1- التأصيل والمعاصرة

إن المفارقة أو المعادلة بين التأصيل والحدائثة تتوقف على طبيعة مدى فهم وتحليل طبيعة هذين المصطلحين وارتباطهما بالعمارة الداخلية، ومدى تأثيرهما من الناحية الجمالية والوظيفية والتكوينية، وتوظيف أصول الماضي في المعاصر من أجل امتداد الماضي في الحاضر، والتأصيل يراد به الاستناد إلى أصل واضح ومتماسك ، وهذا الأصل إما أن يكون على صورة دليل أو على صورة قاعدة واضحة المعالم ، وتسجيل قيم عظيمه أصيلة لها دلالات وقيم متميزة بإيضاحها تفصيلياً ، والملاحظة في لغتنا العربية تطلق مصطلح أصيل على المسميات مثل شيء يرتبط بأصل معين، وفي المعجم الوسيط نجد في كلمة "أصل الشيء" . أستقص بحثه حتى عرف أصلها وجعل للشيء أصلاً ثابتاً يبنى عليه<sup>1</sup> .

وفي لسان العرب نجد كلمة . تأصيل الشيء - وهي تعني تثبيت أصل الشيء وترسيخه وتقويته تمهيداً للبناء عليه وتكثيره أي ربط الشيء بأصله ربطاً قوياً لإتاحة البناء عليه<sup>2</sup>. وعلى هذا يكون تأصيلاً للقيم المعمارية بالمكونات التراثية هو الاستفادة من القيم الأصلية ، وما تكتنزه من فكر وراء تلك الحلول المعمارية الناجحة والتي ساهمت بالفعل في التوفيق بين متطلبات الإنسان في تلك العصور، ومعطيات البيئة المحيطة<sup>3</sup> وطالما أن الأصل يعنى بده الشيء وأول ظهوره، حيث تميز عن العصور والحضارات نتيجة التزاوج بين القديم والحديث ووصولاً للمعاصر الذي تعايش الإنسان فيه ، وحتى يستمر الماضي المعماري والحفاض عليّة من الثقافات الأجنبية والتطوير التكنولوجي يعمل

1 - المعجم الوسيط " مجمع اللغة العربية - الجزء الأول، القاهرة 1968 ص20

2 - ابن منظور "لسان العرب . مطبعة الجبل بيروت 1982 ص 34

3 - عبد الغني جمال الدين احمد ، تنسيق مواقع الأماكن التاريخية بمصر رسالة دكتوراه قسم العمارة جامعة الإسكندرية، كلية الفنون الجميلة بالإسكندرية 1900 ص 21

المصمم أن يوظف القديم الأصيل في المعاصر وصولاً لإبقاء التراث يعيش في أكتاف المعاصر، ويعتبر وثيقة لتلك الحضارات التي مرت على البلدان كما يشير جميل صليبية في معجمه الفلسفي على معنيين يعمقان المعنى هما الصدق والاصالة، ويقال على العمل الصادر عن صاحبة والاصالة هي المطابقة بين ظاهر الوجود وحقيقته.

ويرى الباحث إن مفهوم التأصيل في العمارة الداخلية في أصلتها وتوظيف عناصرها القديمة بالعمارة الداخلية المعاصرة، وهنا تظهر المعانقة بين القديم والحديث، وحتى تبقى القيم الحضارية تعيش في الحاضر ويبقى بها ويحملها، وبنائها لا بد أن تبقى عائشة في ضميره وحياته، والتأصيل في العمارة الداخلية والذي يسعى المصمم من خلال توظيف بعض العناصر في المعاصر الأسباب تاريخية وجمالية وأبعاد وظيفية واجتماعية. ويمكن تأصيل القيم الحضارية في المعاصر بالأسباب التالية:

1- عند تصميم المباني أو العمارة الداخلية على أساس الاستفادة من القيم الحضارية والجمالية والمتطلبات الاجتماعية والتي لا تتعارض مع التطورات الحضارية والمتطلبات المعيشية.

2 - التأكيد على التراث المعماري الذي يشكل تاريخ البشرية، والعمارة الداخلية التراثية لا تعنى استخدام المواد الخام المحلية بطريقة بدائية حيث كانت عالية التقنية في عصرها، ولكن بخامات وطرز بناء حديثة ومعاصرة .

### التوظيف الفني والجمالي للتراث

إن عملية الحفاظ على التراث بإعادة التوظيف للمكونات التراثية من إعداد البرامج والخطط المستقبلية التي تساعد على تعريف المواطن بأصالته التي هي الحصن الوحيد ضد المتغيرات الثقافية والمعمارية الغربية. والعودة إلى تراثنا العمراني يساعد على استرداد البيئة العربية والإسلامية التي تراجعت كثير أمام الغزو الثقافي والاستيراد

المعماري غير المحدود<sup>1</sup> إن الطابع أو الشكل المعبر عن شخصية كل مجتمع وهوية الأمة "تتجلي من خلال وحدة اللغة والثقافة والعقائد، وتعكس هويتها على العمارة والفنون والتراث، وتستمر هوية العمارة باستمرار هوية الأمة، وتتطور بتطويرها، وتنهض بنهوضها، وتتفكك بتفككها، وبهذا المعنى فإن هوية العمارة تعني انتماء هذه العمارة إلى حضارة معينة خلقتها أمة معينة" ويعني هذا القيام بالمزاوجة بين استخدام مواد البناء الحديثة وبعض القواعد المستجدة في العمارة والتعمير دون التخلي عن العناصر التراثية المعبرة عن هوية المجتمع وأصالته، التي عبر عنها أحد الباحثين قائلاً بأن " المدن القديمة ترك نسيجها العمراني طابع إنساني وعمارة أبنيتها تعكس بشكل واضح تنوع الفضاءات الداخلية والخارجية " هذا التداخل يستمد قوته الأساسية من المعطيات الحضارية والاجتماعية والاقتصادية.

ويعبر التراث في اللغة العربية عن كل ما ينتقل من جيل إلى جيل عن طريق الإرث، سواء كان مادياً أو معنوياً وهو بذلك يشمل العقار والمال والأرض، وأيضاً العادات والتقاليد والأنماط الحضارية<sup>2</sup> وعنصرها في تشكيل الهوية لكل شعب ، وينظر له على أنه بقايا ثقافة الماضي وهو كل ما هو حاضر فينا أو معناها من الماضي سواء ماضينا أم ماضي غيرنا سواء القريب منا أم البعيد، وتأصيل التراث الذي يمثل تاريخ الأمة الذي يعمل على التمازج بين الماضي والحاضر والمستقبل ، حيث أن يحافظ على مضمون وبعض معالم الحضارات ، ونتيجة التمازج بين الماضي والحفاظ على شكله وعمارته ، وبين ما هو موجود من أشكال وقوالب حديثة في العمارة الداخلية يشكل عنصراً مهماً في جوهر التراث، وتعامل التراث مع الحداثة غير المفهوم السائد للحداثة عند البعض، رفض التراث والقطيعة مع الماضي لكنه طريقة في التعامل مع التراث بشكل معاصر

1 - الاتجاهات الجديدة في العمارة الإسلامية حافظ لم هروب مرجع السابق، من 30

2 - مجموعة اللغويين العرب - المعجم العربي الأساسي المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة طبعة لاروس،

تونس عام 1989 ص 351

يواكب التطور ، والتأصيل هنا عملية الاهتمام في التراث وتشكيله أو استخدام بعض مفرداته بشكل جمالي أو وظيفي بحيث أن تكون المعاصرة تستند على قيم الماضي التي تشكل التراث المعماري وأن من ينشد الأصالة بدون معاصرة كمن ينشد المعاصرة بدون الأصالة ويكون الأول مقلد والثاني تابع بل كلاهما تابع ومقلد وطالما العمارة الداخلية تحمل فيما من فنون الجمال والزخرفة وغيرها من القيم الروحية والمحددات الاجتماعية وكون العمارة التراثية هي انعكاس لواقع عصر مضى سادته ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية تختلف عن الحالي<sup>1</sup> لأن الجمال والابداع هو عملية توظيف التراث ضمن الواقع المعاصر بما يتلائم معه .

وعليه يرى الباحث مسألة التأصيل من اجل الحفاظ على التراث المعماري في مفردات معمارية أو نقوش أو مشغولات معدنية يمكن إعادة توظيفها والاستفادة منها بصور حديثة عصرية تتوافق مع متطلبات العصر وظيفيا وجماليا وتبقى شاهدة على أصالة وعراقة التراث العمراني، كما ان ارتباط الطابع المعاصر بالتراث يعنى استمرار روح الحضارة وتفرداها وقدرتها الذاتية على العطاء مترابطة بجنورها وبلا تبعية لغيره من الحضارات.

## 2- القيم الوظيفية والجمالية في العمارة الداخلية للمسكن الليبي المعاصر

تؤكد القواعد الإنسانية والأخلاقية والشرائع السماوية والقوانين الوضعية، إن المسكن حق طبيعي وحاجة أساسية، فينبغي أن لا يقتصر المسكن على اطاره الانشائي فحسب، وإنما يجب أن يحتوي على مضامين تتعلق بالنواحي الإنسانية والاجتماعية والدينية، وأن فكرة السكن لا تتحقق الا بوجود اثنين معاً : المسكن وساكنه ، الأمر الذي يتطلب التعامل مع الاثنين معاً، بهدف خلق البيئة السكنية الملائمة لساكنيها، واعتماد ذلك في طرح الحلول والبدائل التصميمية للبيئة العمرانية بشكل عام، ومنها السكنية على وجه

1 - عبد الرحمن عبد النعيم عبد اللطيف - استياء التراث العمراني من الإستتساخ إلى تأصيل واستدامة العمارة والعمران المحلي، المركز القومي لبحوث البناء والإسكان بمعهد العمارة والسكان القاهرة 2012 - www.cpas-egypt.com/pdf/AbdelrahmanAbdelNaaem/Researches/Arabic/02.pdf

الخصوص والتي تعنى باتخاذ الاعتبارات الإنسانية مؤثر تصميمياً العمارة المسكن بشقيها الوظيفي النفعي، والحسي التعبيري<sup>1</sup>، واستندت العمارة الداخلية في القرن العشرين إلى مجموعة من القواعد والنظم، تدرج على تهيئة الحيز الداخلي ودراسة وظائفه وارتباطها بالحيزات الداخلية الأخرى<sup>2</sup>.  
ومن خلال هذا يرى الباحث عند تصميم العمارة الداخلية لابد من التأكيد على المتطلبات التالية:

1- متطلبات وظيفية التوافق بين الوظائف الداخلية والفراغ من خلال أسس التصميم وهي عملية الموائمة بين المستخدم وحاجة الاستخدام والتوافق بين أبعاد الفراغات الداخلية والاحتياجات البشرية.

2- متطلبات إنشائية لمراعاة عوامل المناخ البيئي عند اختيار الخامات وجودتها وملائمتها لأداء المستخدم.

3- متطلبات إنشائية مراعاة المصمم لحالة المستخدم العقلية والحركية والسيكولوجية متطلبات جمالية: التوافق في المظهر الجمالي بما يراعى التقاليد وبيئة المجتمع<sup>3</sup>.

وإن انفتاح ليبيا على الحداثة والتصميمات الغربية أنتج تصميمات ليس لها مضمون ثقافي وأصول تراثية. ولا تعبر عن مدى الحس الجمالي لدى المصمم الليبي في إنتاج تصميمات تخدم الأسرة تعبر عن البلد ومع تنوع المساكن المعاصرة تنوعت أشكالها واتجاهاتها، وبرزت العديد من التصميمات المتضاربة بالنسبة للعلاقات الوظيفية بين

1 - الجادري رقة العمارة والحاجة إلى تنظير بنوي " سلسلة عالم الفكرة المجلد 27 ع 2 الكويت 1998، من 12-14 .

2 - دبس اوزيت حسان رسالة دكتوراه الديكور المسرحي والعمارة الداخلية في القرن العشرين جامعة دمشق 2009 من 17

3 - الملكي بنت مسعود أحمد المالكي، رسالة ماجستير، تصميم داخلي لمسكن سعودي من منظور مدرسة ما بعد الحداثة، جامعة أم القرى السعودية 2008 ص 42-43

مكونات المسكن والعلاقات الجمالية وعناصر التشكيل فيها. يركز الباحث على المساكن التي تكون للأسرة حرية بنائها وتأثيرها ووضع بصماتها الجمالية في كل زاوية. من زواياها بما يعبر عن نوقهم الشخصي الذي يختلف من شخص إلى آخر ، فالبعض يفضل النمط الكلاسيكي والعودة إلى الماضي، وآخرون يرون مسكنهم برؤية عصرية مليئة بالألوان التي تبعث الحيوية في ارجائه ، بينما آخرون لا يهتم الاتجاه في تصميمه بقدر ما يلبي راحتهم ، وكل ما هو بسيط في توزيع الوظائف الداخلية، والالتزام بالشروط والأسس التصميمية المعاصرة للمسكن الليبي يشكل البناء المعماري السليم ، والذي على المصمم الالتزام به عند تصميم مسكن معاصرو، وفق احتياجات الأسرة في ليبيا ، يجب مراعاة الاسس التصميمية لعمارة المسكن والخضوع للاتجاهات الفكرية التي تحرك العمل المعماري ، و قد تكون هذه الأسس الزاماً لمصمم دون آخر.

#### المحور الثاني: التشكيل والتكوين في مساكن غدامس القديمة

برزت بعض التصميمات المعمارية القليلة من قبل بعض المعماريين الليبيين الذين قاموا بتوظيف بعض العناصر المعمارية التاريخية التي قد تؤدي بصورة ما إلى إعادة الصلة التي فقدتها العمارة الليبية بسبب ظاهرة التأثر والتغريب التي بدأت مع الحملة الإيطالية في ليبيا.

يحاول الباحث من خلال النموذج المقترح الخروج من تصميمات المساكن المعاصرة المتأثرة بالتصميمات العربية والاتجاه نحو تصميم يربط الإطار الوظيفي بتأصيل عناصر العمارة الداخلية والمفردات الزخرفية التاريخية لتكون هناك نوع من الألفة بين المبنى والإنسان الماضي والحاضر، وإن مخرجات العمارة الداخلية للنموذج التطبيقي هي تصميمات محلية تحمل سمات تراثية من زخارف وتشكيلات ومعالجات بيئية ولكن بطريقة تساهم في التغيير التكنولوجي الحديث في العمارة ولا تتعارض معه، كل هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن عملية التطوير والتحديث يعتمد في الأساس على فكر وإبداع المصمم الذي يستطيع أن يطوع التقنية الحديثة التطوير والارتقاء بالمخرجات

المعمارية في إطار الشكل والمضمون المحلي وبمفهوم معاصر، وإن ايجاد عمارة توازن بين التقليدية والحديثة تتطلب من المصمم استيعاب كامل التطور التكنولوجي سواء فيما يتعلق بالوظيفة والجمال إلى جانب المعرفة الكاملة بالتراث المعماري المحلي، وكذا إلى الإحساس بمجتمعه وثقافته وقدر كافي من المهارات الذهنية التي تمكنه من عدم الانجرار وراء التصميمات الغربية وما هو سائد في الساحة المعمارية بحيث ينتج عمارة تحقق متطلبات واحتياجات مجتمعه المعاصر، وفي نفس الوقت في إطار محلي خاص نابع من العمارة المحلية لمجتمع له هويته وثقافته وعاداته الخاصة.

إن ما نراه من المباني السكنية المعاصرة هو خليط من الأفكار والمدارس والاتجاهات العالمية ، حيث نجد منها ما ينتمي إلى الحضارة الغربية من حيث التصميم واستعمال المواد المصنعة والتكنولوجيا الحديثة دون الارتباط بالواقع المحلي تراثياً أو اقتصادياً ، أي عمارة قوالب خرسانيه بمختلف تشكيلاتها الايحائية والفنية . والبعض الآخر، تنتمي لمدارس معمارية مختلفة ، سواء منها الوظيفية أو التكعيبية أو التعبيرية أو غير ذلك من الاتجاهات المعمارية والمنطقة أساساً من اعتبارات وتقديرات شخصية تختلف باختلاف الفكر لكل اتجاه وهناك امثلة عديدة من المباني المعاصرة العامة والسكنية لم تكن ملائمة أو مناسبة سواء من حيث الشكل والمضمون أو الوظيفة والنموذج المقترح لا يعنى التقيد بالعمارة التقليدية لأنه ليس من المعقول ان تبقى المساحة وحجم الفراغات الداخلية والخارجية للمسكن كما كان في السابق، كون الأثاث والتجهيزات الحديثة تختلف عن ما كان موجود في الماضي وبالتالي لا بد أن يكون فراغات المبنى الداخلي ملائمة ومناسبة لهذا الأثاث والعادات والتقاليد اللببية المحلية ومواكبتها للمعاصرة، لذلك فإن ما تهدف إليه الدراسة هو محاولة طرح اتجاه واضح المعالم يتعايش مع الحاضر بكل امكانياته واحتياجاته مع الارتباط الفكري بالماضي وبمقوماته الطبيعية والحضارية من جهة وبالمستقبل من جهة أخرى، وبالتالي يكون الناتج عمارة سكنية معاصرة تتحرك وتتطور مع الزمن لا تلتزم بقوالب معينة أو بنظريات واتجاهات خاصة ، ولكنها تتفاعل بشكل مستمر مع الحاضر الذي يرتبط بالماضي وتعالج المشاكل الوظيفية والجمالية للمسكن

## 1- الانماط الزخرفية في المسكن الغدامسي

تميزت الزخرفة الغدامسية بخصوصيتها التي تعبر عن أصالتها وخصوصيتها الفنية ، فهي لم تقلد أي نوع من الزخارف المتعارف عليها في جميع المدن الاسلامية والعربية من ناحية شكلها أو مفرداتها، فالفنان الغدامسي استمد زخارفه من بيئته الصحراوية وعاداته وتقاليده فأبداء الغدامسيون كل ما لديهم من مهارة وحس فني في تزيين الحوائط أو المداخل أو الأبواب أو الاسقف فيعتبر المسكن الغدامسي وحدة متكاملة كأنها لوحة فنية من عدة اجزاء و زينة الجدران بوحدة زخرفية متنوعة مثل أشجار النخيل والنجمة والهلال وتجسيد بعض الأدوات المستخدمة في الزينة كما اهتم بالأشكال الهندسية بجميع انواعها ، وتعتبر زخرفة خاتم سليمان من أكثر الاشكال المستخدمة في الفراغات الداخلية لمساكن غدامس، وتكرر في أكثر من موضع في المسكن الواحد ، واستخدموا الاباريق وزهرة اللوتس وشجر النخيل والمراوح كما اعتنى الغدامسيون بالزخارف الجبسية فقد نفذت بدقة متناهية غائرة ومفرغة تحمل اشكال عدة من توريقات ودوائر والاشكال الهندسية المتقاطعة وتزيين غرفة المعيشة بنقوش وزخارف جبسية بسيطة وتعلق على الحوائط قطع من المنسوجات ذات زخارف تقليدية كما تعلق العديد من المرايا والأواني النحاسية والجلدية كما يتم تنفيذ مجسم مصغر للمسكن يقوم به الأطفال لتدريبهم لإعداد مساكنهم في المستقبل .

تطلي جدران الغرف باللون الأبيض، أما الخطوط الزخرفية يغلب عليها اللون الأحمر، وكانت صالة المعيشة من أهم المناطق التي يهتم بها الغدامسيون بالزخرفة والزينة فهي بمثابة معرض دائم ، كما نلاحظ بعض الزخارف البسيطة في بطن الاقواس والعقود المتمثلة على شكل (الخميسة) اصابع اليد، أو بعض الكتابات البسيطة منها كتابه الله اسم الجلالة والرسول (صلي الله عليه وسلم) كما تتم بعض

الرسومات والنقوش فوق المدخل وتزخرف المرايا بإطار زخرفي وتزين الحجرات والصالة ببعض الاطباق المصنوعة من سعف النخيل ذات الالوان المتباينة والأواني

النحاسية التي تعتبر من أهم ما يميز المسكن الغدامسي جمالها ، ويغلب في تلوين الزخارف الالوان الاحمر و الاصفر والاخضر ، وتتميز هذه الطلاءات ببقائها فترات طويلة من زخارف على المدراء الزمن دون ان تبهت ، وابتعد الغدامسيون عن رسم الانسان والحيوان، واقتصر على الحمام بشكل مجرد وزينة الابواب



والمدخل بخطوط علي شكل اشربة متداخلة باللوان الأحمر وهي زخارف شعبية بسيطة امتازت بها مناطق الصحراء الكبرى<sup>1</sup> شكل (7)

## 2 - جمالية الحركة في المفردات والعناصر المعمارية

تميزت الحيزات الداخلية والواجهات الخارجية في عمارة غدامس يعني مفرداتها المعمارية بالتشكيل بالخطوط الافقية والطولية والمنحنية أضفى على الواجهات والحيزات الداخلية حركة بصرية من خلال المثلثات التي أخذت تكوينات وأشكال وتصميمات مختلفة في المسكن الواحد، وفي عدة مساكن مختلفة، عنصر المثلث أصبح رمز مميز في عمارة غدامس، والأشكال الحادة التي حدد بها الغدامسيون نهاية واجهات مبانيهم السكنية أعطت حركة بصرية وجمالية وفخامة وتميز لهذه

<sup>1</sup> - <https://m.facebook.com/Nubian.Countries/post>

الواجهات من خلال حركة العنصر المتدرجة نحو الأعلى والأسفل كما أيضاً جاءت الأعمدة المربعة والأعمدة الدائرية المتلاصقة في شكل مربع ذات قاعدة تبدأ مع نهاية جسد الانسان لا يبرز النقوش والزخارف التي عليها بشكل واضح لعين المشاهد أن تنوع التشكيل في الأقواس الغدامسية له خاصية مميزة وفريدة من حيث



أ - زخارف ونقوش على أعمدة المسجد



ب - أقواس غدامس



ج - مباني في غدامس

(شكل 8-أ، ب، ج) بعض الأقواس النقوش والمفردات والعناصر المعمارية من غدامس-

تصوير الباحث

الشكل والحجم والمعالجات الزخرفية والكتابات والأشكال الهندسية التي تعلوه عبر بها المصمم الغدامسي عن طبيعة وذوق وبساطة سكان هذه المدينة شكل (8).



### 3 - الأثاث المستخدم في مساكن غدامس

لم يهتم الغدامسيون بتصنيع الأثاث بل اقتصر على البساطة المتمثلة في المراتب الموضوعة على الحصير والسجاجيد المصنعة محلياً من الصوف والشعر والوبر وجلود الحيوانات وتميز هذه المنسوجات بألوانها المتباينة مما أضفى على الفراغ رونقاً جمالياً. ويعتبر الصندوق الخشبي من أهم قطع أثاث المسكن الغدامسي الذي زخرف برقائق ومسامير نحاسية تستخدم لحفظ الملابس والأشياء الثمينة والمهمة وقد استخدمت الجدران كدواليب تفتح فيها فتحات يعمل بها باب من ظلفة أو ظلفتين للتخزين (شكل9)

### المحور الثالث: النموذج التطبيقي

❖ **مشاكل المسكن الليبي المعاصرة** يرى الباحث أن أهم المشاكل الجمالية تتجسد بعدم توظيف الموروث في الفراغ الداخلي والواجهات الخارجية واستخدام الوحدات الزخرفية وعناصر العمارة الداخلية باعتبارها الموروث المحلي الذي يشكل جزء كبير من الجمال.

- ❖ **مشكلة التصميم** تكمن في عدم توافق المسكن المعاصر مع المتطلبات السيكولوجية والفسولوجية للأسرة.
- ❖ **معايشة المشكلة:** وهي عدم الارتياح الإنساني عن مستوى تصميم البيئة السكنية المعاصرة في ليبيا.
- ❖ **إدراك المشكلة** من خلال عدم استجابة المصممين والمسؤولين في تصميم المسكن إلى الدوافع الثقافية والبيئية والاجتماعية والحضارية.



### رؤية الباحث في تصميم السور والواجهات الخارجية للنموذج التطبيقي

**التفاصيل في الصور الخارجي:** من خلال الكتل الهارزة والمنحوتة ، وخاصة تلك التي تربط المدخل الرئيسي ومدخل السهارة وكذلك حركة المبول في الجدران والتي أصل فيها الموثيق الزخرفي الغدامسي المتمثل في شكل المثلاث والزخارف النجمية ، والتي أصلت أيضاً في الأبواب الحديدية، و اختار الباحث في طلائها لون داكن لخلق تباين مع جدار السور، و إعطائها القوام والقوة والرسالة ،وما يميز الجدار الخارجي للسور الوحدة في التصميم والتأكد على علاقة الجزء بالكل من خلال الترابط بين الجدار الخارجي وواجهات المسكن الداخلية ، وقد عمقت الأقواس على الابواب أصالة البيت الغدامسي رغم أن التصميم معاصر ، إن توزيع النيات الطبيعية في أماكن مختلفة من الجدار وخاصة النيات التي وظفت في الجدار المنحوت أعطت بعداً جمالياً وعمقاً في استخدام الطبيعة كعنصر جمالي وإداعي ،إن الباحث سعى أن يوظف مفردات الوحدات الزخرفية والمثلثات في شكل فني جمالي وهو مستوحى من منمنمة غدامس التاريخية. (شكل 11أ،ب)



(شكل 11أ،ب) المدخل الرئيسي ومنظور خارجي

**التفاصيل في الواجهة الامامية:** أكد الباحث من خلال توزيع الاضاءة الصغائية على الممر والمدخل الرئيسي والعمودان الجانبيين اللذان تتخللهم الزخارف الغدامسية والتي أضفت على الواجهة والقناة الهدوء والسكينة أثناء الليل. اعتمد الباحث على التجريد والبساطة، وأبتعد عن البروزات وأعتبر جماليات المسطحات كأساس عام للتشكيل الجمالي في الواجهات مع زيادة الاحساس بالكتل عن طريق تأكيد الازكان والزوايا واستخدام الفتحات المتكررة على واجهات المبنى شكل إيقاع شبه منظم للتغلب على قلة الزخارف وتسطيح الكتل والتأكد على ارتفاع المبنى باستخدام خط السماء أي مستوى الحواف، والتأكد على المحاور الأفقية والرئيسية بالواجهات. تهيئت النمط المعماري لمنمنمة غدامس من خلال تحديد تصميمات ثلثة للعناصر المعمارية والموثقات الزخرفية في غدامس. واعتمد الباحث بشكل كبير على استخدام الشكل المثلث والقوس الغدامسي في الواجهة بعد عملية التحوير. التأكيد على التوازن من خلال فتحات النوافذ باستخدام الزخارف على حامة (الستول). التأكيد على الخامة البنيوية في الواجهة الرئيسية من خلال استخدام خشب الصفيور أعلى المدخل الرئيسي وتكسيه الحائط المجاور للباب الرئيسي بالحجارة الطبيعية. استخدام اللون الأبيض في طلاء الواجهات مع التأكيد فقط على المدخل ونزرة القناة الأوسط والإطار المحيط بالنوافذ للتأكيد عليها بلون واحد متلائم مع لون التربة. (شكل 12)



(شكل 12) الواجهات الخارجية للنموذج



شكل 13-أ) الواجهة الخلفية

**التأصيل في الواجهة الخلفية:** لم يهمل الباحث الواجهة الخلفية رغم أنها بعيدة عن زاوية النظر. الالتزام بالمضمون الشكل للعنصر الزخرفي المفرغ على المعدن الذي استخدم في الواجهة الخلفية بعد تحويل موضعه أفقياً بدل ان كان يوظف بشكل رأسي في الواجهة للنموذج الحركة في كتل الجدران الخلفية والاكثفاء بفتحات النوافذ التي اخذت نفس المثيف الزخرفي عليها. تكرر الحائط المائل والأشكال المثلثة اعلى الجدار أعطت تنوع وتأكيد على العلاقات الترابطية بين المثيفات الزخرفية والوحدة في الواجهات. والاتجاه للبيئة من خلال استخدام الحجر الطبيعي وشجرة النخيل لاطهار زاوية الواجه الخلفية بشكل جيد ومميز. (شكل 13-أ)



شكل 13-ب) الواجهة الشرقية من الخلف

**التأصيل في الواجهة الشرقية:** الجزء الامامي تضمن جدارة نافذة زينة بموثيف زخرفي استخدم كثيراً على الواجهات والمداخل والنوافذ الغدامسية. استخدام الاكثاف المائلة على الجدار الخارجى والذي تضمن نافذتين وأكد الباحث على نهايتها بتكرار شكل المثلث للتأكيد على التوازن. الجزء الاخير عبارة عن جدار مصممت جمل أعلاه بالمثلثات المتجاور في شكل تبادل مما يزيد الاحساس برأسية المبنى والتغلب على قلة الارتفاع من خلال التأكيد على زوايا اركان الواجهة لتحقيق التوازن. (شكل 13-ب)



شكل 13-ج) التأصيل في المكان المخصص للسيارة (شكل 13-أ، ب، ج) الواجهات الخارجية

**التأصيل في المكان المخصص للسيارة:** استوحى الباحث مكان لحفظ السيارة من العرائش والأسقف المستخدمة في مدينة غداس التقليدية، وهنا يعود الباحث من جديد لأدماج الخامات البيئية في تصميم النموذج السكنى وهنا التوظيف أطلق على المكان شكل جمالى. التأكيد على العنصر المعماري المميز في غداس من خلال استخدام قوسين متقابلين لتثبيت الاعمدة الخشبية (خشب الصنوبر). فصل الشكل المعماري لمراب السيارة ليؤكد على أسفلاتية معمارياً وجمالياً. استخدام النباتات الطبيعية لتغطية السقف ليتكامل المظهر جمالياً وبيئياً. (شكل 13-ج)

#### التأصيل في المدخل الجانبي

المدخل الجانبي للنموذج التطبيقي لم يخلو من العنصر الجمالي رغم أنه مدخل ثانوي ولا يستخدم إلا قليلاً من قبل الطيوف الرجال. لم نغيب الأشكال المثقبة والمتقنات الزخرفية على المدخل لتجميله وانماجة مع الواجهات الخارجية جمالياً .  
استخدام الحائط المائل لفصل النموذج السكني على الفضاء المخصص للسيارة و تمت معالجة الحائط بتقنات زخرفية مفرغة نفذت على المعدن لأظهار المدخل الجانبي بشكل جمالي مميز . (شكل 14)



(شكل 14) المدخل الجانبي

#### التأصيل في الفضاء الداخلي

استخدم الباحث شكل جديد من الأفراس الغدامسية والتي تطل على الفضاء الخارجي والفضاء الداخلي لصالحة المعيشة حيث شكلت الأفوس الثلاثة رواقاً جمالياً ، والامتداد بين الداخل والخارج شكل بدأ بصرياً لجماليات الفضاء من فراغ المعيشة  
وظف الباحث المناسب والسلاام الغدامسية في الفضاء الأوسط والذي شكل بعد جمالها من خلال حركة الصعود والهبوط بمحاذاة الجدار ووظيفياً بحيث أصبحت الحركة أكثر سلاسة بالإضافة إلى ربط الفراغ الداخلي بالفراغ الخارجي وسهولة التواصل مع غرفة نوم الأطفال ، وأستغل الباحث الانفتاح إلى الداخل لتصميم شرفة لغرفة نوم مطلة على الفضاء تعلوها عريشة خرسانية من الأشكال المثقبة المتجاور والمتبادلة واستخدام الشرفة جعل تواصل بصرياً بين الحيزات الداخلية والخارجية للاستمتاع بجماليات الفضاء وجاءت نهلات الحوائط للفضاء من مقنات ومقرادات معمارية مختلفة بعض الشيء في عملية التوظيف عن الواجهات الأخرى بشكلها الانسيابي وتوزيع التهات وأشجار التخويل حول الفضاء شكل جانباً جمالياً من خلال التواصل مع البيئة الطبيعية و الذي يعمل على التقليل من التوتر والانفعال النفسي (شكل 15)



(شكل 15) أ، ب، الفضاء الداخلي وحوض الماء

## • تأصيل العناصر المعمارية والزخرفية في الحيزات الداخلية للنموذج



(شكـل 16-ا) غرفة استقبال الرجال



(شكـل 16-ب) غرفة استقبال الرجال



(شكـل 17-ا) أرفة استقبال النساء



(شكـل 17-ب) أرفة استقبال النساء

### التأصيل في غرفة استقبال الرجال

السقف: شكل الموتيف الزخرفي ذوا الشكل الثماني المتكرر باللونين الأبيض والأحمر أبعاداً فلسفية ترتبط بحضارة غدامس التاريخية . والموتيف أرتبط بالإضاءة التي أضفت على السقف الاحساس بالنعومة والجمال .

الجدار : أضفت الزخرفة الغد امسية بعداً جمالياً متناعماً لصالة الاستقبال وخاصة توزيع الموتيقات الزخرفية المستخدمة في السقف بعد تجريدها وتحويرها من حيث اللون والخامة كورق الحائط، وتنفيذها على الجدار، وقد فصل الباحث بين الجدار والسقف بشرط زخرفي مستوحى من زخارف غدامس على امتداد الجدران الأربع ، لترسيخ أسس التصميم الداخلي من حيث علاقة الجزء بالككل وعملية التكرار والتباين بين الموتياف والجدار، وعلى أحد الجدران نفذ أقباس غدامس، وزينة خلفيته بمنظر للمدينة، الذي شكل بعداً بصرياً متناعماً مع الطبيعة، كما وظفت جنوع النخيل أعلى الأقواس ، الأبواب ببعض المشغولات النحاسية التي اعطت لفرغ الاستقبال تناغماتى الشكل والمضمون الأرضية: وزع صالون على الجدران الأربع، تم تنجيده بقماش تقليدي مستوحاة من الزخارف الغدامسية، وتم توظيف بعض المكملات على الارضية والجدران مثل الطاولات وقطع السجاد التي تعبر على أيضاً مساكن غدامس التقليدية. (شكـل 16-أب)

### التأصيل في غرفة استقبال النساء

جسد الباحث التراث المعماري الغد امسي في غرفة لاستقبال النساء من خلال استخدام بعض الخامات الطيبة في السقف، والذي جعلته الالواح وأغصان الأشجار، حيث ظهر بشكل أكثر جمالية بسبب استخدام الاضاءة الصناعية المسلطة عليه. وقد نحت في أحد الجدران وحدة زخرفية من المثلثات لحفظ الكتب، ونحتت أماكن أخرى ووظف بداخلها أولني خزفية عليها نقوش وزخارف على امتداد الجدار، تعبر عن الصحراء في غدامس ، من أجل كسر حالة الجمود على الجدار واضفى حركة بصريه، وأعطى حيويه داخل غرفة الاستقبال مع المثلثات الغدامسية التي زينت الحائط الذي يعلوه القوس ولون الالاثت غلب عليه اللون الاحمر والذي توحد مع لون السقائر والمناضد والذي يستخدم بشكل كبير في البيوت الغدامسية وان الموتيقات الزخرفية الغدامسية والالواح الخشبية وجنوع الأشجار واللون كل هذه الخامات تناغمت مع الحدائق (شكـل 17-أب)



(شكل 18 أ) غرفة نوم رئيسية



(شكل 18 ب) غرفة نوم رئيسية منظور آخر



(شكل 19 أ) غرفة نوم أطفال



(شكل 19 ب) غرفة نوم أطفال منظور آخر

### التأصيل في غرفة النوم الرئيسية

حرص الباحث في تصميم غرفة النوم الرئيسية على ربط العلاقة بين الحداثة والاصالة من خلال استخدام الاثاث المعاصر وعناصر الزخرفة الغدامسية والمثلثات، التي تميزت بأشكالها العائرة والبارزة والمتبادلة على جنبي السقف ومسند السرير شكلت تقاغم رغم اختلاف الخامة بين الاثاث والسقف، كما أن الوحدات و الأشكال الحسابية التي برزت على قطع غرفة النوم جسدت على فراغ حجرة النوم الموروث الغدامسي وتوسطت غرفة النوم كتلة جسمية خلف السرير ممتدة الى منتصف السقف تتخللها اعدة خشبية ذات الوان تقليدية مشققة من قماش الستارة اعطت وحدة ترابطية بين السقف والستارة ، كما جسد الباحث العلاقة بين المفردات الزخرفية الموزعة على الجدار وأرضية البسط والاحزمة الشريطية التي تحيط بجدران غرفة النوم كونها موتيفات زخرفية تقليدية تحبر عن الموروث الغدامسي رغم التنوع في الخامات التي نفذت عليها كوحدة فلسفية للربط بين مكونات الغرفة (شكل 18 سابق)

### غرفة لطفل

أكد الباحث في التصميم على الجانب الترابطي بالألوان بين الاثاث ووحدة الاضاءة وتوزيع بعض المفردات الزخرفية من نقوش على الجدران والسقف حيث شكل القوس الموزع على جانبي السرير، وحرص الباحث على توزيع الالوان على أشكال المثلث والاقواس ولعب الأطفال كما أن الباحث تجمله المثلثات والقوس واللون الاحمر وتربط جدرانه المفرغة بزخرفة شريطية. شكل (19-أ.ب)



(شكل 20-أ) غرفة نوم شاب



(شكل 20-ب) غرفة نوم شاب منظور آخر



(شكل 21-أ) غرفة نوم فتاة



(شكل 21-ب) غرفة نوم فتاة منظور آخر

### التأصيل في غرفة لولد

البساطة في التصميم وجمالية الشكل مفردتان أساسيتان في تصميم غرفة نوم الأولاد، فقد سعى الباحث إلى البساطة في تصميم قطع أثاث الغرفة رغم أنها طمعة بالزخارف والموتيفات الغدامسية، وقد شكل قواس الباب والاقواس التي صممه على الخزانه تقاسماً في الشكل واللون، وتوظيف المثلثات والاشرطة الزخرفية على جدران الغرفة وقطع الاثاث كوحدة يربط بين اجزاء الغرفة.

أما السقف فقد أعاد الباحث استخدام أحضان الأشجار الطبيعية التي توطنها اشرطة زخرفية اعدامسية للتأكد على جماليات البيئة الطبيعية داخل فراغ الغرفة ولسجلمه مع لون الاثاث والموتيفات الزخرفية، وقد أصل الباحث الموتيف الزخرفي الغدامسي الذي استخدم في الواجهات الخارجية على جدران الغرفة وأختير له لون (البيج) ليتوافق مع لون الاثاث (شكل 20-أ-ب)

### التأصيل في غرفة لبينت:

ربط الباحث الاصالاة بالمعاصر في غرفة البنات، من حيث استخدام أثاث غرفة النوم المعاصرة في التصميم، والتي تجملها المثلثات التي تقاسمت مع اشرطة المثلثية الثلاث أعلى سقف الغرفة والمرأة. وإن وحدات الاضاءة العامة والجانبيهة وأضائه السقف تشكل شكلاً واحداً من خلال عنصر المثلث، كما أن الباحث أصل القوس والاشكال المثلثية في باب الغرفة وحرص أن يشكل اللون ترابطاً بين مكونات الغرفة من اثاث وشرطة زخرفية مما شكل هدواً فيسولوجياً للبينت.

(شكل 21-أ-ب)



(شكل 22) المدخل المؤدى للباب الرئيسي

#### التأصيل في الممر المؤدى المدخل الرئيسي

حرص الباحث على تأصيل الأقواس الغدامسية في الأبواب الخارجية والداخلية، والتي شكلت عنصراً جمالياً ومنظوراً بصرياً بين الباب الرئيسي ومدخل المعيشة، كما المثلثات وللون الأحمر على الأبواب الداخلية أكد على مداخل الغرف، وشكلت الأخشاب التي زينت السقف تأكيداً على العمارة الغدامسية وامتداد بصرياً عميقاً. (شكل 22)



(شكل 23) الممر المؤدى الى صالة المعيشة

#### التأصيل في الممر المؤدى الى المعيشة:

حرص الباحث أن تكون الأقواس والمثلثات وحدة تزيينية بين أجزاء الممرات ومكونات الفراغ الداخلية التي شكلت عنفاً وجمالاً للتزيينات ومكوناته وللتحات المنحوتة في الجدار والمحطة بإطار زخرفي والتي وظف بداخلها قطعة فخارية أعطت منظوراً جمالياً معاصر وحرص الباحث على أن تكون الأقواس والمثلثات وحدة تزيينية بين أجزاء الممرات ومكونات الفراغ الداخلية التي شكلت عنفاً وجمالاً للتزيينات ومكوناته وللتحات المنحوتة في الجدار والمحطة بإطار زخرفي والتي وظف بداخلها قطعة فخارية أعطت منظوراً جمالياً معاصر (شكل 23)



(شكل 24) الممر المؤدى الى غرف النوم

#### التأصيل في الممر المؤدى لغرف النوم:

أصل الباحث في الممر الذي يربط بين غرف النوم الأقواس والمثلثات والمناسيب الغدامسية، كما أصل الباحث شكل الفتحات المنحوتة في الجدار، والتي وظف بداخلها قطعة فنية سلطت عليها أضواء زادت من القيمة الجمالية للممر المؤدى لغرف النوم، وحرص الباحث على تأصيل الأقواس عنصراً جمالياً ومنظوراً بصرياً بين الباب الرئيسي ومدخل المعيشة، كما المثلثات وللون الأحمر على الأبواب الداخلية أكد على مداخل الغرف، وشكلت الأخشاب التي زينت السقف تأكيداً على العمارة الغدامسية وامتداد بصرياً عميقاً (شكل 24)



شكل (25) الاتصال في المطبخ



شكل (26) الاتصال في المطبخ منظور اخر

### التأصيل في المطبخ:

لقد سعى الباحث في تصميم المطبخ ومكملاته من خلال الربط بين المعاصرة والتراث حيث شكلت مفرداته وحدة مستقلة، وقد تمثلت في محددات الفراغ استخدام البلاطات الخزفية جانب والجانب الاخر استخدم فيه الحجارة الطبيعية مما أعطى توازناً في الشكل الجمالي للمطبخ ، ويتضح ذلك من خلال مساقط الاضاءة الطبيعية التي تنعكس على الاحجار الطبيعية والتي تبرز الواناً مميزة وجميلة ، والاضاءة الصناعية المتمثلة في المصابيح ومساقطها سوى كانت مباشرة أو نصف مباشرة والتي تعطي الجو المناسب لرؤية محتويات المطبخ والتي تعكس في بلاطات الجدران الجانبية وشكلت وحدات الاضاءة المعلقة والمستخدمة من مادة النحاس نقطة تركيز لمثلثات السقف ، كما أن استخدام أثاث المطبخ من دوليب أرضية ومعلقة وكراسي ذات شكل معاصر وأصل الباحث فيها بعض المتغيرات الخزفية وخاصة على جدران المطبخ وعلى الاعمدة الجانبية وعلى مسند الكرسي ومن خلال الحجارة الطبيعية والالوان المتوافقة الهادئة اراد الباحث أن يتميز المطبخ بطابع السكون والهدوء الذي يعطي الراحة النفسية للمستخدمين داخل المطبخ (شكل 26-أ)

### التأصيل في الفاصل الخشبي:

شكل الصالون والمطبخ وحدة منظورية من خلال وحدات الاضاءة والاشرطة الخزفية على الجدار وظلف الدولاب وسيراميك المطبخ، هذا التنوع شكل أيضاً تنوع وامتداد في الحركة البصرية بين الفراغات المفتوحة. أصل الباحث استخدام المناسيب الغدامسية، بما يعطى التدرج في المنظور وأعطى الفاصل الخشبي المستوحى من بعض الاشكال الغدامسية المتمثلة في الدوائر والمربعات والمثلث والشكل المنحني قيمة جمالية للفصل بين الفراغات. (شكل 27)



شكل (27) التأصيل في الفاصل الخشبي

### التأصيل في صالته المعيشة تصمم فراغ صالة المعيشة متفوحاً على الفراغات الأخرى، والذي أعطى عمقاً مكانياً

وسعة كبيرة ، مع الاحتفاظ باستقلالية كل فراغ مطل على الصالة بحيث شكلت وحدة تصميمية وجمالية واحدة ، وكل ركن من هذه الأركان تميز بوحدة زخرفية خاصة به، والاقواس المنفوحة ذات القنوش الزخرفية والتي تحتضن الإصالة المشقة في الصندوق اللزلي، والحدائث في تصميم القنوش شكلت ترابط بين الحدائث والتراث، وهنا سعى الباحث أن يكون الموروث له مكان كبير في صالة المعيشة، حيث تنتشر البسط وألوان الساتر وركز الباحث على أن يكون المكان المخصص للجولوس يغلب عليه الشكل التراثي من حيث الأثاث والخامة واللون ، أما الجدار المقابل فقد فتح على المطبخ للتواصل السلمي واليسرى مع فراغ المعيشة، كونه المحور الرئيسي للمسكن ، واستخدم الترابزين كحاجز نفسى بين فراغ المطبخ والمعيشة والذي استوحى تصميمه من عنصر زخرفي أستخدم كثيراً في المسكن الغداسي، وهذا بأصل الباحث المعرقات الغداسية من عناصر ومفردات زخرفية على الشكل التالي

السقف شكلت المثلثات والربوع مع حركة الخطوط الدائرية وحدة ديناميكية حركية، وخاصة تبرز أكثر جمالاً عند استخدام الاضاءة كوحدة جمالية، وتوظيف الصندوق الخشبي اللزلي المطعم بالموتيفات والعناصر الزخرفية الغداسية، ومعالجة العنوازل الخاصة بمكان الجلوس باستخدام شكل المثلث، كما أستعمل الشريط الزخرفي كوحدة ربط بين الجدران الأربع، وتوزيع بعض القطع النحاسية والقضارية داخل حيز الصالة والتي لم يخلو منها المسكن لاند أسمى. (شكل 28-أ-ب)



(شكل 28-أ-ب) التأصيل في صالته

### التأصيل في الحمام

حرص الباحث في توزيع أطقم الحمام بشكل يتناسب مع الفراغ الداخلي له، وقد تضمنت الموتيفات الزخرفية من مثلثات وقنوش غدا مسيه على السقف وأحواض الغسيل، والبلاطات الخزفية، كما شكل اللونين الاحمر والأبيض والاصفر المشقة من ألوان الموتيف الزخرفي وحدة توازن على الجدران الداخلية لفراغ الحمام. (شكل 29-أ-ب)



(شكل 29-أ-ب) التأصيل في الحمام

## الاستنتاجات

1. توصل الباحث إلى تصميم يمكن تطبيقه في المسكن المعاصر بربط الاصاله بالمعاصرة.
2. أن التأصيل في عناصر العمارة الداخلية يعتبر مهماً من الناحية الجمالية والنفسية في المسكن.
- 3 ربط جماليات الماضي بالحاضر من خلال توظيف الموروث الليبي في المسكن الليبي المعاصر.
- 4 تم التوصل إلى كيفية تحقيق الغرض النفعي والجمالي معا بالتصميم وتنفيذه الذي يفى بمتطلبات الانسان العامة والخاصة في المسكن المعاصر من خلال استخدام إمكانيات الطبيعة وما توفره من خامات بسيطة وغنية في أن واحد محققة الغرض الاقتصادي.
- 5 التأكيد على الزخرفة والنقوش في الواجهات الأمامية وعناصر الفراغ الداخلي للمسكن الليبي وخاصة التي ترتبط بتراث ليبيا.
- 6 امكانية الاستفادة من الامتداد الأفقي في التوسع المستقبلي بدلا من الامتداد العمودي الذي لا ترغب فيه الأسرة الليبية.

## الخلاصة

أن سكان مدينة غدامس أرادوا منذ البداية إيجاد صرحاً معمارياً لفترات طويلة من الزمن يكون شاهداً قائماً في الصحراء متحدياً كل الظروف الطبيعية والمناخية، وكنزاً معمارياً غنياً بالرموز المعمارية المختلفة حيث دعم هذا الغنى في المفردات المعمارية، فالأقواس في غدامس تميزت بأشكالها الفريدة واستخدمت بشكل واضح في المباني العامة كالمساجد والشوارع، وبعض الميادين شكلت الأقواس بها عنصر إثارة وذلك باحتوائها للجلسات الموجودة على جانبي الشارع أو لإسناد الغرف المطلة على الشارع، التي تتناغم فيها الضوء والظل الساقط من المساحات المفتوحة في الاسقف وما بين الداخل والخارج فتبدو للناظر لوحة فنية عناصرها الظل والضوء والاقواس المزخرفة بالألوان مما شكل عمق جمالها، والألوان المستخدمة في معمار المدينة، تحتوي على مدلولات رمزية معقدة. فاللون الأبيض

المستخدم في طلاء الحوائط يرمز للصفاء والنقاء والبساطة في حياة هؤلاء الناس، والألوان الزاهية كالأحمر والأصفر والأخضر احتفظ بها في عمل الزخارف الداخلية، وهو ما يؤكد التضاد بين ما هو عام وما هو خاص واللون الأبيض للحوائط الخارجية والمفردات المعمارية الأخرى، كالأقواس، الفتحات، الأقبية، القباب، الأعمدة وتيجانها، الزخارف الجصية، المثلاث العلوية ساهمت هي الأخرى في إثراء المدلولات الرمزية لعمارة غدامس، والأشكال المثلاثية، شكلت عنصراً رمزياً بارزاً في معمار غدامس، فالمثلث علامة بارزة ونمط هندسي يمكن ملاحظته في أركان المبنى والمسكن يغلب عليها الشكل المربع ذو الغناء المركزي رغم تعدد طوابقه، وتميزت فراغاته الداخلية بتصميم كثرت فيه المناسب المؤدية للغرق المطللة على نفس الفراغ، وهنا أعطى دلالة على الانفتاح الداخلي رغم ان المساكن منطقة وملتقة على نفسها، ووجود المناسب وانفتاح معظم الغرف إلى الداخل. أعطى الجدران ارتفاعاً مميزاً، ساعد الأسر في تنسيق مقتنياتهم المختلفة، لتزين بها هذه الحوائط المرتفعة بهذا أصبحت غرفة المعيشة مكاناً لإرسال مدلولات رمزية أخرى. وهذا التخطيط يرمز هو الآخر إلى الحياة الاجتماعية المترابطة داخل المنزل حول الفناء المركزي، ومن خلال هذه الجماليات وقف الباحث كثيراً لتأملها واستنباط ما يمكن من روائعها، وإعادة تشكيلها في تصميمات تتماشى والمعاصرة، وقدم الباحث بعض النماذج التصميمية المستوحاة من ذلك الينبوع المتجنر في عمق الصحراء ولم يجهد تفكيره كثيراً حتى تترابط هذه العناصر والمفردات في عمليه أعاده بلورتها في تصميمات تخدم المسكن المعاصر. 21

## التوصيات

### من خلال الدراسة التي قام بها الباحث يوصى بالنقاط التالية :

- 1- الاهتمام بتفصيلات ودلالات العناصر الداخلية للمسكن الليبي جماليا ووظيفيا.
- 2- ضرورة أن تراعي في تصميم العمارة الداخلية للمسكن الليبي العوامل المناخية والاجتماعية والثقافية والنفسية وخصوصية العادات والتقاليد.
- 3- على المصمم أن يستحضر مفريات الماضي من العناصر المعمارية والزخارف والنقوش الجمالية ويوظفها في العمارة الداخلية والواجهات الخارجية للمسكن الليبي.
- 4- التأكيد على المزيد من الدراسات العلمية بخصوص التأصيل والتوظيف في مكونات وعناصر العمارة الداخلية لما لها من دلالة جمالية ورمزية تستحضر الماضي بالحاضر.
- 5- يأمل الباحث أن تكون هذه الدراسة بداية لبناء وتشديد مجتمعات سكنية ذات أسلوب تراثي الاهتمام بالمووروث المعماري الليبي وصيانتته وتجديده لأنه يحمل أصلة المجتمع.
- 6- تشجيع وتطوير الترجمة من اللغات الاجنبية إلى اللغة العربية في تخصصات العمارة الداخلية.
- 7- يأمل الباحث أن تكون الدراسة على شكل كتاب في متناول المتخصصين والطلاب المهتمين في العمارة الداخلية .

### المراجع .

- 1- ابن منظور " لسان العرب " مطبعة الجيل، بيروت، 1982 م
- 2- المعجم الوسيط " مجمع اللغة العربية " الجزء الأول، القاهرة، 1968 م
- 3- مجموعة من اللغويين العرب. " المعجم العربي الأساسي " المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة طبعة لاروس، تونس عام
- 4- 1989 الجادرجي رفعة: " العمارة والحاجة إلى تنظير بنيوى، سلسلة عالم الفكر، المجلد 27، ع 1998، 2، الكويت

- 5- دبس اوزيت حسام الديكور المسرحي والعمارة الداخلية، في القرن العشرين، رسالة دكتوراه جامعة دمشق 2009
- 6- عبد الرحمن عبد النعيم عبد اللطيف - استلهام التراث العمراني من الاستنساخ إلى تأصيل واستدامة العمارة والعمران المحلي - المركز القومي لبحوث البناء والأسكان بمعهد
- 7- عبد الغني جمال الدين أحمد: تنسيق مواقع الأماكن التاريخية بمصر، رسالة دكتوراه، قسم العمارة والإسكان القاهرة 2012 العمارة، كلية الفنون الجميلة، الاسكندرية 1990
- 8- يوشيع بشير قاسم غدامس ملامح وصور دار لبنان سب بيروت 1975
- 9- رواد الفوجر الزباني الطريق نحو فزان ترجمة طفوزي، مكتبة الفرجاني، طرابلس 1971، ليبيا
- 10- المالكي، بنت مسعود أحمد المالكي، رسالة ماجستير تصميم داخلي لمسكن سعودي من منظور مدرسة ما بعد الحداثة، جامعة أم القرى السعودية 2008 . Chartes
- 11- danier "the gamant of soutgen Libys" skender press p20
- 12- [https://www.facebook.com/Nubian\\_Countries/post-12](https://www.facebook.com/Nubian_Countries/post-12)



## توصيات المؤتمر

- 1 - التأكيد على أهمية عين الفرس "غسوف" في البيئة المبنية والاجتماعية والثقافية والتراثية إضافة إلى أنها مصدر مائي وسببا مهما في خلق علاقة متناغمة بين البيئة المبنية ومستخدميه ويمكن استخدام النتائج في الاهتمام بالجوانب المختلفة التي مثلتها العين وتوسيع نطاق الاهتمام بحفظ التراث والمعالم كمصدر مهم من مصادر السياحة والتركيز على كافة المعالم وفهم التراث العمراني والثقافي والاجتماعي لمجتمع مدينة غدامس القديمة.
- 2 - إن مصادر المياه كانت ولا زالت هي المصدر الرئيس لوجود الحياة ونشوء التجمعات الحضرية بدليل استمرار الحياة في المدن التي حافظت عليها، لذا أصبح لزاما وضع حد للتعديات التي تنبئ باضمحلال هذه المصادر، والتأكيد على التعامل مع التخطيط للتجمعات الحضرية على أساس خصوصية المعطيات المكانية والإنسانية.
- 3 - دعم الأبحاث التي تتناول علاقة مصادر المياه بالتجمعات الحضرية.
- 4 - التأكيد على القيمة التاريخية والمعمارية المميزة للبيت الغدامسي، ونقر بواجب الاعتناء بالتراث المعماري والعمراني الغدامسي، وبأهمية الحفاظ على واحدة من أهم خصائص هوية العمارة في ليبيا.
- 5- على المصمم أن يستحضر مفردات الماضي من العناصر المعمارية والزخارف والنقوش الجمالية ويوظفها في العمارة الداخلية والواجهات الخارجية للمسكن الليبي.
- 6- التأكيد على المزيد من الدراسات العلمية بخصوص التأصيل والتوظيف في مكونات وعناصر العمارة الداخلية لما لها من دلالة جمالية ورمزية تستحضر الماضي بالحاضر.
- 7- لا بد من التركيز على المناسبات الاجتماعية المرتبطة بعادات وتقاليد المدينة القديمة ودعمها ماديا ومعنويا حتى نحافظ على الميزة التي تتفرد به مدننا من التراث المادي واللامادي .
- 8 - الاهتمام بتوثيق والتراث التاريخي والحضاري وتوظيف الوسائل والوسائط التقنية والإعلامية لحفظ وتدوين وتثمين هذا التراث.

إصدارات  
شركة كيدامي للخدمات الفنية والإعلامية  
منظمة تورينكا للثقافة والتراث  
2024

تصميم الغلاف  
سيف النصر المدني

